

مِنْهُ جِيْتَرُ تَاعِ عَوْرَةِ امِّ الْاِحْدَاثِ

وَابْطَالِكْ شَيْبَاهُ تَمْرُ حَوْرِكِ الْاِسْلَامِ

جَمْعُ وَاِعْدَاكْ: جِيوتِيَاهُ بَا مِنْ نَبِي

ملخص البحث:

يستهدف هذا البحث وضع منهجية متكاملة لدعوة الملاحدة وإبطال شبهاتهم حول الإسلام، مع التركيز على تأهيل المحاور بمهارات علمية رصينة تُمكنه من الرد على تلك الشبهات بكفاءة وثيقة. كما يثبت البحث بالأدلة العلمية المنطقية القاطعة صحة الإسلام ووجود الله، ويكشف عن حقيقة الإلحاد ويفنده من صفة العلم. كما يتناول البحث السمات الأساسية التي يجب أن يتحلى بها المحاور المسلم الناجح، ويقدم نماذج حوارية توضيحية إلى جانب استعراض شامل لأسباب ظهور وانتشار الإلحاد عبر التاريخ وصولاً إلى العصر الحديث. يوصي البحث المحاور بضرورة التسلح بالعلم الشرعي والعقيدة الصحيحة، وفهم خدع الشعارات البراقة والكلام الفضفاض الذي يستخدمه بعض الأشخاص الذين يظهرون في الإعلام كأنهم باحثون ومفكرون. ويؤكد البحث كذلك على أهمية اتباع قواعد علمية منهجية ودقيقة في الحوار، لضمان تحقيق نتائج إيجابية وفعالة..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

"إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِيهِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 102]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1]، {يُضِلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 71]"⁽¹⁾.

وأشهد أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة، تركنا على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آل بيته وأصحابه وعلى كل من سار على هديه واستن بسنته إلى يوم الدين، وبعد:

فالمطلوب في الدعوة هو الحكمة، بل إن الداعي إلى الله مأمورٌ بها مصداقاً لقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل: 125]، وقوله سبحانه: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: 108].

ومن الحكمة مخاطبة الأفراد والمجتمعات حسب عقولهم؛ فالناس طوائف شتى، وثقافات متباينة، وعقليات متفاوتة؛ ولذلك الداعية الذي يتهاون في مثل هذه الاعتبارات ويختزل دعوته في طريقة واحدة متغافلاً عقول الناس وطاقاتهم واستيعابهم وفهمهم، فقد جانبه الصواب، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم - وهو معلم البشرية جمعاء - ينوع أسلوبه ويختار ما يناسب عقول الناس، بل ويأمر أتباعه من الدعاة إلى الله بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، فما يصلح لأحدهم قد لا يصلح لآخر، ولذا على الداعية أن يكون حكيماً عاقلاً، يتعامل مع عقول الناس حسب مقدرتهم هم لا حسب مقدرته هو.

والداعية إلى الله لا ينجح في دعوته، ولا يكون موفقاً في تبليغه ولا مسدداً في قوله وفعله حتى يعرف من يدعوهم، وهل هذا المجتمع من المسلمين العُصاة؟ أو من المسلمين الذين انتشرت فيهم البدع والخرافات؟ هل هذا المجتمع من أهل الكتاب؟ فإذا كانوا منهم، فهل هم من اليهود أم من النصراني؟ هل هذا المجتمع من الملحدين الطبيعيين والماديين والدهريين؟ أم من الوثنيين المشركين؟

ومن ثم ما يصلح لإقناع نصراني بالإسلام، لا يصلح لمن ليس على النصرانية؛ فلا تأتي على سبيل المثال لنقنع ملحداً أننا نؤمن ببعيسى وبقية أنبياء الله عليهم السلام، وهو لا يؤمن بأي نبي، بل إنه لا يؤمن بوجود الله عز وجل من الأساس.

ومن الحكمة أيضاً إدراك أن الإسلام دين عالمي خاتم، وليس ديناً قومياً أو محلياً، فرسالته للعالم أجمع، قال

(1) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه ويفتتح بها كلامه وخطبته، وقد رواها ابن ماجة في سننه، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (1892)، وأبي داود، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (2120)، والترمذي، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (1105)، والنسائي، كتاب النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح (3277)، وصححه الألباني في كتابه خطبة الحاجة.

تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء:107]، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سبأ:٢٨].

فلا يقتصر انشغال الدعوة إلى الله بالدعوة المحلية، متقاعسين عن الدعوة العالمية دون أن يخرج من بينهم دعاة متخصصون في مجالٍ من مجالات دعوة غير المسلمين، وفق منهجية مرتبة تحقق لهم أهدافهم في الوصول إلى القلوب قبل العقول؛ حتى يستطيع أمثال هؤلاء أن يُعمِلُوا عقولهم في كلامه أعمال القابل الراضي لا أعمال الرافض الساخط.

ومن بين تلك التخصصات في دعوة غير المسلمين والتي هي موضوع بحثنا هذا، هو دعوة الملحدين إلى الله جل في علاه.

فعندما كثر الطاعنون في الإسلام وانتشر الإلحاد والشذوذ والظلم وجيش لها جيوش ومليارات وحكومات ومؤسسات إعلامية ضخمة لنشر الباطل انبرى لهم حرّاس وحماة الجوهرة الثمينة: حماة العقيدة والغيورون على الإسلام وأمناء الدين ودعاة الخير فحاوروا بإخلاص وشراسة وحكمة وألفوا مؤلفات ووظفوا وسائل التواصل الاجتماعي وجاهدوا بجهد الكلمة وأبطلوا الشبهات. ولا يخفى ما لهذا الموضوع من الأهمية، فهو متعلق بالذب عن الدين ومزاحمة أهل الباطل والحضور والتواجد في كل مكان يساء إلى الدين. فيحاورون ويسعون إلى هداية الناس.

فها هنا بين أيديكم دراسة مختصرة تبحث عن وضع أسس للمبتدئين وهذا البحث يعد مدخلاً إلى: ((منهجية الحوار مع الملاحدة وإبطال شبهاتهم حول الإسلام))، جمعتُ وبينت فيه بإيجاز المفاهيم والمنهجية والأساليب، وتناولتُ بعض الأمثلة الحوارية في كيفية دعوتهم إلى الله تعالى، وما هي إشكالات الإلحاد، وكيف أنه يتناقض مع بديهيات العقل والفطرة، كما عرضتُ أهم براهين إثبات وجود الخالق سبحانه كمعرفتنا له عز وجل بالعقل والنقل والفطرة.

وتم مراعاة السهولة في الطرح ليتناسب مع الجميع، فالبحث بمثابة مدخل للبدء في ممارسة الحوار مع الملاحدة، دون التطرق إلى نقاشات فلسفية عميقة، ومن ثم لا يُكتفى به بعد الانتهاء منه، وإنما لا بد من الاطلاع على مزيد من الكتب، والمحاضرات الأكثر عمقاً وتخصصاً في هذا الشأن.

ولا بد أن ينتبه الدعاة في ردهم على شبهات وسفسطات غير المسلمين إلى منهجيات مهمة سيعرف من خلالها مدى تفاهة تلك الشبهات وحماتها، كما ينبغي أن يكون لدى الداعية ثقةً متناهيةً ويقين جازم بأنه لا يوجد في الإسلام نقطة ضعفٍ واحدةٍ تجعلنا نستحي أو نتخوف منها، وهذه الثقة وهذا اليقين لا يأتيان إلا بالإخلاص إلى الله أولاً ثم بالإستعانة به، مع ضرورة التسلح بالعلم بجانب الدعوة والممارسة المستمرة. ولا شك أن للدعوة دور عظيم في حل المشكلات الكبرى، وعلى رأسها مشكلة الشرك والإلحاد والظلم واستغلال الشعوب وتدمير أخلاقها وتحطيم فطرة فلذة كبدها، فالشرك أعظم الظلم وأبشعه والذي قال الله عنه في كتابه العزيز: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: 13]، "ووجه كونه عظيمًا، أنه لا أفضح وأبشع ممن سوّى المخلوق من تراب، بمالك الرقاب، وسوّى الذي لا يملك من الأمر شيئًا، بمن له الأمر كله، وسوّى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوّى من لم ينعم بمثقال ذرة [من النعم] بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم، وديناهم وأخراهم، وقلوبهم، وأبدانهم، إلا منه، ولا يصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟! وهل أعظم

ظلمًا ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة، [فجعلها في أخس المراتب]؟ جعلها عابدة لمن لا يسوى شيئًا، فظلم نفسه ظلمًا كبيرًا!⁽²⁾

وبما أنّ هداية الناس بيد الله عز وجل، فيجب علينا أن نعرف تمام المعرفة أنه ليس لنا أي قدرة في الحقيقة على هداية أحد أو الانتصار على أحد إلا بتوفيق الله عز وجل، فما علينا إلا البلاغ وإقامة الحجّة وإظهارها للناس على أهل الباطل والضلال.

أما مسألة الهداية تلك، فهي بيد الله تعالى وحده، يهدي من يشاء ويضل من يشاء بحسب علمه وحكمته وإطلاعه على قلوب خلقه، وعلى من يستحق الخير فيهم، قال تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص:56].

وهناك ولله الحمد مؤلفات كثيرة نافعة للحوار مع الملحدين عمومًا، ولكن حسب معرفتي القاصرة لم أجد كتبًا منهجية لتأهيل الدعاة على مهارات حوارية مع هذه الفئة، والانطلاق منها لخوض نقاشاتٍ احترافية. ولذلك جاءت فكرة هذا البحث كمحاولة متواضعة مني لسد هذا الثغر. وما زالت الحاجة ماسة إلى المزيد من العمل في تأسيس تلك المناهج وإرساء أهم القواعد الوقائية للدعاة ضد الشبهات، وتكوين العقل الناقد عندهم، وفحص الحجج والبراهين والدلالات بعقل مُتَقَدِّمٍ تُورَدُ عليه الشبهات؛ فَيُفَكِّكُهَا ويردّها إلى مصدرها، وبيان تهاافت الافتراء وتفاهتها.

كما أننا بحاجة مُلِحَّةٍ - بجانب تععيد تلك الأسس المنهجية في الرد على الشبهات - إلى بناء أخلاق الداعية المتصدر للرد على تلك الشبهات واختيار الأسلوب الأنسب في الرد على الافتراءات.

وتأتي أهمية هذا البحث في الآتي:

- 1- تأهيل معرفين بالإسلام محاورين قادرين على حوار فعال تفند شبهات الملاحدة.
- 2- أهمية معرفة المعرفين بالإسلام لمقدمات منهجيات وأساسيات الحوار مع الملاحدة؛ ليستوعبوا مواضعه وحيلهم وأمراضهم وحكم الحوار، ومصادره التي يستقي منها.
- 3- حاجة المعرف بالإسلام إلى معرفة مصطلحات الالحاد ومفاهيمها، ومعرفة الفرق بين الالحاد القديم والحديث والالحاد في الغرب ووصول موجاتها إلى البلدان الإسلامية؛ حتى لا يختلط الحابل بالنابل، ويعرف الكل دوره وتخصصه.
- 4- معرفة ووعي عن أهمية، وفضل، وحكم تعلّم فنون الحوار مع الملاحدة.
- 5- احتياج المعرف بالإسلام الشديدة إلى المنهجية التي تعينهم على رفع مستواهم، وتنمية قدراتهم، والارتقاء بهم.
- 6- حاجة الدعاة إلى تلك القضايا المنهجية التي تعين الدعاة على تنمية عقولهم وسلوكياتهم وسرعة البديهة عندهم، والارتقاء بهم، وبناء مهارات التفكير وقواعد الاستدلال.
- 7- حاجة الدعاة إلى التعامل الصحيح مع الشبهات، وإدارتها بطريقة سليمة، وحاجتهم إلى التفكير المنظم المنضبط في الخوض في هذا المضمار.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبدالرحمن السعدي رحمه الله

8- حاجة الدعوة إلى ما يعصمهم من الهجمة الشرسة والفتن والشبهات والشبهوات، التي تهدف إلى النيل منهم ومن دعوتهم، واصطياد المواقف واستعمالها في محاربة الدعوة. إذن، فهذه الدراسة تشكل في مجموعها رؤية منهجية للمعرفين بالإسلام للحوار مع الملاحدة وتفنيدهم، وتمثل دعوة للدعاة عمومًا إلى التلاقي على مجموعة من القضايا؛ التي تشكل في مجموعها رؤية منهجية لهم، ودستورًا للفكر والممارسة؛ بحيث تزداد مساحة الصواب والفاعلية، وتقلُّ مساحة الخطأ والإخفاق.

باعث الكتابة:

بعد الهجمات الشرسة على الإسلام وانتشار الإلحاد ونقله من الغرب إلى بلدان كثيرة ومضاعفة جهود واستثمار أموال ضخمة تصرف في نشر الإلحاد ومعادات الديانات والسعي اليومي للغزو الإعلامي وتأسيس مراكز بحثية ومنتديات وفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي والمدارس الحكومية والرويج العلني بات كل غيور على الدين حتى العوام يريد الذب عنه والرد على الشبهات والنزول إلى المناظرات من دون أن يتسلح بسلاح العلم والرسوخ فيه ومن دون منهجيات وقواعد تعينهم من دون أن نشك في نياتهم الصالحة، فإن لم نستطع إقاف من ليس أهل للتصدي فلا أقل أن يتخصص عدد كبير من الباحثين في إعداد مناهج وأساليب ووسائل وقواعد يسيرة يسهل عليهم لرفع مستواهم والتقليل من الأخطاء والبدء بكسب أعداد كبيرة من الأخصائيين ليلتفوا حول هذا التخصص فيجودونه أكثر ويسهلونه للقاصي والداني ويجعلون المنهجية السليمة منتشرة بين كل من يريد مضايقة الباطل وبيان قوة حجج الحق وتحذير الناس من الانخداع بافتراءات الملاحدة..

الاعذار إلى الله وأن جهاد الكلمة ضرب من ضروب الجهاد في سبيل الله

تعرية الباطل

وبيان قوة حجج الحق

رد الناس إلى الحق أو فضح المناظر أمام أتباعه إذا كابر.

مشكلة البحث

ظهر لي في سنوات حياتي في ألمانيا وأنا أمارس الدعوة وأحاور الملاحدة وثم بدأت أدرب الدعوة أن الدعوة و تأهيل الدعوة لا تتوقَّف عند مجرد تأصيل شرعي ومعرفة الأدلة والرد الصحيح بل لا بد من معرفة مهارات وقواعد منهجية يلتزم بها المحاور المسلم لئلا يقع في دوامة من الأخطاء فيظهر كأن الإسلام ضعيف وليس هو.

منهجية البحث:

كان من المناسب أن أستخدم المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك للإحاطة بالموضوع من زواياه العديدة، وللخروج من الدراسة بأكبر فائدة إن شاء الله.

وقد قمت في هذا البحث بالآتي:

- اتبعت في دراستي المنهج الوصفي لتوصيف الظاهرة الإلحادية، حيث قمت بتحليل الاختلافات بين الإلحاد في العصور القديمة والحديثة. تناولت الدراسة أنواع الإلحاد المختلفة، ووضحت تاريخه

وأسابه، مع التركيز على بيان خطره على البشرية. الهدف من هذا المنهج هو تقديم فهم شامل وشامل للإلحاد، وتحديد كيفية تأثيره على المجتمع والفرد، وتقديم الأدلة على ما يشكله من تهديدات للمعتقدات والقيم الإنسانية.

- حرصت أن يكون البحث ثرياً بأي القرآن الكريم وأحاديث النبي المصطفى ﷺ، وعمدت إلى الرجوع الدائم إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في استنباط القواعد والأحكام.
- عزو الآيات المستشهد بها للسورة، وتخريج الآية برقمها عقب كل آية.
- الرجوع إلى كتب التفسير بالمأثور خاصة للبحث في معاني الآيات واستنباطاتها، والتعويل على كتب العلماء في صياغة البحث ومسائله.
- الاستشهاد بالأحاديث الصحيحة فقط، وتجنب الاستشهاد بأحاديث ضعيفة.
- تجنب ذكر الخلاف في المسائل الفقهية.
- الاستفادة من كتب، ومقالات، ودراسات معاصرة لأهل التخصص، مع مراعاة الأمانة العلمية والتوثيق في نسبة الفكرة، أو النص، أو البحث لأصحابه.
- استخدمت المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي والمنهج النقدي بشقيه السلبي والإيجابي خصوصاً في نقد من تصدروا للمناظرات قبل النضوج (هل هذا ينطبق).
- كنت حريصاً على العثور على الإحصائيات التي تدعم استنتاجات البحث، وحرصت على الحصول عليها من مصادرها الأصلية. هذا الحرص كان جزءاً من منهجية البحث لضمان دقة المعلومات وصحتها، ولتعزيز مصداقية النتائج المستخلصة من الدراسة.
- حرصت على تبسيط الطرح ليكون مناسباً ومفهوماً لشرائح متعددة من الجمهور. كان الهدف من ذلك أن يكون البحث متاحاً ومفيداً لأكثر عدد من الأفراد، بغض النظر عن خلفياتهم أو مستوياتهم العلمية.

محتوى البحث

وها نحن قد وصلنا إلى محتوى البحث، والذي حسب ما اقتضاه المواضيع أن يتكون من إحدى عشرة باباً مشتملة على عدة فصول ومباحث، وخاتمة.

أقسام البحث

- مقدمة البحث.
- أهداف البحث.
- أبواب البحث:

الباب الأول: الإلحاد في الغرب..

الفصل الأول: ويشتمل على المباحث التالية:

- أصول الديانات العالمية.
- مفهوم الإلحاد.

- مصطلحات تتشابه مع الإلحاد.
- مصطلحات لا بد منها: [اللا دينية.. العلمانية.. التنوير.. الوجودية.. الماسونية].
- الفصل الثاني: قضية الإلحاد: ويشتمل على المباحث التالية:
 - الإلحاد في التاريخ.. وليس تاريخ الإلحاد.
 - أقسام الإلحاد.
 - الفرق بين الإلحاد القديم والجديد.
 - أقسام الملاحدة في العصر الحاضر.
 - رؤوس الإلحاد.
 - ما المقصود بالإلحاد الذي نحن بصددده الآن؟
 - أسباب الكفر بالخالق ودواعي انتشاره.
 - أسباب نشأة الإلحاد في الغرب.

الفصل الثالث: ويشتمل على المباحث التالية:

- نظريات أرسط للإلحاد.
- الشيوعية ودورها في نشر الإلحاد.
- الإلحاد فكرة يهودية شيطانية.
- موت الإلحاد.. شارف على الاقتراب.
- بلدان أوروبا ليست نصرانية.
- الباب الثاني: الإلحاد في العالم العربي والإسلامي..

الفصل الأول: ويشتمل على المباحث التالية:

- الملحدون العرب.
- هل أسباب انتشار الإلحاد في الغرب موجودة في العالم الإسلامي؟
- عناية الإسلام بالعلم.
- حال الإلحاد في البلدان الإسلامية.
- الحركات الإلحادية بين المسلمين في القرن الماضي.
- أقلام خبيثة خطت للإلحاد.
- أهم وسائل الإلحاد الحديث، ومن يقف وراءها.
- لماذا يجب التحذير من وسائل الإلحاد الإلكترونية؟
- سبل التصدي لحركة الإلحاد.

الفصل الثاني: ويشتمل على المباحث التالية:

- أسباب ظهور الإلحاد في ديار المسلمين.
- أهمية معرف أسباب الإلحاد.
- سبل مواجهة الإلحاد.

الباب الثالث: ويتكون من الفصول التالية:

- الفصل الأول: الشبهة.
- الفصل الثاني: المناظرة.
- الفصل الثالث: الجدل بالتي هي أحسن.
- الفصل الرابع: أولويات الحوار.
- الفصل الخامس: قواعد الرد على المخالفين.
- الفصل السادس: بعض القواعد التي تنفع المحاور مع الملاحدة ومع غيرهم.

الباب الرابع: ويشتمل على المباحث التالية:

- المعرف بالإسلام ومراحل كسب المهارات.
- من الذي ينبغي عليه التصدر للدعوة؟
- صفات المحاور المسلم.
- خاطب الناس على قدر عقولهم

الباب الخامس: ويتكون من الفصول التالية:

- الفصل الأول: أدلة وجود الله:
- ويشتمل على المباحث التالية:
- المبحث الأول: دليل الفطرة.
- المبحث الثاني: دليل الخلق والإيجاد.
- المبحث الثالث: دليل الإحكام والإتقان.
- المبحث الرابع: دليل التخصص.
- المبحث الخامس: دليل التسوية.
- المبحث السادس: دليل التقدير.
- المبحث السابع: دليل دلائل النبوة.
- المبحث الثامن: دليل مكارم الأخلاق.
- الفصل الثاني: توحيد الربوبية.
- الفصل الثالث: بيان الأدلة العقلية على وجود الله.
- الفصل الرابع: بيان الأدلة الحسية على وجود الله.

الفصل الخامس: بيان الأدلة الشرعية على وجود الله.

الفصل السادس: ويشتمل على المباحث التالية:

- لماذا لا يكون هناك أكثر من إله أزلي؟

- سقوط فرضية تعدد الآلهة.

- موقف المسلم من قضية الإلحاد.

الباب السادس: عرض النفسيات الإلحادية:

- الشخصية القلقة.
- الشخصية الهوسية.
- الشخصية النرجسية.
- الشخصية المكبوتة.
- الشخصية الاستذهانية.
- الشخصية البارانورامية الموسوسة.
- الشخصية الإسقاطية.
- الشخصية الحدودية.
- الشخصية التابعة.
- الشخصية الفصامية المنعزلة.
- الشخصية المعتلة.

الباب السابع: ظاهرة الانتحار في صفوف الملاحدة.

ويشتمل على المباحث التالية:

- علاقة الانتحار بالفلسفة العدمية.
- التلازم بين الإلحاد والانتحار.
- ما الفرق بين الإلحاد: العبيثي، والعدمي، والوجودي؟
- أكثر البلدان رُقيًا ماديًا، أكثرها انتحارًا.
- أشهر المنتحرين.
- الاضطهاد والانتحاريين المؤمنين والملحددين.
- الملاحدة أكثر انتحارًا وعدوانية.
- قائمة المنتحرين.. طويلة ومستمرة.
- قائمة البلدان الأكثر انتحارًا.
- ما قاله مشاهير الملاحدة لحظة موتهم.

- هل الملاحدة أكثر سعادة؟ إذن فلماذا ينتحر الشباب في اليابان وهي من أكثر الدول ازدهارا؟

الباب الثامن: الأخلاق عند الملاحدة

ويشتمل على المباحث التالية:

- من ادعاءات الملاحدة: نسبية الأخلاق.
- مفهوم الأخلاق في الإسلام.
- الانحطاط النفسي والأخلاقي وراء الإلحاد.
- الإلحاد والأخلاق الفاضلة.. طرفي نقيض.
- إذا كان الإله خرافة، فكل شيء مباح.

الباب التاسع: ويشتمل على المباحث التالية:

- نموذج من فظائع الإلحاد: أكل لحوم البشر.
- جرائم الملاحدة والعلمانيين.
- ثماني حقائق لا تنفك عن الملحدين.
- مليون ونصف قتيل.
- الإلحاد والعنف! (كيف صنع الملحدون أشنع حروب ومجازر في العالم؟)
- فرنسا، وما أدراك ما فرنسا!
- هتلر وحربه وعلاقتها مع الداروينية.
- استخدام الأطفال في حروبهم القذرة
- الإلحاد.. وأشهر الحروب الدينية (لم يذكر الإسلام في أي منها).
- أمريكا أكبر دولة دموية على وجه التاريخ.
- مائة مليون قتيل حصاد القرن العشرين

الباب العاشر: المرأة في الإسلام، وعند الملاحدة:

ويشتمل على المباحث التالية:

- مكانة المرأة عند الملاحدة
- المرأة بين الإسلام والإلحاد.
- حقيقة الرؤية الإسلامية.

الباب الحادي عشر: ويتكون من الفصول التالية:

- مشروع GORAP.
- نماذج حوارية ملخصة لدعوة الملاحدة.
- بيان بطلان وانحرافات الديانات الأخرى.

الفصل الثاني: ويشتمل على المباحث التالية:

- حقيقة الإسلام ومعناه، وإلى ماذا يدعوا؟
- القاعدة الأساسية لدين الإسلام (كلمة التوحيد).
- لماذا خلقنا الله؟
- ماذا سأجد في مصادر الإسلام؟

الفصل الثالث: ويشتمل على المباحث التالية:

- الإسلام وحرب المصطلحات.
- الرد على الشبهات المثارة حول الإسلام.
- الرد على شبه أهل الكتاب ومشركي العرب في القرآن.
- شبهة مشكلة الشر، والرد عليها.
- الرد على شبهة تقدم الدول العلمانية وتخلف الدول الإسلامية.
- تعريف الإرهاب، وحقيقته في الإسلام، وعند الغرب.

الخاتمة التوصيات والمصادر.

وهكذا تشكَّلت خطة البحث. وسألترم -ياذن الله- بالاختصار ووضوح العبارة وبالقواعد المتبعة في كتابة البحوث، من عزو الآيات وتخريج الأحاديث وتوثيق الأقوال إلى أصحابها ومصادرهما الأصلية ما أمكن. والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل اليسير مباركاً، نافعاً، خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في حياتي وبعد مماتي، وأن ينفع به كل من انتهى إليه؛ فإنه تعالى خير مسئول، وأكرم مأمول وهو حسبنا ونعم الوكيل. سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

الفقير إلى رحمة ربه

جوتيار بامرني

أهداف بحث منهجية الحوار مع الملاحدة وإبطال شبهاتهم:

- إعداد منهجية علمية لتأهيل دعاة على أسس الحوار مع الملاحدة وترتيب الأولويات الحوارية للدعاة ووضع قواعد مهمة تُسهّل لهم البدء بالتدريب على تفنيد شبهات الملاحدة بدءاً بتحقيق الأهداف الآتية:
- 1- أن يتعرف المحاور على مفهوم الإلحاد.
 - 2- أن يتعرف المحاور على الأسباب والدوافع المؤدية للإلحاد.
 - 3- أن يعرف المحاور أقسام الإلحاد.
 - 4- أن يتعرف المحاور على أبرز مجازر الملحدين في العالم وحروبهم.
 - 5- أن يكتسب المحاور مهارات تفنيد الشبهة وإبطالها.
 - 6- أن يكتسب المحاور مهارة الرد على المخالفين في القضايا المختلفة.
 - 7- أن يترسخ لدى المحاور هشاشة الشبهات.
 - 8- أن يتعرف المحاور على الأسس المنهجية في الحوار مع الملاحدة.
 - 9- أن يكتسب المحاور مهارات عرض براهين وجود الخالق سبحانه وبراهين صحة الإسلام.

الباب الأول: الإلحاد في الغرب.

الفصل الأول: حقيقة الإلحاد والألفاظ ذات الصلة:

ويشتمل على المباحث التالية:

- المبحث الأول: أصول الديانات العالمية.
- المبحث الثاني: مفهوم الإلحاد.
- المبحث الثالث: الفرق بين الكفر والإلحاد والشرك
- المبحث الرابع: مصطلحات تتشابه مع الإلحاد:
- المبحث الخامس: مصطلحات لا بد منها:

الفصل الأول: حقيقة الإلحاد والألفاظ ذات الصلة

المبحث الأول: أصول الديانات العالمية:

هناك أصنافٌ كثيرةٌ جداً من غير المسلمين، وأديانهم متفرعة، وفي كل دين انقسامات وفرق كثيرة، وهنا سنحاول أن نعرض أصول الديانات العالمية الموجودة، والتي هي ثلاثة:

1- أهل الكتاب (اليهود والنصارى).

2- الوثنيون (عباد الأصنام والأشجار، والأحجار، والأشخاص، والكواكب والنجوم، الحيوانات، والأزمان).

3- الملحدون.

مع التنبيه إلى أمور عامة في هذا الباب، وهي إجمالاً:

1- لا يلزم للداعية أن يتعلم معالم دعوة هؤلاء كلهم، ولكن على الدعاة أن يحصل بينهم تنوع وشمول وتكامل في دراسة هذه الأديان، ليكون لدى الدعوة متخصصون في دعوة أهل كل دين، مع أهمية المعرفة المجملية بباقي الأديان المخالفة للإسلام.

2- لا بد للدعاة أن يدرسوا كيفية دعوة أهل الأديان المنتشرة في بلادهم، أو التي توجد لها دعوات أو منظمات تدعو لاعتناقها في منطقة عملهم الدعوي.

3- سيتمُّ ذكرُ معالمٍ عامة لدعوة الملاحدة، وكيفية الرد على شبهاتهم دون التطرق إلى عقائد وشرائع بقية الأديان، حيث إن ذلك من مهام أهل التخصص في العقيدة والأديان.

4- سيتمُّ تناولُ أساسيات الرد على الشبهات دون التصدي إلى تفصيلاتها، وإنما سنترك ذلك لمن يتخصص أكثر في الحوار مع الملاحدة حيث أنَّ هناك مواد أخرى تفند تلك الشبهات بطريقة السؤال والجواب.

5- مراعاة أنه لا يصلح لدعوة أصحاب الأديان المختلفة إلا أهل الاختصاص، مع الإتيان والفهم الصحيح للدين الإسلامي أولاً، ثم للدين الذي سيتم دعوة أهله حتى لا تكون فتنة للداعي والمدعو، فهذا الأمر يحتاج إلى علم وخبرة ودُرْبَة وشخصية مميزة قادرة على الإقناع والتأثير وحسن الحوار والجدال.⁽³⁾

(3) مَوْسُوعَةٌ ذَلِيلُ الدَّاعِيَّةِ، المَدْعُوعُونَ، أ. د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي ص 179.

الإلحاد لغةً:

في الأصل هو: "الميل والعدول والانحراف عن أصل الشيء، والظلم والجور، والجدال والمرء، يقال: لحد في الدين لحداً، وألحد إلحاداً لمن مال وعدل ومارى وجادل وظلم"⁽⁵⁾، وملحد (جمع): ملاحدة أو ملحدون وكلاهما صحيح. واللحد: الشق الذي يعمل في جانب القبر لموضع الميت؛ لأنه قد أُميلَ عن وسط القبرِ إلى جانبه.⁽⁶⁾

مفهوم الإلحاد في الاصطلاح:

بيّن الإمام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- معنى الإلحاد بمثل معناه المعاصر، فقال: "فإنَّ الإلحاد المحض، نفي الصانع بالكلية، وأنَّ هذا العالم الموجود ليس له صانع"⁽⁷⁾. وقد عرفه ابن حَبَنَكَةَ -رحمه الله تعالى- وهو من المعاصرين فقال: "الإلحاد هو إنكار وجود ربِّ خالقٍ لهذا الكون، متصرفٍ فيه يدبّرُ أمره بعلمه وحكمته، ويُجري أحداثه بإرادته وقدرته"⁽⁸⁾. والإلحاد هو مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى، فيدعي الملحدون بأنَّ الكون وُجِدَ بلا خالقٍ وأنَّ المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت. ومما لا شك فيه أن كثيراً من دول العالم الغربي والشرقي تعاني من نزعة إلحادية عارمة جسدتها الشيوعية المتهاورة والعلمانية المخادعة.⁽⁹⁾

والإلحاد في الشرع هو:

الكفر بالله تعالى، والميل عن طريق أهل الإيمان والرشد، وجحد الرسالات السماوية، وتكذيب الأنبياء، وإنكار الحياة الآخرة والبعث والجنة والنار، وتكريس العمر للدنيا فقط. وقيل أنَّ الإلحاد هو الميل عن الحق، والانحراف عنه بشتى الاعتقادات، والتأويل الفاسد، والمنحرف عن صراط الله والمعاكس لحكمه يسمى ملحدًا.⁽¹⁰⁾

"والإلحاد، هو إيمان مبني على الفروض المتوهمة والخيالات الخاطئة، بعكس الإيمان الديني المبني على بديهيات فطرية وقطعيات نرصدها بأعيننا وأوليات عقلية وبراهين شرعية"⁽¹¹⁾.

(4) تم تلخيص مادة هذا المبحث من كتاب كيفية دعوة الملحدين للشيخ سعيد بن وهف القحطاني، وينظر كتاب سابغات لأحمد السيد، وبرنامج صناعة المحاور وصفحته على اليوتيوب.

(5) انظر: القاموس المحيط ص104، والمعجم الوسيط 2/817، ومختار الصحاح ص247.

(6) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير 4/236.

(7) جامع المسائل-المجموعة الرابعة، شيخ الإسلام ابن تيمية، 1/425.

(8) كواشف زبوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَةَ، ص433.

(9) المصدر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة - الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

(10) انظر: الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة للشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسري، ص40.

(11) الإسلام والإلحاد وجهًا لوجه، د. هيثم طلعت، ص8.

المبحث الثالث: الفرق بين الكفر والإلحاد والشرك

- الكفر: هو نقيض الإيمان، ويكون بالقول: كَسَبَ اللهُ أو سَبَّ رَسُولِهِ أو سَبَّ الدين، ويكون بالفعل: كالسجود للصنم، أو الذبح لغير الله، أو رمي المصحف في القاذورات - عيادًا بالله-، ويكون أيضًا بالاعتقاد: كمن يعتقد أن بوسعه الخروج على الشريعة الإسلامية، أو كمن يعتقد قِدَمَ العالم.

قال أبو محمد بن حزم في الإحكام: "الكفرُ صِفَةٌ مَن جَحَدَ شَيْئًا مِمَّا افترضَ اللهُ تعالى الإيمانَ به بعدَ قيامِ الحجةِ عليه ببلوغِ الحقيِّ إليه بقلبه دون لسانه أو بلسانه دون قلبه أو بهما معاً، أو عملاً عملاً جَاءَ النَّصُّ بأنه مخرجٌ له بذلك عن اسمِ الإيمانِ"¹²

- الشرك: يتضمن الإيمان بالله عز وجل والإقرار به، ولكن يشمل أيضاً الإيمان بشريكٍ لله في خلقه يخلُقُ، أو يرزُقُ، أو بيده النفع أو الضرر، وهذا شرك الربوبية، أو الإيمان بشريكٍ يُصَرِّفُ له شيءٌ من العبادة محبةً وتعظيمًا، كما تُصَرِّفُ اللهُ سبحانه وتعالى، وهذا شرك العبادة.

- الإلحاد: كما بينا سابقًا هو إنكار وجود الخالق، وعدم الاعتراف به سبحانه وتعالى، وأنَّ العالمَ بِأُسْرِهِ قد جاء على حسب زعمهم بمحض الصدفة؛ وهو مذهب غريب مناف للفطرة والعقل والمنطق السليم، ومناقض لبدهيات العقل ومسلّمات الفكر.

¹² الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم، (1/49)

المبحث الرابع: مصطلحات تتشابه مع الإلحاد:

أولاً: الردّة:

هي أن يكفر المسلم البالغ العاقل باختياره - دون إكراه من أحد بعد ثبوت إسلامه، حتى وإن لم ينطق بالشهادتين، مع علمه بأركان الإسلام - بأن يصرح بكلمة الكفر كأن يقول: "كفرت بدين الإسلام"، أو يأتي فعلاً لا يحتمل غير إرادة الخروج عن الإسلام.

ثانياً: النفاق:

هو أن يُظهِرَ الإنسانُ الإيمانَ بلسانه، فينطقُ بالشهادتين، وربما يأتي بعضَ أفعال الإسلام الظاهرة كالصلاة والحج والزكاة ونحو ذلك، لكنه يكتم كفره بدين الله بقلبه، وهذا النفاق يختص بالعقيدة وحدها دون غيرها، فمن أخفى شيئاً وأظهر خلافه في غير العقيدة لا يسمى منافقاً.

ثالثاً: الزندقة: لفظ أعجمي مُعَرَّبٌ أُخِذَ من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام، وكانت تُطَلَقُ على من يؤمن بعقيدة المجوس، ثم توسعوا في استعمالها على كل إنسان يشكك في الدين أو يجحد شيئاً مما ورد فيه، والفقهاء يطلقونه على المنافق الذي يُبْطِنُ الكفر، ويُظهِرُ الإسلام، وبعضهم يطلقه على الجهمية⁽¹³⁾، والإمام أحمد -رحمه الله- يطلقه على علماء المعتزلة⁽¹⁴⁾، وبعضهم يطلقه على الدهرية، وبعضهم يطلقه على الوثنية المجوس⁽¹⁵⁾.

رابعاً: الدهرية:

هي فرقة تؤمن بِقَدَمِ الدَّهْرِ، ولا يؤمنون بالبعث، وينكرون حشر الأجساد، ويقولون: {مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية: 24]، ولا يعترفون بإسناد الحوادث إلى الخالق سبحانه وتعالى.

أيهما أشد كفراً: الملحد أم الزنديق أم المنافق أم الدهري؟

إنَّ الملحدَ أوسعُ فرقِ الكفرِ حدًّا، وهو أعمُّهم جميعاً، فهو الكافر مطلقاً، سواء تقدّمه إسلامه أم لا، أظهر كفره أم أخفاه، فالملحدُ يشمل كل أوصاف السابقين.

المبحث الخامس: مصطلحات لا بد منها:

وهذه أيضاً جملة من المصطلحات والقضايا التي قد تتشابه مع مفهوم الإلحاد في بعض النقاط، وتختلف معه في نقاط أخرى، وطرح تلك المصطلحات هنا ليس من باب الترف الفكري الذي يمكن الاستغناء عنه، وإنما هو أمر ضروري لطالب العلم كي تتشكل لديه صورة كلية عنها تمكنه من التمييز فيما بينها، وخاصة لمن لم يكن لديه خلفية مسبقة بشأنها، وهي: مصطلح اللادينية وما يندرج تحتها من فروع ثلاثة: (الإلحاد، واللاأدرية، والربوبيون)، ومصطلح العلمانية، ومصطلح الماسونية، ومصطلح التنوير.

(13) الجهمية أو المُعْتَزِلَةُ هي فرقةٌ كلاميةٌ تنتسب إلى الإسلام، وهي إحدى فرق غلاة المُرجئة التي ظهرت ردّاً على الخوارج الذين يُكْفِرُونَ بالذنوب، ظهرت في الربع الأول من القرن الهجري الثاني على يد مؤسسها الجهم بن صفوان الترمذي، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت دعوته بترمد، وقتله سلم بن أحوز المازني بمرور في آخر ملك بني أمية.

(14) فرقةٌ كلاميةٌ ظهرت في أواخر العصر الأموي (بداية القرن الثاني الهجري) في البصرة وازدهرت في العصر العباسي، أسَّسها واصلُ بنُ عطاءٍ، وذلك عندما تكلم في حكم مُرتكِبِ الكبيرة، فقال: إنَّه في منزلةٍ بَيْنَ المُنزِلَتَيْنِ، وكان في خَلْقَةِ الخَسَنِ البَصْرِيِّ، ثُمَّ اعترَّه بسببِ هذه المسألة، وسُمُّوا (المُعْتَزِلَةُ).

(15) هؤلاء هم أصحاب الاثنین الأزلين: يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام، وذكروا سبب حدوثه.

أولاً: اللادينية

اللا دينية: هو مصطلح يعني عدم اتخاذ أي دين كمرجع أخلاقي وشرعي.

ولقد قام البعض بتقسيم اللادينيين - من حيث نظرتهم إلى الإله - إلى ثلاثة فروع:

1- الملحدون:

وهم من أنكروا وجود رب خالق لهذا الكون، ... واعتبار الكون أو مادته الأولى أزلية، واعتبار تغيراته قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، واعتبار الحياة - وما تستتبع من شعور وفكر حتى قمتها الإنسان - من أثر التطور الذاتي للمادة.⁽¹⁶⁾

2- اللادينية:

هي طائفة تعتقد بأنه لا يوجد دليل يستطيع إثبات وجود إله من عدم وجوده؛ فنحن لا ندري هل الله موجود أم غير موجود؟!، ولا ندري هل هناك عالمٌ آخر غير الذي نعيش فيه أم لا؟!، ولا ندري هل هناك ثواب وعقاب أم لا؟!.

فاللاديني يرى أن كلَّ معرفةٍ هي معرفةٌ نسبيةٌ، وليست يقينية، وأنه لا يمكن الجزم بأمر ما، فما أراه صائبًا يراه غيري خاطئًا، والعكس قد يحدث، بل إنَّ حكم الإنسان في أمر من الأمور قد يختلف من وقت إلى آخر، ومن ظروف إلى أخرى؛ ولذلك فالأفضل أن أقول إنني لا أدري".

وهكذا يتضح لنا أنَّ اللاديني شأنه في ذلك شأنُ الأعْمى التائه الذي لا يدركُ أي سبيلٍ يسلك، فهو كريحته في مهبِّ الريح، تحملها كيفما تشاء، لا حيلةَ له ولا إرادةً؛ فأكثرهم ليس لديه استعداد ولا رغبة في التعلم الجاد والاطلاع على أدلة المسلمين والتي فيها الحق المبين.

والفكر اللاديني لا يشبع حاجة الإنسان بأي حال من الأحوال، بل يجردّه من شخصيته ويتركه في متاهة، ولن يفيد ذلك ولن يعفيه من مواجهة المصير المحتوم، ومن العقوبة المستحقة عندما يُحاسب أمام الديان العادل، إنه يوم الحسرة حيث يندم الكافر على كفره، والظالم على ظلمه في يوم لا ينفع فيه الندم؛ قال تعالى {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غافر:52].

3- الربوبيون:

أحد مذاهب اللادينية، وأحد أنواع الإلحاد المعاصر، وهي اعتقاد وجود خالق للكون، ولكنه لا يتدخل في شئون خلقه، فلا يرسل رسلاً، ولا ينزل كتباً، ولا يجمع الناس في يوم آخر ليجازيهم على أعمالهم! فهي إنكار للوحي، والنبوات، والأديان، واعتماد على العقل المجرد في تأسيس العلاقة بالخالق!

(16) انظر: كواشف زيوف المذاهب المعاصرة، لعبد الرحمن الميداني، ص409.

ثانياً: مصطلح العلمانية (سكيولرزم Secularism)

العلمانية هي نتاج صراع مريع، ومخلفات عقود من المعاناة عاشها الغرب المسيحي في ظل أوضاع غاية في التخلف والقسوة، وليس العجب في تلك الأوضاع من حيث هي، ولكن العجب في ارتباط تلك الأوضاع المأساوية بالدين، فقد غدت الكنيسة في الغرب المسيحي مصدرًا للظلم ومُعِينًا للظالمين، وهي في ذات الوقت مصدر للجهل، وانتشار الخرافة والدجل، وأصبح رجال الدين (الاكليروس) عبثًا ثقيلاً، وكابوساً مريعاً، يسومون الناس سوء العذاب فكرياً ومالياً وجسدياً، فقد كانت الكنيسة سنناً قوياً لرجال الإقطاع، بل كانت هي أعظم الإقطاعيين، الذين يستعبدون العامة فيستخدمونهم وأولادهم في العمل في أراضيهم ويفرضون عليهم قيوداً وشروطاً وإتاوات، جعلت من حياتهم جحيمًا لا يطاق، كحرمانهم وأولادهم من العلم، وأخذ جزء كبير من محصول الأرض التي يحرثونها، واستباحة الإقطاعي زوجة العامي، فإذا ما انتقلنا إلى جانب الخرافة فنجد أن الكنيسة قد رسّخت في الناس الخرافة باسم الدين، فهناك صكوك الغفران التي يشتريها العامة مرغمين في بعض الأحيان، والتي بمقتضاها تزعم الكنيسة أنه يُغفر للإنسان ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهناك العشاء الرباني وهو عبارة عن وجبة خبز وخبز وخبز يأكلها العامي، ليتَّجِدَ بالمسيح حسب زعم الكنيسة، فليس الخبز - حسب زعمهم - سوى لحم المسيح، وليس الخمر سوى دمه، في خرافة يأبى العقلاء تصديقها.

تعريف العلمانية:

ولقد "كان معنى مصطلح العلمانية في البداية محدود الدلالة ولا يتسم بأي نوع من أنواع الشمول أو الإبهام، إذ تمت الإشارة إلى "علمنة" ممتلكات الكنيسة وحسب، بمعنى نقلها إلى سلطات غير دينية، أو إلى سلطة الدولة أو الدول التي لا تخضع لسلطة الكنيسة.

ولكن المجال الدلالي للكلمة اتسع، وبدأت تتجه نحو مزيد من الإبهام على يد جون هوليوك، وهو أول من صك المصطلح بمعناه الحديث وحوله إلى أحد أهم المصطلحات في الخطاب السياسي والاجتماعي والفلسفي الغربي. وقد حاول هوليوك أن يأتي بتعريف تصور أنه محايد تمامًا ليست له علاقة بمصطلحات مثل: ملحد أو لا أدري، فعرف العلمانية بأنها: "الإيمان بإمكانية إصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية دون التصدي لقضية الإيمان سواء بالقبول أو الرفض".

والتطور اللاحق لمعنى المصطلح لم يساعد الأمر كثيرا فقد تقلص عند بعض المفكرين بحيث أصبح يعني (فصل الدين عن الدولة) Separation Of Church And State، وهي من أكثر التعريفات شيوعاً للعلمانية في العالم، سواء في الغرب أو في الشرق، وهي عبارة تعني حرفياً: فصل المؤسسات الدينية (الكنيسة) عن المؤسسات السياسية (الدولة)، والعبارة تحصر عمليات العلمنة في المجال السياسي وربما الاقتصادي أيضا (رقعة الحياة العامة) ولا تشير من قريب أو بعيد إلى شتى النشاطات الإنسانية الأخرى".⁽¹⁷⁾

ثم إن هذا المفهوم تطور فيما بعد، وأصبحت العلمانية تعني البعد عن الدين واعتباره علاقة روحية محصورة في المسجد أو الكنيسة، ولا علاقة له بشؤون الحياة العامة والخاصة.

(17) دكتور عبد الوهاب المسيري، كتاب العلمانية تحت المجهر ص 12

العلمانية والدين الإسلامي:

ونستطيع أن نخرج من تعريف العلمانية، وبيان أسباب نشأتها في أوروبا بأمرين غاية في الأهمية:
- الأمر الأول: فيما يتعلق بالتعريف، فنقول: "إن العلمانية تشكل تناقضًا صريحًا للدين، وتمثل منازعة حقيقية للسلطة الإلهية، فبينما تعطي الأديان السماوية السلطة خالصة لله سبحانه في تصريف الكون والإنسان، نجد في المقابل العلمانية تضع ذلك في يد الإنسان نفسه، فهو من يشرع لنفسه ويضع لها النظم والقوانين، وهو من يحدد لنفسه قيم الخير والشر، والمصالح والمضار، في غنى تام عن الدين، ونظرًا لهذا التناقض الصريح والتنافر الكبير بين الأديان عامة - والدين الإسلامي خاصة - وبين العلمانية، نص العلماء على أن العلماني بهذا المعنى خارج من الدين، مارق منه.

- الأمر الثاني: ما يتعلق بأسباب ظهور العلمانية في المجتمع الغربي، وهي وإن كانت أسبابًا قد تكون موضوعية إلا أن تلك الأسباب كان ينبغي أن تدفع المسيحي إلى البحث عن الدين الحق، لا أن تدفعه إلى الإلحاد ومعاداة الدين.

الدين الإسلامي ليس كالنصرانية المحرفة:

ثمة أمر آخر ينبغي التذكير به، وهو أن تلك الأسباب التي أدت إلى بروز العلمانية في المجتمع الغربي، لم يكن لها وجود ألبتة في الشرق الإسلامي، فالدين الإسلامي ليس كالنصرانية المحرفة، وعلماء الإسلام لم يكونوا إقطاعيين ظلمة كرجال الدين المسيحي، وموقف الإسلام من العلم ليس موقفًا مصادمًا للعلم كموقف الكنيسة، بل موقف الإسلام من العلم موقف الحاث عليه، الداعي إلى الاستزادة منه، والبحث عنه، ما دام نافعًا للناس في دينهم ودنياهم، وهو في ذات الوقت دين ينكر الخرافة ويحاربها، ويعلي قيمة العقل على خلاف تعاليم الكنيسة. فالإسلام دين عقيدة وشريعة استوعبت مجالات الحياة وحكمتها، في حين أن النصرانية المحرفة خالية إلى حد كبير من المجال التشريعي، فهي جانب روحي أخلاقي، وعليه فمن الطبيعي أن يبحث الناس على تشريعات تنظم حياتهم وسلوكهم، وهو ما لم يجدوه في النصرانية المحرفة، كل هذه الأسباب التي أدت إلى ظهور العلمانية في الغرب المسيحي، لا يوجد منها سبب في الشرق الإسلامي، والسؤال الذي يفرض نفسه هنا ما دام أن الأسباب التي أدت إلى ظهور العلمانية في الغرب لم يتوافر ولو بعضها في الشرق الإسلامي فلماذا تُفرض علينا، ونساق إليها، وفي ديننا غنية وكفاية؟!

ثالثًا: مصطلح التنوير

إن التنوير هي قضيةٌ أوروبيةٌ محضة، انبثقت في المحيط الأوروبي، نتيجة ظروف كانت تسود المجتمعات الأوروبية، وكرّد فعل لهيمنة الكنيسة الغربية على الحياة العقلية والفكرية والثقافية في أوروبا؛ ولذلك فإن قيام مفهوم التنوير الأوروبي على إلغاء دور الدين في الحياة، مسألةٌ طبيعية، إذا نظرنا إليها من زاوية ما كانت تمارسه الكنيسة الغربية من ضروب الاستبداد وألوان القهر، وما كانت تُشيعه من أباطيل وخرافات، وبحكم أن أوروبا كانت عندئذ، تعيش العصور المظلمة، في حين كان العالم العربي الإسلامي يعيش ازدهارًا حضاريًا واسع الإشعاع.

التنوير والقرون الوسطى المظلمة لا تُمَثَّلُنَا

إن التنوير في المفهوم الغربي، كان تنويرًا للقرون الوسطى المظلمة التي عاشتها أوروبا، وهنا ينبغي أن ننبه إلى أن كلمة (القرون الوسطى المظلمة)، لا تمثّلنا، ولكنها تمثل أوروبا والغرب، حين سقطت روما في القرن الرابع، وعادت النهضة في القرن الرابع عشر، أما نحن المسلمين فقد قدّمنا الضياء للإنسانية والعالم كلّهُ منذ بزوغ الإسلام في القرن السادس خلال ألف سنة كاملة.

لقد قام المسلمون في القرون الوسطى المظلمة في أوروبا بإعادة نور الحضارة والمدنية الذي كان قد انطفأ في جميع بلاد الغرب والشرق حتى القسطنطينية.

لقد كانت حركة التنوير في أوروبا ردًّا فعلًا طبيعيًّا على الجبروت التي كانت السلطات الكنسية تمارسه ضد العقل والإرادة الإنسانية، وهو وضعٌ لم تعرفه الحضارة الإسلامية، وحالةٌ لم يعيشها المسلمون قط.⁽¹⁸⁾

يقول الدكتور محمد السيد الجليند: "إن مصطلح التنوير -كغيره من المصطلحات العلمانية- وفد إلينا من الغرب ضمن مجموع المصطلحات التي غزت ثقافتنا المعاصرة خلال حركة الاتصال الحديثة بين مصر والعالم الغربي -خاصة فرنسا- خلال القرنين الأخيرين".⁽¹⁹⁾

ولقد نشأ هذا المصطلح في ظروف تاريخية عاشتها دول أوروبا شرقًا وغربًا، كانت ثقافة الشعوب في أوروبا خلالها قاصرة على ما تملّيه عليهم سدنة الكنيسة ورجالها، وكانت السيطرة الثقافية واللاهوتية وتفسير الظواهر الطبيعية خاضعة لرجال اللاهوت الكنسي، لا يجوز مخالفتها، باعتبار ذلك وحياً لا تجوز مخالفته، مما أسفر عن وجود صراع مريع بين الكنيسة والعلماء بدأت قصته منذ أيام "نيكولاس كوبرنيكوس"، الذي أعلن عن آرائه في الطبيعيات والفلك ومركز الكون، وكلها على نقيض ما يدعيه رجال الكنيسة، وانسحب ذلك الموقف بكامله على الدين بمفهومه العام.

ولا شك - أن هؤلاء العلماء الذين عاشوا تلك المعركة كان ينقصهم العلم بالدين الصحيح، الذي نزل على عيسى عليه السلام، فضلاً عن جهلهم التام بالإسلام واحتضانه للعلم، وتكريمه للعلماء، ولا شك أيضاً أن رجال الكنيسة الذين أعلنوا هذه الحرب التاريخية على العلم والعلماء قد أساءوا إلى المسيحية، وأفسدوا بموقفهم هذا حركة التاريخ المعاصر؛ فلا هم انتصروا لدينهم، ولا هم حققوا النصر على عدوهم، بل كانوا بموقفهم هذا الباب الطبيعي الذي فتح على مصراعيه لدعاة الإلحاد والثورة على الكنيسة والدين معاً، حيث صوروا الموقف على أنه معركة بين الدين والعلم، وليس بين رجال الكنيسة والعلماء، وكان مفهوم التنوير يعني التحصن بمنطق

(18) موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، الدرر السنوية.

(19) كتاب: "فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي" (ص 12-17) / دكتور محمد السيد الجليند.

انتقال المعركة إلى عالمنا العربي:

ولقد انتقلت المعركة بكل ملامساتها وظروفها إلى عالمنا العربي بدون أن يفتن دعاة التنوير إلى أن الإسلام ليس هو الكنيسة، ولا عالمنا العربي هو أوروبا، ولا الحضارة الإسلامية هي الحضارة الأوروبية في عصورها المظلمة، فليس الدين عندنا رافضاً للعلم، ولا محارباً للعقل، ومع ذلك أخذوا يصورون المعركة على أنها صراع بين الإسلام والعلم، وكان النموذج الغربي في نظرهم هو المثل والقدوة التي ينبغي أن نحذو حذوها، ونسير في ركبها، حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلناه معهم؛ فأعلنوا الحرب على الإسلام ورجاله، ولو أنصف هؤلاء لبدأوا دعوتهم من حيث بدأ الإسلام، الذي يجعل العلم ديناً وفريضة، ويجعل حاكم العقل في عالم الشهادة ميزاناً لا يخطئ، ولو أنصفوا لفرقوا بين الإسلام والكنيسة، وبين الشرق والغرب⁽²⁰⁾.⁽²¹⁾

(20) ثقافة التلبيس، سليمان الخراشي، موقع صيد الفوائد نقلاً عن د.محمد السيد كتاب فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي، ص 12

(21) إبراهيم بن توفيق البخاري، موقع صيد الفوائد

رابعاً: الوجودية

الوجودية مذهب أدبي فلسفي ظهر في الأدب الغربي في القرن العشرين، وهو مذهب إلحادي يركز على الوجود الإنساني، وأنه لا يوجد شيء سابق عليه ولا بعده، وأن الإنسان هو الذي يستطيع أن يتولى أمره دون ارتباط بخالقه، ودون تقييد بقيم خارجة عن إرادته، بل هو الذي يختار القيم التي تنظم حياته.

ودخل المذهب الوجودي مجال الأدب على يد الفيلسوف الفرنسي (جبريل مارسيل) المولود عام 1889م، وقد أوجد ما أسماه الوجودية المسيحية، ثم الأديب الفرنسي جان بول سارتر المولود عام 1905م والذي يعد رأس الوجوديين الملحدين، والذي يقول: "إن الله خرافة ضارة" تعالى الله عما يقول هذا الملحد علواً كبيراً.

وهو مذهب يدعو الإنسان إلى التخلص من كل موروث عقدي، أو أخلاقي، وممارسة الإنسان لحياته بحرية مطلقة دون أي قيد.

وينتشر هذا المذهب في فرنسا بوجه خاص، وبلاد الغرب بوجه عام، ولا شك أن هذا المذهب في نظر الإسلام مذهب إلحادي من اعتنقه مرق من الإسلام، وكفر بالله العظيم.⁽²²⁾

خامساً: الماسونية

هي جمعية سرية سياسية تهدف إلى القضاء على الأديان والأخلاق الفاضلة، وإحلال القوانين الوضعية والنظم غير الدينية محلها، وتسعى جهدها في إحداث انقلابات مستمرة وإحلال سلطة مكان أخرى بدعوى حرية الفكر والرأي والعقيدة. ويؤيد ذلك ما أعلنه الماسوني ... في مؤتمر الطلاب الذي انعقد في 1865م في مدينة لياج التي تعتبر أحد المراكز الماسونية من قوله: "يجب أن يتغلب الإنسان على الإله، وأن يعلن الحرب عليه، وأن يخرق السماوات ويمزقها كالأوراق".

ويؤيده ما ذكّر في المحفل الماسوني الأكبر سنة 1922م صفحة 98 ونصه: "سوف نقوي حرية الضمير في الأفراد بكل ما أوتينا من طاقة، وسوف نعلنها حرباً شعواء على العدو الحقيقي للبشرية الذي هو الدين". ويؤيده أيضاً قول الماسونيين: "إن الماسونية تتخذ من النفس الإنسانية معبوداً لها"، وقولهم: "إننا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم، إنما غايتنا الأساسية إبادتهم من الوجود".

مضابط المؤتمر الماسوني العالمي سنة 1903م صفحة 102، وقولهم: "ستحل الماسونية محل الأديان وأن محافلها ستحل محل المعابد..." إلى غير هذا مما فيه شدة عداوتهم للأديان وحرهم لها حرباً شعواء لا هوادة فيها. ولا تزال الجمعيات الماسونية من أقدم الجمعيات السرية، ولا يزال منشؤها غامضاً وغايتها غامضة على كثير من الناس، بل لا تزال غامضة على كثير من أعضائها؛ لإحكام رؤسائها ما بيتوا من مكر سيء وخداع دفين ولشدة حرصهم على كتمان ما أبرموه من تخطيط، وما قصدوا إليه من نتائج وغايات؛ ولذا يُدَبَّرُ أكثرُ أمورها شفوياً.

وإن أُريدَ كتابة فكرة أو إذاعتها عُرضت قبل ذلك على الرقابة الماسونية لتقرها أو تمنعها.

وقد وُضِعَتْ أسسُ الماسونية وفق نظرياتٍ تمَّ أَخْذُهَا من مصادر عدة، أكثرها من التقاليد اليهودية، ويؤيد ذلك أن النُظْمَ والتَّعاليمَ اليهودية هي التي اتُّخِذَتْ أساساً لإنشاء المحفل الأكبر سنة 1717م مَعَ وُضْعِ رسومه ورموزه.

والماسونيون لا يزالون يقصدون حيرام اليهودي⁽²³⁾، ويقصدون الهياكل والمعبد الذي شيده حتى اتخذوا منه

(22) أديان وفرق ومذاهب. إسلام ويب.

(23) حيرام أبيبف Hiram Abbif: هو رمز المهندس الأعظم الذي تجد أدواته الهندسية في كل رموز الماسون، يقولون إنه المهندس الذي كلفه سليمان ببناء الهيكل، وأنه من بني

نماذج للمحافل الماسونية في العالم، وأن كبار الأساتذة من اليهود لا يزالون العمود الفقري للماسونية، وهم الذين يمثلون الجمعيات اليهودية في المحافل الماسونية، وإلهم يرجع انتشار الماسونية والتعاون بين الماسونيين في العالم، وهم القوة الكامنة وراء الماسونية، وإلى خواصهم تُسندُ قيادة خلاياها السرية، يدبرون أمرها، ويرسمون الخطط لها، ويوجهونها سرًا كما يشاؤون.

ويؤكد ذلك ما ذكر في سجلات الماسونية من قولهم: "لقد تيقن اليهود أن خير وسيلة لهدم الأديان هي الماسونية، وأن تاريخ الماسونية يشابه تاريخ اليهود في الاعتقاد..."، وأن شعارهم هو نجمة داود المسدسة، ويعتبر اليهود والماسونيون أنفسهم معًا الأبناء الروحيين لبناة هيكل سليمان، وأن الماسونية التي تزيّف الأديان الأخرى تفتح الباب على مصراعيه لإعلاء اليهودية وأنصارها.⁽²⁴⁾

الماسونية وتناقضها مع الإسلام:

- مفهوم الحرية:

مفهوم الحرية في الإسلام يعني التحرر من العبودية لغير الله تعالى، أما مفهوم الحرية في الماسونية فهو التحرر من الدين والقيم والأخلاق.

جاء في نشرة ماسونية صادرة في لندن سنة 1935 "إن أمنيّتنا هي تنظيم جماعة من الناس يكونون أحرارًا جنسيًا، نريد أن نخلق الناس الذين لا يخجلون من أعضائهم التناسلية"؛ ولذلك أسسوا نوادي للعرافة في دول كثيرة، وسعوا بكل وسيلة؛ لتدمير مقومات الشعوب غير اليهودية والقضاء على القيم الأخلاقية.

اختلاف الماسونية في باطنها عن ظاهرها:

فهي تبدو للسذج كأنها جمعية أدبية تخدم الإنسانية، وتنور الأذهان وتنشر الإخاء، وتوطد الحب بين الأعضاء، وتحثهم على فعل الخير والإحسان لإخوتهم المحتاجين، أما في حقيقتها فهي مؤسسة يهودية، وليس تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات السر فيها وشروحيها إلا أفكارًا يهودية من البداية إلى النهاية.

وقد أسس الماسونيون أول محفل ماسوني في بريطانيا، جعلوا شعاره "الحرية والإخاء والمساواة"، وأصدر في لندن القرار التالي الذي يبين حقيقة أغراضهم:

1- المحافظة على اليهودية.

2- محاربة الأديان عامة والكاثوليكية خاصة.

3- بث روح الإلحاد والإباحية بين الشعوب.

وبذلك يتبين لك أن مفاهيم الحرية والإخاء والمساواة في الإسلام، تختلف اختلافًا جوهريًا عن تلك المفاهيم في الماسونية، ومن ثم فلا تجوز الدعوة إلى تلك المفاهيم بطريقة عامة لا يتميز فيها الفرق بين معنى هذه المفاهيم في الإسلام ومعناها في غيره.⁽²⁵⁾

الصرح الممرد من قوارير، وهو الذي جلب عرش سيدتنا بلقيس، فهم يزعمون أنه هو (الذي عنده علم من الكتاب).

(24) مجموع فتاوى اللجنة الدائمة - المجلد الرابع والعشرون (العقيدة).

(25) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة - المجلد 27 - الصفحة 162 - جامع الكتب الإسلامية

الفصل الثاني: قضية الإلحاد

ويشتمل على المباحث التالية:

- المبحث الأول: الإلحاد في التاريخ.. وليس تاريخ الإلحاد.
- المبحث الثاني: أقسام الإلحاد.
- المبحث الثالث: الفرق بين الإلحاد القديم والجديد.
- المبحث الرابع: أقسام الملاحدة في العصر الحاضر.
- المبحث الخامس: رؤوس الإلحاد وأبرز شخصياته.
- المبحث السادس: ما المقصود بالإلحاد الذي نحن بصدده الآن؟
- المبحث السابع: أسباب الكفر بالخالق ودواعي انتشاره.
- المبحث الثامن: أسباب نشأة الإلحاد في الغرب.

الفصل الثاني: قضية الإلحاد

المبحث الأول: الإلحاد في التاريخ.. وليس تاريخ الإلحاد.

من الخطأ حينما نتحدث عن الإلحاد في التاريخ أن نضعه تحت مسمى: "تاريخ الإلحاد"؛ لأن هذا القول يعني أن الإلحاد يضرب بجذوره في أعماق التاريخ وهذا بالطبع أمرٌ غير صحيح؛ فالإلحاد ما هو إلا ردة فعل لحالة من ضعف الدين في نفوس المسلمين، ومن ثم فإن الإلحاد عندما يجد أمامه صدىً منيعاً من الرجال المتتريسين بالعلم، ولديهم من قوة الإيمان واليقين بالله عز وجل ما يمكنهم من الدؤد عن دينهم؛ فلن تسمع للإلحاد ركزاً، أما أن تجد الروبيضة هم من يتصدرون المشهد في إفتاء الناس، وتلقيهم أموراً لا تمتُّ إلى الدين بصلة؛ فاعلم أنّ الباب أصبح مفتوحاً على مصراعيه أمام البلاء، ضعاف العقول، يخرجون علينا من كل حدبٍ وصوبٍ، تستهويهم الشياطين، وأنفسهم الأمارة بالسوء، ظانين أنها فرصتهم للفتك بهذا الدين؛ فيرمونه بتهم باطلة، وشبهات واهية كادعائهم بأنه المتسبب في التخلف عن ركب الحضارة، وبعدم قدرته على إيجاد أجوبة لما تدور في أذهانهم المريضة؛ ولذلك من المنطقي جداً ألا نستطيع تحديد تاريخ بعينه للإلحاد.

وهنا نقطة هامة وجب التنبيه إليها، وهي أن الإلحاد ليس هو الأصل في البشرية، وإنما الأصل هو الدين، ودليل ذلك أن أقدم إلحاد يتحدثون عنه إنما يرجع للعصر اليوناني، وهذا العصر تاريخه يعود إلى عام 500 قبل الميلاد أي منذ ألفين وخمسمائة عام على وجه التقريب، وهذا يستثير في أذهاننا سؤالاً، ألا وهو: كم يساوي عمر الإلحاد بزعمهم في عمر البشرية منذ أن خلق الله الخلق؟! قال الله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ اثْنُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [سورة الأحقاف: 4]. فهذا دليل على أن البشرية مر بها زمن كبير للغاية لا يعلمه إلا الله تعالى، بل والبشر أنفسهم، فقد مرت أزمناً عديدة على الكون لم يكن للبشر فيها ذكرٌ، وما يؤكّد ذلك قول الله تعالى: {هَلْ أَلَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا} [سورة الإنسان: 1]؛ ولذلك عجزوا حين طلب القرآن منهم أن يأتوا بأي أثرٍ من علمٍ يُثبتون به ما يزعمون أن لله تعالى شريكٌ في الملك أو أنه جلّ في علاه ليس موجوداً - تعالى الله عما يصفون علواً كبيراً.

وهنا سؤال يطرح نفسه، وهو بما أن الإلحاد ليس له جذورٌ في التاريخ، وأنه ليس أصلاً في البشرية، وإنما هو أمر طارئ علمها؛ فلماذا إذن كل هذا الخوف من خطره على مجتمعاتنا وشبابنا؟

والجواب باختصارٍ شديد؛ لأنه طارئٌ فهو مخيفٌ جداً؛ فالإلحاد يريد أن يغتنم هذه الفترة التي أُتيحت له، والتي لا يعرف مداها للوصول إلى مبتغاه؛ ولذا تجده ينشر أجنحته في كل اتجاه، ولو أنه تمكن من الوصول إلى نخبة حاكمة أو لها سيطرة على الشعوب والأمم، فهنا ستكون الكارثة، وهذا ما يتمناه الملحدون ويعملون عليه ليل نهار، وهذا أيضاً ما يجعلنا في عملٍ دءوبٍ للتحذير منهم، وتبيين أثارهم، وأضرارهم على الأمة، وكشف مخططاتهم، والعمل على إحباطها بكل ما نملك حتى لا يصلوا إلى مرادهم؛ ولذلك يجب على الجميع الوقوف بالمرصاد، لأهل الكفر والإلحاد؛ ولو أننا راجعنا التاريخ، فسنجد أن إمبراطوريات انهارت حين اعتنق قادتها ومفكروها هذا الفكر العفن، وكان أعظم همهم القضاء على من يخالفهم مهما كلّفهم الأمر.⁽²⁶⁾

المبحث الثاني: أقسام الإلحاد

ينقسم الإلحاد إلى قسمين هما: الإلحاد القديم، والإلحاد الحديث.

أولاً: الإلحاد القديم:

قديمًا، مشكلةُ الإلحادِ لم تكن في "الإيجاد"

الإلحاد قديمًا من حيث هو إنكار وجود الله لم يكن معروفًا في التاريخ، فما من أحد كان يُنكر وجود الخالق سبحانه وتعالى حتى الذين أُطلق عليهم الدهريون؛ فلم تكن ثمة مشكلة لديهم في الإيجاد، وإنما كانت مشكلتهم في الإعادة، وفي هذا يقول الله تعالى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} [سورة الجاثية: 24]، فهؤلاء قالوا: "ما حياتنا إلا الحياة الدنيا التي نحن فيها، ولا حياة لنا سواها"؛ وذلك تكذيبًا منهم بالبعث بعد الموت، وبالحساب والجزاء، ومع هذا فهم لا ينكرون وجود الخالق عز وجل، بدليل قول الله تعالى: {وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ مَن خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَتَى يُؤْفَكُونَ} [سورة الزخرف: 87]، أي: أنهم مُقِرُّون بأن الله خلقهم من عدمٍ بعد أن كانوا لا شيء.

وحتى إن وُجِدَتْ بعض الإشارات التاريخية، فقد كانت لحالاتٍ معدودة ونادرة؛ ولذا عجز التاريخ المكتوب والمروي عن تزويدنا بأول ملحدٍ في تاريخ البشرية، وما وُجِدَ فقط هو بعض الآراء والكتابات الإلحادية لبعض الشخصيات اليونانية والتي تنفي صراحة وجود الخالق، منهم:

(ثيودور الملحد) 320 ميلاديًا، (ديوجين الكلبى) 412 ميلاديًا، (كريستياس) 460 ميلاديًا، (دياغوراس) 465 ميلاديًا، وغيرهم من الشخصيات التي يذكرها الملحدون المعاصرون، ويتكثرون بها، ومع ذلك فإن هؤلاء لا ينطبق عليهم مسعى ملاحدة، وإنما ينطبق عليهم وصف اللادينين، إذ أن أكثرهم يقرون بوجود خالقٍ للكون.

كما أن المصدر الأساسي للمعرفة في أوروبا منذ خمسمائة عام مضت كان هو الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، بالإضافة إلى أن رجال الكنيسة الكاثولوكية قد تبنا آراء أرسطو وبطليموس العلمية حول الكون والأرض والفيزياء والكيمياء والتاريخ الطبيعي، وألحقوها بمفاهيمهم المقدسة، وغدا أرسطو مقدسًا عندهم وكأنه من رجال الكنيسة الأوائل.

وبعد ظهور آراء كوبرنيكوس بحساباته الرياضية لدوران الأفلاك وتأكيد جاليليو ذلك بتليسكوبه، وما تبع ذلك عند اكتشاف الميكروسكوب الذي تم من خلاله رؤية الجراثيم التي تُسبب الأمراض، وما أعقبه من اكتشاف علاجاتٍ دوائيةٍ كانت لها أثر بالغ في الشفاء، مما زعزع من أهمية القسيسين في علاجها بصلواتهم، وأضعف من مكانة الكنيسة.

وظهرت بعد ذلك نتائج علمية مهمة لمكتشفات نيوتن الذي وضع قوانين الحركة الثلاثة، وقانون الجاذبية، وما تلا ذلك من إضافات؛ فكانت النتيجة أن انهدمت جميع القواعد العلمية التي آمنت بها الكنيسة، وأجبرت الناس على الإيمان بها، وتصديقها، وأضفت عليها صفة القداسة لقرونٍ طويلة، وتسببت تلك الاكتشافات في صراع بين العلم ورجاله من جهة، وبين الكنيسة ورجالها من جهة أخرى، وكان للثورة العلمية في أوروبا أثر مدمر للكنيسة إذ أعقبتها مباشرة نزعاً شكية إلحادية كبرى ما زالت مُضطربة حتى يومنا هذا، ولقد كانت ردود أفعال رجال الكنيسة واستبدادهم وسلوكهم الاضطهادي ضد مخالفيهم سببًا في حدوث ردة فعل نفسية شديدة لدى العلماء

مما انعكس على سلوكهم وعلى سلوك عامة الناس أيضًا، وألقت هذه الأزمة بظلالها على المفكرين والعلماء حتى قادت الناس في أوروبا في القرن السابع عشر إلى ما عُرف بحركة التنوير، وزاد الشقاق حتى غرق الأوروبيون في القرن الثامن عشر في مستنقع الشك الكامل في كل موروئهم الاعتقادي والعلمي الذي كانت تشرف عليه الكنيسة، وتُجبرُ الناس على الامتثال الكامل له، وتوالى هذا الصراع على أشده حتى انحسر دور الكنيسة، وتراجعت إلى الزوايا البعيدة وخاصة بعد الثورة الفرنسية، والتي كان شعارها المشهور آنذاك والذي يُنسب لميرابو خطيب تلك الثورة: "اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس".

الإلحاد في العصور الحديثة

يتضح لنا من خلال ما سبق أن "الإلحاد قديمًا كان يُطلق على منكري الرسالات، ولو لم ينكروا الربوبية"⁽²⁷⁾، "ثم آل مصطلح الإلحاد في العصور الحديثة إلى الاختصاص بإنكار الغيب مطلقًا"⁽²⁸⁾، "وإلغاء كل المعاني الدينية للحياة، وتجاهل الحاجة الروحية الفطرية إلى غذاء الإيمان والعقيدة، ما شكّل أرضية خصبة لظهور نزعة الانتحار؛ انطلاقًا من عبثية الحياة وسقوط قيمتها، وعدم استحقاقها تحمّل المعاناة والألم وقسوة الظروف، وهو ما لا يسلم منه أكثر الناس"⁽²⁹⁾.

وينظر الملاحدة للتاريخ باعتباره صورة للجرائم والحماقة وخيبة الأمل وقصته لا تعني شيئاً، كما أنهم لا يعترفون بالمفاهيم الأخلاقية ولا بالحق والعدل ولا بالأهداف السامية، ولا بالروح والجمال، والمعرفة الدينية في رأيهم تختلف اختلافًا جذريًا وكليًا عن المعرفة بمعناها العقلي أو العلمي!!
والإنسان عندهم ما هو إلا مادة تنطبق عليه قوانين الطبيعة التي اكتشفها العلوم كما تنطبق على غيره من الأشياء المادية.

(27) انظر: هاني نصري، نقض الإلحاد، تحديدات وتنبهات وإيضاحات، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 1420هـ)، ص185.

(28) انظر: سوزان المشهراوي، الإلحاد المعاصر، سماته وأثاره وأسبابه وعلاجه، (القاهرة: بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية للبنين، 2018م)، العدد 35، المجلد 2، ص 963، 964.

(29) كآبة الإلحاد، دراسة عقديّة نقدية لعلاقة الانتحار بالإلحاد"، بحث قدمه أ.د. سعود بن عبد العزيز العريفي بجامعة أم القرى - مكة المكرمة، قسم العقيدة - كلية الدعوة وأصول الدين.

ثانياً: الإلحاد الجديد: (New Atheism)

هو موجة إلحادية جديدة ظهرت في أوروبا وأمريكا، لم يدعوا أصحابها إلى إنكار الإله فحسب؛ بل ويهاجمون الداعين لإثبات وجود الإله الخالق سبحانه لا سيما أتباع الدين الإسلامي، وما نراه اليوم من ظهور ما يسمى الإسلاموفوبيا، وشدة عداوتهم للمسلمين في بلاد الغرب والشرق لدليل واضح وصريح على تطور الإلحاد، وهو ما يُطلق عليه الآن بالإلحاد الجديد.

ومن الملاحظ أنّ هذه الموجة الجديدة حينما تدعو إلى الإنكار والنفي المحض للخالق تستخدم حياً فلسفية، ونظريات مصبوغةً بصبغة علمية، ومغالطات منطقية؛ لإقناع الناس بفكرهم الإلحادي؛ حيث تُنفق أموال طائلة على الإعلام والمدارس؛ لترويج ونشر هذا الفكر؛ بغية السيطرة على شعوب العالم.

نشأة الإلحاد الجديد: (New Atheism):

إنّ نشأة الإلحاد الجديد كانت متزامنة مع بدء موجة من الإلحاد المعادي لكل ما هو دين سماوي، ومَعَ بروز ظاهرة العدائية على الإسلام والمسلمين، وقد رافق ذلك قيام الملاحدة بتأليف كتب في الإلحاد ونقد الدين؛ ولذلك أُطلق عليهم الملاحدة الجدد.

ولقد استغل الغرب أحداث الحادي عشر من سبتمبر في عام (2001م) في تطوير هذا النوع من الإلحاد؛ ليكون معادياً للدين الإسلامي والمسلمين، بجانب استخفافه ومحاربتيه للدين المسيحي في الإعلام وتهميشه في المدارس؛ وذلك للاختلاف بين الطوائف النصرانية اختلافاً واسعاً بلغ حدّ التناقض، وكذلك الاختلاف والتناقض الكبير داخل كل طائفة على حدّ، مع كشف إساءات القساوسة لملايين من الراهبات والأطفال، والاعتصابات الكثيرة والتستر عليها، مما أسفّر عنه خروجاً جماعياً من الكنائس، وبأعداد هائلة سيأتي ذكرها لاحقاً مع إحصائيات دقيقة.

ولقد ازدادت النزعة العدائية بعد تواطوء النصارى، ودولهم، وكنائسهم مع أمريكا في جرائمها التي لا تخفى على أحد، بجانب مشاركة دول غربية أخرى لهم، خاصة بعد إعلان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية جورج بوش (الابن) الحرب الصليبية على العالم الإسلامي، وغزوه أفغانستان والعراق وفلسطين المحتلة؛ وارتكابهم أبشع الجرائم، فانكشف أمام العالم نفاقهم، وازدواجية معاييرهم، والكيل بمكيالين، الأمر الذي تسبب في خروج الكثير من النصرانية، وما أعقب ذلك من دعاوي تقول: "إنّ حروب الأديان صارت تشكل خطراً على حضارات العالم، وأنها ستؤدي إلى إبادة الجنس البشري بأكمله، ومن ثمّ لا خلاص للعالم إلا بخلاصه من الدين".

وفي الوقت نفسه ترى أنّ الإعلام والحكومات تسعى باستماتة لئلا تتعرف شعوبها على جمال ومحاسن الإسلام وقيمه؛ حتّى لا تفسد مخططاتهم؛ فتراهم يرمون كل الأديان في سلة واحدة.

"وهكذا تطور ونشأ الإلحاد الجديد بالدعوة إليه من خلال وسائل الإعلام الغربي وبحماسة شديدة، وذلك بطرح مواضيع إلحادية على رأسها: الطعن في وجود الله عز وجل، بل وأصبح هناك رموز ونجوم لهذا الإلحاد الجديد أمثال: ريتشارد دوكنيز، تخاطب المجتمعات الغربية بوسائل متنوعة"⁽³⁰⁾.

ولقد صدرت عدّة مقالات ومنشورات وكتب في الدعوة إلى الإلحاد الجديد ككتاب: (نهاية الإيمان)، لسام هارس،

(30) بتصرف: مليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد، عبد الله بن صالح العجيري، ص23.

و[وَهُم] الإله)، لريتشارد دوكنيز⁽³¹⁾، وهما كتابان مليئان بالنظريات الهشة المزيفة، وبالمغالطات التي تناقض المنطق والعقل، ولا توجد فيها أي معلومة تمتُّ إلى العلمِ بصلَةٍ، بل اقتصر الخطابُ فيها على الأسلوب الفلسفي السَّاحِر، والتجرؤ على الله بالكفر والإلحاد، وبالتعدي على ذاته الإلهية، مع ملاحظة عدم تطرقهم لليهودية، ولا الصهيونية العالمية، أو ذكر المجازر البشعة التي يمارسها الاحتلال اليهودي ضد الشعب الفلسطيني، والذي له الحقُّ الكاملُ في أرضه، والتي عاصمتُها القدسُ المحتلة.

وفي سبيل إنجاز هدفِ الملاحظة الجدد في زعزعة الإيمان بوجود خالق لهذا الكون، نلاحظ تكثيفًا للكتابة والتأليف في مجال الإلحاد العلمي، لا سيما بين عامي: (2004-2007م)، بل تجد هناك نظريات ودعوات ممزوجة بالطرح الكاذب المتستر بالأسلوب العلمي، والاستعانة بأحدث وسائل التكنولوجيا؛ لِأَجْلِ هَدَفٍ أساسيٍّ تكادُ تكونُ كلُّ الجهودِ منصبةً عليه، ألا وهو إيصال فكرة عدم وجود الإله⁽³²⁾، تعالى الله عمَّا يعملون ويصفون.

ولا ريب أنَّ هذه النزعة العدائية الجديدة المتمثلة بالإلحاد الجديد هي امتداد للإلحاد الذي تطور في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فقد اتفق المؤرخون عامةً على أنَّ تنامي ظاهرة الإلحاد هو ظاهرة غربية حديثة، وأنها أُولَى المجتمعات التي جاهرت ونادت إلى الرفض العام للألوهية⁽³³⁾.

وقد أخذت هذه الدعوة أشكالاً متعددة، بتأليف الكتب والنشرات والمقالات، والمجلات ومواقع التواصل الاجتماعي، والموسيقى، والدروس الإلحادية في المدارس والأفلام الوثائقية، والسينمائية.

فالإلحاد المعاصر والجديد والمتمثل بإنكار وجود الله سبحانه وأنَّ المادة هي أصل الكون، والاعتقاد بالعلم التجريبي المبني على الفرضيات لا الحقائق، لم يُعَرَفْ في تاريخ البشرية كظاهرةٍ إلا في العصر الحديث في القرون الثلاثة الأخيرة، حيث ظهرت مذاهب وفلسفات تدعو إلى الإلحاد، وتجاهر في دعوتها بإنكار وجود الله سبحانه بل إنَّ الإلحاد الجديد برز كظاهرة معادية للدين، وبكل ما يحمل من تعاليم ومبادئ، وأخذ الأمر يتسع لا سيما في زمن انتشار وسائل التواصل الاجتماعي⁽³⁴⁾.

ويتضح من خلال ما بيَّناه عن الإلحاد الجديد وأبرز رموزه أنَّ هؤلاء الملاحدة الجدد لهم أساليب مقرَّزة جدًا في استدلالاتهم، وفيها جرأة على كل الثوابت والقيم التي يؤمن بها المسلم والمؤمن الحق، ومن ناحية أخرى هم يتَّبِعون أسلوبًا نفسيًا، مؤثرًا أحيانًا في عرض أفكارهم لمن لم يكن مُتسلحًا بالعلم الشرعي الصحيح، والخطورة تكون أكبر لمن نشأ بعيدًا عن تعاليم الدين وثوابته، ومن هنا تكمن خطورة ترجمة كتبهم وطرحها في الأسواق لعوام الناس فإنَّ فيها خطرًا كبيرًا ينبغي التنبيه إليه⁽³⁵⁾.

وعلى الرغم من أنَّ الإلحاد الجديد صناعة غربية بامتياز، إلا أنَّه ليس هناك إجماع بين الغربيين المتأخرين والمعاصرين على تعريف الإلحاد، ولكنَّهم عبروا عن الإلحاد بكلمات متشابهة مشتقة من اللفظ اليوناني (ATHEOS)، وتتكون هذه الكلمة من مقطعين (A) بمعنى فقدان أو غياب و (THEOS) بمعنى الإله، ويكون معنى

(31) مليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد، عبد الله بن صالح العجيري، ص 24

(32) الإلحاد للمبتدئين دليلك المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد، د. هشام عزمي، ص 359.

(33) نفسية الإلحاد، د. بول سي فيتر، ترجمة: مركز دلائل، ص 17، 112.

(34) الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين، د. صابر عبد الرحمن طعيمة، ص 10-11.

(35) بتصرف، وبعض الاختصار: الإلحاد الجديد في المجتمعات الغربية والعربية مفهومه ونشأته وأسباب ظهوره وسبل مواجهته، بحث نشره موقع مركز الأمة للدراسات والتطوير للدكتور فلاح الدليبي.

الكلمة (ATHEOS) نفي الإله أو نفي الله، وتطلق على الشخص الذي لا يعتقد بالإيمان بالله، سواء نفي وجوده، أم لا. (36)

وينبغي أن نُنبّه على أن الإلحاد كموجة فكرية معادية للدين ارتكزت على نقض الديانة المسيحية، حيث جنت الأخيرة على العالم الغربي أيما جناية، عندما حكمت بالحديد والنار، وبمعتقدات متناقضة لا يستسيغها عقل ولا منطق، وقطعاً لا يولد التطرف إلا تطرفاً مضاداً.

ومقولة كارل ماركس "الدين أفيون الشعوب" وهو كذوب ينطبق بحذافيرها على كل الأديان والفرق ما عدا الإسلام؛ فالذي يتعرف على عظمة الإسلام، وتقديره لقيمة العقل والعلم والأخلاق، وحرصه على الدليل في كل حكم، سيكتشف بسهولة أحقية الإسلام على سائر الأديان، وهشاشة الإلحاد وبطلانه.

ونحن على يقين أن أوروبا لو كانت على معرفة صحيحة بالإسلام؛ لما انتشر فيها الإلحاد بتلك الصورة الفجّة، والدليل على ذلك: أنك إذا قارنت بين عدد الملحدين في عالمنا الإسلامي، وبين عددهم في الغرب ستضح لك الرؤية؛ فالأمة الإسلامية مع أنّها تعاني من تأخر في كثير من المجالات، ومن تبعية فكرية كبيرة، وغزو ثقافي، وحرب غير عادلة على كافة الأصعدة، إلا أنّ نسبة الملحدين فيها تكاد لا تذكر، فما بالك لو كان العكس!

هناك بونٌ شاسعٌ بين أمة تؤمن بعقيدة نقية صافية محفوظة لا اعوجاج فيها ولا تناقض، سهلة الاستيعاب، قوية الأركان، باهرة الحجج، وبين أمة عقيدتها متناقضة محرّفة، طالتها ظلمة التشويه، ودخلتها العقائد الوثنية من كل جانب فأصبحت "أفيون الشعوب"!

"وشتان بين شيخ نقي لا يدعي العصمة لنفسه، يُبين لك كل ركن من أركان الإيمان بالدليل والبرهان، وبين راهب يدعي العصمة، وأنّ الروح القدس يتحدث من خلاله، ويأمرك بالإيمان دون نقاش، وإلا فلن تترك المملوكوت! يُجلسك في جلسات اعتراف، ويدعي غفران خطاياك مقابل دولارات معدودة!" (37)، "في حين ملأت خطاياهُ وجرائمهُ - هو وغيره ممن هم على شاكلته - عنان السماء، ولقد انتشرت أخبار قضايا التحرش الجنسي بأطفال وراهبات بعدما تستروا عليها لسنوات" (38).

وعلى الرغم من وجود عدد كبير ممن أعلنوا إلحادهم بعد تركهم النصرانية؛ لرفضهم ما بها من تحريفات وتناقضات، لكن هذا لا يعني أنهم ألدوا بلا رجعة؛ فلا يزال باب الأمل في إسلامهم على مصراعيه، كل ما هنالك أننا كدعاة ومعرّفين بالإسلام بحاجة إلى مضاعفة جهودنا، وتطوير أساليبنا، وتكثيف وسائلنا للوصول إليهم، وتعريفهم بالله الواحد الخالق وبدينه الحق.

ولقد حاورت الكثير منهم في ألمانيا خلال السنوات الماضية، وأكدوا لي أنهم رغم خروجهم من الكنيسة لكن مازالوا يؤمنون بوجود إله، غير أنه إيمان مشوه؛ ولذلك تجد الكثير منهم، بينهم وبين الإسلام قاب قوسين أو أدنى،

(36) موسوعة الفلسفة: د. عبد الرحمن بدوي، 219/1

(37) كيف تحاور ملحدًا، دليلك المنهجي لمهارات الحوار، أمين بن عبد الهادي خربوعي، ص 30-31.

(38) بتصرف: عن دعوى قضائية ضد البابا أمام المحكمة الجنائية الدولية في قضية التحرش الجنسي بأطفال أعلن مسؤولون في جمعية "اس ان اي بي" الأمريكية بالتعاون مع محامين من منظمة "سنتر فور كونستيتوشنال رايتس" غير الحكومية أنهم رفعوا دعوى ضد البابا بنديكتوس السادس عشر ومسؤولين آخرين في الفاتيكان أمام المحكمة الجنائية الدولية بتهمة ارتكاب "جرائم ضد الإنسانية"، متهمين إياهم بـ "السماح والتستر بشكل منهجي عن جرائم جنسية واغتصاب لأطفال في العالم أجمع". فقد أرفقت الشكوى بعشرة آلاف صفحة تدعم بالوثائق قضايا التحرش الجنسي بأطفال. موقع فرانس 24، وموقع قناة الجزيرة.

ولكنَّ حَمَلَاتِ التَّشْوِيهِ ضِدَّهُ، وَإِمطَارِ الشُّعُوبِ بِأَسَاطِيرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ بِوَاسِطَةِ إِعْلَامِهِمُ الكَاذِبِ، هِيَ مَنْ تَقِفُ حَجَرَ عَثْرَةٍ فِي طَرِيقِهِمُ لِلتَّعَرُّفِ عَلَيْهِ؛ وَمِنْ ثَمَّ اعْتِنَاقِهِ.

المبحث الثالث: الفرق بين الإلحاد القديم والإلحاد الجديد

عرفنا مما سبق أن الإلحاد كان له وجود في أكثر من مكان في الأرض بعد الانحراف الذي أصاب البشرية، وأنه ينقسم إلى إلحاد قديم، وآخر جديد، ونحن الآن بصدد التحدث عن الفارق بينهما، من خلال ما يلي:

1- أنَّ الإلحاد بمعنى إنكار وجود الله تعالى أصلاً لم يكن ظاهرة منتشرة في القديم، وإنما كان شائعاً الشرك مع الله تعالى تحت حجج مختلفة مع اعترافهم بوجود الله تعالى وأنه الخالق المدبر، وقد أثبت الله تعالى ذلك في كتابه فقال عن إقرارهم بخلق الله للكون: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} [العنكبوت:61]

وقال تعالى عن إقرارهم بإنزال المطر من عند الله: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [العنكبوت:63].

وقال تعالى عن إقرارهم بأن الرزق كله من الله، وأن أعضاء الإنسان هي من خلق الله، وأن الحياة والموت بيد الله، وأن التدبير كله لله: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [يونس:31]، وقال تعالى: {قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُشْحَرُونَ} [المؤمنون: 84-89]، وهكذا يتبين من تلك الآيات البينات أن الإلحاد في الزمن القديم إنما كان في إشراكهم مع الله آلهة أخرى من صنعهم، يتقربون بها إلى الله بزعمهم، وهذا هو الشرك في توحيد الربوبية الذي لا يدخل الشخص به وحده في الإسلام والإيمان ما لم يضم إليه توحيد الألوهية.

وأما الذين أسندوا كل شيء إلى الدهر فهم قلة قليلة جداً بالنسبة لغيرهم ممن يؤمنون بالله تعالى وقد أخبر الله عنهم في كتابه الكريم.

2- أنَّ الإلحاد المادي الحديث قد قام على إنكار وجود الله أصلاً وقد زعم أهله أنهم وصلوا إليه عن طريق العلم والبحث المحسوس وعن طريق التجربة والدراسة، وزعموا أن الدين لا يوصل إلى ذلك، وسنرد على هذه الكذبة وسخافتها لاحقاً، ونبين أنه لا تناقض بين العلم من جهة وبين الدين والإيمان بالله من جهة أخرى، حيث أن الدين يحث على العلم والذي بدوره يدعو إلى الإيمان بوجود الله تعالى في أكمل صورته.

المبحث الرابع: أقسام الملاحظة في العصر الحاضر

لقد توصل عدد من الخبراء في مجال الحوار مع الملاحظة إلى تقسيمات وتوزيعات مختلفة الأنواع، وحسب تجريبي الحوارية مع أعداد كبيرة من الملاحظة في ألمانيا، وصلت إلى نتيجة مَفَادُهَا أَنَّ كُلَّ ملحدٍ يختلف عن غيره، كما يختلف هو مع نفسه بين الفينة والفينة، بل في الجلسة الواحدة قد يقع في التناقض أكثر من مرة؛ ولذلك هم بحاجة إلى من يصبر عليهم ويسعى إلى مراعاة مشاعرهم والتقرب منهم لِيَتَأَلَّفَ قلوبهم، وأن يتعامل معهم معاملة الطبيب النفسي الذي يسعى إلى تقديم العلاج إلى مريضه رجاء شفاؤه.

وهناك فئة قليلة جداً منهم تزعم أن لديها نظريات تُثَبِّتُ عدم وجود الله، وما هي إلا فرضيات ونظريات غير منطقية حول قضية الخلق، كما أنهم يَدْعُونَ إلى حياةٍ لا رحمةَ فيها، ولا حقوقَ، ولا أخلاقَ، البقاء فيها يكون للأقوى؛ فلا حقوق عندهم للوالدين ولا المجتمع ولا الناس أجمعين، كما يَدْعُونَ إلى الإباحية، والاعتصاب، وقتل الأطفال الأجنة بالإجهاض، وقتل الضعفاء، وكل هذه الدعوات تقع تحت مظلة الرأسمالية المتوحشة والداروينية الاجتماعية، التي تسببت في انهيار المبادئ الأخلاقية؛ حيث لا مكان للفقراء والمهمشين، وحيث لا يوجد عدالة اجتماعية، والمبرر لهذا هو قانونهم الظالم "البقاء للأقوى".

ويسير أتباع هذا الفكر في اتجاهين:

1- اتجاه فلسفي: قائم على مناقشات فلسفية.

2- واتجاه علمي: قائم على مناقشات فيزيائية ونحوها.

الإلحاد السلبي:

هناك فئة أخرى تقول: "إن الأدلة لا تثبت وجود الله"، وأمثال هؤلاء يشكلون الغالبية من الملاحظة، وهم شكاك، وأتباع هوى وشهوات، وقد يطلق على البعض منهم بالملاحظة اللاأدرية، وأيضاً يطلق على عدد منهم بالربوبيين، وهم الذين يقرون بوجود الخالق لكنهم يزعمون بأنه فَنِيَّ بعد وجوده، أو لا علاقة له بخلقه، ولذلك هم ضد الأديان الموجودة.⁽³⁹⁾

ولقد ناقشتُ هذه الفئة ووجدتُ أن بعضهم يؤمن بالله تارة، ويفقد إيمانه تارةً أخرى، وذلك بحسب حالته المزاجية أو وضعه النفسي والاجتماعي. ولقد حدثني أحدهم بعدما تَرَكَتُهُ صاحبتُهُ وأمُّ أولاده لتذهب مع غيره، فقال لي: "أنه لم يعد يؤمن بالله"، ثم بعد فترة أخبرني: "أنه أصبح لديه صاحبة، وأن وضعه المادي قد تَحَسَّنَ، وأن إيمانه بالله قد عاد، إلا أنه الآن صار مشغولاً في معترك الحياة، وليس عنده وقت ليعرف المزيد"، وَلَكِنِّي أعطيتُ له مطوياتٍ وترجمة القرآن الكريم، ووعدني بقراءتهم.

(39) مادة العقيدة الإسلامية، د. أبو زيد بن محمد مكي، عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى بكلية الدعوة وأصول الدين - قسم العقيدة، ص 67-68 دار الأوراق/

المبحث الخامس: رؤوس الإلحاد وأبرز شخصياته.

من هم المؤسسون الحقيقيون للإلحاد؟

يتبين مما ذكرنا سابقاً أن الإلحاد بدعة جديدة لم يكن لها وجود قديماً إلا في النادر لدى بعض الأمم والأفراد، بدأت في الظهور بأوروبا ثم أمريكا ومنها إلى باقي دول العالم.

ويعد أتباع العلمانية هم المؤسسون الحقيقيون للإلحاد، ومن هؤلاء: أتباع الشيوعية والوجودية والداروينية. حيث أن الحركة الصهيونية أرادت إفساد أمة الأرض بالإلحاد والعلمانية والمادية المفرطة والانسلاخ من كل الضوابط التشريعية والأخلاقية كي يسهل عليها أن تهدم تلك الأمم نفسها بنفسها، وحينها ستكون الظروف مواتية ليحكم اليهود العالم.

رؤوس الإلحاد في العالم

أتباع الشيوعية:

يتقدمهم "كارل ماركس" 1818-1883 م اليهودي الألماني، "إنجلز" عالم الاجتماع الألماني والفيلسوف السياسي الذي التقى بماركس في إنجلترا وأصدرا سوياً المانيفستو أو البيان الشيوعي سنة 1820-1895 م.

أتباع الوجودية:

ويتقدمهم: جان بول سارتر، سيمون دوبرفوار، وألبير كامو.

أتباع الداروينية:

- تشارلز روبرت داروين / عالم الأحياء البريطاني، المؤسس لنظرية التطور.
- كارل هانريش ماركس / مؤرخ وعالم اجتماع ألماني.
- فرويد / طبيب نمساوي من أصل يهودي، اهتم بدراسة طب الجهاز العصبي.
- دايفيد إميل دوركايم / فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي.

ومن الفلاسفة والأدباء:

- نيتشه / فيلسوف ألماني.
- برتراند راسل / 1872-1970 م فيلسوف إنكليزي.
- هيغل / 1770-1831 م فيلسوف ألماني قامت فلسفته على دراسة التاريخ.
- هربرت سبنسر / 1820-1903 م إنكليزي كتب في الفلسفة وعلم النفس والأخلاق.
- فولتير / 1694-1778 م أديب فرنسي.

ومن أتباع الشيوعية العرب:

إسماعيل مظهر: مفكر مصري، درس علم الأحياء ثم تحول إلى الأدب وصار أحد رواد الفكر والعلم والترجمة، أسس عام 1930 م حزب الفلاح؛ ليكون منبراً للشيوعية والاشتراكية، ثم تاب إلى الله بعد أن تعدى مرحلة الشباب وأصبح يكتب عن مزايا الإسلام.

ومن الشعراء الملاحدة الذين كانوا يَنْشُرُونَ في مجلة العصور:

- "الشاعر عبد اللطيف ثابت، والذي كان يشكك في الأديان في شعره، والشاعر الزهاوي، والذي يعد عميد الشعراء المشككين في عصره".⁽⁴⁰⁾

المبحث السادس: ما المراد بالإلحاد الذي نحنُ بصددِهِ الآن؟

هو كل فكر يتعلق بإنكار وجود خالق هذا الكون سبحانه وتعالى، سواء أكان عند المتقدمين من الدهرية، أو عند من جاء بعدهم من الشيوعيين الماركسيين، بمعنى أن وصف الإلحاد يشمل كُلَّ مَنْ لم يؤمن بالله تعالى، ويزعم أن الكونَ وُجِدَ بذاته في الأزل نتيجة تفاعلاتٍ جاءت عن طريق الصدفة دون تحديدٍ وقتٍ لها، واعتقادٍ أن ما وصل إليه الإنسان منذ أن وُجِدَ وعلى امتداد التاريخ من أحوالٍ في كل شتونه إنما وُجِدَ عن طريق التطور، لا عن وجود قوةٍ إلهيةٍ تدبره وتتصرف فيه.

المبحث السابع: أسباب الكُفرِ بالخالقِ، ودواعي انتشار الإلحاد الغربي

لظهور الإلحاد أسباب كثيرة كغيره من الظواهر الأخرى، ولا شك أن أكبر تلك الأسباب:

- هو إغواء إبليس لمن اتبعه؛ فقد أقسم على أن يُبعدَ الناس عن ربهم، ويغويهم عن اتباع أمره وشرعه عز وجل.
- ثم أضيف إلى ذلك أسبابٌ أخرى هي من صنع الإنسان، كالرغبة الجامحة عند البعض في الانفلات التام عن الدين وأوامره ونواهيه؛ لتحقيق رغباته الشهوانية المختلفة.
- وقد تعود بعض الأسباب إلى أمور سياسية، كحب اليهود السيطرة على العالم.
- وبعضها يعود إلى طغيان الديانات المحرفة وعلى رأسها النصرانية التي هي والوثنية وجهين لعملة واحدة، حيث جاءت بأفكار لا يقبلها عقل ولا يقرها منطق، وفوق ذلك طغيان الرهبان والبابوات الذين وصلوا إلى حد لا يطاق من إذلال الناس واستعبادهم مما جعلها أغلاً لا يتمنى أصحابها الخروج عنها إلى أي جهة تكون؛ فتلقفهم الملاحدة؛ فأخرجوهم من الرضاء إلى النار.
- وبعض تلك الأسباب يعود إلى ظهور مذاهب فكرية كانت هي الأخرى كابوساً ثقيلاً جعل الناس يلهثون إلى التشبث بأي حركة أو فكر كالأسمالية التي أشعلت في النفوس حب الأنانية، والجشع المادي، والحقد والبغضاء مما سهّل الأمر على الملاحدة للوصول إلى قلوب الناس، والتضليل عليهم بأنّ في النظام الإلحادي الجديد كل ما يتمنوه من السعادة والعيش الرغيد وقد قيل: "يُقْضَى عَلَى الْمَرْءِ فِي أَيَّامِ مِحْنَتِهِ.. حَتَّى يَرَى حَسَنًا مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ".
- وكان هذا الحال في الوقت الذي عم الجهل بالله تعالى وبدينه القويم، وكان للأحوال الاقتصادية التي يمر بها الناس نصيبُ الأسد في تقبُّل الناس للإلحاد؛ حيث انعدمت في المذهب الرأسمالي ونظام الإقطاع وسيطرة البابوات والأباطرة صفة الرحمة والعطف على الفقراء؛ فازداد الأغنياء غنىً وازداد الفقراء فقراً وذلك.

(40) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة - الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

فاستغل الملاحدة تلك الأوضاع للتأثير على الناس بأن الأمر موكول إلى تصرفات الناس وليس هناك إله مدبر له؛ فازداد نشاط دعاة الإلحاد وأظهروا أنفسهم بمظهر المنقذ للفقراء، والساهر على مصالحهم والمهتم بمشاكلهم والمتصدي للقضاء على كل الأنظمة الفاسدة، والطبقات المتجبرة وبعد أن قوي أمر الملاحدة، واستولوا على الحكم في روسيا وغيرها وجهوا مدافعهم وبنادقهم إلى صدر كل من يأبى الدخول في ملتهم؛ فأثخنوا في الأرض، وأدخلوا شعوبهم في الإلحاد راغبين وراهبين.

- ومما ساعد على انتشار الإلحاد أيضا ما وصل إليه الناس من اكتشافات علمية هائلة مكتملها الله منها استدراجا لهم، وإقامة للحجة عليهم على ضوء قوله تعالى: {سَرَّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت:53]، فكلما تم اكتشاف جديد فسروه على أنه من بركة تركه للإله وللدن وانطلاقهم أحرارًا من ذلك؛ فاغتر بهم كثير من الجهال وظنوا أن ذلك صحيحًا، وأن هذه الحياة التي يعيشها العالم اليوم من تقدم مادي وصناعات مختلفة وانفتاح تام على الشهوات والمتع المختلفة إنما هي دليل في نظر من لا يعرفون الدين الصحيح على أن الإنسان هو مالك هذا الكون وحده وهو الذي ينظم حياته كما يريد.

ولم يترك دعاة الإلحاد أي فرصة لأتباعهم لالتقاط أنفاسهم ومدارسة أوضاعهم والتفكير الصحيح في خلق هذا الكون وما فيه من العجائب التي تنطق بوجود الخلاق العظيم لهذا الكون، وقد قيل إن أحد الملحدين تحدى أي مؤمن بالله يناظره؛ فانبرى له أحد المؤمنين، واتفقوا على تحديد موعد للمناظرة، وحينما جاء وقت المناظرة تأخر المؤمن من الوصول؛ ففرح الملحد وأخذ يصول ويجول ويتحدى، وبعد وقت حضر المؤمن بعد أن انكسرت قلوب المؤمنين وملاها الهم والغم؛ فسأله الملحد: لماذا تأخرت عن الوصول؟

فقال له: "إن بيني وبينكم هذا البحر ولم أجد سفينة وبينما أنا كذلك إذ نبتت شجرة في البحر، وامتدت أغصانها وجذوعها، وكبرت ثم تكسرت بعض أجزاءها؛ لتصنع منها قاربًا حملني إليكم". فقال الملحد: "هذا كلام لا يعقل".

فقال له المؤمن: "إذا كنتم لا تصدقون بوجود قارب صغير بدون موجد، فكيف تصدقون بوجود هذا الكون وما فيه دون موجد؟!".

ثم قال المؤمن للملحد: "أنت بلا عقل".

فقال الملحد: "بلى إن لي عقلا".

فقال له المؤمن: "أين هو منك؟".

قال: "لا أدري".

فقال المؤمن: "شيء في جسمك تؤمن به ولا تراه ولا تريد أن تؤمن بالله حتى تراه"; فانقطع الملحد.

وعلى كل حال فقد ظهر الإلحاد بشكله الجديد المدروس المنظم كبديل لكل الأديان، وزعماؤه هم البديل الجديد عن الأنبياء والرسل، والمتمسكون بالإلحاد هم المتطورون المتقدمون، والتاركين له هم الرجعيون المتخلفون، وللباطل صولة ثم يضمحل، فبعد تلك السنوات العجاف التي قويت فيها شأن الإلحاد والملحدين ظهرت الحقيقة للعيان، وإذا بالإلحاد والملحدين ما هم إلا سماسرة الصهيونية العالمية، وأنهم يهدفون إلى استحمار العالم، ومحو أخلاق "الجوييم" وتحطيم حضاراتهم، وإبطال دياناتهم، وكشأن كل المذاهب الباطلة والأفكار الجاهلية بدأ الموت يدب في جسم هذا الإلحاد البغيض، وإذا بالناس يكتشفون زيف أقاويله وأفانين خدعة؛ فبدؤوا يهربون منه

زرافات ووحداناً، وَعَرَفَ الناسَ أَنَّ الإلحادَ هو الذي سبب لهم الشقاء والفقر وَتَزَايِدَ الأحقادِ والقلق والاضطراب، وَأَنَّهُ هو الذي سَهَّلَ للمجرمين طرقَ الإجرام، وظهورَ الفتن والضلال؛ إذ ليس فيه ثواب ولا عقاب في الآخرة، ولا رب يجازي المجرمين بعذابه، والمطيعين بثوابه، فما الذي يمنع المجرم من تنفيذ جريمته؟ وما الذي يجعل قلب الغني يشفق على الفقير؟ وما الذي يمنع السارق والغشاش والخائن ومدمن المخدرات؟ ما الذي يمنع هؤلاء من تحقيق رغباتهم؟

وللقارئ عظة مما يقع في العالم الملحد من أنواع الجرائم والظلم في جو مشحون بالتوترات والهموم قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه:124].

وإذا كانت المظالم والأنايات وحب الشهوات وغيرها تحصل بين المؤمنين بالله تعالى فما هو الظن بالمجتمعات التي لا تؤمن بالله رباً ولا بالإسلام ديناً ولا بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً؟!، ولا ضمير حي يذكرها بما للآخرين من حقوق، ما هو الظن بتلك المجتمعات الذين هم كالأنعام أو أضل؟ الذين لا يعيشون في بيئات أسرية متحابة، يعرف بعضهم للبعض الآخر ما له من حقوق صلة الرحم، وحفظ الأنساب، وتقوية المودة فيما بينهم. فأين الأولاد بعد أن ابتلعتهم دور الحضانات الحكومية؟، وأين الأزواج بعد أن تفرق الجميع في كل اتجاه تلبية لحاجاتهم المعيشية واللهو أيضاً؟، وأين بقية الأقارب وقد تكفل الإلحاد بمحاربة أي وجود لذلك؟، وأين تلاحم المجتمع كله بعد أن تعهد الملاحدة بتفريق المجتمعات وضرب بعضهم بالبعض الآخر عن طريق الجاسوسية الهائلة إلى حد أن أي شخص لا يأمن الآخر بأي حال؟ فأصبحت المجتمعات الإلحادية تعيش فيما بينها كما تعيش قطعان الذئاب أو السمك في البحر.

ولذلك على المسلمين أن يأخذوا العظة بغيرهم وأن يفروا من تلك الأفكار، وصدقات زعماء تلك المجتمعات كما يفر الصحيح من المجذوم، بل وأشد، وأن يرجعوا إلى الله تعالى ويبتهلوا إليه ألا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً. (41)

المبحث الثامن: أسباب نشأة الإلحاد الغربي

يذكر الباحث السويدي الدكتور جوهانز كلومنيك (الملقب بعبد الله السويدي) عشرة أسبابٍ لظهور الإلحاد في الغرب، وهي كما يلي:

أولاً: العقائد الباطلة في الديانة النصرانية:

لا بد من إدراك نقطة ذات أهمية بالغة، ألا وهي أن الإلحاد هو عدم الايمان أو الإنكار المطلق، ولا يعتبر منظومة متكاملة الأركان، بل يتولد في الغالب كردة فعل مناهضة للعقيدة الدينية السائدة في البلد، والجدير بالذكر أن الإلحاد أول ما انتشر في أوروبا، كان في بيئة نصرانية، فظهر الإلحاد ليقاوم التمسك بهذه العقيدة، وهذا الأمر ليس بغريب؛ لأن العقيدة النصرانية المحرفة مشتملة على كثير من العقائد الباطلة المنافية للفطرة السليمة والعقل السوي، حيث النصراني يعتقدون أن الإله واحد وفي نفس الوقت ثلاثة أشخاص أو ثلاثة أقانيم: الأب، الابن، الروح القدس، فالأب هو الإله، والأب ليس هو الابن، والابن هو الإله، وليس هو الروح القدس!

ويعتقدون أيضاً بما يسمى "الخطيئة"، ويعنون بها أن أول بشر هو نبي الله آدم عليه السلام أخطأ خطيئة -الأكل

من الشجرة- ثم بقيت هذه الخطيئة موروثة في ذريته جيلاً بعد جيل، ولكي يُخَلِّصَ الإلهَ البشريةَ من هذه الخطيئة الموروثة والذنوب كلها، نَزَلَ أَحَدَ الأَقَانِيمِ، وهو الابن متجسداً به إلى الأرض، يظنون أن هذا الإله الذي هو 100% إله و100% بشر، قد قُبِضَ عليه وَعُذِّبَ وَصُلبَ وَقُتِلَ!

فكانت هذه العقيدة وما تُلْحَقُ بها من العقائد الباطلة المنافية للفطرة السليمة والعقل السويّ الشرارة الأولى لأن يشكك المفكرون الغربيون في حقيقة وجود الإله، لا سيما أن النصرانية هي العقيدة السائدة حينئذٍ ولا يعرفون سواها.

ثانياً: الأخطاء الواردة في الكتاب المقدس:

يُعْظَمُ النصراني الكتابَ المقدسَ بعهدِهِ: العهد القديم، والعهد الجديد، ويعتبرونه وحياً إلهياً، وأحد أهم مصادر المعرفة لديهم في تلقي العقائد؛ لكن ظهرت كتابات نقدية للكتاب المقدس في عصر التنوير، وازدادت هذه الكتابات النقدية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، واكتشفوا حجم الأغلط والتناقضات العقلية والعلمية الواردة فيه، وأن جُلَّ المؤلفين للكتاب المقدس مجاهيل، وبدأوا يشككون في كونهم يكتبون بناء على الوحي الإلهي؛ فدخل إليهم الشك في العقيدة النصرانية بأكملها، وسقطت قيمته كمصدر للمعرفة؛ فأدى ببعضهم إلى الإلحاد، والبعض الآخر إلى تبني مذهب الربوبية أو اللادينية.

ثالثاً: طغيان الكنيسة:

لم تكن المشكلة في وجود أخطاء في الكتاب المقدس فحسب، أو اكتشاف أن عقائده باطلة منافية للعقل، بل مما ساهم في انتشار الإلحاد كون الكنيسة الكاثوليكية حينئذٍ مهيمنة على شئون الحياة كلها في أوروبا، وألزموا الناس بها، ومن يُعارض هذه المعتقدات والأراء العلمية والفلسفية يرونه من الزنادقة والهرطقة -كما كانوا يسمونهم- إضافة إلى التواطؤ الوثيق بين الكنيسة والملوك الجبابرة، الذين ظلموا الناس وتجبروا عليهم بالقمع والاضطهاد وأخذ أموالهم بالباطل، وكانت الكنيسة كذلك يأكلون أموال الناس بالباطل، كما قال الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [سورة الكهف:34].

إن طبيعة الإنسان إذا شعر بالظلم والاضطهاد والطغيان والجور، فإنه يسعى إلى التخلص من ذلك كله، فسعت الشعوب الأوروبية للتخلص من ظلم الملوك، وكذلك من ظلم السلطة الكنسية الوثيقة بهم، ومما دل على ذلك وقوع الثورة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر، فإنها كانت ثورة على نظام الحكم في فرنسا، وقد اشتهر عن الثوار وقتها عبارة: "اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس"، ثم ظهرت العلمانية المتطرفة المعادية للدين في هذه الثورة كردة فعل طغيان الكنيسة، ومن ثم تسربت هذه الأفكار المعادية للدين إلى دول أخرى بعد ذلك.

رابعاً: نشوب الحروب الدينية والطائفية:

لم يكن العلمانيون وحدهم من عارض سلطنة الكنيسة الكاثوليكية، بل ظهرت حركات نصرانية إصلاحية -كما يسمونها- تُعارضها، وأشهر هذه الحركات هي حركات البروتستانت، كحركة مارتن لوثر وكالفين وغيرهم.

ثم أصبحت هذه الحركات بذاتها طوائف مستقلة، وقد استولوا على الحكم في العديد من البلدان؛ مما أدى إلى وقوع صدام وحروب طاحنة بين الدول البروتستانتية والدول الكاثوليكية، وأشهر هذه الحروب تسمى بحروب الثلاثين عاماً (1918-1948م)؛ وقد نتج عن تلك الحروب هلاك ما يعادل ثمانية مليون شخص، وبما أن تلك

الحروب حصلت بدافع عقدي نصراني، وكانت كل طائفة منهما تدعي أن الإله يؤيدهم؛ فهذا قد شكّل وجود نفسيات معادية للدين، وهذا ما ظهر جلياً في أوروبا في تلك الفترة بظهور المذهب الربوبي والإلحاد.

خامساً: مشكلة الشر:

هي إشكالية التوافق بين وجود إله مُتصِف بصفات الكمال: عليم، قدير، رحيم، ووجود مصائب ومشكلات وشُرور في العالم، ظهرت هذه الشبهة قديماً قبل أكثر من ألف سنة في العهد اليوناني، وتُعد أكثر إشكالات عند النصارى من بقية الطوائف؛ لأن النصارى قد بالغوا في وصف الإله وقالوا أنه بذاته المحبة، يحب جميع الناس مهما اقترفوا من الآثام أو ارتكبوا من الجرائم، فلما رأوا ازدياد الشرور والمصائب والكوارث والآلام في العالم وجدوا صعوبة بالغة في الجمع بين الأمرين.

بينما المسلم يعتقد أن الله سبحانه وتعالى مُتصِف بالمحبة والرحمة، وكذلك مُتصِف بالحكمة والغضب، وأنه شديد العقاب، خلق الخير والشر في الحياة امتحاناً لعباده، قال الله عز وجل: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} [سورة الفلق: 1-2].

فلم يكن المسلمون يُستشكّل عليهم مشكلة الشر لقول الله عز وجل: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [سورة الأنبياء: 35].

الجدير بالذكر أن مشكلة الشر في الأصل تعتبر مشكلة نفسية وإن بدت بصورة منطقية؛ ولهذا نجد أن كلما زادت الحروب والصراعات، كلما تضحّم هذا الإشكال لدى النصارى، خاصة إثر حروب الثلاثين عاماً والحروب النابليونية والحرب العالمية الأولى والثانية.

سادساً ظهور المذاهب الفكرية المعادية للدين:

في العصور الوسطى كانت القضايا الفكرية والآراء الفلسفية محصورة لدى الكنيسة الكاثوليكية، أما في عصر النهضة والتنوير ظهرت فلسفات خارج المنظومة الفكرية للكنيسة، ساهمت في نشأة عدد من المذاهب الفكرية المعادية للدين في القرنين التاسع عشر والعشرين، ومن أمثلة هذه المذاهب الفكرية: الشيوعية، أُسست على يد "كارل ماركس"، فقد تبني عدة آراء مناهضة للدين، فهو يعتبر أن الدين أفيون الشعوب، والإيمان بالمادية البحتة.

وظهر أيضاً مذهب الاشتراكية الديموقراطية المنتشرة في الدول الإسكندنافية، بالإضافة إلى مذاهب علمانية أخرى مثل الوجودية، وتيارات فلسفية كالوضعية المنطقية.

سابعاً: تمكّن الملاحدة من السلطة ونشر الإلحاد بقوة:

تمكّن أصحاب هذه المذاهب الفكرية من استلام الحكم في القرن العشرين، ولا سيما المذهب الشيوعي، فقد تمكن الشيوعيون من الحكم في بعض أكبر الدول في العالم مثل الاتحاد السوفيتي والصين، إضافة إلى بعض الدول في شرق أوروبا وآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

وهؤلاء تبنا ما يعرف بإلحاد الدولة "State atheism" وفضوا الإلحاد على هذه المجتمعات بالسيف والحديد، فهدموا الآلاف من المساجد والكنائس وقتلوا عشرات الآلاف من أئمة المساجد وقساوسة الكنائس، وكان ذلك

من أكبر أسباب انتشار الإلحاد في تلك الدول، وتبنى بعض المؤثرين الشيوعية المُتدبِّرة بدعمٍ من الدول الشيوعية مثل "كريستوفر هيتشنز" ثم ما لبث أن ترك الشيوعية، ولكن لم يزل من أكبر دعاة الإلحاد في هذه القرن إلى أن تُوفيَّ قبل سنوات.

ثامناً: ظهور نظريات علمية تتحدى الإيمان بالله:

كما أسلفنا سابقاً، في عصر القرون الوسطى، كان القيام بالبحث العلمي مقتصرًا على رجال الدين في الكنيسة، لكن في عصر النهضة وعصر التنوير ما لبث أن انتقلت هذه العلوم من أيديهم في الغالب إلى علماء لا يعتمدون على آراء الكنيسة، كأن العلم التجريبي في صراعٍ حتمي مع الدين، ولهذا نلاحظ أن كثيرًا من المعتنقين بالعلوم التجريبية الطبيعية يعادون الدين ويتبنون المذهب المادي الصِّرف، ويرفضون الحديث عن الخلق الإلهي أو التصميم الذكي، ولا يتطرقون إلى الغيبيات، بل يستميتون في الدفاع عن النظريات العلمية المبنية على المذهب المادي، كنظرية التطور لتشارلز داروين، التي أراد من خلالها أن يربط بين الإلتقان المحكم للخلق وبين الانتخاب الطبيعي "Natural selection" دون اللجوء لأي تفسير ديني، ومع انتشارها في الأوساط الأكاديمية الغربية؛ أدت إلى بروز الإلحاد بشكل قوي في المجتمع الغربي ككل.

تاسعاً: طغيان المادية في المجتمعات الإلحادية:

قد تقدمت التكنولوجيا بشكل هائل في العصور المتأخرة، ففي قرن واحد تطورت التكنولوجيا مما لم تتطور في 1000 سنة من قبل، ولا شك أن لهذا التقدم منافع كثيرة للبشرية، ولكنه أيضًا من أسباب ابتعاد كثير من الناس عن خالقهم، فقد قال الله عز وجل: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ * أَن رَّأَاهُ اسْتَعْجَىٰ} [سورة العلق: 6-7].

هذا ما نجده عند كثير من المجتمعات التي فيها رفاهية زائدة، وأن بعض الناس يرون أنهم يمكنهم الاستغناء عن خالقهم، فكان ذلك من أكبر أسباب ظهور الاكتئاب والمشاكل النفسية واللجوء للإلحاد.

عاشرًا: نشاط الملاحدة في نشر إلحادهم:

نختم به كونه يعدُّ من أكبر الأسباب في بروز وانتشار الإلحاد، حيث أن الأفكار لا تنتشر بنفسها، وإنما تنتشر بواسطة أفراد وجماعات، فكان للملاحدة نشاط كبير وقوي في نشر أفكارهم في الغرب، ومن الأمثلة على ذلك في هذا العصر، ما يُعرف بـ الملاحدة الجدد، الذين لديهم أنشطة متعددة: تأليف الكتب، وإلقاء المحاضرات، وعقد المناظرات، وإنتاج الأفلام الوثائقية، وغير ذلك.

بسبب هذا النشاط نحتاج نحن المسلمون أن نقوم بعمل مضاعف لمكافحة الإلحاد وبناء عقيدة صحيحة تحصن عقول المسلمين، بجانب دعوة غير المسلمين من الملاحدة وغيرهم وتعريفهم بالإسلام.

ويذكر الدكتور أبو زيد مكي في كتابه (دلائل الربوبية) عدة أسباب للإلحاد؛ إذ يقول: "إنَّ أبرز أسباب ظهور الإلحاد في أوروبا خمسة:

1- الديانة النصرانية المنفردة في عقيدتها وشريعتها؛ لأنها عقيدة غير مقبولة عقلاً وفطرة، كالقول بألوهية المسيح وعقيدة التثليث؛ ولأنها تشتمل على شريعة مليئة بالأسرار والرموز غير المقنعة ولا محققة لصالح الدنيا والدين كسر التعميد وسر الاعتراف، ليس هذا فحسب بل فيها عبادة الصور والتماثيل وفيها نظام الرهبانية والعزوبة والتجرد والتعذيب الجنوني وتحريم الطيبات وغير ذلك.

2- طغيان رجال الكنيسة المبعوض في مجالات شتى كالتعبدية والعلمية وفرض الوساطة بينهم وبين الله، وكذلك فرض العشور والسخرة والخضوع المذل.

3- حدوث الصراع بين الدين الكنسي والكشوف العلمية، وذلك لأمرين:

أ) قولهم إنَّ خرافات الكنيسة هي وحي من الله، فإذا بطلت الوحي بطل الإيمان بالله.

ب) قولهم إنَّ التفسير الديني عمومًا لظواهر الطبيعة قائم على التدخل المباشر من الله لها، فإذا عرفوا القانون قالوا إنَّ الطبيعة تحكم نفسها بنفسها.

4- دور اليهود في نشر الإلحاد؛ لأن العداوة بين اليهود والنصارى مزمنة، وكانت الكنيسة أيام سيطرتها تضطهد اليهود بسبب فسادهم وإفسادهم.

5- غياب الأمة الإسلامية عن بيان الدين الإسلامي.⁽⁴²⁾

وكذلك من الأسباب أيضًا:

- "المناداة بإطلاق الحريات للناس: الحريات الشخصية وحرية الكلمة وحرية التصوف وحرية التدين وحرية الاقتصاد وحرية الفكر وغير ذلك".

- تأليه الإنسان، واقتران الإلحادية بالقوة المادية، والتناقض الشديد بين الذي ورثوه وبين التعصب للعلم التجريبي، ولقد نشأت - بعد العديد من النظريات العلمية التجريبية العلمية- مرحلة تقديس العقل واستقلاله مع ظهور المذاهب الاقتصادية الإلحادية.

- هيمنة الغرب، واتباع طرق خداعة، ووسائل مغرية، وإنفاق مليارات الدولارات في الإعلام والمؤسسات التربوية؛ لغرس الإلحاد، وقد ركزوا على أهم الوسائل التي تكون عونًا لهم في نشر دعوتهم، كالكتب الإلحادية والروايات الماجنة؛ التي تعمق ثقافة الشك وتهدم العقيدة، وتثير في النفس الغرائز، وبرامج الأطفال؛ التي تُفسد فطرتهم في سن مبكر، وأيضًا نشر المقالات المزخرفة بالأقوال، وبتقنيات القنوات الفضائية، وإنشاء المواقع الإلكترونية، وكذلك اللقاءات المباشرة والجلسات الحوارية الخاصة، والأفلام والمسلسلات وجميع مواقع التواصل الاجتماعي، وغير ذلك من الوسائل المستجدة التي تعرض مفاهيم الإلحاد بكل وضوح، وتمجد دُعائهم، وتُنشر الرذائل، وتُعديم الفضائل؛ فنرى الانحطاط الأخلاقي في المجتمع؛ والسخرية من الدين وعلمائه، واحتقارهم، والاستخفاف بأرائهم، واتهامهم بالرجعية وتقييد حرية الآخرين.

- ومن الأسباب أيضًا: الحروب الشرسة ضد العالم الإسلامي وتدميرهم وظلم الغرب لهم؛ حيث لم يُعطوا فرصة حقيقية لنشر الإيمان والدين الحق بينهم، بل بالعكس، فقد روجوا للفوبيا من الإسلام بنشرهم الأكاذيب تحت مسعى الإرهاب.

- ومن الأسباب كذلك: كثرة الحروب والمآسي التي حدثت في التاريخ والإبادات الجماعية.

- وبما أنَّ التحريف الذي طرأ على التوراة والإنجيل، هو من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى التناقض بينهما وبين معطيات العلوم العلمية الصحيحة، فقد نتج عن هذا التناقض البذرة الأولى للإلحاد، لا سيما عند العلماء الغربيين.

(42) دلائل الربوبية، د. أبو زيد بن محمد مكي، ط2 1439هـ/2018م مركز تكوين للدراسات والأبحاث

الفصل الثالث: نظريات الإلحاد وإرهاصات إندثاره:

ويشتمل على المباحث التالية:

- المبحث الأول: نظرياتُ وَضَعَتْ أُسُسَ الإلحاد.
- المبحث الثاني: الشيوعية ودورها في نشر الإلحاد.
- المبحث الثالث: الإلحاد فكرة شيطانية يهودية.
- المبحث الرابع: موت الإلحاد.. شارف على الاقتراب.
- المبحث الخامس: بلدان أوروبا ليست نصرانية.

الفصل الثالث: نظريات الإلحاد وإرهاصات إندثاره

المبحث الأول: نظريات وَضَعَتْ أُسُسَ الإلحادِ

تعتبر "نظريات ماركس" في الاقتصاد، والتفسير المادي للتاريخ، و"نظرية فرويد" في علم النفس، و"نظرية داروين" في أصل الأنواع، و"نظرية دور كهيم" في علم الاجتماع، من أبرز النظريات التي أرست قواعد وأسس الإلحاد في العالم؛ ولقد أثبت العلماء أن جميع تلك النظريات ما هي إلا حدسٌ وخيالاتٌ وأوهامٌ شخصية ولا صلة لها بالعلم.⁽⁴³⁾

نظرية داروين، ومفهوم الداروينية الاجتماعية

سنطرح هنا نظرية داروين، وما ترتب عليها من نشأة الداروينية الاجتماعية كَأَنموذَجٍ كان له أثرٌ لا يستهان به في انتشار الإلحاد، كانتشار النار في الهشيم.

تُنسَبُ نظرية التطور الدارويني إلى الإنجليزي النصراني تشارلز داروين، صاحب كتاب "أصل الأنواع" سنة 1859م، الذي عرَض فيه نظريته في النشوء والارتقاء، ونشأة الكائنات الحيّة وتطورها، واضعاً فرضية (وهمية)؛ بأن أصل الكائنات الحيّة كلها خلية، كانت في مستنقع أسن قبل ملايين السنين، ثم تطوّرت هذه الخلية عبر مراحل، إلى أن ظهرت الحيوانات، التي مسّها التطور إلى مرحلة القرد، كأعلى مرحلة للكائن غير العاقل، ثم انتهاءً بالإنسان الذي سيتطوّر إلى مراحل أخرى.

يفترض داروين أن أصل الكائنات العضوية كائنٌ حقير ذو خلية واحدة، تطوّر الكائن أحادي الخلية العضوية من السهولة وعدم التعقيد إلى الدقّة والتعقيد، ومن الأحادية إلى ملايين الخلايا العضوية، إلى أن ظهرت الأسماك ثم البرمائيات، ثم الزواحف، ثم ذوات الأربع، ثم ذوات الرّجلين، ثم الطيور، إلى أن كان أرقى الأنواع غير العاقلة، وهو القرد الذي يقرب للنوع البشري ظاهرياً، كما شمل التطور النوع الواحد من الأخط إلى الأرقى، بأن وهبت الطبيعة الأنواع القوية عوامل البقاء والنمو، والتكيف مع البيئة؛ لتصارع الكوارث وتندرج في سُلّم الرقي، ممّا يؤدّي إلى تحسّن نوعي مستمر، ينتج عنه أنواع راقية جديدة كالقرد، وأنواع أرقى تتجلى في "الإنسان".

وفي المقابل سلبت "الطبيعة" تلك القدرة من الأنواع الضعيفة، فتعزّرت وسقطت وزالت. وتقدّم الأنواع البيولوجية الحيّة عند داروين يعتمد على الصّراع من أجل البقاء "نظرية الصدام الدائم، والعداوة المتأصلة"، التي تفرضها الطبيعة؛ لتمييز القوي الصالح للبقاء من الضعيف الهزيل المعرقل للنمو؛ ففي القانون الطبيعي ينتصر فيه الأصلح وهو الطرف الأقوى، وانتصار الأصلح يتطلب منهزماً، وهو الطرف الأضعف، الذي يتم التخلص منه طبيعياً؛ ليستمرّ الانتقاء الطبيعي؛ كما يحصل التطور والارتقاء للأنواع الحالية؛ نحو أنواع أكثر تعقيداً وتطوراً، وكل حلقة تؤدّي إلى التي تليها، وهكذا تؤدّي اليرقة إلى القرد، والقرد إلى الإنسان بطريقة آلية.

وفرضية الاستمرارية والواحدية عند داروين، ليس لها شواهد مادية علمية، "تماماً كما تتحرّك الأجسام تحت تأثير قانون الجاذبية (في منظومة نيوتن)، وكما تتحوّل الأفكار الجزئية إلى أفكار كلية بطريقة آلية في منظومة

(43) بتصرف: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة - الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

وها هو ذا تصوّر داروين القائم على مجموعة فرضيات، بعضها أقرب إلى الأساطير منها إلى العلم، فوقف عاجزاً تماماً من الناحية العلمية عن إثبات الكثير منها، كالحلقة المفقودة بين القرد والإنسان، كيف تمّ التحول؟ فعلاً ذلك من طرف أتباعه بالطفرة؛ بمعنى سدّ الثغرة في الزمان بدون سبب واضح، وهنا بدل القول "بالصدفة"، ابتدع مصطلحاً يوحي بالعلمية "الطفرة"؛ إذ مفهوم الصدفة يُنبئ عن العجز عن التبرير، ودليل على الجهل بالعلّة، أما "الطفرة" فهي العلم بالأصل مع جهل علّة وجود الفرع، والتي في النهاية تعني: "الصدفة".

بل وجود الخليّة الأولى كيف كان؟ ومما كان؟ وما هو أوّل تحول؟ وكيف تمّ؟

وهنا تجد إجاباتٍ هي تخريف؛ تبعها تحريف لاكتشافات، ثم تزيف لحقائق علمية، هل سمعت بنظرية تحول الديناصورات من ماشية على قدمين إلى طائفة بجناحين؟! لقد لاحق ديناصور (محفوظ) ذبابة؛ فلما سبقته؛ رام أن يدركها؛ فنبت له جناحان حين ركضه؛ بقدره قادر (وهي الطبيعة)؛ فطار، ومنه نسل الطيور - والله هذه نظرية مُصنّفة أنها علمية - ولا يظن القارئ أنها دُعاة، ولكن السؤال، هل أدرك الديناصور الطائر الذبابة أم لا؟! لم تعلم الداروينية بعد، والتحقيقات جارية.⁽⁴⁵⁾

وليت نظرية التطور وقفت عند المسلّمات؛ بل تعدتها إلى السذاجة العمياء والخرافة البلهاء، يقول البروفسور T.W. Beeb (عالم طبيعة) في كتابه "الطائر" ص79: "إنّ التغيّرات الإعجازيّة التي نفترض أنّها قاصرة على القصص الخرافيّة أمور عادية جدّاً في نظرية النشوء والارتقاء"، ويقول الدكتور ماكنيرولسن في منشورات أكسفورد الطبية: "إنّ نظرية النشوء والارتقاء لا تقلُّ عن أيّ قصة خرافية".⁽⁴⁶⁾

نسف نظرية داروين علمياً وبإنصاف

عدد كبير من علماء الغرب أطلوا هذه النظرية ولكن دعاة المسلمين أثبتوا هشاشة نظرية "التطور" بعيداً عن أية مؤثرات غير معتبرة وسنذكر مثالين منها باختصار:

في الحلقة 21 يُقيّم أ. د. إياد قنبي أهمّ أركان ما يُعرف بنظرية التطور لداروين كالآتي:

"تشارلز داروين Charles Darwin" هو باحثٌ إنجليزيٌّ في تاريخ الأحياء الطبيعيّ، ذكر مشاهداتٍ كثيرةً جمّعها في رحلاته ونقلها عن آخرين؛ كالتشابه الشكليّ والتشريحيّ بين أنواعٍ مختلفةٍ من الكائنات، وأنماطٍ توزّعها الجغرافيّ، وبني عليها افتراضاً أنّ كلّ الكائنات الحيّة أتت من أصلٍ مشتركٍ؛ مرّ بعمليةٍ تطوُّرٍ وتنوُّعٍ، بحيث يتغيّر الكائن تغيّراتٍ بسيطةً متراكمةً، ثمّ الطّبيعة تُغرّب؛ فالتغيّرات المفيدة تُبقمها الطّبيعة وينتج عنها نوعٌ جديدٌ من الكائنات بمرور آلاف السنين وملايينها! في حين قَصّت الطّبيعة حسب داروين على عددٍ لا حصر له من الكائنات الانتقاليّة، التي حدثت فيها تغيّراتٌ ضارّةٌ أو غير نافعة.

(44) "موسوعة اليهود والمهودية والصهيونية" عبد الوهاب المسيري، (72/2).

(45) "هدم نظرية التطور في عشرين سؤالاً" يحيى هارون/ "الإنسان مخلوق لا مصادفة" بول لوث.

(46) "مصرع الداروينية"، محمد علي يوسف، (58).

بالإضافة إلى دور الغريلة، افترض داروين أن الطبيعة أسهمت في إحداث صفات جديدة في الكائنات؛ بحيث عندما يكتسب الحيوان صفات معينة نتيجة بيئته فإنه يُورث هذه الصفات إلى أولاده، مُتَّفَقًا بذلك مع افتراض لامارك "Lamarck" أن الزرافة التي تمتاز برقبة طويلة جدًا كانت في يوم من الأيام برقبة قصيرة، ولكن مع تغير الظروف الطبيعية من حولها واضطرارها لمدِّ عنقها حتى تأكل من أعلى الشجر ظلَّ عنقها يستطيل جيلًا من بعد جيلٍ، حتى صارت إلى ما صارت إليه اليوم.

أهمُّ ما في الموضوع أن داروين افترض أن الكائنات الحيَّة إنما نتجت عن هذه التغيُّرات بمجموع الصُّدف؛ أي دون قصد، دون قصد! وبتعبيره: "لم يكن هناك خطةٌ للخلق" "plan of creation" في إيجاد هذه الأنواع الكثيرة، وهو ما أكَّده في مواضع عديدة من كتاباته.

نشر داروين أفكاره هذه عام 1859م في كتابٍ بعنوان: (حول أصل الأنواع) (On the Origin of Species) ثمَّ أراد أن يُعطي آليَّةً تفصيليَّةً لتوارث الصفات المكتسبة فنشر بعد أعوامٍ من كتابه (أصل الأنواع) فرضيَّته التي سمَّاها شموليَّة التخلُّق "pangeneses"؛ والتي افترض فيها أن الطبيعة عندما تؤثر على خلايا الكائن فإنَّ هذه الخلايا الجسميَّة تُفرز موادَّ صغيرةً سمَّاها داروين جيميولز "Gemmules" والتي تتركز في الأعضاء التناسليَّة للكائن لتنتقل إلى ذريَّته.

ومن أين جاء الأصل المشترك يا داروين؟! من أين جاء الكائن الأوَّل؛ الذي بنيت عليه أفكارك، ونسبت إليه الكائنات الحيَّة كلِّها؟!!

لم يُبين داروين في كتابه! لكنَّه نصَّ في مراسلاته مع عالم النَّبات جوزيف دالتون هوكر "Joseph Dalton Hooker" على أن رؤيته هي: أنَّ أوَّل كائنٍ نشأ في بركةٍ دافئةٍ من عوامل كالضوء والحرارة والكهرباء، أي أن داروين اتَّفَق بذلك مع فكرة "التَّوالد الذاتي" التي كانت شائعةً في عصره؛ حيث كان يُظنُّ أن الكائنات الحيَّة يمكن أن تتشكَّل تلقائيًا من الجمادات، كان يُظنُّ مثلًا أن الحشرات تنشأ من بقايا الطَّعام، وأنَّ يرقات الدُّباب تنشأ من قِطع اللَّحم المتعفِّنة.

هذه باختصارٍ هي أركان نظريَّة التَّطوُّر لداروين: كائنٌ حيٌّ تولَّد بطريقةٍ ما من الجمادات، طبيعةٌ تُكسب الكائن صفاتٍ جديدةً يمكن أن تحوِّله من نوعٍ لآخر، الصفات المكتسبة تُورَّث، والطبيعة تنتخب بشكلٍ تراكميٍّ؛ وصولًا إلى كائناتٍ أرقى، فتركبُ نَظْمًا حيويَّةً معقَّدةً من تغيُّراتٍ بسيطةٍ متعاقبةٍ، والاستنتاج أن الكائنات الحيَّة نشأت "evolved" دون قصدٍ ولا إرادةٍ من فاعلٍ مُريدٍ مختارٍ يعلم ما يفعل.

والآن...ما هو التَّقييم العام لتلك الأركان التي بنى عليها داروين هذه النَّتيجة؟

أمَّا تولَّد الكائنات الحيَّة تلقائيًا من الجمادات؛ فخرافةٌ سقطت بتجارب أشهرها تجربة فرانسيسكو ريدي "Francesco Redi" قبل داروين بقرنين، وتجربة لويس باستور "Louis Pasteur" التي نُشرت بعد كتاب داروين بخمس سنواتٍ، التي أثبت فيها أن الكائنات، التي كان يُعتقد أنها تولدت ذاتيًا من الجمادات كبقايا الطَّعام، إنما

أنت من خارج المواد الغذائية مع الهواء الملوّث بها، وإلى باستور هذا تُنسب عملية التّعقيم "البسترة"، والحليب المبستر.

والحقيقة أنّ التّولّد الذاتيّ ساقطٌ عقلاً أصلاً؛ أن تتصوّر كأننا حيّاً ينشأ هكذا تلقائياً من الجمادات! ومع ذلك أصروا أن يجربوا! جربوا، فسقطت الخرافة بالعلم التجريبيّ، بالإضافة إلى العقل.

وأما إحداث الطّبيعة لصفاتٍ جديدةٍ في الكائن عن طريق الاستعمال والإهمال كمثال رقبة الزّرافة، فخرافةٌ سقطت أيضاً باكتشافات غريغور مندل "Gregor Mendel"، الذي أثبت بعد داروين بسنواتٍ أنّ الصّفات الوراثيّة للأبناء مهما تعدّدت فهي لن تخرج عن الموجود أصلاً في الآباء، وسقطت كذلك باكتشافات الوراثة فوق الجينيّة "epigenetics"؛ التي بيّنت أنّ العوامل الخارجيّة والبيئيّة يمكن أن تُغيّر طريقة قراءة المادّة الوراثيّة في كائنٍ ما؛ لتفعيل صفةٍ كانت كامنةً أو إخماد صفةٍ كانت منشطّة، لكنّها لا تُضيف مادّةً وراثيّةً لم تكن موجودةً أصلاً.

وأما توريث الصّفات المكتسبة؛ فخرافةٌ ساقطةٌ بالمشاهدة العاديّة؛ فعضلات الحدّاد والنّجار-مثلاً- التي اكتسبها في حياتهما لا تُورث إلى الأبناء، ومع ذلك أصرّ أتباع داروين أن يجربوا! جربوا، وظلّ فايومن "Weismann" يقطع ذيول 19 جيلاً من الفئران ليُفاجأ المسكين بعد طولٍ تعبٍ، بولادة أبنائها كلّ مرّةٍ بذيولٍ من جديد! أي لم تنتقل الصّفة المكتسبة وهي الذّيل المقطوع إلى الأبناء."⁽⁴⁷⁾

فرضية بيولوجية بعيدة عن أن تكون حقيقة علمية ثابتة

بعدما يذكر أ. د. سفر الحوالي بايجاز شديد لب النظرية التي طلع بها داروين في ذلك الكتاب، يقول: "وهي في جوهرها فرضية بيولوجية أبعد شيء عن أن تكون نظرية فلسفية عامة، كما أنها بعيدة عن أن تكون حقيقة علمية ثابتة.

ولقد قال عنها اثنان من أساطين علم الأحياء في القرن الماضي، وهما: أوين⁽⁴⁸⁾ في إنجلترا، وأغاسيز⁽⁴⁹⁾ في أمريكا:

(إن الأفكار الداروينية مجرد خرافة علمية وأنها سوف تنسى بسرعة).

ولن نبحت الآن في السبب الذي لأجله خاب ما توقعه هذان العالمان، لكننا نستدل على حقيقة ما كان متوقّعا لها إبان ظهورها من قبل أصحاب الفن المعترف بهم.

(47) رحلة اليقين الحلقة 21، نظرية التطور، نظرية داروين ... بإنصاف، قناة اليوتيوب أ. د. إباد قنبي.

(48) روبرت أوين (1771-1858م) مفكر اشتراكي بريطاني وصناعي ثري، أنشأ أولى التعاونيات الاستهلاكية، وعالم أحياء إنجليزي، من أساطين علم الأحياء في القرن التاسع عشر، عارض الأفكار الداروينية واعتبرها مجرد خرافة.

(49) صاحب نظرية (التولد الذاتي) التي اشتهرت في القرن التاسع عشر في أوروبا، وهو عالم أحياء أمريكي من أساطين علم الأحياء، عارض الأفكار الداروينية واعتبرها مجرد خرافة.

والواقع أن الجديد الذي جاء به داروين ليس فكرة التطور ذاتها، ولكنه القانون الذي تسيّر عليه عملية التطور، بغض النظر عن قيمته العلمية.

فقد عرفت الفكرة سلفاً من قبل علماء اكتشفوا من استقراءهم للسجل الجيولوجي للحياة، أن الحياة لم توجد على الأرض دفعة واحدة -كما يتوهم الناس- بل وجدت تدريجيّاً في ترتيب تاريخي، ولاحظوا أن الأنواع المتأخرة في الظهور أكثر رقيّاً من الأنواع المتقدمة، ومن هؤلاء (راي، وباركنسون، ولينو).

أما السبب في إهمال النتائج التي توصلوا إليها فهو -على ما يبدو- التفسير الذي قدموه للتطور، فقد قال هؤلاء: (إن التطور خطة مرسومة فيها رحمة للعالمين). ولذلك وصفت نظريتهم بأنها (لاهوتية) وكان ذلك كافياً لإضفاء النسيان عليها حتى داخل معامل الأحياء.

ذلك أن الصراع بين العلم والدين آنذاك، كان في حالة من الهيجان لا تسمح بانتشار نظرية تشتم منها رائحة إله الكنيسة السفاح الحقود!!

وقبل أن نبحث عن الآثار التي خلفتها النظرية في مختلف الحقول والميادين، يحسن بنا أن نقف لنرى مكانها من العلم والحقائق العلمية:

وأول ما ينبغي مراعاته بهذا الشأن هو التفرقة بين جوهر النظرية نفسها وبين الإيحاءات الفلسفية والتفسيرات المنبثقة عنها والتطبيقات التعسفية لها، وهي أمور ربما لم تخطر لداروين على بال، كما أنها ليست نظريات علمية، إذ كان الوضع الطبيعي للنظرية حتى في حالة ثبوتها كحقيقة علمية أن تظل محصورة داخل المعمل متجردة عن ذلك كله.

وأول من نقد هذه النظرية علمياً هم العلماء المعاصرون لداروين، وقد مرّ قول أغاسيز، وأوين قريباً، وانتقدها كذلك العالم الفلكي الشهير هرشل (فلكي مشهور) ومعظم أساتذة الجامعات في القرن الماضي.

ولنضرب عن هؤلاء صفحاً فربما قيل أنهم هاجموا لأسباب دينية أو عاطفية، ولننظر إلى ما نال هذه النظرية على يد أكثر الداروينيين حماسة وتعصباً.

لقد اضطر أصحاب (الداروينية الحديثة) إلى إجراء سلسلة من التعديلات على النظرية تستحق أن توصف - علمياً- بأنها نظريات جديدة.

فأرغموا على الاعتراف بأن قانون (الانتقاء الطبيعي) قاصر عن تفسير عملية التطور، فأضافوا إليه واستبدلوا به -في الواقع- قانوناً جديداً أسموه (قانون التحولات المفاجئة) أو (الطفرات) وهو قانون لا سند له إلا المصادفة البحتة.

ثم أرغموا على القول بأنه ليس هنالك أصل واحد نشأت عنه الحياة كلها كما تخيل داروين، بل إن هناك أصولاً عدة تفرع عن كل منها أنواع مستقلة.

ثم أرغموه -كذلك- على الاعتراف بتفرد الإنسان (بيولوجياً) رغم التشابه الظاهري وهو المنزلق الذي سقط منه داروين ومعاصروه.

يقول جوليان هكسلي⁽⁵⁰⁾، بعد أن سرد الكثير من خصائص الإنسان الفذة: (هكذا يضع علم الأحياء الإنسان في مركز مماثل لما أنعم عليه كسيد المخلوقات كما تقول الأديان). ومن الداروينيين المتعصبين -أثر كيث- الذي اضطر إلى كتابة النظرية من جديد رغم اعترافه بأنها ما زالت حتى الآن بدون براهين كما سيأتي.

ومن أشهر التطوريين المحدثين ليكونت دي نوي، وهو في الحقيقة صاحب نظرية تطورية مستقلة، ومع ذلك فهو يقول:

(أما تطور الكائنات الحية بجملتها فإنه يناقض علم المادة الجامدة تناقضاً تاماً، وهو يتنافى مع المبدأ الثاني من مبادئ علم القوة الحرارية، وهو حجر الزاوية في علمنا المرتكز على قوانين المصادفة، فلا سبب التطور ولا حقيقته يدخلان في نطاق علمنا الحاضر، وليس من عالم يستطيع إنكار ذلك .

ذلك هو موقف أنصار النظرية فماذا قال العلماء المحايدون في هذا القرن؟

يقول كريسي موريسون⁽⁵¹⁾: (إن القائلين بنظرية التطور لم يكونوا يعلمون شيئاً عن وحدات الوراثة) (الجينات) وقد وقفوا في مكانهم حيث يبدأ التطور حقاً -أعني: عند الخلية- .

أما أنتوني ستاندين⁽⁵²⁾ في كتابه العلم بقرة مقدسة، فيناقش مشكلة الحلقة المفقودة، وهي ثغرة من ثغرات كثيرة عجز الداروينيون عن سدها بقوله:-

(إنه لأقرب من الحقيقة أن نقول: إن جزءاً كبيراً من السلسلة مفقود وليس حلقة واحدة، بل إننا لنشك في وجود السلسلة ذاتها) .

ويقول ستيوارت تشيس⁽⁵³⁾: "أيد علماء الأحياء جزئياً قصة آدم وحواء كما ترونها الأديان، وإذا كانت تواريخ سفر التكوين في التوراة خاطئة وحوى كثيراً من الحذف والتهديب والبيان الشعاعي، فإن الفكرة صحيحة في مجملها."

وليت شعري ماذا سيقول هذا الرجل لو قرأ القصة كما وردت في القرآن؟! وتقول مجلة العلوم المصورة:

(إن العلم يؤيد قصة آدم وحواء إلى حد ما، إننا نعترف بحقيقة فكرة الأسرة البشرية ذات الأصل الواحد) .

(50) الملحد الإنجليزي الشهير جوليان هكسلي، صاحب كتاب: الإنسان يقوم وحده.

(51) صاحب كتاب (العلم يدعو إلى الإيمان) رد فيه على الدارويني الملحد جوليان هكسلي.

(52) مؤلف كتاب "العلم بقرة مقدسة"، وهو ممن انتقد على داروين نظريته.

(53) من المعارضين لنظرية داروين.

ويقول أوستن كلارك⁽⁵⁴⁾: (لا توجد علامة واحدة تحمل على الاعتقاد بأن أيًا من المراتب الحيوانية الكبرى ينحدر من غيره، إن كل مرحلة لها وجودها المتميز الناتج عن عملية خلق خاصة متميزة، لقد ظهر الإنسان على الأرض فجأة وفي نفس الشكل الذي نراه عليه الآن.

هذا من الوجهة العلمية، فما الحكم على النظرية من الوجهة المنطقية المجردة؟

إن نظرية التطور تقوم على أصليين كل منهما مستقل عن الآخر:

1- إن المخلوقات الحية وجدت على الأرض في مراحل تاريخية متدرجة ولم توجد دفعة واحدة.

2- إن هذه المخلوقات متسلسلة وراثيًا نتج بعضها من بعض بطريق التعاقب خلال عملية التطور البطيئة الطويلة.

والذي عملته الداروينية: أنها دمجت بين الأصليين، وجمعت شواهد ودلائل الأصل الأول لتؤيد بها الثاني. وهذا اللبس غير العلمي هو الذي أغرى بعض العلماء بقبول النظرية وأضفى عليها المسحة (العلمية)، مع أن هذه المسحة يصح أن تضاف على الأصل الأول، ولكن إضفاءها على الثاني خطأ محض، إذ من المعلوم بديهياً أن الترتيب التاريخي للوجود لا يستلزم التسلسل الوراثي، بل إن العقل ليؤكد ما هو أبعد من ذلك، وهو أن الترتيب المنطقي لا يستلزم الترتيب التاريخي، فالترتيب المنطقي للكائنات الحية هو -تصاعديًا- النبات ثم الحيوان ثم الإنسان، وليس في هذا الترتيب ما يدل على أن الوجود التاريخي لهذه الأجناس وقع بهذا الترتيب، بل نحتاج في إثبات ذلك إلى دليل خارجي، وذلك يشبه تمامًا الترتيب المنطقي للأعداد: (1، 2، 3، 4) وبديهي أنها ليس لها ترتيب تاريخي ولا يوجد بينها علاقة وراثية.

ولن نفيض في مناقشة النظرية أكثر من هذا، لكن ألا يحق لنا الآن أن نسأل: إذا كان هذا هو حكم العلم والعقل على النظرية، وإذا كانت تتعرض للطعون والاعتراضات من كل جهة؛ فلم يتشبهت بها بعض علماء الغرب -بغض النظر عن غيرهم- ويصرون عليها إصرارًا أعى؟

والجواب على ذلك أقرب ما يكون إلينا: أنه الفصام النكد والعداوة الشرسة التي قامت بين العلم والدين في ظروف غير طبيعية، ولقد كفانا السير آرثر كيث⁽⁵⁵⁾ مئونة الجواب بقوله:-

(إن نظرية النشوء ما زالت حتى الآن بدون براهين -وستظل كذلك- والسبب الوحيد في أننا نؤمن بها، هو أن البديل الوحيد الممكن لها هو الإيمان بالخلق المباشر وهذا غير وارد على الإطلاق).

وإضافة إلى ذلك يقول واطسن: (إن علماء الحيوان يؤمنون بالنشوء لا كنتيجة للملاحظة أو الاختبار أو الاستدلال المنطقي، ولكن لأن فكرة الخلق المباشر بعيدة عن التصور).

(54) من المعارضين لنظرية داروين.

(55) من الداروينيين المتعصبين.

ويقول د.ه سكوت⁽⁵⁶⁾: (إن نظرية النشوء جاءت لتبقى، ولا يمكن أن نتخلى عنها حتى لو أصبحت عملاً من أعمال الاعتقاد).

موقف واضح صريح، أدنى ما يوصف به هو ما قاله ليكون دي نوى⁽⁵⁷⁾ حين اعترض عليه بعض المتعلمين بسبب استعماله كلمة (الله) في أحد كتبه قال: "إن عدم التسامح المنتشر في القرون الوسطى لم يمت مع أنه انتقل إلى المعسكر الثاني"، وهذا حق؛ فإن الموقف غير العلمي الذي يتخذه هؤلاء المسمون (علماء) هو بعينه موقف الكنيسة في عقيدتها القائلة بأن الله خلق آدم خلقاً مستقلاً سنة (4004 ق.م) وإذا كان هناك من فرق فهو أن الكنيسة لم تدع أنها (علمية) كما يفعل هؤلاء المتعصبون، وإن في هذه الاعترافات الصارخة لعبرة بالغة للبيغاوات في الشرق لو كانوا يعتبرون!!"⁽⁵⁸⁾

الأثار التي تركتها النظرية:

قبل ظهور النظرية كان الناس يدعون إلى "حرية الاعتقاد" بسبب الثورة الفرنسيّة، ولكنهم بعدها؛ أعلنوا إلحادهم الذي استشرى كالجرب، وانتشر بطريقة عجيبة، وانتقل من أوروبا إلى بقاع العالم، فلم يعد هناك أيُّ معنىً لمدلول كلمة: آدم، حواء، الجنّة، الشجرة التي أكل منها آدم وحواء، الخطيئة (التي صلب المسيح ليُكفّر عنها ويخلص البشرية من أغلالها حسب اعتقاد النصارى)، وطغّت على الحياة فوضى عقائدية، وأصبح هذا العصرُ عصرَ القلق والضياع، واستبدّ الشعور باليأس والقنوط والضياع، وظهرت أجيالٌ حائرة مضطربة ذات خواء رُوحِي.

فكونُ الإنسانِ نتاجَ الطبيعة وخاضعاً لها، فلا إلهَ خالق، وإن كان فجدهُ قزْد؛ وما قيمة الأخلاق إنْ لازمها التطوُّر؟ فهي نسبيّة خاضعة للزمان والمكان والنوع، وكل ذلك خاضع للطبيعة، وتاريخياً الأمر لا خلاصَ منه؛ إذ هو انتخاب طبيعي حتّي، والأديان هي من بدع البشر لتنظيم عملية البقاء والارتقاء بين الأنواع، هذا لبُّ ما أفرزته الداروينية.

(56) من المتعصبين لنظرية داروين قال: إن نظرية النشوء جاءت لتبقى، ولا يمكن أن نتخلى عنها حتى لو أصبحت عملاً من أعمال الاعتقاد.

(57) من أشهر التطوريين المحدثين، صاحب نظرية تطورية مستقلة عن نظرية داروين، له كتاب (مصير الإنسان).

(58) العلمانية نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، الفصل الرابع: نظرية التطور، موقع أ.د. سفر الحوالي.

تعريف الشيوعية:

"الشيوعية الحديثة (الماركسية)، هي حركة فكرية واقتصادية يهودية، إباحية، وضعها كارل ماركس، وهو يهودي ألماني.

ويذكر الباحثون في شخصيته: أنه رجل فاشل مُعقّد، يحمل كلَّ خصائص اليهود: من الحقد، والكراهية لجميع البشر، إضافةً إلى أنه كسول فقير معوز؛ لذلك استغلَّ اليهود أوضاعه النفسية والمادية الصعبة، وطبلوا له، حتى أشبعوه بالعظمة وسداد الرأي، وكل ذلك جعل (ماركس) يُنادي بالنظرية الشيوعية"⁽⁵⁹⁾، والتي تقوم على الإلحاد، وإلغاء الملكية الفردية، وإلغاء التوارث، وإشراك الناس كلِّهم في الإنتاج على حدِّ سواء"⁽⁶⁰⁾، "وقد تغيَّر وضع الماركسية، فلم تُعدَّ مذهبًا - فقط - يُعتقد فيه من قبل البعض، ويُدعى إليه من طرفهم، وإنما أصبحت "دولة" تسيّر بمبادئ مستقاة منها، ويهدف توجُّي نتائج رصدها أو رصدها أقطابها - بتعبير أدق"⁽⁶¹⁾.

ولقد أعلن ماركس بمعونة زميله (إنجلز) سنة 1848م الشيوعية الماركسية الحديثة على أنها ثورة شيوعية ضدَّ الرأسمالية الغربية، وضدَّ الكنيسة المتحكِّمة في رقاب العباد، ولكنها كانت ثورةً طاغية عاتيةً أيضًا.

وبقيت الشيوعية دعوةً نظرية، حتى قامت الثورة الشيوعية الشهيرة في روسيا سنة 1917م، بقيادة لينين (اليهودي)، وبتنظيم العلمانية.

وعندما حكمت الشيوعية الاتحاد السوفيتي قبل انهياره وتفككه، فرَّضت الإلحاد فرضًا على شعوبه، وأنشأت له مدارس وجمعيات.

وهي الآن تجثم على رقعة كبيرة من المعمورة، تشمل أقصى شرق وشمال آسيا، وشمال شرق أوروبا، إضافةً إلى مناطق نفوذها التي تتسع بالحديد والنار يومًا بعد يوم! خاصةً في إفريقيا وجنوب شرق آسيا وأمريكا الجنوبية وغيرها.

ولقد دخلت الشيوعية بعض دول العالم الإسلامي؛ حيث استفاد الشيوعيون من جهل بعض الحكام، وحرصهم على تدعيم كراسيمهم، ولو على حساب الدين.

فالشيوعية اكتسحت أفغانستان، وشرّدت شعبها المسلم، كما أنّها تحكم بعض الدول الإسلامية بواسطة عملائها، كما أنّها أسست أحزابًا لها في مصر، والعراق، وسوريا، ولبنان، وفلسطين، والأردن، وسوريا، والجزائر، واليمن، وغيرها.

ومواقف تلك الأحزاب العربية من قضايا العرب والمسلمين لا تخفى، فهي تعجُّ بالخيانة، ويصدق ذلك ويشهد له الحقائق الدامغة لدى الباحثين والمتابعين.⁽⁶²⁾

سرُّ قيام الشيوعية:

كما أنّ السرَّ في قيام الشيوعية وظهورها هو الخداعُ الغريبُ الماكرُ، الذي تراءى فيه للفقراء والمحرومين

(59) الشيوعية والأديان، طارق حجي، ص: 90.

(60) د. ناصر القفاري، وناصر العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص: 90 دار الصمعي للنشر والتوزيع.

(61) طارق حجي، الشيوعية والأديان، ص: 29.

(62) رسائل في الأديان والفرق والمذاهب لمحمد الحمد، ص: 386 بتصرف. شبكة طريق الإسلام.

والطبقات المظلومة في مظهر المنقذ المختار لنشر الغنى والسعادة بين الناس، وما تؤمن به الشيوعية من صراع الطبقات، وكذلك عملها في بيئة مهيبّة لما تبثّه من أفكار كانت المرتع الخصب لها، وأيضاً الظروف الدوليّة التي تُحيط بالعالم عقب الحزب الكبرى، وطغيان زعماء الشيوعيّة طُغياناً لم يُعرف له نظير، ممّا ظهر في المجازر البشريّة القاسية، وعدد الضحايا الهائل في روسيا، وسجون الاعتقال، والتشريد والنّفي إلى مجاهل سيبيريا، والبطش بخصوصها في الرأي، والتنكيل بمعارضها في الفكر، والقضاء على الطبقات المعارضة لها في بلادها... إلخ، كلّها وسائل وأساليب لا يُؤمن بها دين، ولا يقبلها ضمير، ولا يوافق عليها عقل، وما أضلّ عقول الجماهير الجاهلة، التي تفهم أنّ الشيوعية تدعو لنفسها بنفسها؛ لأنّها حلم الساعة! متّخذة من بعض الشّعارات العارية عن الصّحّة سبيلاً لخداع مشاعر الشعوب، كالإخاء والحرية والمساواة، فعن أيّ حريّة وإخاء ومساواة يتكلّمون، وقد شهد العالمُ مجازرَ تلوّ المجازر بنفس السيناريو، تُطبّق على المسلمين في واقعنا المعاصر؟! تجرّي دماء الأبرياء على الثرى ههنا، وعالمنا المُخدّر يشهد.

الشيوعية كفكرة ومبدأ، موعلة في القدم:

فقد ظهرت في التاريخ أكثر من مرة، ففي عام 487م ظهر في بلاد فارس رجلٌ اسمه (مزدك)، ودعا إلى الشيوعية واشترك الناس في الأموال والنساء، وتُسمّى حركته بالزندكية، "وكانوا يقولون: إنّ الناس يتحاربون من أجل المال والنساء، فلنعمل على إشاعة النساء وإشاعة المال حتى يكون المال مشتركاً والنساء مشتركات فتنتهي الحروب وينتهي الإشكال.

هذا ظنهم الخبيث، فقاموا بهذا وغلّبوا على بعض ملوك الفرس واستضعفهم، ودعوا إلى شيوعية النساء وشيوعية المال، وقالوا: هذا المال يكون مشتركاً بين الناس لا يختص به أحد دون أحد، وهكذا النساء حتى تعدّوا على المصونات من النساء وعلى نساء الحكام والأمراء واستعملوا معهم ما لا ينبغي من الفاحشة"⁽⁶³⁾، وقد تمتّ الثورة على مزدك حتى قُتل حين عظمت فتنته.

اعتزاز اليهود بتأسيس الشيوعية:

"ولا يزال اليهود في مؤتمراتهم ونشراهم ومحافلهم وبروتوكولاتهم يعترّون مغتبطين بتأسيس الشيوعية، وقيامها وانتشارها؛ لأنّها مرحلة من مراحل وصولهم إلى مآربهم على أكتاف الأمم والشعوب، وهم الآن سيعودون جادين لإسقاطها، حيث انتهت مآربهم منها"⁽⁶⁴⁾.

وقامت الشيوعية الماركسيّة من أول أمرها لمناهضة الأديان والأخلاق، والثقافات والمعاملات، وإقامة دولة شيوعيّة عالميّة تحت زعامة أقطاب الشيوعيّة، ومن ورائهم الأطماع اليهوديّة في إقامة الدولة اليهودية الكبرى التي يرتقبها اليهود بفارغ الصبر، ممثّلة في إعادة بناء هيكل سليمان، وتتويج ملكهم الذي يحملون بأنّه سيحكم جميع البشر من اليهود، ومن سائر الجوّيم"⁽⁶⁵⁾.

(63) الشيوعية أصولها ومبادئها. الشيخ ابن باز

(64) الموجز في الأديان للناصرين؛ القفاري والعقل، ص: 92 بتصرف. شبكة طريق الإسلام

(65) معنى الجويميم: (Gentiles الأغيار) هي المقابل العربي للكلمة العبرية «جويميم»، وهذه هي صيغة الجمع للكلمة العبرية «جوي» التي تعني «شعب» أو «قوم» وقد انتقلت إلى العربية بمعنى «غوغاء» و«دهماء». وقد كانت الكلمة تنطبق في بادئ الأمر على اليهود وغير اليهود ولكنها بعد ذلك استُخدمت للإشارة إلى الأمم غير اليهودية دون سواها، ومن هنا كان المصطلح العربي «الأغيار». وقد اكتسبت الكلمة إحياءات بالذم والقدح، وأصبح معناها «الغريب» أو «الأخر». والأغيار درجات أدناها العكوم، أي عبدة الأوثان والأصنام بالعبرية: عوبدي كوخافيم أو مزالوت أي «عبدة الكواكب والأفلاك السائرة»، وأعلىها أولئك الذين تركوا عبادة الأوثان، أي المسيحيون والمسلمون. وهناك أيضاً

وما الشيوعية إلا حلقة من جملة الحلقات التي يحيكها اليهود؛ للوصول إلى ما خطّطه حكماؤهم من تدمير العالم دينياً وثقافياً واقتصادياً...، ولقد أسهمت الشيوعية في كل تلك المؤامرات، وكان لها حظُّ الأسد في تحطيم الجُوييم في تصفيات جسديّة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، وفي إشاعة الفواجش، وسائر المفاسد والشرور، حيث فاقوا فيها الشيطان، وأراحوه من مهمّة تحقيق كل تلك الرزايا، التي حلّت بسائر الأمم في دينهم وفي دُنياهم على أيدي الملاجدة.

المبحث الثالث: الإلحاد فكرة شيطانية يهودية

وهكذا يتضح لنا أن الإلحاد فكرة شيطانية باطلة لا يقبلها عقل ولا منطق، غداها اليهود؛ لتحطيم حضارات وأديان العالم؛ لإقامة حكمهم في الأرض كلّها كما دونوه في كتبهم.

وقد يسأل سائل فيقول: "وما مصلحة اليهود من وراء ظهور الإلحاد؟"، والجواب بالإضافة إلى ما سبق ذكره، هو أنّ اليهود يَبغضون ديانات العالم، وكذلك العالم يبغض ديانة اليهود، فإذا تمكن اليهود من إبعاد الناس عن حضاراتهم ودياناتهم واستبدالهما بالإلحاد، فإنه سيَسهُلُ التّقاربُ معهم، ومن ثمّ التمكن من قيادتهم، وما يترتب على ذلك من تحقيق مخططاتهم اليهودية التي تنتظر التنفيذ.

ولم يكن أحد من البشر منذ أن أوجدهم الله تعالى مستيقناً حقيقة إنكار وجود الله تعالى، ولم يظهر في شكل مذهب أو دول، وإنما كان ظهوره في شكل نزعات لبعض الأشرار الشواذ إلى أن ظهرت الفلسفة الإلحادية الحديثة المنحرفة على أيدي "ماركس" ورفاقه من اليهود الماسون الذين كانوا وراء إشعال هذه الفتنة؛ لمآرب سياسية، قال الله تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} [النمل:14].

وقد علا شأن الإلحاد في عهد "ماركس" وعهد من جاء بعده علواً كبيراً إلى عهد آخر رئيس للاتحاد السوفيتي، وهو "ميخائيل جورباتشوف" فأراد الله عز وجل أن يظهر كذب الملاحدة فإذا بالشيوعية - التي تمثل قمة الإلحاد تموت في عقر دارها - وإذا بالشعوب المقهورة تعود إلى الاحتفاء بالدين، وتعلن ما كانت تخفيه فرجعوا إلى المساجد والكنائس وسائر المعابد، معلنين رفضهم الفكر المادي الإلحادي، مما يدل على أن فكرة الإلحاد فكرة طارئة سخيصة لا مكان لها إلا في قلوب فئة من شواذ الناس ماتت نفوسهم وانحرفت فطرتهم وكابروا عقولهم.⁽⁶⁶⁾

مستوى وسيط من الأغيار «جبريم» أي «المجاورين» أو «الساكنين في الجوار» (مثل السامريين). مقال نشر في موقع رؤيا للبحوث والدراسات بعنوان: كيف يرانا اليهود؟ د. محمد هشام راغب.

(66) المصدر: المذاهب الفكرية المعاصرة لغالب عواجي 2/ 1003

المبحث الرابع: موتُ الإلحاد.. قد شَارَفَ على الاقتراب

إنَّ الشَّيْوعِيَّةَ، بِرَغْمِ كَلِّ تِلْكَ الْجُهُودِ الْمُضْنِيَّةِ؛ لِنَشْرِهَا فِي شَتَى أَنْحَاءِ الْعَالَمِ عَنْ طَرِيقِ أَحْزَابِهَا، لَكِنَّهَا سَقَطَتْ فِي النِّهَايَةِ، وَنَحْنُ نُؤَمِّلُ أَنَّ مَا أَحْدَثَهُ الْغَرْبُ فِي عَالَمِنَا الْإِسْلَامِيِّ مِنْ دَمَارٍ، - وَمَا يُحْدِثُهُ الْآنَ فِي غَزَّةِ وَفِي أَهْلِهَا الْأَبْرِيَاءِ الْعُزْلَ مَعَ تَوَاطُؤِ قُوَى الشَّرِّ مَعَهُ-، إِيْدَانُ بِاقْتِرَابِ نِهَائِيَّتِهِ.

نِسَاءٌ وَأَطْفَالٌ، شَيْوُخٌ وَرِجَالٌ يَتَعَرَّضُونَ لِمَجَازِرَ بَشِيعَةٍ تُذْهِلُ الْعُقُولَ، وَتَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ مِنْ هَوْلِ الْخَطُوبِ، وَالْكُلُّ صَامِتٌ، حَرْبٌ ضَرُوسٌ تَدُورُ رَحَاهَا بِقَلْبٍ بَارِدٍ، عَلَى مَرْتَبِ وَمَسْمَعٍ مِنَ الْعَالَمِ أَجْمَعِ، وَلَيْسَ هَذَا فَحَسَبَ فَهِيَ فِي الْوَقْتِ الرَّاهِنِ- مَعَ كُلِّ تِلْكَ الْجَرَائِمِ الَّتِي هِيَ شَرِيكٌ فِيهَا مَعَ الصَّهْيُونِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ بِكِيَانِهَا الْمُحْتَلِّ، وَيَدِهِ الْمَلَطْخَةِ بِدِمَاءِ الْمَظْلُومِينَ شَاهِدٌ عَلَيْهِ - يُوَاجِهُ ضُغُوطًا مُتَلَاخِقَةً، وَجَوَالَاتٍ مُتَعَاقِبَةً مِنَ الصَّرَاعِ ضِدَّ الرُّوسِ وَالصِّينِ، كُلِّ ذَلِكَ يُنْتَجَى بِقُرْبِ سَقُوطِهِ، وَمِنْ ثَمَّ سُقُوطُ الْإِلْحَادِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

المبحث الخامس: بلدان أوروبا ليست نصرانية!

لو سألنا أحدًا في بلداننا الإسلامية عن ديانة الدول الأوروبية ربما الأكثرية سيقول إنها نصرانية، والحقيقة غير ذلك، بل الأغلبية ملاحدة، وليس ذلك فقط في البلدان الاسكندنافية كالسويد وإنما أيضًا في ألمانيا التي كانت فيها الكنيستان الكاثوليكية والانجيلية قويتان.

ولقد قُمتُ بالاطِّلاع على الإحصائيات الرسمية، وقارنتها مع أكثر من جهة إحصائية أخرى، وكذلك قارنتها مع أخبار كبار الصحف الألمانية؛ فوجدت أن الإحصائيات متفقة على هذا الجدول بناءً على بيانات الدوائر الرسمية التي تسجل شهادات الخروج من الكنائس وهي كالآتي:

عدد النصارى الذين غادروا الكنيستين في ألمانيا من عام 1990 إلى عام 2022:

عام	الكنيسة الكاثوليكية	الكنيسة الأنجيلية	المجموع
1990	143 530	144 143	287 673
1991	167 933	237 874	405 807
1992	192 766	361 256	554 022
1994	155 797	290 302	446 099
1995	168 244	296 782	465 026
1996	133 275	225 602	358 877
1997	123 813	196 602	320 415
1998	119 265	182 730	301 995
1999	129 013	192 880	321 893
2000	129 496	188 557	318 053
2001	113 724	171 789	285 513
2002	119 405	174 227	293 632
2003	129 598	177 162	306 760
2004	101 252	141 567	242 819
2005	89 565	119 561	209 126
2006	84 389	121 598	205 987
2007	93 667	131 000	224 667
2008	121 155	168 901	290 056
2009	123 681	148 450	272 131
2010	181 193	145 250	326 443
2011	126 488	141 497	267 985

256 530	138 195	118 335	2012
355 356	176 551	178 805	2013
487 719	270 003	217 716	2014
393 189	211 264	181 925	2015
352 377	190 284	162 093	2016
364 711	197 207	167 504	2017
436 078	221 338	216 078	2018
539 509	266 738	272 771	2019
440 660	219 270	221 390	2020
643 313	283 975	359 338	2021
902 821	380 000	522 821	2022

وأخراً توصلتُ إليه، هو وجود تسهيلات للخروج من الكنيسة؛ حيث أصبح بإمكان أي نصراني مغادرتها، من خلال ملاءمة استثمار أون لاين، ولن يكلفه الأمر سوى دفع 29.95 يورو فقط.

الباب الثاني: الإلحاد في العالم العربي والإسلامي.

ويشتمل على الفصول التالية:

الفصل الأول: مظاهر الإلحاد في العالم الإسلامي ومعالمه:

ويشتمل على المباحث التالية:

- المبحث الأول: الملحدون العرب.
- المبحث الثاني: الفرق بين الإلحاد الغربي والإلحاد العربي
- المبحث الثالث: عناية الإسلام بالعلم مقارنةً بالكنيسة.
- المبحث الرابع: حال الإلحاد في البلدان الإسلامية.
- المبحث الخامس: الحركات الإلحادية بين المسلمين في القرن الماضي.

الفصل الثاني: أسباب ظهور الإلحاد في العالم الإسلامي وسبل مواجهته:

ويشتمل على المباحث التالية:

- المبحث الأول: أسباب ظهور الإلحاد في ديار المسلمين.
- المبحث الثاني: سبل مواجهة الإلحاد، وكيفية التصدي لها.
- المبحث الثالث: أقلام خبيثة خطت للإلحاد.
- المبحث الرابع: أهم وسائل الإلحاد الحديث، ومن يقف وراءها.
- المبحث الخامس: الإلحاد ذاك الباطل الهش.

الفصل الأول: مظاهر الإلحاد في العالم الإسلامي ومعامله:

المبحث الأول: الملحدون العرب

في ضوء استقرار الواقع، وتتبع الأقوال نلاحظ أنّ الملحدين العرب والأتراك والأكراد ما هم إلا مقلدون لملاحدة الغرب، فلم يضيفوا شيئاً غيرَ ترجمتهم للكتب الغربية، ولكل فكرة هابطة، فليس لهم فكر خاص، وإنما هم مجرد أتباعٍ وَعبيدٍ للفكرة، والبعضُ منهم أبواقٌ مُستأجرة.

وَمِنَ العجيبِ أن ترى أعداداً كبيرةً من ملاحدة الغرب تحترمُ التعايشَ مع المسلمين، وتحترمُ تدينهم، بينما الملحد العربي تراه حقوداً، مُتسلطاً، لا يتركُ لأحدٍ مساحةً يَطرحُ فيها رأيه، ظلوماً يَسْتَمِدُّ قُوَّتَهُ مِنْ حاكمِ بلده الدكتاتور العميل للغرب، بل حَدِّثْ عنهم وَلَا حَرَجَ فِي تحريضهمُ الأجهزة الأمنية للتنكيل والبطش بالمؤمنين تحت ذريعة ما أسموه الإرهاب، {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [البروج: 8].

المبحث الثاني: الفرق بين الإلحاد الغربي والإلحاد العربي

يفرق بعض الباحثين بين الإلحاد في نمطه الغربي، وبين نمطه العربي حيث أن الملاحدة في النمط الغربي هم من المنكرين لوجود الخالق سبحانه وتعالى، بينما الملاحدة في السياق العربي والإسلامي بشكل عام ليسوا منكرين لوجود الخالق سبحانه وتعالى، لكن أكثرهم لديه تخبطات عقدية كبرى، مثل إنكار النبوة أو القول بالاتحاد، ومن هنا فإن فكرة إنكار وجود الخالق سبحانه وتعالى في نمط الإلحاد العربي المعاصر هي فكرة طارئة عليه، وليست قديمة كما هي في نمط الإلحاد الغربي.

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا: هل أسباب نشأة الإلحاد وانتشاره في الغرب موجودة في العالم الإسلامي والعربي؟

الإجابة بالنفي؛ ذلك أن الدين الإسلامي (قرآن وسنة صحيحة) لم يتطرق إليهما تحريف، ففريدة الإسلام واضحة قائمة على التوحيد، وأيضا ليس هناك رجال دين في الإسلام يحللون ويحرمون ويزيدون في العقيدة أو ينقصون منها من تلقاء أنفسهم، وليس في الإسلام تناقض بين الدين والفطرة، وليس هناك تعارض بين الإسلام وبين العقل السليم، وليس هناك تصادم بين صحيح الدين وحقائق العلم، وبالتالي فإنَّ الإلحاد الغربي نشأ في بيئة غير البيئة العربية والإسلامية، فمن يستعيه بأسبابه كمن قلع شجرة نبتت وترعرعت في بيئة غير بيتها. هذا ولم يكن إنكار وجود الله هو الغالب على البشر قديماً إلا في فئة قليلة في كل عصر لوجود الفطرة النقية والعقل السليم وبعث الله الرسل في كل أمة.

لكن هناك من فسدت فطرتة، وضل عقله، ولم يتبع الرسل؛ فأنكر وجود خالقه، وهذه الطائفة التي أنكرت وجوده تعالى ما هي إلا شردمة قليلة وجدت في كل عصر، آثرت الضلال على الهدى، والظلام على النور، وسميت بأسماء متعددة فقد سموا بالماديين، كما سموا كذلك بالحسيين، وسموا كذلك بالطبيعيين، وسموا كذلك بالملحدين، وقبل هذا كله أطلق القرآن عليهم اسم الدهريين؛ لقولهم بأن الدهر هو المحي والمميت قال تعالى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} [الجاثية: 24].

ويقول الغزالي في هذا الشأن: "إن الملحدين الذين أنكروا وجود الله وأنكروا البعث شرذمة يسيرة من ذوي العقول المنكوسة والآراء المعكوسة الذين لا يؤبه لهم، ولا يعبأ بهم فيما بين النظار".⁶⁷

"لقد كان الناس في العصور الماضية يعتقدون اعتقادًا جازمًا بوجود خالق مدبر للكون، وكانوا يَعُدُّون هذا من البداءة العقلية، وكان الإلحاد بمعناه الحديث الذي هو إنكار وجود هذا الخالق أمرًا شاذًا لا يقول به الأفراد من الناس، وظل هكذا حتى القرن الثامن عشر الميلادي، ثم بدأ الإلحاد يحل محل الأديان عند كثير من قادة الفكر الأوربي وصار الدين الرسمي للشيوعية".⁶⁸

وإذا نظرنا إلى الإلحاد على أنه ظاهرة معاصرة، فقد بدأت بعد واقعة سبتمبر 2001م؛ حيث بدأ الاتجاه الغربي في محاربة فكرة التدين عامة وخاصة الإسلام:

- ففي عام 2004م صدر كتاب الملحد سام هاريس Sam Harris "نهاية الإيمان"، وكان من أكثر الكتب مبيعاً في أمريكا، وقد صب فيه الهجوم على الإسلام.

- وفي عام 2006م عرض ريتشارد دوكينز Richard Dawkins كتاب "وهم الإله"، الذي ظل شهوراً طويلاً على قائمة الكتب الأكثر مبيعاً في العالم، وطبع منه ملايين النسخ وتُرجمَ إلى العديد من اللغات.

أدى ذلك إلى موجة إلحاد ضربت المجتمعات الغربية في الوقت الحاضر؛ وامتدت لقرع أبواب العالم الإسلامي وأخذت طابع العلانية والدعوة إليها لا سيما وقد ركزت معظم هذه الكتب على تشويه صورة الدين عامة والإسلام خاصة، وأنه العدو الأول لهم وظهر فيها عداوتهم الشديدة للإسلام.

وذكر: "بأن فكرة الحرب على الإرهاب لا معنى لها وأنه حان الوقت للاعتراف بأننا لسنا في حرب مع الإرهاب وإنما في حرب مع الإسلام".

والإسلام بعقيدته ومبادئه وتعاليمه لم يكن ليسلم من شبهات الحاقدين، وطعن الملحدين، وكيد أعداء الدين في كل زمان ومكان لهذا كان من الطبيعي أن يكون استهداف للعالم الإسلامي بغية الحد من انتشاره في العالم كله، فخططوا للحد من المد الإسلامي بداية من أرضه وعالمه العربي، وبالرغم من أن العالم العربي ما يزال يتمسك بالإسلام ويقر بالتوحيد إلا أنه لم يسلم من موجة الإلحاد والتي تستهدف تشكيك المسلم في دينه وعقيدته.⁽⁶⁹⁾

المبحث الثالث: عناية الإسلام بالعلم مقارنةً بالكنيسة

يقول إدورد لايزر: "تمتعت القدرة على القراءة والكتابة على نطاق واسع في بدايات الإمبراطورية الإسلامية في العصور الوسطى وفي القرن الرابع قبل الميلاد أكثر من أي ثقافات أخرى في عصرهم".⁽⁷⁰⁾

وعزز المسلمون على محو الأمية والإهتمام بالعلم فيقول كلوديا هيبورن: "تمتع العالم الإسلامي خلال عصره الذهبي في القرن الثامن إلى القرن العاشر بمستوى معرفة القراءة والكتابة على الأقل حتى بشكل متساو لم يكن قد سبق من قبل".⁽⁷¹⁾

⁶⁷ تهافت الفلاسفة، أبو حامد الغزالي ص 75.

⁶⁸ أول كتاب يصرح بالإلحاد ظهر في أوروبا عام 1770م، وفي بريطانيا في عام 1782م. (ATHEISM IN BRITAIN, P.3)

(69) ظاهرة الإلحاد المعاصر في العالم العربي، بحث منشور في موقع حصن، للدكتور عماد الدين عبده العجيلي.

(70) التعليم في القرن الحادي والعشرون، ادوارد لايزر، ص 117

(71) كتاب: Can the Market Save our Schools, Claudia R. Hepborn، ص 64

وهذا على عكس الكنيسة التي أغلقت المدارس، وهرطقت العلوم، ونشرت الجهل والأمية، يقول "جوزيف مكيب": "إن الإمبراطور الروماني شارلمان أجبر الأساقفة والرهبان على فتح مدارس، ولكن فور موته أغلق الأساقف والرهبان المدارس مرة أخرى، وانتشرت الأمية نتيجة لذلك، وبحلول عام 1100م كان نسبة 99% من المسيحيين أميين".⁽⁷²⁾

ويقول اللورد توماس ماوكلي، وبشكل مختصر لهذا: "كان هدف الكنيسة الرئيسي وقف نمو العقل، ونشر السبات الفكري، فهل كان الإسلام كذلك؟".⁽⁷³⁾

المبحث الرابع: حال الإلحاد في البلدان الإسلامية

إنَّ حالة التقليد الأعمى التي عمَّت ديار المسلمين، بعدما أُشْرِبَتْ القلوبُ حبَّ الغربِ، مع غياب الوعي، وعدم الاستمساك بدين الله القويم، فضلاً عن التبعية التي فرضتها الأنظمة الحاكمة العميلة، كل ذلك أدى إلى ميل بعض المسلمين نحو الإلحاد.

وهناك عوامل عديدة لا يمكن إغفالها، قد ساهمت في ذلك بشكل كبير، منها:

1- ضحالة المعرفة وقُصور الإمام بأصول الشريعة ولوازمها؛ التي من شأنها أن تحصنهم ضد الشبهات، وتُظهر عوار النظريات العلمية الإلحادية والأفكارُ الفلسفية الغربية.

2- اندفاع بعض الشباب المسلم غير الواعي للانضمام إلى "النُخبِ" الفاسدة منهجياً وعقدياً، الداعية إلى الإلحاد المُبطن عن طريق دس السموم في أذهانهم باسم الحداثة والتنوير، وبزعمهم الإصلاح وهم في حقيقة الأمر يدفعون الشباب إلى الانجراف نحو أهوائهم الخبيثة، بل إن هناك من النخب ذات الإلحاد الصريح، قد تبنت حملاتٍ شرسةً عبر منصاتٍ إعلامية واسعة، بهدف نشر الأكاذيب والادعاءات الباطلة، كأكذوبة أن الدين هو السبب في تأخر المسلمين؛ والحقيقة أن المسلمين لا يملكون سلطةً حكمٍ إسلاميٍّ حاليًا، بل هم ضحايا الظلم السياسي والاجتماعي الذي لا تزال أمثنا تَرزُحُ⁽⁷⁴⁾ تحته وتعيش في ظلاله.

3- التعرُّضُ المكثف لشبهات المستشرقين والمستأجرين دون أن يكون المتلقي قد حصل على مناعة فكرية.

4- عجز التيار الإسلامي عن الاحتضان الروحي والعملية للشباب، والاكتفاء بدروسٍ علمية جافّة مع قصور الجانب العملي، أو العكس كإهمال الجانب العقلي.

5- جمود مناهج التحصين العقديّ المُتبعه، واجترارها لنفس المواضيع التقليدية المتكررة دون القدرة على التجديد في الوسائل أو تحديثها؛ لتواكب المستجدات العقدية ضد التطور السريع للملف الإلحادي.

6- "عدم التقيّد بالضوابط الشرعية التي ذكرها أهل العلم لمن يريد السفر لبلاد الكُفَّار، فينهر بالحضارة الغربية الزائفة، ويختلط بالكفرة والملحدين من اليهود والنصارى وغيرهم، مع ضعف العلم الشرعي للردّ على شُبهاتهم وضلالهم، فيبقى مُتشكِّكًا في دينه وعقيدته، وفي النهاية قد ينتهي به الأمر إلى الإلحاد والزندقة، كما حصل لبعضهم عند عودته إلى بلاده، وتنكُّره لدينه، وعقيدته، ووطنه؛ بل إن بعضهم آثر البقاء في بلاد الكُفَّار،

(72) السجل الاجتماعي للمسيحية، جوزيف مك كيب، ص 31

(73) تاريخ إنجلترا، اللورد توماس ماوكلي، ص 54

(74) ترزح: أي: تئن ويشد بها الألم.

وعدم العودة إلى ديار المسلمين، قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: "السفر إلى البلاد التي فيها الكفر، والضلال، والحرية، وانتشار الفساد من الزنا، وشرب الخمر وأنواع الكفر، والضلال، فيه خطرٌ كبيرٌ وعظيمٌ على الرجل، والمرأة، وكم من صالح سافر ورجع فاسدًا! وكم من مسلم رجع كافرًا!"⁽⁷⁵⁾.

المبحث الخامس: الحركات الإلحادية بين المسلمين في القرن الماضي

لقد بدأت الحركات الإلحادية في الانتشار بين المسلمين في بداية القرن الماضي، مع بداية سقوط الخلافة الإسلامية، خصوصًا في المناطق التي كانت بعيدة عن مناهل العقيدة الصحيحة، كما أنَّ كثيرًا من الحكام التابعين للاستعمار دعموا الطرق الصوفية والجماعات المنحرفة من ذُوي الخرافات والخزعبلات، فأنسلَّ الدين شيئًا فشيئًا، حيث لم يعد له حضور قوي في النفوس، بالشكل الذي يحافظ على الفرد من الوقوع في برائن الكفر؛ وساد الانحراف عن الدين الصحيح، كما أنَّ القلوب لم تعد متعلقة بالله وحده؛ فكانت النتيجة الحتمية لذلك هو ضعف وانهيار الإيمان، حيث أصبح الكثير عرضة لتيار الإلحاد الجارف، والأفكار الهدامة.

(75) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (2/ 195) للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

الفصل الثاني: أسباب ظهور الإلحاد في العالم الإسلامي وسبل مواجهته

المبحث الأول: أسباب ظهور الإلحاد في ديار المسلمين.

فإنه يعود إلى أسباب كثيرة على رأسها، حالة الانهيار بظهور هذه الماديات التي ظهرت على أيدي غير المؤمنين بالله تعالى وما أصاب قلوب ضعفاء الإيمان من الاندهاش برونق تلك الحضارة الزائفة الزائلة التي أخبر الله عنها بقوله: {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} [الروم:7].

هذه الحالة من الانهيار قد جاءت بالتزامن مع ما أصاب الأمة من ضعفٍ ووهنٍ، حيث انساق ضعاف الإيمان والمهزومون المغرمون بتلك الحضارة إلى التصديق بأنه لا وجود لإلهٍ مدبر للعالم، خصوصاً وأن المغلوب دائماً يقلد الغالب ويحاول أن يتلبَّسَ بصفاته؛ ليجبر النقص الذي يحس به أمامه، وكان الأحرى بهؤلاء أن يعتزوا بدينهم، مع مضاعفة الجهد والعمل؛ ليستغنوا عن منة الملاحظة عليهم، ولكنهم حينما رأوا ما هم عليه من الضعف أمام ما تنتجه المصانع الكافرة؛ أقوا باللوم على الإسلام، وهذا فعل العاجز المنقطع أو الغريق الذي يَسْتَمْسِكُ بكل حبل إلا حبل الله المتين، فجهلوا أو تجاهلوا أن الإسلام يأمر بالقوة والعمل بما لا يدانيه أي فكر أو مذهب، والآيات في كتاب الله تعالى، والأحاديث في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم على هذا أشهر من أن تُذكر⁽⁷⁶⁾، كما أن التاريخ أثبت أن المسلمون كانوا مصدر العلم والنور الذي أضاء العالم، عندما كانت لهم الغلبة والحكم، فكم من العلوم المعقدة التي طوَّرها المسلمون؟! وما زال خيرهم حتى الآن تنتفع به البشرية، حيث يقوم الغرب بالتطوير المستمر لما وصلوا إليه في الأزمنة المنصرمة.

أولاً: الأسباب العامة (أو المحورية) للإلحاد في البلدان الإسلامية:⁽⁷⁷⁾

1- الهزيمة الحضارية للعالم الإسلامي أمام الاستعمار الغربي:

فالهزيمة الحضارية التي سيطرت على كثيرٍ من الشباب أدَّت إلى انسلاخ بعض المسلمين عن عقيدتهم ودينهم، ولذلك يقال إن الاستعمار فاتح أبواب الإلحاد، أو هو أبو الإلحاد.⁽⁷⁸⁾

فظهرت هذه الهزيمة أبان الاستعمار الأوروبي للبلاد الإسلامية بعد سقوط الخلافة العثمانية، وما رافقه من ظهور الإلحاد في الغرب، وحمولات التنصير، وحصْر الدين الإسلامي بالعبادة، ومن ثمَّ فَرَضَ الاستعمار على الدول الإسلامية بالقوة نُظُمَ الحكم والقوانين الوضعية بإقرار القانون الفرنسي، أو البريطاني في العقوبات، والتدخل في رسم سياستها الخارجية ونظامها الاقتصادي، وإبعادها عن منهجها الأصيل المستمد من القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.⁽⁷⁹⁾

2- ظهور الأحزاب الشيوعية واليسارية في العالم العربي بعد سقوط الخلافة العثمانية وانهارها عقب الحرب العالمية الأولى:

(76) بتصرف: المذاهب الفكرية المعاصرة لغالب عواجي 2/ 1011

(77) الإلحاد الجديد في المجتمعات الغربية والعربية مفهومه ونشأته وأسباب ظهوره وسبل مواجهته، بحث نشره موقع مركز الأمة للدراسات والتطوير للدكتور فلاح عبد محمد الدليبي.

(78) الإلحاد الأسباب والعلاج: أ. د. خالد بن عبد الله المصلح، ص: 8؛ ومليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد، عبد الله بن صالح العجيري، ص: 23.

(79) الاستعمار والإسلام، أنور الجندي، ص: 5-6، 27.

كان إلغاء الخلافة في سنة: (1924م)، قد كسر الباب وسرّع بولادة أحزاب شيوعية، مآل معظمها إلى العمل السري؛ لتستنسخ لنا الفكر الشيوعي بلباس عربي فلسفي، فظهرت بأيدولوجية غريبة عن المجتمع الإسلامي العربي، ومن هذه الأحزاب: الحزب الشيوعي الفلسطيني (1919م)، المهيمن عليه من قبل اليهود، والحزب الشيوعي المصري، والحزب الشيوعي السوري، والحزب الشيوعي العراقي، وكان للحزب الشيوعي العراقي في سنة (1947م)، موقف خالف فيه كل توجهات المسلمين، وذلك بحشده لمظاهرة أعلن فيها تأييده لقرار تقسيم فلسطين.⁽⁸⁰⁾

3- ظهور الأحزاب العلمانية التي تدعو للفصل بين الدين والحكم: وتزامن مع هذه الأحزاب الشيوعية ولادة أحزاب علمانية لا سيما في ستينات القرن العشرين، لتتقل لنا تجربة فصل الدين عن السياسة في الغرب، كي تصل إلى الحكم والسياسة بعيداً عن تشريعات الدين الإسلامي.⁽⁸¹⁾

4- بعض الملاحدة تستروا بالواجهات الوطنية والقومية وإظهار الغيرة على الوطن، وما أن يصل إلى مناصب عالية في السلطة حتى تراه يبث سمومه بالطعن في الدين.⁽⁸²⁾

5- بعض القوانين في الدول الإسلامية تصوغ موادها القانونية بعبارات فضفاضة، بحيث لا يجد الملحد أي قيد فيها ليعلن إحداه بحرية والدعوة إليه دون خوف أو رادع، كذلك لا نجد عقوبات لتارك الدين والمترد عنه، أو لمن يتعدى على الذات الإلهية، أو الأنبياء، أو القرآن.⁽⁸³⁾

6- تخلي الدول الإسلامية والعربية عن روعة الأنظمة الإسلامية السياسية والاجتماعية، لا سيما النظام الاقتصادي الإسلامي المبني على الجوانب الأخلاقية والواقعية، واكتفائهم بالتنظيم السطحي الظاهري إسلامياً والذي هو في حقيقته مخالف لتعاليم الدين القويم، حيث فقد المسلمون التمسك الحقيقي به.⁽⁸⁴⁾

والهزيمة الاقتصادية في البلاد الإسلامية متنوعة، الأمر الذي كان سبباً في بروز فوارق بين أبناء المجتمع الإسلامي، وظهور الظلم الاقتصادي الذي وقع على الفقراء والمساكين، مما كان له أبلغ الأثر في انتشار الإلحاد، قال الله تعالى: {مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر: 7].

7- ظهور حركات المستشرقين، والتي تعتبر المصنع الرئيسي للشبهات والطعون والتشكيك بثوابت الدين، وكانوا يستعملون لهذا الهدف أدوات كثيرة، فزادوا من الدس في الدين، وزيادة الطائفية بين المسلمين، وركزوا على المدارس والجامعات في شتى البلاد الإسلامية.⁽⁸⁵⁾

ثانياً: الأسباب الشخصية (المتعلقة بشخص الملحد):

(80) الأحزاب الشيوعية واليسارية في العالم العربي: د. أحمد ماجد، مجلة البيان، ص 99، 115؛ والإلحاد الأسباب والعلاج: أ.د. خالد بن عبد الله المصلح، ص 7.

(81) الغزو المعرفي والفكري للبلاد الإسلامية: د. سامي عطا الجيتاوي، مجلة البيان 2014م، ص 117.

(82) الإلحاد أسبابه طبياعه مفسدة: للإمام محمد الخضر حسين، ص 23.

(83) المصدر نفسه، ص 22.

(84) المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية: عبد الله بن حمد الشبانة، ص 108، 111.

(85) الاستعمار والإسلام: أنور الجندي، ص 20-21.

1- ثنائية القابلية للاستهواء والتأزم:

فالاستهواء عُرف، بأنه: (استعداد الشخص لتقبل فكرة، مع عدم وجود الأسباب الكافية لتقبلها)⁽⁸⁶⁾، فالقابلية للاستهواء هو أن الشخص يتقبل المعلومة، أو الفكرة ويثق بها مع عدم وجود أدلة منطقية لتقبلها، بمعنى وجود قابلية في الشخص للشكوك والإلحاد، ثم يقع في أزمة، فيتأثر بهذه المعلومات والأفكار التي سمعها مسبقًا، وهذا الأسلوب هو ما يركز عليه الملحدون الجدد في طرح أفكارهم، فهم يروجون الأفكار بطريقة تدعو إلى الاستهواء.

2- الجفاف الروحي:

عدم الشعور بالراحة مع العبادة، أو بلذة العبادة، فمع الغفلة، والبعد عن الله سبحانه، وعن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم؛ تجف الروح، ويقسو القلب، فلا يتأثر بالقرآن الكريم، ولا تؤثر فيه الأحاديث والمواعظ والعبر، فيحصل نفور من الطاعات، ومن ثم الوقوع في المعاصي.⁽⁸⁷⁾ فبسبب هذا الجفاف أو الخواء الروحي، يكون المرء عرضة للانحراف ومن ثم للإلحاد، قال الله تعالى: {الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِظَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا} [سورة الكهف:101].

3- السطحية الفكرية وغياب الهدف:

فاعتلال الفكر، وغياب العقل، وضبابية المنهج، [أي: عدم استيعاب المنهج الرباني الذي ارتضاه الله جل جلاله لنا]، هو ما يُعرف بالسطحية الفكرية وغياب الهدف.⁽⁸⁸⁾ واختلال الفكر يبدأ بالقراءة العشوائية، حيث يظن من يفعل ذلك أنه يفهم في كل شيء، فتراه يتأثر بكل ما يقرأ ويسمع من نظريات وشبهات ومن ثم يقع فريسة للإلحاد.

4- التسرع والاندفاع:

فالمتسرع، أو المندفع: (هو الذي يتخذ القرار في لحظة دون تمهيد مسبق)⁽⁸⁹⁾ ومن ذلك التعميم المتسرع، ولذلك تجد المندفع عندما يرى بعض المتدينين يفعلون شيئًا مخالفًا لتعاليم الشريعة الإسلامية، أو صدر عنهم فعلا منحرفا، قام بتعميم الحكم على كل متدينين، ثم يندفع أكثر ليعمم على الدين الإسلامي ككل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكهم".⁽⁹⁰⁾

5- تسلط الشهوات وعدم كبحها ومحاولة الهروب من وخز الضمير:

إن تسلط الشهوات مع قلة الخوف من الله جل جلاله وغياب الوازع الإيماني الذي يضبطها بالحلال والحرام، قد يكون سببًا في الانحراف والإلحاد للتخلص من التعاليم والضوابط التي جاءت في الشريعة الإسلامية، فنجد الملحد، ومن سار في خطوات الإلحاد يتباهى بالتلذذ بالشهوات والمتع المحرمة⁽⁹¹⁾، وهذا ما يُسمى بالإلحاد الشهوة،

(86) المشكلات السلوكية لدى التلاميذ مرتفعي ومنخفضي القابلية للاستهواء، ص18.

(87) بتصرف: مقالة بعنوان: الخواء الروحي: د. مراد ياخریصة، موقع الألوكة الشرعية.

(88) مقالة بعنوان: السطحية وغياب الهدف: أ. د. سارة عبد المحسن جلوي، موقع لها أون لاين بتاريخ: 2003/8/17م، الرابط الإلكتروني: (https://www.lahaonline.com/articles/view/6219.htm&ved)

(89) التصلب وأساليب الاندفاع التربوي المعرفيان وعلاقتها بالسلوك الإجرامي للطالب: ياسين بلاح، ص46.

(90) صحيح مسلم: (2623) - كتاب البر والآداب، باب: النهي عن قول هلك الناس، 2024/4.

(91) منهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوات (رسالة ماجستير): أحمد عبد القادر حسن قطناني، ص28-29؛ وآثار ونتائج الانحرافات الفكرية (الإلحاد نموذجًا): أنور الخضري، ص19.

فصاحبها "يتبنى الإلحاد ويدعو إليه رغم أنه قد يكون أمي بالدين، بل لا يهتم بالفكرة الدينية من الأصل، ولا يناقش الأفكار من أساسها، إنما هو صاحب هوى متبع".⁽⁹²⁾

وإذا تَمَعَّنَّا في هذا السبب، فسنجد أن القرآن الكريم قد ذم أصحاب الشهوات غير المباحة في آيات كثيرة، منها قول الله عز وجل: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا} [سورة مريم:59]، فكان الوعيد الشديد لمن أضاع الصلاة، فكيف بمن ألحد وأنكر وجود الخالق سبحانه بقصد إشباع شهواته المحرمة لا غير؟

6- الاضطرابات والهزيمة النفسية والقلق والوسواس:

إن الإيمان بالله الخالق سبحانه هو الأمر الطبيعي الذي فطره الله عز وجل في هذه الحياة، وما عداه يعد أمراً غير طبيعي، ولذلك "فإن الفكر الإلحادي يمثل شذوذاً فكرياً، وخروجاً عن إجماع العقلاء"⁽⁹³⁾، وذلك لخروج صاحبه عن دائرة الإيمان، وولوجه إلى ضيق الحيرة والانعزال واليأس، ثم تستمر معه تلك الحيرة واليأس حتى يدخل في موجة من التخيلات التشككية تصل به إلى الوسواس في العقيدة والتي تسمى بالاضطرابات المعرفية⁽⁹⁴⁾، تلك الاضطرابات وما يوازها من هزيمة نفسية هي بداية الفشل والانحراف، فهي سهم مسموم، متى ما أصاب الإنسان، أرداه قتيلاً، "ولمَّا كان الإلحاد هو اعتقاد جهلاني قائم على عدم وجود إله خالق فإنه لا يُقَدِّمُ للإنسان شيئاً يساعده على الخروج من تلك الحيرة والقلق والاضطرابات النفسية"⁽⁹⁵⁾.

ثالثاً: الأسباب الاجتماعية للإلحاد:

1- العزلة الاجتماعية: ينظر المشكلات السلوكية سببها العزلة الاجتماعية، فكثير من الباحثين يرون أن العزلة والوحدة قد تؤدي إلى مشاكل واضطرابات نفسية أخرى حتى عددها بعض الباحثين أساساً لكل المشاكل والاضطرابات والانحرافات التي يقع فيها الشخص.⁽⁹⁶⁾

2- الطبيعة الحدية للمجتمع: فالحدية في التعامل مع المخالف لها دور في التمرد والانحراف، فطبيعة المجتمع العربي التي لا تقبل الاختلاف، والتي تقوم على اللون الأبيض والأسود ولا وجود للرمادي بينهما تجعل الإنسان في بعض الأحيان يتجه للإلحاد كتعبير منه عن التمرد على ذلك المجتمع.⁽⁹⁷⁾

3- انتشار النوادي الليلية: كنوادي الأتراركت، والروتاركت، والروتاري التي هي غطاء للماسونية الإلحادية العالمية؛ لإنشاء جيل يخدم الصهيونية المعادية للإسلام والمسلمين.⁽⁹⁸⁾

فانتشار النوادي الليلية وما فيها من نشاطات مريبة، وانحرافات أخلاقية وإباحية؛ لإفساد جيل الشباب،

(92) بتصرف: مقالة بعنوان: (ظاهرة الإلحاد ومسؤولية علماء الأمة): مجاهد مأمون ديرانية، بتاريخ: 29 / 7 / 2019م موقع منتدى العلماء، الرابط الإلكتروني (https://www.msf-online.com).

(93) العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث: د. سعد الدين السيد صالح، ص 84.

(94) تصنيف الاضطرابات النفسية والسلوكية: منظمة الصحة العالمية-المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ص 73.

(95) آثار ونتائج الانحرافات الفكرية (الإلحاد نموذجاً): أنور الخضري، ص 18.

(96) المشكلات السلوكية لدى التلاميذ مرتفعي ومنخفضي القابلية للاستهواء: محمد مسعد عبد الواحد، ص 39.

(97) فيديو يوتيوب، حلقة بعنوان: (سيكولوجية الملحد 1): طارق الحبيب، برنامج بيني وبينكم، بتاريخ 2013م، الرابط الإلكتروني: (https://www.youtube.com/watch?v=m19hfuDwIDc&feature).

(98) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: د. مانع بن حماد الجني، 1/ 532 550، 553.

واستدراجهم للتخلص من قيود الدين وتعاليمه، فمن أسباب الإلحاد هو رغبة ضعيف الدين والعلم إشباع رغباته وشهواته دون قيود الدين.

4- كبت الأسئلة: ففي القرون الوسطى كان البحث والسؤال عن ماهية الكون، وحركة الشمس والقمر والكواكب من البحوث والأسئلة التي يُعتبر الخوض فيها كفر وإلحاد.⁽⁹⁹⁾

5- اضطهاد المرأة: فيقال لها إذا أصبحت ملحدة ستكون لك الحرية التامة ولا أحد يعتدي عليك؛ فظهرت حركات للتمهيد لذلك باسم حركة تحرير المرأة، وكان أول ظهور لها في مصر، ثم انتشرت في باقي الدول العربية، حيث أخذت تلك الحركات تدعو إلى السفور، وتحرير المرأة من أحكام الشريعة الإسلامية وتقليد المرأة الغربية في كل شيء.⁽¹⁰⁰⁾

بينما يوجد بينهم من يشهد أن الإسلام هو من رفع وأعلى شأن المرأة، فلما تخلت المرأة عن الإسلام؛ أصبحت سلعة رخيصة، وأنَّ تخلفها ونقصان شأنها ما حَدَثَ إلا لمخالفتها للإسلام، لا بسبب الإسلام. وتأمل ما يقوله المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون: "... ثم جاء الإسلام وحسَّن حال المرأة، وكان أول دينٍ رفع شأنها، ومنحها حقوقاً إرثية لا تجد مثلها في القوانين الأوروبية، وأمر بمعاملتها بأحسن ممَّا في تلك القوانين".⁽¹⁰¹⁾

6- تخلف الأمة: إنَّ الهزيمة الفكرية لدى الشباب، والإعجاب بالغرب والافتتان بتطورهم الفكري والعلمي، عوامل استغلها الملحدون؛ فبدأوا يبثون في الشباب شبهاتهم بأنَّ الأمة الإسلامية متخلفة، وأنَّ التخلف هو بسبب الدين، فحاولوا قطع صلة الأمة بالقرآن الكريم والسنة، ونَعَتَ من يتمسك بهما بالرجعية والتأخر.⁽¹⁰²⁾

7- تمزق الأمة وتفرقها: فتجد الإسلاميين مشتتين متنافرون لا يجمعهم منهج واحد، ولا فكر واحد، وهذا السبب نعيشه اليوم بوضوح.⁽¹⁰³⁾

فالأمة تمر بأخطر مرحلة في تاريخها، والأحزان تحيط بواقعها المعاصرة، فبعضها في اقتتال فيما بينها كما هو شأن اليمن والسعودية والإمارات، وليبيا ومصر، بل نجد التمزق والاقتتال في داخل البلد الواحد، وهذا واضح في سوريا ولبنان، وقبل ذلك في العراق وأفغانستان.

8- المشاكل الاجتماعية والنفسية قد تُنشئ الإلحاد النفسي: فالإلحاد النفسي، هو إلحاد ناتج في كثير من الأحيان بسبب الغضب، وردة الفعل لما يصيب الإنسان من مصائب وابتلاءات، فكلما زاد البلاء زادت قوة ردّة الفعل، كما هو مقرّر في العلوم النفسيّة في أنّ الظروف الصعبة تولد استجابات متطرّفة.⁽¹⁰⁴⁾

(99) الكبت تحليل نفسي: وليم شتيكل، وسيجموند فرويد، ترجمة: علي السيد حضارة، ص 7.

(100) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: د. مانع بن حماد الجهني، 453/1.

(101) حضارة العرب: د. غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زُغَيْتِر، ص 10.

(102) من عوامل تخلف الأمة تحريف المصطلحات عن معناها الشرعي في السنة النبوية: د. محمد القضاة، ص 336.

(103) بتصرف: رسالة في الحث على اجتماع كلمة المسلمين وذم التفرق والاختلاف: الشيخ: عبد الرحمن السعدي، ص 22؛ ومقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم:

محمد العبيد، وطارق عبد الحليم، ص 8.

(104) مقالة بعنوان: (ظاهرة الإلحاد ومسؤولية علماء الأمة): مجاهد مأمون ديرانية، بتاريخ: 2019 /7/29 م موقع منتدى العلماء، الرابط الإلكتروني (-/www.msf-https://

./online.com)

رابعاً: الأسباب المعرفية للإلحاد:

لم يكتفِ أعداء الإسلام بالغزو العسكري لبلاد الإسلام، بل انتهجوا غزواً فكرياً متسترين وراء واجهات مختلفة كالإنسانية، والمحبة، والحوار بين الأديان، وحوار الحضارات، ونشر كتبهم من خلال الترجمة، وهذه الكتب فيها كثير من دعاوى الإلحاد.⁽¹⁰⁵⁾

على إثر هذا نلاحظ انحراف الهدف الأسمى للتربية والتعليم ديناً و عقيدةً وشريعةً ومنهج حياةً وعلم، فإذا كان أول أهداف التعليم هو تحقيق العبودية لله عز وجل، ترى خللاً وفساداً في التصور، وإهمالاً لواجب التميز، وقتلاً لروح الأصالة في بعض علوم التعليم في الدول العربية والإسلامية، حيث اتجهت الدول الإسلامية للأسف إلى علمنة مناهج التعليم، ولذلك من غير اللائق أن لا نجد في مناهجنا، وفي جميع الاختصاصات ما يدعو إلى الاهتمام بالتربية الإسلامية، بل إننا نجد في بعضها ما يدعو إلى نظريات إلحادية كنظرية التطور⁽¹⁰⁶⁾، في الوقت الذي كان ينبغي أن ينصبَّ اهتمامُ التعليم بترقية روح الإنسان، وتقوية صلته بخالقه؛ لأنه بدون هذه الصلة، سيخرج لنا أطباء ومهندسون وإداريون واقتصاديون ماديون لا صلة لهم بالله الخالق سبحانه أو بدينهم الذي ارتضاه لهم. وما نراه اليوم من الفساد الإداري والأخلاقي في المجتمع هو نتيجة حتمية للبعد عن الدين وتعاليمه العظيمة.

ومن الأسباب المعرفية لظهور الإلحاد، ما يأتي:

- 1- ضعف الجهود في نقد الإلحاد ومواجهة الملحدين: ففي ضوء اطلاعي وبحثي، وجدت كتباً كثيرة تُعرِّفُ بالإلحاد وتُبين أسبابه وخطورته، لكني لم أجد إلا القليل من الكتب من تُوّجه أو تُناظر الملحدين وتُحاججهم.
- 2- عدم تجديد أساليب الخطاب الدعوي العقدي: ومن ذلك استخدام بعض الدعاة لعبارة كلامية قديمة للبرهنة على وجود الله، لا يفهما العوام، لا سيما جيل الشباب المعاصر.
- 3- الخطاب والدعاة الأفاضل رغم وفرتهم، لكن القليل منهم هو الذي يحاور ويواجه الملحدين: فنادرًا ما نجد خطيباً، أو داعيةً يتصدى ويواجه الملحدين ويجيب عن أسئلتهم بأسلوب مناسب.
- 4- انتشار النظريات الإلحادية والترويج لها في وسائل الإعلام والجامعات بأسلوب مؤثر: فالمُلحد اليوم يُجادل وفق نظريات يؤمن بصحتها رغم الثغرات العلمية الكثيرة فيها، وفي المقابل نجد قلةً من المتصدرين لهم، حتى هذه القلة تراها ضعيفة الاطلاع على تلك النظريات الإلحادية، والتي ينبغي الإمام بها؛ لمواجهتها بأسلوب علمي مقنع.
- 5- زيادة نسبة الجهل وضعف الوعي الديني العقدي: فبالرغم من زيادة عدد الجامعات والمعاهد والمدارس وفشو القلم إلا أن غالبية الشباب تجده جهل كثير من ثوابت دينه وعقيدته، ممّا يجعله فريسة سهلة للوقوع في شهوات وانحرافات الإلحاد.⁽¹⁰⁷⁾

6- التبشير من قبل المستشرقين بواجهات علمية ومعرفية: فقد سعى المستشرقون في طمس كل ما هو من شأنه أن يُظهر الحضارة الإسلامية بالمظهر اللائق الذي تستحقه، وكل ما تميزت به من تشريع وحكم وعلوم

(105) الغزو المعرفي والفكري لبلاد الإسلامية: د. أحمد محمود السيد، مجلة البيان، ص31.

(106) الاستعمار والإسلام: أنور الجندي، ص215.

(107) مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم: محمد العبد، وطارق عبد الحلیم، ص8.

وتقدم وإدارة وفنون، وأزسوا في ذهن الإسلامي والعربي أنه لم يكن لهم نصيب في العلم بل كان التخلف والجمود والمجتمع البدوي.⁽¹⁰⁸⁾

خامسًا: الأسباب الدينية:

لقد ظهر الإلحاد المعاصر والجديد كرد فعل للانحرافات العقديّة، وللمفاسد الكبيرة التي كانت موجودة في الديانة النصرانية ومنتشرة في أوروبا، فإذا طبقنا هذه الأسباب -والتي تقدم بيانها على عالمنا الإسلامي- نجد أن هناك ممهّدات لظهور الإلحاد قد تكون موجودة في مجتمعاتنا؛ فالمعتقدات الفاسدة والمنحرفة، والمخالفة للفطرة، والمنطق السليم، لا سيما عند بعض الفرق الإسلامية التي بيّنا بعضًا منها في مفهوم الإلحاد بشكل عام. فنقد هذه الانحرافات والأفكار الفاسدة، ونقد هذه المعتقدات المخالفة، ونشر الدين الحق، والعقيدة الصحيحة المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وبفهم الآل والأصحاب رضي الله عنهم - يُعد محورًا مهمًا في معالجة الإلحاد ومواجهته قبل ظهوره.

ويمكن بيان أهم أسباب الإلحاد الدينية في العالمين العربي والإسلامي، بما يأتي:

1- انتشار الشرك بالله وعدم إفراد الله بالعبادة: فقد كان من أسباب الإلحاد الرئيسة في الغرب لا سيما في أوروبا هو انتشار الشرك، وظهور عقيدة التثليث، وهذا السبب انتقل إلينا لا سيما في العصر الحديث من ظهور بوادر الشرك والانحرافات العقديّة الكبيرة بصرف أنواع كثيرة من العبادات لغير الله الخالق المتصرف بهذا الكون، وقد جاء التحذير من الشرك في القرآن الكريم وفي سنة النبي الهادي من هذه الآفة الخطيرة الماحقة للدين، ومن الآيات التي تحذر من الشرك قول الله تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [سورة الزمر: 65] وقوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الشورى: 21].
ومن الأحاديث: (عن أنس رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر- أو سُئِلَ عن الكبائر- فقال: "الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين، فقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قال: قول الزور أو قال شهادة الزور". قال شعبة: "وأكثر ظني أنه قال: شهادة الزور").⁽¹⁰⁹⁾

وأما الشرك الأكبر فلا نزاع في أنه كفر، وهو أعظم الذنوب والمعاصي على الإطلاق، وإنما قُرنت به بقية المعاصي المذكورة في الأحاديث على سبيل التشنيع، ولَفَّتِ الانتباه إلى عظم جرمها.⁽¹¹⁰⁾

وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- ما وقع في زمانه من الشرك بالله، قال: "وهذا هضم للربوبية وتنقُص للإلهية، وسوء ظن برب العالمين، وذكر أنهم إنما ساووهم بالله في العبادة، كما قال تعالى عنهم وهم في النار: {قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ}."⁽¹¹¹⁾

(108) ينظر: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 21/2.

(109) صحيح البخاري: (كتاب الآداب، باب عقوق الوالدين من الكبائر)، 2230/5، حديث رقم: (5632).

(110) الإيمان بين السلف والمتكلمين: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، ص 55.

(111) سورة الشعراء: 96-99.

2- الغلو الذي كان عند اليهود والنصارى يتكرر عند بعض الفرق الإسلامية:

الغلو في اللغة مجاوزة الحد⁽¹¹²⁾، وقد عرّفه ابن حجر رحمه الله، فقال: "هو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد، وفيه معنى التعمق"⁽¹¹³⁾.

ومن الشواهد على ذم الغلو والتنطع، ما ذكره القرآن عن أهل الكتاب، في قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [سورة المائدة: الآية:77]، وهذا خطاب من الله سبحانه وتعالى مُوجَّهٌ للنصارى؛ لِغُلُوبِهِمْ فِي الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث أنهم قالوا: (هو الله)، أو (هو ابنه)، فالله عز وجل ينهاهم أن "يتبعوا في عيسى ابن مريم أهواء قوم قد ضلوا من قبل، أي: اليهود، فقد ضلُّوا، وأضلوا كثيرًا من الناس."⁽¹¹⁴⁾

وإنما ينبغي أن يكون قولهم: "... وَأَنَّ عَيْسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أُمَّتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوِّحٌ مِنْهُ..."⁽¹¹⁵⁾ وقد جاء التحذير من الغلو أيضا في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها ما رواه عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ"، قالها ثلاثاً⁽¹¹⁶⁾، وقد بيّن الإمام النووي -رحمه الله تعالى-، معنى هلك المتنتعون، فقال: (أي: المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم)⁽¹¹⁷⁾، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ الْعُقَبَةِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ: "...أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوفِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوفِي الدِّينِ."⁽¹¹⁸⁾ ولا شك أن الغلو هو أحد أسباب التوجه إلى الإلحاد؛ فالغلاة الزنادقة والخوارج أساءوا إلى الدين، وسفكوا الدماء ونشروا الرعب بين الناس وصدوهم عن دين الله، وكذا الحال في كل الفرق المغالية في الدين. وجدير بالذكر التنويه إلى أن ظهور الخوارج -الذين غالوا في الدين، ولم يرَ النَّاسَ منهم إلا القتل والتعذيب للفقراء والبسطاء، بل للملتزمين بالدين المعتدل، تحت حُجج وأفهام معكوسة للشريعة الإسلامية السمحاء، فأهلكوا البلاد والعباد- كان له أثر كبير على عوام النَّاسِ ونظرتهم للدين والشريعة الإسلامية، بل كان لظهورهم سببًا لاتجاه بعض ضعيفي الإيمان إلى الإلحاد.

3- التفرق في الدين، وكثرة الفرق الإسلامية: فلو قرأنا في الفرق الإسلامية -كالجهمية، والمعتزلة والخوارج، والمرجئة، وكثير من فرق الزنادقة- لكان الأمر يحتاج إلى رسالة أو أطروحة؛ لأنَّ الدافع لهذا التفرق والاختلاف في فهم الدين، وفي تفسير النصوص لم يكن دافعًا نقليًا بقدر ما هو دافع عقلي له آثار عكسية في ظهور التفرق والاختلاف بين طوائف الأمة؛ بل هو ينبوع الغواية الفكرية.⁽¹¹⁹⁾

(112) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري (باب: الواو والياء، فصل الغين، مادة: غلا). 2448 / 6.

(113) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، 278 / 13.

(114) جامع البيان في تأويل أي القرآن: أبو جعفر الطبري، 487 / 10.

(115) صحيح البخاري (كتاب الأنبياء، باب قوله {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم})، 1267 / 3، جزء من حديث رقم: (3252).

(116) صحيح مسلم: (كتاب: العلم، باب هلك المتنتعون)، 2055 / 4، حديث رقم: (2670).

(117) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: يحيى بن شرف النووي، 220 / 16.

(118) سنن ابن ماجه ت الأرئوؤط: (أبواب المناسك، باب: من أين ترمى جمرة العقبة)، 228 / 4، حديث رقم (3029)، قال الشيخ شعيب الأرئوؤط: (إسناده صحيح).

(119) ينبوع الغواية الفكرية: عبد الله بن صالح العجيري، ص13.

4- دراسة عقائدية كثيرة دون بيان العقيدة الإسلامية الصحيحة: فإنَّ المسلم في المراحل الجامعية الأولى يبدأ بدراسة فرق عقدية كثيرة، والتركيز عليها في أقسام العقائد في كليات العلوم الإسلامية، وكثير منها منقرضة في زماننا، أو أن تأثيرها ومخاطرها ضئيلة، دون بيان العقيدة الصحيحة والأساس الذي لا ينبغي أن يختلف عليه اثنان، حيث أنها عقيدة كل الأنبياء، وخاتمهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ولقد أيقن أعداء الإسلام أن السبيل الوحيد للقضاء على الإسلام المتمثل بعقيدته الحيَّة في قلوب المسلمين هو تشويه هذه العقيدة، ومحاولة تحريفها، والتشكيك بها، والسعي الحثيث لقطع صلة المسلمين برهم وبدينه؛ ولهذا نرى إصرارهم على نشر الإلحاد بين المسلمين.

5- دراسة الطالب للملل والنحل لا سيما في بعض الأقسام الشرعية دون أن تجد هناك منهجًا واضحًا لدراسة العقيدة الإسلامية الربَّانية التي بُعث الأنبياء والرسول لأجلها، فدراسة الطالب لبعض النحل كالبودية والهندوسية دون أن تكون له عقيدة صلبة لمواجهة هذه النحل قد يؤدي به للانحراف والإلحاد.

فضلاً عن عدم وجود مقارنة واضحة؛ لتمييز الدين الإسلامي عن بقية الملل المحرفة والنحل الباطلة؛ لبيان عظمة الدين الإسلامي على سائر الملل والنحل، وأنقل هنا ما ذكره العالم غوستاف لوبون، عن مقارنته للإسلام بالأديان السابقة، فيقول: "وتشتق سهولة الإسلام العظيمة من التوحيد المحض، وهذه السهولة سرُّ قوة الإسلام، وإدراكه سهلٌ خالٍ ممَّا نراه في الأديان الأخرى، ويأباه الذوق السليم، غالبًا من المتناقضات والغوامض...." (120).

6- ضعف التربية الإسلامية: حيثُ أنَّ للإلحاد مِهْنَات، فنشأة المسلم في بيئة بعيدة عن الالتزام، ومعرفة أصول دينه، وأركان إيمانه وإسلامه، لا ريب أنَّ هذا يجعله عرضة للتأثر بأي شبهة لا سيما شبه الملحدين، فينحدر في هاوية الإلحاد.

7- غياب الوازع الديني، وقلة التفقه في تعاليم ومقاصد الشريعة الإسلامية، من تحريم جرائم القتل، والزنا، والسرقه، وأكل أموال الناس بالباطل، والربا مع ضعف الالتزام، فتتغلب الشهوات على النَّفس فيخرج إلى الإلحاد الذي يبيح له كل ما هو محرم دون قيود⁽¹²¹⁾، يقول دوكينز، وهو أبرز دعاة الإلحاد: "إنَّ الإلحاد يؤثر في نحو منهجيِّ النَّاس؛ لفعل الأمور السيئة، وهو بيان مُذهل وساذج ومُحزن بعض الشيء".⁽¹²²⁾

فإنَّ الشهوات واستباحتها أمرٌ خطير، وسببٌ لقيام جذور الشهوات والدعوة إليها، وصولاً لتبني الإلحاد.

8- ومن أسباب الإلحاد أيضًا: هجر القرآن الكريم، قال الله جل جلاله: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} [سورة الفرقان:30]، وكذلك الغفلة عن الأذكار -أذكار المسلم اليومية- وسائر الأدعية لا سيما أدعية الثبات، وإفراد الله سبحانه بالوحدانية، قال الله جل جلاله: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [سورة غافر:60].

(120) حضارة العرب: د. غوستاف لوبون، ص125.

(121) الإلحاد أسبابه طبائعه مفاسده: الإمام محمد الخضر حسين، ص9.

(122) وهم دوكينز: ليستر إدغار ماكفرث، جونا كوليكان ماكفرث، ص80.

9- إهمال دراسة تاريخ الإلحاد، والتيارات الإلحادية المعاصرة، والتعريف بخطورتها والتحذير منها كونها خطر محقق بالفرد، والمجتمع والدول.⁽¹²³⁾

10- مطالعة الكتب الإلحادية: فاطلاع بعض الشباب لا سيما طلاب الجامعات على مؤلفات الملحدون - وفيها ما فيها من الدس والتشكيك والإلحاد العلي - يجعلهم يتأثرون بقراءتها؛ فَيَجْنَحُونَ بعدها إلى الجحود والإلحاد.⁽¹²⁴⁾

أهمية معرفة أسباب الإلحاد

من خلال استعراضنا لأسباب الإلحاد في العالمين الغربي والعربي تظهر لنا بوضوح أهمية معرفة الأسباب في توصيف الحالة وتحديد المشكلة، فمعرفة الكم الكبير لأسباب الإلحاد:

- 1- يجعلنا نتعامل مع مشكلة الإلحاد وخطورتها بموضوعية وبجدية أكثر.
- 2- يُبْعِدُنَا عن تسطيح الظاهرة الإلحادية، وعدم الاتكال في اضمحلالها على الظروف والوقت.
- 3- وكذلك سيؤدي بنا إلى معرفة السُّبُل والأساليب النافعة في مواجهتها.

المبحث الثاني: سُبُل مواجهة حركة الإلحاد، وكيفية التصدي لها:

إنه لمن الواجب أن نتصدي لحركة الإلحاد، وذلك بإيقاظ فطرة الله في النفوس، وبيان الأدلة النقلية والعقلية والعلمية، واستخدام الوسائل المتطورة لمجابهة هذا الطوفان، مع بيان آثاره المدمرة سواء على مستوى الفرد أو الدولة.

وكذلك بيان مكانة العقل والعلم في الإسلام وتقديره لهما أيما تقدير، فالعقل السليم والحقائق العلمية لا يتصادمان مع الإسلام أبداً، بعكس ما يدَّعيه بعض الملاحدة كذبا وافتراءً على الإسلام، بغرض تزويد الناس فيه. ولقد منح الله عز وجل الإنسانَ العقلَ لا لِيُعْطِلَّهُ، ولا لِيُعْمِلُهُ فيما يعود عليه بالضرر، وإنما من أجل أن يفكر فيما يعود عليه بالنفع، فهو الذي يقوده إلى الاهتداء بإذن الله تعالى، إذا لم تتغلب عليه الشهوات، ولم تُسَيِّطِرْ على نفسه الشهوات، ولكن ما إن تمكنت كلتاها منه، تكبَّل؛ ليصبح العقل هنا وبالأعلى صاحبه، ودماراً على مجتمعه وأمته؛ ولذلك على علماء الأمة الإسلامية ومؤسساتها، اتخاذ كافة الإجراءات العلاجية والوقائية؛ لمنع اختراق تلك الأفكار المهلكة لمجتمعاتنا الإسلامية.

ويمكن أن تتم المواجهة الشاملة بسبيل عدة، وما هذا البحث إلا سبيلاً واحداً في هذه المواجهة الشاملة، وإليكم أهم هذه السبل لمواجهة الإلحاد:

السبيل الأول: ترسيخ الحضور القرآني بتدبر آياته:

إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَنْزَلَ لِيَهْدِيَ الضَّالِّينَ، وَيُثَبِّتَ الْمُؤْمِنِينَ وَيُزِيدَهُمْ إِيْمَانًا، قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِشُحْرِجِ النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [سورة إبراهيم: 1]، والتثبيت للنفوس لا يتحقق إلا حينما ينتقل القارئ من مجرد القراءة اللفظية إلى عوالم التدبر، فالقرآن أنزل للتدبر، قال الله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: 29].

(123) المخاطر التي تهدد الدين؛ الزندقة والإلحاد والغلو والجمود والتقليد، وازدراء الدين: مصطفى أحمد سيسي، ص3.

(124) بتصرف: الإلحاد أسبابه طبائعه مفاصده: الإمام محمد الخضر حسين، ص9.

وفنّ التدبّر يُكْتَسَبُ باليقين التام في أنّك مع القرآن الكريم حيٌّ وبدونه ميّت، وبه مُبصر وبخلافه أعمى، وبه مهتدي وبدونه ضالّ.⁽¹²⁵⁾

السبيل الثاني: بيان العقيدة الإسلامية الصحيحة، وترسيخها في نفوس المسلمين:

فالعقيدة الصحيحة تُعدّ قوة أساسية في مواجهة الإلحاد المعاصر والجديد، تلك العقيدة التي لا يتأثر من يعتنقها بالشبهات التي يثيرها أهل الإلحاد. ولقد فهم البعض من غير المسلمين أنّ قوة عقيدة المسلم هي سبب انتشار الإسلام، فهذا جورج سارتون⁽¹²⁶⁾ يرى أن سبب انتشار الدين الإسلامي هو عقيدة التوحيد التي جمعت قلوب النَّاسِ.⁽¹²⁷⁾

السبيل الثالث: امتثال أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وتدبُّرها، والالتزام بسننه اليومية:

إنّ المواظبة على أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وامتثالها والمحافظة على أذكار المسلم اليومية، والتي منها هذا الذكر: "رضيت بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً"، فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً"⁽¹²⁸⁾، فهو بمثابة الردّ الفعلي والعملي على الإلحاد والملحدين في إنكارهم للإله الخالق سبحانه. وكذلك الاستمرار بالأدعية التي كان يدعو بها النبي صلى الله عليه وسلم نحو دعاءه اليومي بالثبات على دينه، فقد ورد في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: "اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَخَافُ عَلَيْنَا وَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ بِمَا جِئْتَ بِهِ؟، فَقَالَ: إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ يُقَلِّبُهَا"⁽¹²⁹⁾.

السبيل الرابع: تقديم رؤى نقدية صلبة للمواجهة، وعدم الاكتفاء بالرد أو النقد:

إنّ المنتصر للموقف الديني والمواجه للإلحاد ينبغي أن لا يكون انهزامياً يكتفي بالدفاع فقط والرد على شبهاتهم، بل يجب أن يركز على عقيدة صلبة يستحضرها في مواجهته للملحدين، قال الله تعالى: {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلِيَّ اللَّهُ شَكُّ فَأَطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخَّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَثُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ} [سورة إبراهيم: 10].

فالقضية تتعلق مع الملحدين بإنكارهم لأُم اليقينيات وأصل الأصول، وهو إنكارهم لوجود الخالق سبحانه.⁽¹³⁰⁾

السبيل الخامس: التحذير من التيارات الضالة المنحرفة:

فهناك كثير من الفرق الضالة البائنة انحرفها كالدهرية⁽¹³¹⁾، والبابية⁽¹³²⁾، والبهائية⁽¹³³⁾، والقاديانية⁽¹³⁴⁾

(125) فن التدبر في القرآن الكريم: د. عصام بن صالح العويد، ص 23.

(126) جورج سارتون: (George Sarton) واسمه الكامل جورج ألفريد ليون سارتون، ولد في بلدة جان في بلجيكا في سنة: 1884م، وهو مؤرخ بلجيكي مؤسس علم تاريخ العلوم، ودرس الصيدلة فتخرج في عام 1906م، له كتب منها: (حياة العلوم)، و(العلم والأدب عند العرب)، توفي سنة 1956م، وينظر: المستشرقون: نجيب العقيلي، ص 1006-1007.

(127) الإعلاء الإسلامي للعقل البشري: د. بليغ حمدي إسماعيل، ص 79، 89.

(128) صحيح مسلم: (كتاب الإيمان، باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربّاً)، 62/1، حديث رقم: (34).

(129) سنن ابن ماجه: (أبواب الدعاء، باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم)، 9/5، حديث رقم: (3833)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: (حديث صحيح).

(130) ميليشيا الإلحاد: عبد الله صالح العجيري، ص 147.

(131) قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: يخبر تعالى عن (دهرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد): {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا} [الجمانية: 24] ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثم معاد ولا قيامة. وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقولوه الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البداء والرجعة، وتقولوه الفلاسفة الدهرية (الدورية) المنكرون للصانع، المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه، وزعموا أن هذا قد

(الأحمدية)، وغيرها من الفرق الباطنية الهدامة، فهي فرق مُبغضة للدين الإسلامي، ويمتلكون قنوات بعضها في بريطانيا؛ لبثِّ الفتنة منها، وهم يدعون للإلحاد في صفوف النَّاس؛ لتحقيق أهدافهم الخبيثة، وهي النيل من الإسلام والمسلمين⁽¹³⁵⁾.

السبيل السادس: نشر العلم لمواجهة الغلو والتطرف في الدين:

لا شك أنَّ العلم بالدين هو أفضل السُّبل لمعالجة ومواجهة الغلو، فضلاً عن معالجة الأسباب الأخرى له؛ كالفقر، والتعصب، والظلم، وسوء التربية⁽¹³⁶⁾.

السبيل السابع: ضرورة متابعة الوالدين، أو أولياء الأمور لأبنائهم:

إنَّ أهمية المتابعة اليومية للأبناء، ليس فقط بمعرفة أصحابهم المستخدمين للإنترنت، بل ومتابعة ما يتصفحونه من مواقع وبرامج باستمرار، فوسائل الإعلام المتنوعة، ووسائل التواصل السريعة، والانشغال بالحواسيب لها دور في توسيع الفارق والهوة بين فكر الوالدين وفكر المراهقين، فينبغي فهم الأبناء فهماً عميقاً، وبناء علاقة صداقة معهم قوامها الثقة والحب، فلا يكون الأب استبدادياً ولا متساهلاً، أو غير مبالي، وإنما ينبغي أن يكون حازماً من دون قسوة، وليتينا من دون ضعف، مع حرصه على تعليمهم المبادئ الإسلامية التي يسرون عليها في حياتهم مع استمرار المراقبة والمتابعة والنصح⁽¹³⁷⁾.

السبيل الثامن: تجديد أساليب الخطاب الديني الإيجابي:

وما أعنيه هنا بالخطاب الديني الإيجابي، ذاك الخطاب الذي يحافظ على الثوابت، ولا يدعو للتغيير في الجوهر، بل التغيير في الطرح والأسلوب، لأنه هناك للأسف دعوات للابتعاد عن الشريعة، وأنها غير صالحة، أو الاكتفاء بالقرآن الكريم دون السنة النبوية المطهرة، ولا شك أن هذه الدعوات ضالة مُضلة.

ولذلك أصبحت الحاجة إلى التجديد في أساليب الخطاب الديني أمراً ضرورياً ومُلحاً خاصة المتعلقة بالعتيدة؛ لكي تتناسب في استدلالاتها مع المرحلة التي نُعاصرها، وكي يجد الباحث عن الحق جواباً لكل تساؤلاته المطروحة لا سيما في زمن انتشار الشبهات المثارة حول مسائل العقيدة، وإذا كان في السابق لا يوجد تركيز على مسائل إثبات وجود الخالق سبحانه باعتبارها مسألة فطرية، حيث أنَّ القرآن ناقشها وبرهن عليها بآيات كثيرة، منها قوله تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} [سورة الطور:35]، إلَّا أنَّ أهل هذا الزمان اختلفوا عن سابقهم، فبعضهم تغيرت فطرتهم، وتأثروا بما عرضه الملحدون من نظريات عبر أجيال متلاحقة؛ فنشأ جيل

تكرر مرات لا تتناهى، فكابرو المعقول وكذبوا المنقول، ولهذا قالوا: {وَمَا يُبْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ}، قال الله سبحانه: {وَمَا لَهُمْ بِدَلِكِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} [الجنات:24]، أي يتوهمون ويتخيلون.

(132) البابية: هم أصحاب ميرزا علي محمد الملقب بالباب: المولود سنة 1235هـ، وقد أظهر شنائع كثيرة، فزعم ارتفاع فرضية الصلوات الخمس، وفرضية الحج، ثم ادَّعى النبوة والرسالة. وأن الله أوحى إليه بكتاب (البیان)، وقد هلك مؤسسها سنة: 1265، ينظر: البابية والمهائية تاريخ ووثائق: ص 9، 12، 34؛ وتبسيط العقائد الإسلامية: ص 307.

(133) البهائية: نسبة إلى البهاء واسمه حسين على نوري المازندراني، ولد عام 1817م، ولقب بالبهاء لأنه يدعي حلول الله بنوره في أول أمره بخلافة الباب (البابية)، ثم تدرج إلى مرحلة المهديوية ثم النبوة والرسالة ثم الربوبية والألوهية، وقد دان البهائيون لكل خليفة بعد البهاء وعبدوه مثل عبادتهم للبهاء، ينظر البابية والبهائية تاريخ ووثائق: د. عبد المنعم أحمد النمر، ص 75؛ وتبسيط العقائد الإسلامية: حسن محمد أيوب، ص 307.

(134) القاديانية: نسبة إلى: مرزا غلام أحمد القادياني ولد في (قاديان) سنة 1252هـ، فرقة مرقت عن الإسلام بادعاء صاحبها النبوة، وقالوا بالحلول والتناسخ، وزعم أن مدينة قاديان ومسجدها تماثل مكة ومسجدها، وحرّم الجهاد ضد الإنكليز، هلك مؤسسها سنة: 1326هـ، ينظر: القاديانية: د. عامر النجار، ص 7؛ وتبسيط العقائد الإسلامية: حسن محمد، ص 310.

(135) الإعلاء الإسلامي للعقل البشري: د. بليغ حمدي إسماعيل، ص 23 - 24.

(136) بحث بعنوان: الجهل بالدين والغلو: د. نور الدين مختار الخادمي، ص 25.

(137) بتصرف: هكذا تُرپي! د. مصطفى أبو سعد، ص 37، 42.

متأثر بالفكر التطوري الدارويني، ومن ثم فإنَّ التركيز على مسائل توحيد الألوهية -دون توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات- يَحْتَاجُ إلى إعادة نظر، حيث ينبغي الاهتمام بأدلة وجود الله سبحانه وبيانها بيانًا مصحوبًا بالاستدلال بالبراهين الواضحة الجلية.⁽¹³⁸⁾

السبيل التاسع: تفعيل دور المشايخ والأئمة الفضلاء في المساجد وخارجها؛ وذلك بتفعيل دورهم في بيان أسباب الإلحاد وخطورته، وكيفية مواجهته، مع ضرورة مواكبة التطور الحاصل في وسائل التواصل الاجتماعي في مواجهة هذا الخطر، وتفعيل الدعوة الإلكترونية عبر الإنترنت.

السبيل العاشر: على المسؤولين في الدول الإسلامية تهيئة دعاة متخصصين ومتمكنين في الرد على الشبهات ومواجهة الإلحاد، وخير قدوة ومثال في نقد الإلحاد ومواجهته، هو الداعية الإسلامي الهندي الدكتور ذاكر نايك حيث يوجد له كثير من المناظرات والمحاضرات في نقد وتفنيده ومواجهة الإلحاد، ففي إحدى مناظراته مع الملحدين في نهاية الثلث الأول من العام: (2017م)، بلغ عدد المشاهدات أكثر من 15 مليون مشاهدة.⁽¹³⁹⁾ ومن الدعاة المؤثرين أيضًا الدكتور إياد قنيبي، ففي ضوء حلقاته واسعة الانتشار، والتي كتب الله تعالى لها القبول، بدأ في التصدي للشبهات والانحرافات العقديّة، فقام بتحرير حلقات لمواجهة الإلحاد، من بينها حلقات للرد على الدحيح المصري الذي يدعو إلى الإلحاد بطرح زائفٍ مصبوغٍ بصبغةٍ علميةٍ كوميديةٍ، والتي مع الأسف لقت رواجًا وانتشارًا واسعًا لا سيما في صفوف الشباب.

السبيل الحادي عشر: عمل ورش وندوات في كافة الجامعات العلمية والإنسانية؛ وذلك لبيان خطورة الإلحاد المعاصر والجديد لطلبة العلم، على أن يتم عقد مثل هذه الندوات مرة على الأقل في كل عام؛ لمواكبة أي تطور في فكر الإلحاد؛ للتصدي له ومواجهته.

السبيل الثاني عشر: المبادرة بتأسيس منتديات ومواقع إلكترونية للمواجهة والرد على المشككين؛ ينبغي على أقسام علوم القرآن في كليات الآداب والتربية، وأقسام العقيدة في كليات الشريعة، المبادرة في تأسيس منتديات ومواقع إلكترونية؛ لمواجهة الإلحاد والرد على الأسئلة التشكيكية التي يطرحها أعداء الإسلام.

السبيل الثالث عشر: تضافر جهود مختلف الاختصاصات الشرعية والإنسانية والعلمية في مواجهة الإلحاد؛ وذلك بمناقشة ما تقدّم من أسباب نشوء الإلحاد، والبحث عن العلاج والمواجهة الشاملة. ولا ينبغي أن يقتصر الأمر فقط على المختصين بالعلوم الشرعية؛ لأنَّ الإلحاد له علاقة بالنظريات العلمية وعلوم الأحياء والفيزياء، والفلسفة، وعلم النفس، وعلوم التربية والتعليم، وعلم الجيولوجيا، وغيرها من العلوم ذات العلاقة.⁽¹⁴⁰⁾

السبيل الرابع عشر: ضرورة إنشاء مراكز رسمية لمواجهة ونقد الإلحاد في كل بلد إسلامي؛ على أن تكون تابعة لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، والأوقاف الإسلامية؛ حيث تقوم هذه المراكز بإقامة دورات تدريبية لتخريج طلبة علم متخصصين في نقد ومواجهة الإلحاد.

(138) بتصرف: مليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد: عبد الله بن صالح العجيوي، ص132.

(139) بتصرف: مناظرة بعنوان: أشرس مواجهة بين ملحد أمريكي عبقرى وأشهر شيخ في العالم: للدكتور ذاكر نايك بتاريخ: 2017/4/24م، الرابط الإلكتروني:

(<https://www.youtube.com/watch?v=SmZISihNSH8>)

(140) بتصرف: مليشيا الإلحاد، مدخل لفهم الإلحاد الجديد: عبد الله بن صالح العجيوي، ص131.

السبيل الخامس عشر: مطالبة وزارتي التربية، والتعليم العالي والبحث العلمي في الدول الإسلامية بمراجعة الكتب المنهجية التي تُدرّس في مناهج وزارة التربية، وفي قسبي علم الاجتماع وعلم النفس، وإلغاء الكتب التي تدعو إلى النظريات الدارونية وغيرها من النظريات التي تُشكك في وجود الله جل جلاله وتشكك في أصل خلق الإنسان.

فمثلاً في الكتاب المنهجي لمادة الأحياء للصف السادس بإحدى الدول العربية، ما نصه: (من الأمور المُسلّم بها أنّ جميع الكائنات الحيّة قادرة على إنتاج كائنات جديدة تُشبهها...) (141)، فهذه العبارة ينبغي أن تصحح إلى عبارات تقرُّ بوجود الخالق سبحانه فما المانع لو كتبت بهذه العبارة: (إنَّ الله جل جلاله خلق جميع الكائنات الحية، وقدر فيما بينها التكاثر بالتوالد ليستمر النوع)، فلو تم تتبع المناهج الدراسية لوجدنا كثير من هذه العبارات التي تستوجب التعديل أو التصحيح أو الحذف.

السبيل السادس عشر: ينبغي على الوزارات في الدول الإسلامية الإعلامية والثقافية فضلاً عن الوزارات الأمنية متابعة الكتب والمنشورات والمطويات التي تدعو إلى الإلحاد ومحاولة سحبيها من المكتبات ومنع إصدارها، ومعاقبة من يروج لها كونها تتعارض مع الإسلام، وتدعو إلى هدمه.

السبيل السابع عشر: التوجيه إلى تطبيق الدول الإسلامية للأحكام الشرعية التي استنبطها علماء الأمة من القرآن الكريم والسنة النبوية في القضاء على هذا الداء الخطير ومواجهة الإلحاد، وذلك بالرجوع إلى كلام فقهاء الأئمة في حكم الملحد وسُبل مواجهته، أو معاقبته؛ كونه ينكر أصل الأصول ومقدمة المقدمات وهو إنكاره لوجود الله ومعرفته سبحانه.

السبيل الثامن عشر: مواجهة نظريات الملحدین بالبرهان النظري والتجريبي الثابت والصحيح، والاستفادة من ردود علماء الغرب في ردهم على الملحدین؛ حيث يتم الاستدلال بالرد على نظرية داروين وغيرها من النظريات الإلحادية، ثم عرض وبيان أدلة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فمثلاً نظرية التطور تذكر العشوائية والصدفة والاحتمال والانتخاب الطبيعي؛ للهروب من إثبات وجود الخالق سبحانه، ولذلك اختاروا هذه الألفاظ للتضليل، ومن ثم يمكن الاستدلال بما أعلنه الملحد المشهور (أنتوني فلو) في آخر مناظرات له، من تأكيده على ما صرح به (جيرالد شرويدر) بالاعتراض على نظرية الصدفة، أو العشوائية، أو القردة. (142)

السبيل التاسع عشر: تشجيع وحث الطلبة في الجامعات العلمية والإنسانية لا سيما الدراسات العليا على الكتابة في نقد الإلحاد وسبل مواجهته، وألا نكتفي فقط بالرد، بل لا بد من الانتقال للمواجهة الشاملة كلاً بحسب تخصصه.

السبيل العشرون: التركيز على البحوث التي تتناول دلائل النبوة والإشارات العلمية في السنة النبوية الصحيحة في مواجهة الإلحاد، فهذا سبيل مهم في مواجهة الإلحاد كوننا في عصر العلم، وقد افتتن كثير من أبناء الأمة الإسلامية في هذا العصر بالعلم، فربط هذه العلوم وبيان أسبقية السنة النبوية في التحدث عنها يُعد من أنجع السبل في مواجهة الإلحاد.

(141) علم الأحياء: لجنة من المؤلفين، وزارة التربية العراقية، مطبعة النيزك، ط7، 1440هـ-2019م، ص88.

(142) مليشيا الإلحاد: عبد الله بن صالح العجيري، ص134.

السبيل الحادي والعشرون: الاهتمام ببحوث الإعجاز القرآني في مواجهة النظريات الإلحادية:
فهذا هو سبيل النبي صلى الله عليه وسلم الذي انطلق من معجزة القرآن الكريم في مواجهة المشركين والكافرين
والمنكرين والمعاندين، لقوله تعالى: {فَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا} [سورة الفرقان:52]، فينبغي أن
نتأسى به صلى الله عليه وسلم في الانطلاق من كل أوجه الإعجاز القرآني؛ اللغوي والبلاغي والتشريعي والإخباري
والنفسى (التأثيري)، والعلمي في مواجهة الإلحاد.

المبحث الثالث: أقلام خبيثة حَطَّت للإلحاد

- 1- قابيل آدم: صدر له كتاب في تركيا عنوانه: (مصطفى كمال)، يتضمن مطاعن قبيحة في الأديان، وبخاصة الدين الإسلامي، وفيه دعوة صريحة للإلحاد بالدين وإشادة بالعقلية الأوروبية.
- 2- إسماعيل أحمد أدهم: حاول نشر الإلحاد في مصر، وألف رسالة بعنوان لماذا أنا ملحد؟ وطبعها بمطبعة التعاون بالإسكندرية حوالي سنة 1926م.
- 3- إسماعيل مظهر: أصدر في سنة 1928م مجلة العصور في مصر، وكانت قبل توبته تدعو للإلحاد والظن في العرب والعروبة طعناً قبيحاً. معيداً تاريخ الشعوبية⁽¹⁴³⁾، ومتمهماً العقلية العربية بالجمود والانحطاط، ومشيداً بأمجاد بني إسرائيل ونشاطهم وتفوقهم واجتهادهم.
- 4- أُسِّسَتْ (رابطة الأدب الجديد) في مصر سنة 1928م؛ لنشر الإلحاد تحت شعار الأدب واتَّخَذَتْ دار العصور مقرّاً لها، وكان أمين سرها كامل كيلاني.. وقد تاب إلى الله بعد ذلك.⁽¹⁴⁴⁾

المبحث الرابع: أهم وسائل الإلحاد الحديث، ومن يقف وراءها

اشْتُهِرَ الإلحاد في الدوائر الفكرية، والثقافية، والحوارية، وأضحى له سمات، ورموز، ودعاة لا يألون جهداً في سبيل الدعوة إليه بكل وسيلة ممكنة، وبحماسة شديدة، وذلك باستخدام التأليف والكتابة من جهة، ومن جهة أخرى بات تواجدهم أمراً جلياً ضمن البرامج الثقافية والإذاعية، وشبكات الإنترنت؛ لنشر أفكارهم الإلحادية. ولا شك أن هناك مؤسسات إلحادية عالمية، يُدبرون مَكْرَ هَذَا بَلِيْلٍ، هي مَنْ تقف مِنْ ورائهم.

لماذا يجب التحذير من وسائل الإلحاد الالكترونية؟

إن ما تقوم به مواقع الإلحاد الالكترونية من إحداث تأثير في الغرب بغرض السيطرة عليه، وكذلك إثارة الشك في نفوس المسلمين خاصة الشباب منهم، لإخراجهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر والإلحاد، هو ما يفرض علينا تسليط الضوء ملياً على تلك المواقع المنحرفة، وذلك بغرض:

- 1- التحذير، وأخذ الحيطة من الوقوع في حبالها.
- 2- دعوة غير المسلمين في شتى بقاع الأرض من مشارقها إلى مغاربها، فقد ميزنا الله عن سائر الأمم بأننا أمة دعوة، قال تعالى: {وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} [آل عمران: 105]
- 3- حفاظاً على دين المسلمين من الوقوع في براثن هؤلاء، من خلال عرض الحجج والأدلة التي تُقَوِّي إيمانهم، وخاصة في هذا الجانب، مما يَدْفَعُهُمْ للتمسك أكثر بعقيدتهم عن اقتناع، ويقين جازم بأنها الحق وما سواها هو الباطل.

(143) وفي "المعجم الوسيط" الصادر عن مجمع اللغة العربية (484/1): "الشعوبية نزعة في العصر العباسي تنكر تفضيل العرب على غيرهم، وتحاول الحطّ منهم، وأصحاب هذه النزعة الواحد شعوبي."

وفي "مجموع فتاوى ورسائل العثيمين: (183/7)" ذهب فرقة من الناس إلى أنه لا فضل لجنس العرب على جنس العجم، وهؤلاء يسمّون الشعوبية؛ لانتصارهم للشعوب التي هي مغايرة للقبائل.

(144) كتاب الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ص: 803-804، المكتبة الشاملة

المبحث الخامس: الإلحاد: ذاك الباطل الهش

وعلى الرغم من الهجمات الشرسة لجهات مشبوهة، مع تواطؤ بعض الحكام المشكوك بأمرهم في بلادنا، وبرغم الإمكانيات الهائلة التي تُصرف؛ لصد المسلمين عن دينهم إلا أن تأثير باطلهم لازال هشاً. في الماضي كان الملاحدة فرادى، مهزومين، ليس لهم شأن يُذكر؛ فلا حجة عندهم ولا دليل على ما يقولون، فبمجرد المواجهة مع أحد المسلمين الصادقين - حتى وإن لم يكن لديه العلم الكافي، لكنه يحمل في قلبه إيماناً جازماً و يقيناً راسخاً-، فبمجرد ذلك يظهر عورهم، ويتبين عجزهم. وفي السابق لم يكن يُخشى من خطرهم على ذوي الدين، وظل الأمر كذلك إلى أن فُتح لهم الباب على مصراعيه خلف صفحاتهم المشبوهة على الإنترنت يَبْثُونَ فيها سمومهم، ويستقطبون شباب الأمة ممن لم تتمكن العقيدة من قلوبهم، وَأَهْمَلَ الآباء والمربّون متابعتهم؛ ليلقوا في قلوبهم الشبهات، ويزيئوها لهم بالشهوات.

الباب الثالث: منهج الدعوة الإسلامية في الرد على المخالفين

ويتكون من الفصلين التاليين:

الفصل الأول: المجادلة والحوار والمناظرة:

وفيه مباحث:

المبحث الأول: الشبهة.

المبحث الثاني: المناظرة.

المبحث الثالث: الجدال.

المبحث الرابع: أولويات الحوار.

الفصل الثاني: قواعد المحاور في الرد على المخالفين:

وفيه مباحث:

المبحث الأول: أُسُسُ مَنْهَجِيَّةِ فِي الْحَوَارِ وَالرَّدِّ عَلَى الْمُخَالِفِينَ

المبحث الثاني: قواعد عامة على الداعية المحاور أن يُلزَمَهَا

المبحث الثالث: قواعد تنفع المحاور مع الملاحدة ومع غيرهم

الفصل الأول: المجادلة والحوار والمناظرة

المبحث الأول: الشبهة

فقه التعامل مع الشبهات:

إن قضية فقه التعامل مع الشبهات من القضايا المهمة والضرورية للداعي، فهو عندما يبدأ بمهمته الدعوية لإبلاغ رسالة الإسلام - خصوصاً في هذا الزمن - تواجهه شبهات مختلفة الأنواع، موجّهة إليه وإلى ما يدعو إليه، تثير الشك والارتياب حول صدقه، وصدق ما يدعو إليه؛ لمنع المدعويين من الاستجابة له. وإثارة الشبهات سلاحٌ ذو تأثيرٍ قوي، يستخدمه خصوم الدعوة الإسلامية وأعداؤها من قديم الزمان، وتاريخ دعوات الأنبياء وسير الدعاة خير شاهد على ذلك، فلا بد وأن يستعد الداعي لمواجهتها بالدليل والبرهان؛ وقايةً لنفسه، وإزالةً عن نفوس المدعويين، وإفحام المخالفين المعاندين.

ويمكن إبراز هذا الموضوع من خلال المطالب التالية⁽¹⁴⁵⁾:

المطلب الأول: حقيقة الشبهة:

أولاً: معنى الشبهة في اللغة والاصطلاح:

نقول فلان شبه فلان، أي مثله، ونقول: اشتبه الأمر عليّ، أي: التبس واختلط، ونقول: أمورٌ مُشْتَبِهَةٌ: أي مُشْكَلَةٌ ومُتَلَبِّسَةٌ.⁽¹⁴⁶⁾

وجمعُ الشُّبُهَةِ: شُبُهَةٌ، وهو اسم من الاثْتِبَاهِ، واشْتَبِهتُ الأمورَ وتشابهت، أي: التبست لإشباها بعضها بعضاً، ومن علوم القرآن المحكم والمتشابه، وشُبِّهَ عليه الأمر، أي: لُبِسَ عليه، وإياك والمشتبهات، أي: الأمور المشكّلات⁽¹⁴⁷⁾.

- فمعنى الشبهة: هو أن المتلقي لها يفهمها على غير حقيقتها، أو يتردد في استيعاب معناها، لما يتوهم فيها أو يجد فيها من التناقض والغموض والإبهام!

- قال الحلبي: "الشبهة ما يُخيل للإنسان حقيقةً شيء والأمر بخلافها".

- قال الراغب: "والشبهة أن لا يتميز أحد الشئيين عن الآخر لما بينهما من التشابه".⁽¹⁴⁸⁾

- وقال الجرجاني: "والشبهة نظير الحجاب فيما يُدْرِكُ بالعقول؛ لأنها تمنع القلب رؤية ما هي شبهة فيه كما يمنع الحجاب العين أن ترى ما هو من ورائه؛ ولذلك توصف الشبهة بأنها اعترضت دون الذي يروم القلب إدراكه ويصرف فكره للوصول إليه من صحة حكم أو فساد، فإذا ارتفعت الشبهة وحصل العلم بمعنى الكلام الذي هو

(145) ينظر: مادة هذا المبحث تم تلخيصها وجمعها من: منهج الدعوة الإسلامية في الرد على الشبهات، رسالة دكتوراة، د. شميم بن أحمد عبد الكريم، في جامعة الإمام محمد بن سعود، بكلية أصول الدين، وقواعد ومنطلقات في أصول الحوار ورد الشبهات د. عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، وموسوعة بيان الإسلام الرد على الافتراءات والشبهات لخبذة من كبار العلماء، وخلاصة التحقيقات في الرد على الشبهات والتصورات، د. محمد عطا سعيد رمضان، وأصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، فقد خصص مبحثاً للحديث عن أسلوب إزالة الشبهات، ومنهجية التعامل مع الشبهات وقواعد دحضها، مقال منشور على موقع منتدى التوحيد، في قصص الاتهام منهجية التعامل مع الشبهات وقواعد دحضها د. علي الحمادي، ومنهج القرآن في التعامل مع الشبهات، د. سعيد عمر دحياج، وقواعد عامة في الرد على شبهات النصارى، د. رفاعي سرور، مقال منشور على موقع طريق الإسلام، ومدافعة الشبهات د. عبد العزيز آل عبد اللطيف، مقال منشور على موقع إسلام ويب، ومنهج السلف في التعامل مع الشبهات، محاضرة مفرغة للشيخ عبد الكريم الخضير منشورة على موقعه.

(146) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين ابن فارس ص: 526

(147) ينظر: لسان العرب 5/505، أساس البلاغة 1/493، والقاموس المحيط ص 1247، وتاج العروس 36/411.

(148) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ج 2 ص: 250

الحجة على صحة ما أدى من الحكم قيل هذا ظاهر كالشمس أي ليس ههنا مانع عن العلم به ولا للتوقف".⁽¹⁴⁹⁾
 - والشبهة، هي: "(الظن المشتبه بالعلم) ذكره أبو البقاء، وقال بعضهم الشبهة: (مشابهة الحق للباطل، والباطل للحق من وجه، إذا حقق النظر فيه ذهب)".⁽¹⁵⁰⁾
 - وقيل أيضًا إنَّ الشبهة هي: "محاولة إحداث خلل في فهم وتناول النصوص، من خلال التأثير على النص الأصلي لاختلاق تناقض في المعنى بأساليب متعددة".⁽¹⁵¹⁾

(وعند التأمل في هذه الدلالات يمكن أن نفهم بأنَّ الشبهة لا تكون ذات قيمة معرفية إلا بوجود معطيات ومعلومات مُسبقة عند الشخص حول القضية المشتبهة لديه، وفي إطار تلك المعطيات والمعلومات يجد أو يتوهم شيئًا من الغموض والاختلاط والالتباس أو حتى التناقض بينها وبين معلوماته القبلية! ولهذا فبدون معلومات مسبقة حول الموضوع لا يكون للشبهة أدنى قيمة؛ لأنها لا تكون ناتجة عن علم بل عن جهل! بل، ولا يكفي المعلومات المسبقة ليكون لطرح الشبهة معنى وقيمة، بل لا بد من وجود مرجعية عُليًا يُحَاكِمُ إليها المرء صاحب الشبهة شهبته، وإلا صار الأمر عبثًا!

وأبَدِرُ للقول هنا بأنه داخل المرتكزات الإلحادية، لا يحق للملحد أن يطرح أدنى شبهة، بل ولا يصح أن يتخذ من شهبته أدلة على صحة موقفه وقناعته الإلحادية، وذلك بسبب عدم وجود مرجعية في الإلحاد، بل ليس هناك - كما يعتقد الملحد - إلا الحقيقة الهلامية بلا ثبات ولا أصول ولا معنى، وليس هناك إلا المادة الصماء بلا هدف ولا غاية ولا خير ولا شر، ولا صواب ولا خطأ".

ولهذا نقول بأن الملحد بمجرد أن يفكر في وجود شبهة ما، يكون ضمنيًا قد تخلى عن قناعته الإلحادية! ومن هنا فإنَّ ما يلهج به كثير من الشباب اليوم أو الملاحدة عمومًا، بقولهم (عندي شبهة أو عندي شبهات)، ليس في واقع الأمر شبهة، بل هو فقط جهل منهم بالأحكام الشرعية أو القدريّة أو غيرها في مبادئها ومنطلقاتها ومقاصدها وغاياتها.

ومعلوم أن هؤلاء الشباب أو الملاحدة لما كانوا جهلة بموارد الشرع والقدر، إلتبست عليهم الأمور واختلطت عليهم المعطيات، فظنوا أن الأمر كذلك في نفسه، ثم تراهم يبحثون عن مزيد من الفروع والجزئيات والصور لهذه الشبهات، وذلك ما يزيد الفكرة رسوخًا في أذهانهم، فتتشكل نفوسهم وعقولهم في قوالب الشبهات، فلا تزال تتولد شيئًا بعد شيء بلا حد ولا نهاية، لأن "العقل إذا اهتم بأمر علقته به الشواهد المؤيدة لأمره كما يتعلق الشوك في الصوف، فتثقل كفة أمره الذي اهتم به وتَقَوَى وتَخِفَّ كفة بقية الأمور الأخرى".⁽¹⁵²⁾
 ولهذا فإن الشبهة معرفيًا لا قيمة لها إلا إذا صدرت عن شخص له علم وفهم، ولكن لحديثات معينة غمضت المسألة عنده، والتبس فيها لديه الحق بالباطل.

وأما الجاهل فكما قلنا لا قيمة لما يختلط عليه ويلتبس لديه؛ لأنه جاهل، ألا ترى كيف قال سبحانه: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} [آل عمران: 7]، فوضع المتشابه مقابل المحكم، أي مقابل معطيات واضحة وثابتة، فعندما يقول الشاب أو الملحد (عندي شبهة أو عندي شبهات) ينبغي

(149) أسرار البلاغة في علم البيان ص 71.

(150) التوقيف على مهمات التعاريف ص 201.

(151) قواعد عامة في الرد على شبهات النصارى، د. رفاعي سرور، مقال: منشور على موقع طريق الإسلام.

(152) العقلية الليبرالية - عبد العزيز الطريفي ص: 175

أن نرد عليه بالقول: لا تقل عندي شبهة، بل قل أنا جاهل بهذه المسألة، فما تفسيرها وبيانها؟، وإنما نقول له ذلك؛ لأن وجود الشبهة في الأحكام الشرعية والقدرية ليس لأن المسألة في نفسها من شأنها أن تثير الشبهة، إذ إن الله تعالى بما أنه الحق، فأحكامه التشريعية والقدرية يستحيل عليها الاختلاف والتناقض، ولذلك وصف الله سبحانه القرآن في الكثير من الآيات، بأنه نور، هدى، فرقان، رحمة، شفاء، برهان، كما وصف الإسلام بأنه الدين القيم وأنه يهدي إلى الاستقامة والحق والعدل والصدق، كما في قوله سبحانه وتعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا} [الكهف: 1]، وقوله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} [الإسراء: 9]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [يونس: 57]، إلى الكثير من الآيات الكاشفة عن هذا المعنى.

وإنما تكون المسألة مشتهية ومشكلة في عقل المتلقي لها⁽¹⁵³⁾، وهذا يكون مرتبطاً بسعة العلم وحسن الفهم وطهارة القلب والبعد عن الأهواء والشهوات والتسليم لله ولرسوله، إذ لا شك أن كل هذه العناصر – وغيرها – تؤثر تأثيراً قوياً في المسألة، ولكن للأسف، فإن كثيرين يغفلون عن هذه الحقيقة!⁽¹⁵⁴⁾

ثانياً: نشأة الشبهات⁽¹⁵⁵⁾، وأسباب ظهورها:

الإنسان معرض للشبهات، سواء ما يليق به الهوى والشیطان في نفسه أم ما يسمعه ويقراه هنا وهناك، وما يتعرض له العبد من ذلك هو من باب الابتلاء الذي طبع الله سبحانه الدنيا عليه، كما قال سبحانه: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ} [المالك: 2]، وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنعام: 165]. واليوم صارت لكلمة "شبهات" رواج واسع بين الشباب المعاصرين، فقد كثرت حديثهم عنها، ولهجهم بها، وخوضهم فيها، فصارت تسمع كل من هبَّ ودبَّ يقول لك عبر المنشورات أو التعليقات أو حتى عبر الرسائل الخاصة: عندي شبهة حول وجود الله أو الأحكام التشريعية، أو تفاصيل الأقدار، أو السيرة النبوية، وغير ذلك! حتى إنك ليخيل إليك بأن بعض الشباب اليوم يبحثون عن الشبهات ويفتشون عنها ويفكرون فيها؛ للظهور أمام أنفسهم وأمام الآخرين بمظهر الذكي اليقظ، والباحث المطلع!

هذه الحالة التي وصل إليها هؤلاء لم تأت من فراغ، ولم تنشأ من عدم، بل هناك عوامل وأسباب تقف وراء ذلك، فالأحوال الفكرية والنفسية – مثل الأحوال المادية – لا بد لها من أسباب تُسهم في نشأتها وشيوعها ورسوخها، فقد قضى الحق تبارك شأنه أن تكون شئون عالم الدنيا – بكل ما فيه من أشخاص وأحداث – قائمة على قانون الأسباب، وأبرز هذه الأسباب:

1- حالة التخلف التي مر بها العالم الإسلامي في القرون الأخيرة قبل السقوط النهائي، فبفعل عوامل مختلفة، انتشر الجهل وعمَّ الانحراف وشاعت البدع، حتى صار الإسلام غريباً بين أهله، لا يعرفون منه سوى القشور والدروشة الميتة!

(153) نحن هنا نتحدث عما يخص الإسلام فقط، في عقيدته وشرعيته، ولا يعنيها في شيء ما يتعلق بالأديان الأخرى، كالنصرانية أو اليهودية. (المصدر: كتاب الإلحاد.. الوهم المستحيل!).

(154) المصدر: الإلحاد.. الوهم المستحيل، نور الدين قطيط، مؤسسة السبيل - الطبعة الأولى 2020/1442

(155) المصدر السابق.

2- المكر الاستشراقي الذي ما فتىء يضح كميات هائلة من المغالطات والشبهات حول كل شيء يتعلق بالإسلام، من عقيدة وشريعة وقرآن وسنة وسيرة ولغة وتاريخ، وأحياناً بأساليب مكشوفة، وأحياناً بأساليب في غاية المكر والالتواء!

3- قيام العلمانيين العرب بمتابعة تنفيذ خطط الاحتلال الغربي الرامية لتحقيق التجهيل الفكري والتفسيق النفسي للمجتمعات المسلمة، وذلك من خلال الإعلام والصحافة والتعليم والقوانين، ولا يزال هؤلاء يتابعون تنفيذ المهمة بهمة ونشاط!

4- إهمال الآباء تربية أبنائهم التربية الإسلامية الصحيحة وانصرافهم عن تعليمهم مهمات الإسلام العقدية والأخلاقية، بل كثير منهم ليس لهم همٌّ إلا حصول الأبناء على وظيفة جيدة بعد التخرج، بل هناك من يخيف أبنائه من العلم الشرعي لأنه يولد التطرف! ولقد روى أبو داود في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاصْرُبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ".

وقال ابن القيم رحمه الله: "فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى، فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد، إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً".⁽¹⁵⁶⁾

5- مخالطة رفقاء السوء، والإنسان مجبول على التأثر بصاحبه وجليسه، والأرواح جنودٌ مُجَنَّدَةٌ؛ روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ، كَمَثَلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ، إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ (157)، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً؛ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً"، فجلس السوء يؤثر في صاحبه، ويدعوه إلى البُعد عن الدين ومماثلته في الوقوع في المحرّمات، قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: ودَّت الزانية لوزني النساء كُلِّهنَّ، وصدق الله القائل: {وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً} [النساء: 89]، وقال تعالى: {وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا} [النساء: 27].

6- القراءة فيما يُسمّى بكتب الفكر والفلسفة، أو الحدائث التي تحوي الإلحاد والزندقة، وردّ الأحاديث الصحيحة بحجّة أنها تُنافي العقل، وفي هذه الكتب أيضاً تمجيد لحضارة الغرب الزائفة، وأن سبب تخلف المسلمين هو تمسُّكهم بدينهم وأخلاقهم، والتعرُّض للذات الإلهية بالتنقُّص، فالقراءة في مثل هذه الكتب المسمومة تؤثر في عقيدة القارئ، ومع كثرة القراءة، وتنوع الكتب، قد ينشأ عنده الفكر الإلحادي، كما صرّح بعضهم بأن سبب اعتناقه لفكر الإلحاد هو القراءة في كتب النصارى المستشرقين، وأصحاب الشهوات المحسوسين على المسلمين.

7- الانغماس في فضاءات الإنترنت، بسبب حالة الإحباط الشديد وضعف الهمم، حيث صار الشباب يرون السياحة في العوالم الافتراضية أفضل حلٍّ لتفريغ شحنات نفوسهم المتأزّمة، وهذا ما يستنفذ أوقاتهم ويلهمهم عن معرفة الحق!

(156) "تحفة المودود بأحكام المولود" (ص 229، 242).

(157) يُحْذِيكَ، يعني: يهيك، يعطيك.

وقد يكون السبب -في تصفح المواقع الالكترونية أو الاطلاع على القنوات الفضائية اليهودية، أو النصرانية التي تدعو لعقيدة التثليث، أو الشيوعية الإباحية- هو الفضول في معرفة ما عند الغير، فيقع المحذور.

8- حب الشهوات والملذات، والتخلُّص من التكاليف الشرعية، والانطلاق في عالم الإباحية، والمجون؛ قال تعالى: {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [يوسف: 53].

9- النظرة الاحتقارية للعلوم الشرعية؛ فقد عمل المنافقون الصرحاء والمتخفون، على غرس احتقار العلم الشرعي في عقول الشباب المسلم، تارةً بالقول بأنه أداة تخلف وضياع الأمة، وتارةً بالقول بأنه لم يعد صالحاً لهذا العصر!

10- استغلال المناوئون للإسلام، من ملاحدة وعلمانيين وماركسيين ونسويات وصلبيين، لوسائل التواصل الاجتماعي المختلفة؛ لبث سمومهم الفكرية في قوالب تخلب عقول الشباب الذين ليس عندهم أسس متينة، شرعياً ومعرفياً!

11- العُجْب والغرور بالنفس، واحتقار الناس، فهناك أشخاص كلما تقدموا في مسار القراءة والمطالعة ارتفع عندهم منسوب العجب بالذات، والإنسان عندما يزهو بذكائه فإنه لاشعورياً يحرص على الغلو في النظر في مسائل إما تكون فوق مستوى علمه أو خارج متناول العقل! "كما حصل لأحدهم: كان يؤلّف المؤلّفات العظيمة في الدفاع عن العقيدة والدين، حتى أُعجب بنفسه، وأصابه الغرور، حتى استحقق الأنبياء، وقال: إن العلم الذي عنده والفضل، لو قُسم على الخلق، لأعنى عما عند الرسل، وألّف كتابه المعروف: "هذه هي الأغلال"؛ يعني بها: ثوابت الإسلام، وتكلّم في الأنبياء، وكذّب أشياء في القرآن، فإنّا لله وإنا إليه راجعون".⁽¹⁵⁸⁾

12- تعرض المسلم لضغوط مختلفة، من الإعلام العلماني حيث يقومون بضخ موجات من الشبهات، إلى جانب التركيز على الظروف الاقتصادية والاجتماعية الخانقة، وغير ذلك، ولا شك أن الوقوع تحت الضغط يُفقد الشخص مقارنة التأثير بها، قليلاً أو كثيراً!

13- تعظيم النزعة الشكّية، فاليوم لم نعد نجد أهل الباطل والضلال، من مفكرين وفلاسفة، هم وحدهم من يعظم الشك ويرفع من شأنه بل حتى بعض المحسوبين على الإسلام والدعوة! ولا شك أن تبني المرء لهذه النزعة يدفعه دفعا لتطبيقها عملياً!

هذه الأسباب تضافرت على الدفع بالشباب إلى ما هم عليهم، ومن ثم أنشأت فيهم قابلية كبيرة وبيئة خصبة للتأثر بالخطاب المنحرف، سواء في نسخته العلمانية تمهيداً أم في نسخته الإلحادية هدفاً! ولهذا يجب إشاعة الثقافة والمفاهيم الإسلامية بين الصغار والشباب، بما يُناسب العقلية المعاصرة.

ثالثاً: أقسام الشبهات:

تنقسم الشبه إلى قسمين:

- القسم الأول: ينشأ بسبب لبس، أو خطأ، أو عدم فهم أو فهم غير سليم، ويهدف لإزالة الشبهة، فإذا وقف على الجواب، زال ما به، وانكشفت عنه الظلمة.

- القسم الثاني: يُوردهُ المخالفون من الزنادقة، والملاحدة، والنصارى واليهود، وأعاونهم من أعداء الله تعالى، وهو

(158) خطر الإلحاد وانتشاره بين المسلمين لدكتور أمين بن عبد الله الشقاوي.

في الأصل كَذِبٌ مُخْتَلَقٌ يصح أن يُطْلَقَ عليه فِرْيَةٌ أو تَخْرُصًا أو إِفْكًَا.

رابعًا: أساليب ووسائل صناعة الشبهة:

- 1- انتزاع النص وبتره من سياقه الأصلي.
- 2- الزيادة أو النقصان من ألفاظ النص.
- 3- إفقاد النص مقوماته الأساسية وتحويره واستباقه بمقدمات مصطنعة لدفع الفهم باتجاه مُعَيَّن.
- 4- تحريف معنى النص وإخراجه من إطار الأحكام المنهجي الإسلامي.
- 5- حشد وتجميع النصوص المدسوسة، وتقديمها على أنها نصوص قطعية.
- 6- إلزام النص بما ليس من لوازمه.

خامسًا: فوائد الشبهات⁽¹⁵⁹⁾:

ما فائدة ما يثير الشبهات في العقول، في العقيدة والتشريع والقدر بما أن الإسلام – كما يقولون – هو دين الحق المنزل من عند الله تعالى، وأنه موافق للعقل ومنسجم مع الحق؟!

يقول الراغب الأصفهاني: "وأما شبهة من قال: لو كان لله دين لكان باهرا للعقول والأسماع والأبصار. فجوابه: إن ذلك باهر، ولكن لمن لم يُضَيِّع نور الله الذي به يبصر، ولم يُفَسِدْ بصيرته التي بها يدرك. وأما من ضيَّع ذلك فقد صار بمن وصفه الله تعالى بقوله: {صُمُّ بُكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}. وما أشبهه قائل هذا فيما يقول برجل قال لشاعر: لم لا تقول ما نفهم؟ فقال: وأنت لم لا تفهم ما يقال؟، ويجب أن يُعلم أن الله تعالى ركز في عقل كل ذي عقل مرآة فكرٍ، فإذا زكاه وجلاها تبين الحق من الباطل، والكذب من الصدق، والقبيح من الجميل".⁽¹⁶⁰⁾

إن وجود تلك الآيات المتعارضة ظاهريًا (المتشابهات) هي نفسها برهان ساطع على صحة النبوة المحمدية، ومن ثم دليل على صحة أن القرآن كلام الله تعالى العظيم وأنه الحق المبين؛ وذلك لأن البحث الموضوعي في آيات القرآن في مختلف المجالات يكشف عن دقة التناغم والتناسق بينها، وهو دليل على أن مصدره له الكمال المحيط. وإنما يجد بعض الناس التعارض والتناقض فيه على سبيل الوهم والقصور في العلم والإدراك، ويعضد هذا المعنى أن العرب الذين نزل فيهم القرآن، عجزوا عن أن يجدوا فيه أدنى ثغرة، رغم أنهم كانوا فرسان البلاغة، وكانت عقولهم في الطبقة العليا من السلامة الفطرية، ورغم حرصهم على معارضته والتنفير عنه!

وأما وجود بعض ما تعجز العقول عن إدراكه وفهم حقيقته في العقيدة والتشريع الذي جاء به الوحي، فذلك لا يطعن في النظم القرآني، وأنه في منتهى الدقة في معطياته؛ لأن هذا العجز نفسه دليل على أنه كلام الخالق العظيم؛ لأن الخالق له الكمال المطلق، أما المخلوق فهو محدود الإدراك بحكم مخلوقيته، وهذه هي طبيعة النبوات دائمًا، فإن (الرسول لا يخبرون بمُحَالَاتِ العقول بل بِمُحَارَاتِ العقول، فلا يُخبرون بما يعلم العقل انتقاءه، بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته).⁽¹⁶¹⁾

وقد أشار الإمام ابن الوزير إلى شيء شبيه بهذا المعنى، وذلك في قوله: "لما كان التفاوت بين علم المخلوقين وعلم خالقهم عز وجل، لا يُقَدَّر بمقدار، ولا يُتوهم بقياس، وجب أن يكون بينهم في التحسين والتقبيح لتفاصيل الأحكام أعظم من الاختلاف وجوبًا عاديًا يستحيل خلافه، حتى لو قَدَّرنا ما لا يتقدر من موافقتهم لجميع أحكام

(159) المصدر السابق.

(160) الاعتقادات ص111

(161) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية ج1 ص146

الله تعالى على جهة التفصيل لكان هذا محاورة عظمى لعقول جميع العقلاء والأذكياء، بل محالاً ممتنعاً في معارف الفُطناء والعُلَماء، وكان ذلك الاتفاق أعظم شبهة قاذحة في زيادة علم الله تعالى عليهم، ومن أدق المتشابه المحيّر لفظنائهم. فلما جاء السمع بالمتشابه عليهم جاء على القاعدة المألوفة والعادة المعروفة في أن الأعلام إذا تميّز شيئاً قليلاً عن أجناسه وأشباهه لم يكن بُدُّ من أن يأتي بما لا يعرفون، ويفعل ما لا يألّفون، ويستحسن بعض ما يستقبحون، حتى قيلت في هذا الأشعار وضُربت به الأمثال، وحتى قيل إن الاجتماع في الخفيات محال مثلما أن الاختلاف في الجليات محال⁽¹⁶²⁾.

خلاصة هذا الكلام: بما أن علم المخلوق لا يساوي علم الخالق، فطبيعي أن يكون بين الخالق والمخلوق فروقاً واسعة في اعتبارات الحُكْم وموارد التحسين والتقبيح، ولو تساوى علم المخلوق في ذلك بعلم الخالق، لكان ذلك أمانة تُثير الحيرة الشديدة عند العقلاء والعلماء، إذ الخالق يجب أن يكون علمه أعلى وأوسع من علم المخلوق. فلما جاء الوحي على قاعدة معروفة للعقلاء وهي أن كل مَنْ تميز بعلم فوق أقرانه من العادي جداً أن يعرف ما لا يعرفون ويستحسن ما لا يستحسنون ويستقبح ما لا يستقبحون، كان وجود ما لا يدرك العقلاء كنهه في القرآن أمراً عادياً؛ لأنه كلام الخالق الدال على سعة علمه وحكمته.

ولهذا، نقول للشباب المسلم: من المفيد لكم من أية ناحية نظرنا، أن تعرفوا أقداركم، فالإنسان مهما اتسع في المعرفة، فما يغيب عنه أكثر بكثير جداً مما يطلع عليه ويدركه بعقله وعلمه، ولهذا لن يبلغ الإحاطة بعلم الله وحكمته. وأيضاً، فإن مقتضى الإيمان والانتساب إلى الإسلام يوجب على المسلم أن يكون يقينه بحكمة الله وعلمه وعدله ورحمته أعظم من أن تشككه خاطرة عابرة أو شبهة سائرة أو حتى مجلدات كلها شبهات ومغالطات، فالإيمان يعني أنك تؤمن أن الله سبحانه له الكمال المطلق والعظمة اللانهائية في ذاته وأسمائه وصفاته، كالعلم والحكمة والعدل والرحمة، وكذلك من المهم الواجب، نتيجة لهذين المعنيين المذكورين أن تفهموا أن التوغل والتدقيق في غوامض الحكمة والإلهية التشريعية والقدرية مَوْرِدُهُ وَخِيْمٌ وَمَأْلُهُ وَبَيْلٌ، ولهذا ما زال أهل العلم الربانيون يحذرون شديد التحذير من الانزلاق إلى تعليل الأحكام الشرعية والتدبيرات القدرية، ورحم الله من عرف قدره ولم يحاول تجاوزه طوره.

بعد هذه الإشارة، يمكننا تلخيص جواب السؤال المطروح في النقاط التالية:

الأول: الحرص على طلب العلم الصحيح؛ لأن العبد كلما اتسعت دائرة علمه بالقرآن والسنة وأقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم، وتبصر في معاني الحكمة الإلهية في الكون والحياة والتاريخ، وأسرار العلاقة الرابطة بين الدنيا والآخرة كان أبعد من الوقوع في الشبهات، ولهذا ما زال الله تعالى ورسوله الأكرم عليه الصلاة والسلام يحثان المسلم على طلب العلم وتحصيل المعرفة واكتساب الحكمة، وتحقيق حسن الفهم لآيات القرآن وأحاديث السنة، وتقليب النظر في ملكوت الكون.

الثاني: التسليم لله ولرسوله في الأحكام والأخبار:

فإن مقام التسليم العقلي والنفسي مقام عظيم، ولا يرتقي إليه ولا يرسخ فيه إلا ذو المعرفة الثابتة الواضحة واليقينية؛ وذلك لأن الله تعالى خلق الإنسان في هذا العالم الدنيوي؛ ليحقق الكمال الممكن له استعداداً لعالم الأبدية بعد الموت، وهذا قضيت حكمة الله تعالى أن يكون مرتبطاً بالابتلاء، وهو أنواع ومراتب، وأعلاه وأسناها ما

(162) إيثار الحق على الخلق ج2 ص174.

تعلق بالأبعاد الكبرى في التشريع والقدر والكون.

الثالث: إقامة الحججة على المخالفين والمناوئين؛ لأن الله سبحانه أنزل هذا الدين لإقامة الحججة على العباد؛ لقطع أعذارهم في الكفر والإلحاد، ولما كانت كثير من العقول والنفوس تهوى الباطل لخفته عليها، وترفض اتباع الحق لثقله عليها، فتحرص على تبرير باطلها ودحض الحق من خالقها، عبر طرح الشبهات والاعتراضات والمغالطات، في الأحكام التشريعية والتصاريح القدريّة، لزم المسلم بمقتضى الإيمان أن ينبري لبيان الحق وكشف الباطل، من أجل قطع عذر المبطلين.

الرابع: تحقيق التمايز بين الناس؛ وذلك لأن الله سبحانه قد خلق الإنسان في هذه الدنيا إعداداً له للأخرة الأبدية، ولما كان سبحانه قد وهب الإنسان الحرية والإرادة، فإن شاء آمن واستقام وإن شاء كفر وانحرف، كان لا بد من التمييز بين هؤلاء وهؤلاء عبر آلية الابتلاء، وهي تنقسم إلى شهوات وشبهات، فكما أن الإنسان مطالب بضبط شهواته العملية وفق منهج الله سبحانه والإضلال وهلك، فكذلك بخصوص الشبهات العلمية هو مطالب بضبطها بالشرع، فمهتدي أو يرفض ويتبع الهوى فيضل.

الخامس: تجديد الإسلام في النفوس؛ لأن أعداء الله تعالى بمختلف أشكالهم ومرجعياتهم حريصون شديد الحرص على محاربة دين الله سبحانه، وتشويه العقيدة وتقبيح الشريعة. والإسلام بما أنه دين مرتبط بالإنسان وحياته ومصيره، والإنسان لا يمكن أن يظل سائراً في الطريق، قوياً ثابتاً، بل قد يضعف وقد يتعثّر، فكان ضغط هؤلاء الأعداء وهجومهم المستمر على العقيدة والشريعة بأساليب شتى مستغلين عوامل مختلفة، من أعظم أسباب يقظة المسلمين وتنبيههم لطبيعة المعركة التي يشنها الأعداء.

قال محمد قطب: "إن الهجوم المستمر على الإسلام: قيمه ومبادئه وتاريخه ورجالاته وإنجازاته، قد أيقظ المسلمين إلى جوانب من عظمة الإسلام كانت - في فترة الركود - قد نُسيت أو انطفأ بريقها وفقدت إشعاعها. فإن هجوم المستشرقين وأشياءهم من التنويريين الذين يترجمون أفكار المستشرقين وينشرونها بأسمائهم أو أسماء أصحابها الأصليين أحدثت رد فعل فيما يسمى حركة (الدفاع عن الإسلام)".⁽¹⁶³⁾

إن تأمل هذه المقاصد ووضعها تحت موازين الشريعة والحكمة يهدي إلى حقيقة مهمة، وهي أن العبد المسلم ينال بها الثواب العظيم والمنزلة السامية والمقام الراسخ؛ وذلك لأنها كلها تدخل في إطار قاعدة الابتلاء، وهي القاعدة التي بُنيت عليها الدنيا وأُقيم لها الحساب يوم القيامة، كما قال سبحانه: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} [هود: 7]، وقال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ} [الملك: 2].

ولهذا، فحين يأتي الملاحدة ويقولون: المسلمون لديهم هوس بالشبهات، بدليل أنك إذا كتبت كلمة شبهة في أحد محركات البحث في الإنترنت، ستخرج لك مئات ومئات منها، وذلك دليل على أن دينهم كله شبهات وليس فيه أي شيء واضح وحق وصحيح! حين يقال هذا، فهو دليل على الجهل المُفْرِط أو العبث المآجِن أو الخبث الماكر أو ثلاثتها؛ وذلك لأن كثرة ردود المسلمين على الشبهات المختلفة دليل صادق وبرهان ساطع وآية متألثة على أن

دينهم هو الحق المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأمارة ذلك أنهم قادرون على الرد على كل شبهات وأوهام الملاحدة والنصارى والعلمانيين والنسويات وغيرهم من أهل الباطل والضلال حتى وإن كانت في منتهى السخف والعبث، كما أنها أمانة على أن هؤلاء جميعاً ليس معهم سوى الباطل والوهم والجهل والزيف، وأنهم لا يقصدون الحق ولا يبحثون عنه، بل أقصى ما لديهم هو الاعتراض لمجرد الاعتراض؛ لينخدع بهم أهل الغفلة فيظنون أنهم على شيء! لكن، من مشاكل الملحد أنه لا يريد أن يفهم هذه الحقيقة بل تراه يركب رأسه ويُتبع نفسه هواها بلا أي دليل ولا أي منهج، ثم لا يتردد في إطلاق العنان للسان!

ولهذا يجب على المسلم في هذا العصر ألا تهوله الشبهات التي يثيرها هؤلاء المفسدون في الأرض، بل عليه أن يفخر بانتمائه للإسلام وأن يعتز بذلك، وأن يتذكر دائماً بأن معركة الحق والباطل ما زالت منذ كان في الأرض حق وباطل، ولن تنتهي أبداً. فهذا الدين تنزيل من رب العالمين، وصراط الأنبياء والمرسلين، ومنهاج الحكماء والصالحين، لن يجد فيه ذو العقل والإنصاف والحكمة والعدل ثغرة واحدة يمكن أن تكون سبباً في الشك فيه؛ لأنه تفصيل الذي يعلم سر الإنسان ومداخل عقله ومساربه ونفسه وخفايا باطنه ومآلات الأمور الاجتماعية في مستقبلها القريب والبعيد. ومن شك أو احتار فذلك لجهله وتقصيره أو لخبث طويته وسوء غايته.

وما أحرى بالمسلم أن يتأمل مقالة ابن الوزير اليماني وهي مناسبة جداً لهذا السياق: "لا ينبغي أن يستوحش الظافر بالحق من كثرة المخالفين له، كما لا يستوحش الزاهد من كثرة الراغبين، ولا المتقي من كثرة العاصين، ولا الذاهر من كثرة الغافلين، بل ينبغي منه أن يستعظم المنة باختصاصه بذلك مع كثرة الجاهلين له الغافلين عنه، وليوطن نفسه على ذلك، فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن هذا الدين بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ".⁽¹⁶⁴⁾

ويجب التنبيه إلى أن أحد أهم مقاصد الملحدين، خصوصاً المتخفين منهم، كالعلمانيين والليبراليين والنسويات، هو إضعاف النزعة الانتمائية إلى الإسلام في عقل ووجدان المسلم؛ لأن ضعف هذه النزعة يؤدي إلى اعتبار أن الإسلام مثله مثل أي دين أو توجه أو مذهب، وهذا يؤدي بالضرورة لعدم الفخر والاعتزاز به، وهذا يجعله ممكن المراجعة والتشكيك والنقد، فإذا وصل الشاب إلى هذا الحد، ولو بشكل ضمني، يكون قد وضع قدمه على طريق الإلحاد الصريح!

لا نجاة للعبد من الشبهات إلا بالله⁽¹⁶⁵⁾

الحقيقة أنه لا يمكن - بعد عصمة الله تعالى وتوفيقه - أن ينجو العبد من الشبهات، خصوصاً في مثل عصرنا، حيث يتم ضخ الكثير جداً منها وقصف عقول الشباب بها، لا يمكن النجاة ما لم تكن للمسلم أسس وقواعد يستطيع الاعتصام بها من فتن الشبهات التي يطرحها الملاحدة والنصارى وغيرهم، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية يرد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات وظلم في الكلليات، فيتولد فساد عظيم".⁽¹⁶⁶⁾

(164) إثبات الحق على الخلق ج 1 ص 401.

(165) المصدر السابق.

(166) منهاج السنة النبوية ج 5 ص 83

سادساً: ركائز ينبغي على المسلم استيعابها:

وأحب هنا التنبيه على مجموعة من الركائز التي ينبغي أن يستوعبها المسلم وأن تكون واضحة في عقله، وهي إن شاء الله كفيلة بحراسة عقله وقلبه من الخضوع لمغالطات الملاحدة وتلييسات شبهاتهم، وهي:

الأول: الكمال الإلهي: والمقصود به، أن يعلم المسلم أن الله سبحانه متصف بالكمال اللانهائي، كان بكماله وعظمته وغناه قبل خلق الخلق، وهو كذلك بعد خلق الخلق، ولم يزده خلق الخلق كملاً لم يكن له قبل خلقهم. ولهذا يستحيل استحالة مطلقة أن يكون في كلامه التشريعي أو تصاريفه القدريّة، أدنى تناقض أو ظلم أو عبث.

الثاني: القصور الإدراكي: والمقصود به أن يعلم المسلم أن المدارك العقلية محدودة وقاصرة وعاجزة عن الإحاطة الشموليّة بكل شيء، فالإنسان مخلوق، والمخلوق لا بد أن يكون محدوداً في كل شيء، وبحكم محدوديته الإدراكية يستحيل أن يحيط علماً بالأبعاد والمقاصد النهائية للحكمة الإلهية، سواء الشرعية أو القدريّة، ونحن البشر "إنما أعطينا العقل لإقامة العبودية لا لإدراك الربوبية".⁽¹⁶⁷⁾

الثالث: طبيعة عالم الدنيا: والمقصود به، أن يعلم المسلم أنّ الدنيا دار ممر، شاء الله سبحانه أن تكون مسرح التكليف الإلهي للإنسان للقيام بحقوق الألوهية وواجبات العبودية، وأساس التكليف هو الابتلاء، فكل عبد مبتلى بضروب من الابتلاء، وما دام العبد في الدنيا فالابتلاء لازم له، ولا هناء إلا لمن فاز بالجنة، جعلنا الله من أهلها.

الرابع: مسئولية الإنسان: والمقصود به، أن يعلم المسلم أنّ الله سبحانه وهب الإنسان الحرية والإرادة؛ ليقوم الحجة عليه. فالإنسان له كامل الحرية للاختيار بين الإيمان/ الكفر، الاستقامة/ الانحراف، الطاعة/ المعصية. وشعور الإنسان بالحرية والإرادة في حياته اليومية ونشاطاته المختلفة برهان ساطع على أنه مكلف.

الخامس: حجة الوحي الإلهي: والمقصود به، أن يعلم المسلم أنّ الله سبحانه قد قطع عذر الإنسان بإنزال الوحي، فهو منظومة شاملة ومتكاملة لمعرفة الحق. كما غرس فيه مبادئ العقل التي توجب عليه الإيمان وطلب الحق، فهما نور على نور. فللإنسان أن يفعل ما يشاء، لكن الحساب بعد الموت، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

السادس: الهدف الوجودي: والمقصود به، أن يعلم المسلم أن الخالق سبحانه قد خلق الإنسان لهدف معين ولغاية مقدسة، هي تلك "العبودية" بمفهومها الشامل لمختلف نشاطات الحياة: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56]، وأتته على هذه المهمة والوظيفة سيكون الحساب يوم القيامة، ثواباً لمن آمن وأطاع، وعقاباً لمن كفر وعصى.

السابع: اليقين لا يزول بالشك: والمقصود به، أن يعلم المسلم أنّ كل ما يُطرح من الشبهات والتشكيكات والمغالطات، وما قد يُصادفه العبد من الهواجس والوساوس من الهوى والشيطان حول الوحي والقدر والواقع، شكوك يجب قطعها باليقين، الذي هو أنّ الله له الكمال المطلق والإنسان محدود الإدراك.

الثامن: الحياة الأبدية بعد الموت: والمقصود به، أن يعلم المسلم أنّ الإنسان مخلوق للأبدية، وقد رتب الله سبحانه مصيره في الجنة أبداً أو النار أبداً على مدى قيامه بحقوق الألوهية وواجبات العبودية، والحساب

(167) الحجة في بيان المحجة، أبو القاسم الأصبهاني ج 1 ص 319

الكامل (تَوَابًا وَعِقَابًا) إنما يكون في الآخرة، كما قال تعالى: {وَأِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ} [آل عمران: 185].

التاسع: الجهل المفصل لا ينفي العلم المجمل: والمقصود به، أن يعلم المسلم أن كون الإنسان يجهل تفاصيل الشريعة ومقاصدها وأسسها، ويجهل أسرار القدر وتصاريفه وحكمه، وعلاقته بفعل الإنسان وحركة المجتمع، لا ينبغي أن ينفي علمه المجمل بعدل الله وحكمته، وبحرية الإنسان ومسئوليته.

العاشر: الصراع الفكري والثقافي: والمقصود به، أن يعلم أن الصراع بين الحق والباطل، بين التوحيد والجاهلية، بين الإيمان والكفر، سنة من سنن الله تعالى في حياة البشرية. واليوم يحرص المفسدون في الأرض على مصارعة الحق والتوحيد والإيمان، تُحَرِّكُهُمْ لذلك أحقاد وأطماع وأهواء.

الحادي عشر: الاستشكال لا يدل على البطلان: والمقصود به، أن يفهم المسلم أن ما قد يستشكله في القرآن والسنة والقدر أو في الحياة والطبيعة والكون، لا يلزم عنه البطلان؛ لأن الاستشكال قد يكون بسبب الجهل، أو العناد، أو الهوى... إلخ، ولو ذهبنا نُبطل كل ما استشكلنا؛ لتعذرت المعرفة والحياة ولما تقدم العلم خطوة واحدة.

الثاني عشر: سؤال أهل العلم والمتخصصين: والمقصود به، أن بديهية العقل والفطرة السليمة يؤكدان على حقيقة جوهرية، وهي أن الجهل بشيء ما يفرض علينا سؤال المتخصصين الثقات في ذلك المجال، ومن الحماسة والسفاهة سؤال غيرهم، وهذا مبدأ قرآني أصيل، {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [الأنبياء: 7].

الثالث عشر: المحكم والمتشابه: والمقصود به، أن يعلم المسلم أن طبيعة الدنيا ومقصود التكليف تقتضي أن تكون محكمات ومتشابهات. ففي كل مجال من المجالات الدينية والفكرية العلمية والبحثية، هناك أصول محكمة وهناك أمور متشابهة، ومنهج أرباب هذه المجالات يَرُدُّون المتشابهات إلى تلك المحكمات.

الرابع عشر: الحق لا يتبدل: والمقصود به، أن علم المسلم أن الحق حق حتى وإن تمت زخرفة الباطل، وتزيينه، وحتى إن تبناؤه المشاهير وروجوا له، وحتى إن ضخمه الإعلام ونفخ فيه لتتقبله النفوس وتشربه العقول؛ وذلك لأن الحق قيمة مطلقة لم يُنشأها الإنسان وليس هو من قرر تبنيها، بل هي جزء من تكوين الفطرة والوجود.

الخامس عشر: اللب قبل القشور: والمقصود به، ألا ينخدع المسلم ألا تهوله كثرة تشويق الملاحدة للكلمات ورفعهم الدائم لشعارات براقية، مثل عقل، دليل، علم، لقد درسنا وبحثنا، وعلماء العالم كلهم متفقون على كذا. فهم بهذا ينشدون إحداث الصدمة النفسية عند المتلقي المسلم، لكي يعجز عقله عن التفكير ومن ثم يتشرب أطروحاتهم وشبهاتهم، أي أنهم عملياً يمارسون إرهاباً نفسياً، -ولا شك هذه الخطة قديمة، فقد مارسها اليهود قديماً مع المسلمين، لكي يشككهم في الإسلام-، ولهذا خلد الله تعالى هذا الموقف في القرآن لكي يعتبر به المؤمن، فقال حكاية عنهم: {وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهُ التَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [آل عمران: 72].

السادس عشر: توافق العقل والوحي: والمقصود به، أن يكون المسلم على يقين تام بأن الوحي يستحيل أن يناقض عقلاً صريحاً أو علماً ثابتاً. فالوحي كلام الله، والعقل والكون خَلَقُ الله، ولا يمكن أن يتناقض كلام الله مع

خلقه. وإذا صادف ما يوهم بالتناقض، فذلك يرجع إلى أن الوحي محتمل، أو أن النظر العقلي ليس صحيحًا في مقدماته، أو أن المعطى العلمي إذا كان له تعلق بمعطى الوحي ليس حقيقة علمية نهائية.

السابع عشر: أصالة المصادر: والمقصود به، ألا يغتر المسلم بالمصادر التي يذكرها الملحد، ولا بالاقتباسات التي يعرضها، فالملاحظة قومٌ بهت، يفترون الكذب وهم يعلمون، وبعضهم كحاطب ليل، فلا يهتمون بأصالة المصدر، هل هو معتمد عند المسلمين في الدليل أم لا؟ كما أنهم يمارسون لعبة الانتقاء، سواء في القرآن أم الحديث أم أقوال العلماء؛ لأن غرضهم تضخيم كلامهم للإيحاء بأنهم يعرفون الإسلام حق المعرفة، ولذلك أهدوا.

الثامن عشر: منهجية التسليم: والمقصود به، أن يتفطن المسلم إلى أن من خُدع الملحد الماكرة أنه يتعمد طرح أسئلة هي في أساسها مبنية على أصول أخرى، وبدون التسليم بتلك الأصول والافتناع بها، فإن تلك الأسئلة الملوغمة تجر المسئول إلى بلبلة فكرية واضطراب معرفي مثل قولهم مثلاً: لماذا خلقنا الله بدون أن يأخذ رأينا؟ (أنت كنت عدماً فكيف يأخذ رأيك؟).

التاسع عشر: لا تبرر دينك: والمقصود به، أن يفهم المسلم بأنه غير ملزم بتبرير عقيدته وشريعته، بل دوره أن يبلغ رسالة الوحي إلى الملحد، ثم له الخيار في القبول أو الرفض. بل يجب على المسلم أن يقلب على الملحد كلامه بمطالبته بتبرير طرح ما يسميه شبهات؛ لأنه وفق المرتكزات الإلحادية لا يوجد أدنى مبرر لهذه الاعتراضات.

العشرون: هذا الدين علم: والمقصود به، أن يفهم المسلم بأن الإسلام في عقيدته وأحكامه، علم له أصول وقواعد وضوابط، وبدون الالتزام بها في عملية الفهم لا بد أن يضل العقل وتلتبس عليه المعطيات، ولهذا لا توجد أمة في تاريخ البشرية قديماً وحديثاً وضعت ضوابط وقواعد لفهم دينها كما فعل المسلمون لتفسير نصوص دينهم، وفهمها بشكل صحيح، ولهذا لن تجد اعتراضاً من اعتراضات المناوئين للإسلام إلا وتجده غير منضبط بضوابط الفهم وقواعد العلم الشرعي.

إن استيعاب هذه المنطلقات تحمي المسلم إن شاء الله من التأثر بالأباطيل الرائجة والشبهات الشائعة والوساوس الطارئة، بل حتى وإن لم يفهم مكامن المغالطة فيها، فلن يهتز إيمانه ويقينه وثباته، بحُكم علمه الواضح والعميق بهذه الأصول العامة، ومن ثم، سيبادر لسؤال أهل الاختصاص أو البحث بنفسه، ليعرف أولاً مكامن المغالطة في طرح الملحد والمناوئ للإسلام عموماً، وليعرف ثانياً أصول المسألة في معناها الشرعي، ولماذا كانت كذلك وأي غاية تقصد.

سابعاً: منهج التعامل مع الشبهة⁽¹⁶⁸⁾:

من رحمة الله سبحانه أن وضع للمسلم منهج التعامل مع الشبهة المعروضة عليه، يقول جل شأنه: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [آل عمران: 7].

فهذه الآية تنص على أن هناك أصولاً محكمة وثابتة وواضحة في المعطيات القرآنية، وفي المقابل هناك آيات متشابهة إلا أن نسبتها قليلة، ثم ذكرت الآية أن الناس في التعاطي مع القرآن، منهم الذين يبتغون الفتنة لإضلال

غيرهم، وذلك بضرب الآيات بعضها ببعض، ومنهم أهل العلم والصلاح الذين يؤمنون بأن القرآن كلام الله، وكلام الله لا يمكن أن يأتيه التناقض والاختلاف من أية جهة نظرنا إليها.

فنخرج من هذا، أن الاشتباه الذي قد يحدث عند بعض الناس، يكون سببه:

أولاً: الغفلة عن كمال الله سبحانه فالواجب أن ينفي أن يكون في كلامه سبحانه أدنى اختلاف أو تناقض، بل اتهام النفس بالجهل والتقصير.

ثانياً: عدم النظرة الشمولية للآيات التي تتعلق بهذا الموضوع أو ذاك مع ربطها بالمرتكزات العامة للقرآن كله.

واعلم أن سروجود الآيات المتشابهة في القرآن يرجع إلى أمور، منها:

أولاً: الكلام الإلهي في سياقاته له اعتبارات؛ لأن القرآن ليس يشبه نمط الخطاب البشري، بل هو نمط متفرد، سواء من حيث التركيب اللغوي أم من حيث الدلالة المعنوية؛ ولذلك فأياته غير منفصلة عن غيرها، بل متشابكة بنظامه كله.

ثانياً: فسح المجال لأهل العلم للتنافس في تحقيق معانيه واستنباط أبعاده؛ وذلك لأن القرآن نزل ليكون دستور الإنسانية إلى منتهى وجودها، سواء في مجالها المعرفي أم في مجالها السلوكي أم في مجالها التنظيمي، فيتنافس علماء كل زمان لاستخراج درره.

ثالثاً: الابتلاء العقلي والنفسي للمسلم، فلما كان المقصد الأعلى للنبوات هو أن يكون العبد عبداً لله اختياراً كما هو عبد له اضطراراً، لا جرم إن كان في القرآن ما لا يُدرك بأول النظر، فيحقق المسلم التسليم لله تعالى فيما لم تبلغه مداركه ومعارفه.

ثامناً: أسباب تكثيف الشبهات⁽¹⁶⁹⁾:

إن كثيرين من الشباب اليوم يغفلون عن أنهم يتعرضون لقصف عنيف على مستوى الأفكار والقناعات والرؤى والأهداف ونمط الحياة، كما يتجلى ذلك في العلمانية والإلحاد والنسوية، وتزييف مضامين الإسلام وتشويه التراث الإسلامي! والهدف هو سلخهم عن عقيدتهم ودينهم، وفصلهم عن هويتهم الإسلامية، مع ربطهم بالثقافة الجاهلية المعاصرة أي الثقافة الغربية. إنهم لا يدركون أنها حرب فكرية ونفسية وأخلاقية شرسة، تحركها أحقاد وأطماع! كما أشار إليه سبحانه بقوله: {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} [البقرة: 217]، ومن بين خططهم للانتصار في المعركة ضد المسلم خطة بثِّ كَمِّ هائل من الشبهات والأباطيل ليتشكك في إسلامه، فيفقد بذلك أهم أسلحته الوجودية!

ولو أن الشباب يدركون هذه الحقيقة -وهي حقيقة مرعبة لمن له اطلاع- فلا شك أنهم سيكونون بمنأى وبشكل كبير جداً عن التأثير بالخطاب الإلحادي بمختلف تحلياته، حتى وإن لم تكن لديهم المهارة المعرفية لإدراك مواطن الخلل والزيف والخداع في تلك الأطروحات، والرد عليهم بشكل مفصل وقاطع. ولكن للأسف، كثيرون ينخدعون بالشعارات البراقة والكلام الفضفاض، ويثقون بهؤلاء الروبيضات والدجاجلة الذين يُظهرون أنفسهم ويقدمهم الإعلام على أنهم باحثون ومفكرون ومجتهدون ومجددون! وإنما يجهل الشباب اليوم الباطل في كلام المبطلين، بمختلف أشكالهم واتجاهاتهم؛ لجهلهم بالحق، إذ لو عرفوا الحق لعرفوا الباطل وأهله ودعائه، كما سيعرفون الحق وأهله ودعائه، ولهذا كان من أهم مقاصد النبوات بيان الحق وأصوله وأهله، وبيان الباطل وأصوله وأهله،

من أجل التفريق بين فسطاط الإيمان والطاعة والاستقامة، وفسطاط الكفر والنفاق والضلال، كما قال سبحانه وتعالى: {وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام: 55]، أي أن الله سبحانه يقصد قصدًا لكشف الباطل وأصوله وآثاره ودوافعه، لماذا؟ لكي تنجلي حقيقة المجرمين المبطلين أمام أهل الحق وأتباعه، ولذلك ما زال القرآن يجادل أهل الكفر والنفاق والشرك والإلحاد، ويكشف دوافعهم وخبثهم، ويبرهن على ضلالهم وسفه عقولهم، ويتوعددهم بالمصير الوبيل بعد الموت في عالم الخلود؛ لأن الأمر جدُّ ليس بالهزل، وحق لا يحتمل العبث والمجون كما يريد أن يعيش فيه الذين لا يعقلون!

والمقصود بيان أن على المسلم ألا يلعب بدينه وعقيدته، وقد رأينا الناس لا يخاطرون بالشيء التافه من حطام الدنيا، فكيف يستقيم في ميزان العقل أن يخاطر المرء بمستقبله الأبدي! خصوصًا وأن الأمر ليس بالصعب المتعسر ولا بالغامض المتعذر، بل يكفي أن يخلص المرء نيته في طلب الحق، ثم يشمر عن ساق الجد في البحث والسؤال والتحصيل، وما كان الله سبحانه ليرد طالب الحق بالحق أبدًا.

غير أنه يجب التنبيه إلى أن الملحد يحرص دائمًا على تتبع الشبهات والاعتراضات، ويفتح لها أبواب نفسه وقلبه؛ لإقناع عقله الباطن بأن إلحاده قائم فعلاً على أدلة صحيحة، وأن وجود إله خالق عليه علامات استفهام قوية! وفي هذه الغمرة والسكر والانعزال العاطفي ينسى بأن القضية ليست عدم وجود أدلة أو عدم كفايتها، بل كل ما في الأمر أنه هو شخصياً لا يريد أن يقتنع وأن تشرُّبه للشبهات والمغالطات بالإضافة إلى انغماسه في أحوال المعاصي والشبهات أبرز أسباب مشكلته، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تُعْرَضُ الْقُلُوبُ عَلَى الْقُلُوبِ عَرَضَ الْحَصِيرِ عُرُودًا عُرُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكَّتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكَّتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بِيضَاءٌ، حَتَّى يَصِيرَ الْقَلْبُ أَيْضٌ مِثْلَ الصَّفَا، لَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدٌ مُرَبِّدًا كَالْكُوزِ مُجْحِيًّا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ".⁽¹⁷⁰⁾

القضية إذن ليس عدم وجود أدلة أو عدم كفايتها، بل بفعل الانغماس في أحوال المعاصي وتشرب النفس للشبهات تتشكل على عين العقل والقلب غمامة سوداء، فلا يعود يرى الحق حقًا ولا الباطل باطلاً، بل يرى الباطل حقًا والحق باطلاً، ومن ثم لا تستطيع روحه أن تتلقى إحياءات ودلالات الكون والحياة، ولا يقدر بعدد على تذوق الجمال في مساح الأرض وأفاق السماء. وهذا يرجع إلى العلاقة الوثيقة بين باطن الإنسان وظاهره، بين فكره وقناعاته وسلوكاته ونشاطاته، ف(الباطن أصل الاستقامة ومنبع الصلاح والفساد لجميع الأعمال).⁽¹⁷¹⁾

ولهذا تجد جمهور مفكري وفلاسفة الغرب منحرفين في سلوكاتهم بسبب انحراف أفكارهم وعقائدهم وتصوراتهم، قال نايجل رودجرز: "إن تصرفات الفلاسفة الخاصة السيئة حينًا والمحنة حينًا آخر، والمجنونة في أحيان أخرى، ربما لا تكون تمامًا (مجموعة من الذكريات الشخصية اللاإرادية)، لكنها من النادر أن تكون مفصولة تمامًا عن تفكيرهم. إن حياتهم تؤثر وتساهم بتشكيل أفكارهم بشكل مباشر أحيانًا".⁽¹⁷²⁾

بل حتى في التاريخ الإسلامي وقع كثير من المتكلمين والفلاسفة والصوفية في الانحرافات العملية لما انحرفت بواطنهم بمعارضة الوحي والتعالى عليه وعدم استقرار الإيمان في قلوبهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولهذا

(170) الراوي: حذيفة بن اليمان، صحيح الجامع: الصفحة أو الرقم: 2960

(171) شفاء السائل: عبد الرحمن ابن خلدون ص40

(172) جنون الفلاسفة ص18

تجد كثيرًا من هؤلاء لما لم يتبين له الهدى في طريقه، نكص على عقبيه، فاشتغل باتباع شهوات الغي في بطنه وفرجه أو رياسته وماله، ونحو ذلك؛ لعدم العلم واليقين الذي يطمئن إليه قلبه، وينشرح له صدره".⁽¹⁷³⁾

وقال الإمام أبو القاسم الأصبهاني: "وهل رأى أحد متكلمًا أداه نظره وكلامه إلى تقوى في الدين أو ورع في المعاملات أو سداد في الطريقة أو زهد في الدنيا أو إمساك عن حرام وشبهة، أو خشوع في عبادة أو ازدياد في طاعة إلى الشاذ النادر؟ قل: لو قلبت القصة كنت صادقًا، تراهم أبدًا متهمكين في كل فاحشة، ملتبسين بكل قاذورة، لا يراعون عن قبيح، ولا يرتدعون من باطل إلا من عصمه الله".⁽¹⁷⁴⁾

والغرض من الإشارة أن السلوكيات والأفكار تتفاعل فيما بينها، خيرًا أو شرًا، استقامة أو انحرافًا، ومن هنا وجب مراعاة هذا المعطى والتعامل معه بالجدية التي يستحق.

غير أنه لا يلزم كل مسلم معرفة تفاصيل الردود على الشبهات المختلفة التي يروجها المناوئون للإسلام من ملاحظة وعلمانيين ونسويات وغيرهم؛ لأن ذلك يقتضي العلم المفصل بالشريعة ومعطيات الوحيين (القرآن والسنة)، وهذا أمر يحتاج لفراغ وهمة وزمان، ومعلوم أن ذلك ليس متاحًا لكل مسلم، خصوصًا في عصرنا الحاضر، ولذلك كان معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في العقيدة والأحكام مفصلًا فرضًا على الكفاية، أما عموم المسلمين فهم مأمورون بالعلم المجمل الذي يقيمون به دينهم، لكي لا يقعوا في نواقض الإيمان وأحوال البدع، ولكي يعبدوا الله تعالى على نور وبصيرة وبما جاءت به السنة، كما قال تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: 65].

وهذا لا ينفي ضرورة وأهمية أن يحرص المسلم على اكتساب أصول معرفية كلية يستعين بها على رد الأباطيل والشبهات ردًا مجملًا، إذ ليس يُعقل ولا يُقبل من المسلم أن يجعل عقله وقلبه مثل الإسفنجة التي تشرب كل ما يقع عليها من السوائل صالحة أو فاسدة، مفيدة أو ضارة، فهذا يدل على الغفلة واللامبالاة، وأكثر الناس ضلوا عن الحق ووقعوا في الباطل، ليس لعجزهم عن معرفة الحق والباطل، بل لعدم مبالاتهم أصلًا وانصرافهم إلى اتباع أهوائهم وشهواتهم، كما قال الإمام ابن الوزير اليماني: "علمت بالتجربة الضرورية في نفسي وغيري، أن أكثر جهل الحقائق إنما سببه عدم الاهتمام بتعرفها على الإنصاف لا عدم الفهم، فإن الله -وله الحمد- قد أكمل الحجة بالتمكن من الفهم، وإنما أتى الأكثر من التقصير في الاهتمام".⁽¹⁷⁵⁾

ومن المؤسف جدًّا أن نعتزف بأن شريحة واسعة من الشباب المسلم اليوم هم كذلك، ولديهم استعداد للتأثر بشكل سريع ومفاجئ بكل ما يُطرح من الأباطيل والتلبيسات! وإنك مهما قلبت وجوه الرأي في هذه القضية فإنك لا محالة تجد صعوبة في استيعابها، إذ كيف للمرء أن يتخلى عن إيمانه وينتقل إلى الضفة الأخرى بسرعة لمجرد قراءة مجموعة من المنشورات أو مشاهدة مجموعة من الفيديوهاوات أو التعرُّض لبعض المواقف دون التأمل والبحث ليؤسس لقناعاته الجديدة تأسيسًا متينًا! لولا أنك تتذكر أن نفسية هذا الشخص تكون مهيأةً فعلاً للسقوط قبل السقوط! كما أشارت الآية في معرض دفاع إبليس لعنه الله عن نفسه ضد أتباعه: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُهُمْ فَأَخْلَفْتُهُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْمُونِي وَلَوْلُمُوهَا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ

(173) درء تعارض العقل والنقل ج 1 ص 165

(174) الحجة في بيان المحجة ج 2 ص 121

(175) إيثار الحق على الخلق ج 1 ص 399

الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [إبراهيم: 22]. فهو يخبر أنه لم يجبر أحدًا على الكفر والضلال، ولم يكن له أصلًا سلطان ذلك، وإنما فقط دعا إلى الكفر والضلال بفنونٍ من القول والزخرفة والتزيين والشعارات، فاستجاب له مَنْ هو مستعد لتقبل ذلك منه!

ولذلك على الشباب أن يحذروا دائمًا من التعرض للفتن الفكرية والشبهات العقدية التي يدأب الملاحدة والمفسدون في الأرض في نشرها وإشاعتها وترويجها بمختلف الوسائل والأساليب، في وسائل التواصل وقنوات اليوتيوب، فضلًا عن البرامج والوثائقيات والأفلام، وكذلك كتابات الملاحدة المتخفين.

فقد رأينا شبابًا من الجنسين كانوا على خير، ثم استزلهم الشيطان فدخلوا مجموعات وصفحات وقنوات إلحادية، أو قرأوا لبعض رؤوس الإلحاد المتخفي بداعي معرفة ما عند الآخر، أو بدافع حب هداية الآخر، فإذا بهم يسقطون في الفخ الذي نصبه الشيطان لهم، فبدأت الشكوك تغزو عقولهم ونفوسهم، ثم كانت خاتمة القصة أنهم ارتدوا عن الإسلام وتحولوا إلى الإلحاد والكفر، أو في أحسن الأحوال لم يستطيعوا التحرر من ضغط الشكوك والتلبيسات التي تطاردتهم من كل جانب!

تاسعًا: سبل التخلص من تأثير الشبهات:

سأل بعض الشباب الذين عادوا إلى الإسلام بعد مدة قضاها في الإلحاد: كيف أتخلص من روايب الشبهات الماضية، فرغم أنني صرت أدرك أنها مغالطات وأباطيل إلا أنني لا أستطيع التخلص من ملاحقتها باستمرار! والجواب بإذن الله هو:

الخطوة الأولى: من المهم جدا أن يستحضر العائد إلى الحق أن معركته لم ولن تنته، بل هو - باعتباره صار من أنصار الحق - في جهاد مستمر ضد إبليس اللعين، العدو الخفي.

لقد كشف القرآن الكريم بوضوح أن إبليس أقسم أنه لن يترك ابن آدم لشأنه ما دامت روحه في جسده، ولذلك سيبدل كل ما في وسعه لإضلاله وتزيين الباطل له وتنفيره من الحق، قال الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [البقرة: 208]، وقال سبحانه في بيان قسم إبليس وإصراره على إضلال ابن آدم: {قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَبِيتُهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} [الأعراف: 14-17]، فلا إبليس حقد بالغ على العائد من الإلحاد إلى الإسلام؛ لأنه تحرر من زيوفه وخداعه وأباطيله، فلا عجب أن يحرص على محاولة رده إلى حظيرة الكفر، عبر بث كثير من الشبهات في نفسه.

الخطوة الثانية: التي يحسن بالعائد إلى الإسلام أن يحرص عليها هي ضرورة الابتعاد عن مواطن الشبهات، من مواقع، منتديات، فيديوهات، حسابات وصفحات، وكتب ومقالات؛ وذلك لأن بقاء الارتباط بهذه المواطن، لا شك أنه عنصر قوى في منع تحقيق البراءة الكاملة من زيوف الباطل ومكر الإلحاد والملاحدين، ومعلوم أن المريض يحتاج لفترة نقاهة. وهذا القول ليس لأن ما يقوله هؤلاء وينشرونه له قيمة في ميزان الحق، فليس معهم سوى المغالطات والتخييلات، كما يدرك ذلك الباحثون والمطلعون، وإنما لأن الإنسان غير المطلع يكون عقله وقلبه أشبه بالبيت المفتوح الباب، يستطيع كل من هب ودب أن يدخله، فكذلك من ليس له زاد شرعيٍّ ومعرفيٍّ جيد لا جرم أن تنطلي عليه الشبهات والمغالطات حتى وإن كانت في نهاية السخف والسذاجة! وليس يعيب المرء إن لم يكن عالمًا أن يفر بدينه من الفتن، ولهذا نقل الإمام الذهبي عن السلف شديد تحذيرهم من الاستماع للشبهات

والاسترسال معها، ودعوا لضرورة الإعراض عنها وعدم المبالاة بها؛ لأن "القلوب ضعيفة والشُّبه خطافة" (176)

الخطوة الثالثة: من الواجب على العائد إلى الإسلام - بل وكل مسلم عاقل - أن يحرص على الابتعاد عن رفقة السوء والتائبين الشاردين الذين لا يباليون لماذا خُلِقوا ولا يباليون بمصيرهم الأبدي! بل عليه - إن نصح لنفسه - أن يلزم صحبة صالحة، في عقلها وسلوكها والتزامها. وكل هذا؛ لأن الطبع سراق، والنفوس تتأثر ببعضٍ بشكلٍ خفيٍّ وغامضٍ، في الخير والشر، ولهذا ما زالت الحكماء والصالحون يُوصون بالرفقة الصالحة وينصحون بها. أما حين يُبقي الشاب العائد إلى الإسلام على علاقته بأصدقاء الإلحاد والضلال والشكوك، بدعوى (نحن أصدقاء ولكل واحد منا قناعاته الخاصة)، فلا شك أنه يكون بذلك على خطر عظيم من الردة مرة أخرى إلى ظلمات الإلحاد إذ لا بد من نقاشات - ولو أحياناً - حول الإسلام والإلحاد؛ لأنه الآن صارت له حماسة للدفاع عن عقيدته الجديدة، ورفقاؤه بالضرورة سيحرصون على اختبار قناعته الجديدة، فإذا لم يكن لهذا الشاب زاد جيد من العلم الشرعي والمعرفي، تختلط عليه الأمور، وهنا يكون قد فتح على نفسه تارة أخرى أبواب عواصفٍ شكوكٍ وشبهاتٍ عاتية!

الخطوة الرابعة: في عصر انفجرت فيه براكين الشبهات من كل حذب وصوب، مثل عصرنا، حيث لم تعد تلك الشبهات دائرة في أروقة البحث العلمي والأكاديمي، بل بفعل أجنداث وعوامل متشابكة، صار القائمون على هذه الشبهات والشكوك ينشرونها بمختلف الوسائل حتى بين الأطفال والمراهقين والأميين. كل هذا يستدعي ويفرض على المسلم - الذي ينشد الخير لنفسه ويحترم دينه وعقيدته - أن يحرص على تحصيل العلم الشرعي والعلمي والثقافي ما يساعده - بإذن الله - على الاعتصام من مفتريات وأباطيل الملحدين وغيرهم. فهو - شاء أم أبى - يتعرض لقصف متواصل وتشنّ عليه معركة شرسة؛ لتغيير القناعات، ولذلك لا حل له سوى أن يجعل طلب العلم - والاطلاع على مفاهيم العقيدة الإسلامية وأسس الديانة الإسلامية، وشيء مما يروج في أروقة الفكر والعلم والثقافة اليوم - ضمن برنامج اليوم، كما يحسن جدًّا الالتحاق بالدورات التكوينية، القصيرة والطويلة، سواء في قضايا الإلحاد أم في مباحث العلوم الشرعية؛ ذلك لأن العقل الجاهل لا حصانة له، بل يمكن التلاعب به دون أن ينتبه، بل ويمكن أن تُغرس فيه أفكار مغلوطة ومعلومات مزيفة يتبنّاها وهو يحسب أنه ذكي نبيه!

الخطوة الخامسة: من أهم الأمور التي يغفل عنه كثيرون - وليس فقط العائدون إلى الإسلام والإيمان - أن الإلتزام الصحيح والاستقامة الواعية من أعظم مؤيدات الإيمان في العقل والقلب. فالتطبيق العملي للأفكار والعقائد في واقع الحياة ونشاطاتها وعلاقاتها وأهدافها، عنصر فعّال في ترسيخ هذه الأفكار والعقائد وتقويتها وحراستها ضد مؤثرات الزيوف والمفتريات والأباطيل، ولهذا وجدنا القرآن الكريم في عشرات المواضع دائماً يقرب بين الإيمان والعمل الصالح، وقد كان السلف الصالح - على نباهة عقولهم وصفاء نفوسهم وسعة علومهم - أشد الناس التزاماً وتعبداً واستقامة، وذلك لإدراكهم أن العمل والتطبيق يمثل - ضمن مجموع فوائده - جدار حماية لعقائدهم ودينهم ضد التأثير بشهوات الدنيا والانسياق مع دعوات الضلال والشبهات، وإذ كان المتدين بلا علم، يسير في طريق السقوط، فإن المتعلم بلا تدين، على شفا السقوط!

الخطوة السادسة: أحد أهم وأعظم الأمور التي يجب على العائد إلى الإسلام والإيمان إدراكها مبدئيًّا - ليعمل على استيعابها تفصيلاً لاحقاً - والالتزام بها وتذكرها دائماً، هو أن الإسلام ليس كباقي الأديان ذات الأصل

السمائي أو الأديان الوضعية لمجرد القاسم المشترك بينه وبينها، أعني أنه دين وهي دين. بل الإسلام منظومة متكاملة الأركان، متماسكة العناصر، متعدد الأبعاد. أي إنَّ الإسلام له أسس ومبادئ وكليات، منها انطلق في تأسيس مختلف تعاليمه في العقيدة والقيم والعبادة والتشريع، وبدون فهم تلك المبادئ والكليات والأسس -بل يستصحب العائد إلى الإسلام مفاهيم إلحادية، علمانية، ماركسية، ويحاول فهم الإسلام تحت ضوءها- فمن العسير جدًا أن يفهم بناءه العقدي والشعائري والقيمي والتشريعي. وهذا ما يجعل الإسلام متفردًا عن مختلف الأديان والمذاهب الكبرى، كالمسيحية والعلمانية والماركسية.

الخطوة السابعة: على العائد إلى الإسلام -والشباب المسلم عمومًا- أن يتعلم طريقة التفكير القرآنية، وهي ألا يتقبل وألا يُسلّم بكل ما يقرأه أو يسمعه من الاعتراضات والشبهات والتشكيكات، حتى وإن كانت تتضمن اقتباسات قرآنية أو نبوية أو من تراث علماء الأمة، بل عليه أولاً أن يطالب بالدليل، بعد أن يعرف مراتب الأدلة وكيفية بناء الدليل، كما أن عليه أن يتحقق دائماً من اقتباسات الملاحدة والنصارى والعلمانيين، فكثير منهم لا يتورعون -وأنى لهم ذلك!- عن الكذب والاختلاق والبتر، أما العودة إلى المصادر فتكشف سياق الكلام، وهل هو حقًا موجود أم لا؟ وإذا كان هذا الأسلوب، أعني أسلوب البتر والكذب والتزوير، موجوداً بين شريحة من "الأكاديميين" فما بالك بملاحدة وسائل التواصل والمنتديات والمواقع! مع الإشارة إلى أن بعضهم لا يعرف سوى عملية النسخ واللصق!

عاشراً: وجوب الرد على الشبهات:

إن أعداء الدين لا يدخرون جهداً في إثارة الافتراءات والشبهات حول الإسلام، وهم يعملون عملاً منظماً من خلال دراساتٍ وخططٍ وتجاربٍ وبحوثٍ، حتى صار للافتراء على الإسلام مراكز أبحاث، وعلمٌ يُدرّس في كليات اللاهوت ومراكز التنصير، ويحظى المنصرون بتدريب مدروس في كيفية طرح الافتراء وإثارة الشبهات. لذلك فمن الواجب أن يكون الردُّ على افتراءات أولئك المرجفين علمًا يدرسه المختصون وطلاب العلم والدعاة؛ لا سيما المهتمون منهم بمقارنة الأديان والفرق، بحيث تخرج الردود على قدر كبير من الإجادة والإتقان، وتحقق المقصود منها؛ وهو إجهاض الفرية والقضاء على كل أثر لها.

قال تعالى: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [الفرقان: 33].

قال الإمام أحمد: "لو تدبّر إنسان القرآن، كان فيه ما يردُّ على كل مبتدع بدعته".⁽¹⁷⁷⁾

كما أن أهل السنة يجزمون أن أهل البدع لا يكادون يحتجون بحجة سمعية أو عقلية إلا وهي عند التأمل حجة عليهم.⁽¹⁷⁸⁾

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم، لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وُفي بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين".⁽¹⁷⁹⁾

ومن هنا يدخل في واجب محاربة الشبهات؛ طرح الردود عليها بكثافة إعلامية عالية بحيث تزاخم الإثارة الإعلامية التي تحدثها تلك الشبهات، وتتغلب عليها، فتُشاع الردود بين المسلمين؛ لتحميهم منها.

(177) السنة للخلال 547/1.

(178) مجموع الفتاوى 254/6.

(179) درء تعارض العقل والنقل 375/1.

المطلب الثاني: خطر الشبهات

قال ابن قيم: "قال لي شيخ الاسلام رضى الله عنه: لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل الإسفنجة، فيتشربها؛ فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة، تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أَشْرَبَتْ قلبك كل شبهة تمر عليها صار مَقْرًا للشبهات - أو كما - قال: فما أعلم أني انتفعت بوضعية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك، وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الشبهة شبهة؛ لاشتباه الحق بالباطل فيها، فإنها تُلبسُ ثوب الحق على جسم الباطل، وأكثر الناس أصحاب حسن ظاهر، فينظر الناظر فيما أَلْبَسَتْهُ من اللباس، فيعتقد صحتها، وأما صاحب العلم واليقين، فإنه لا يغتر بذلك، بل يجاوز نظره إلى باطنها وما تحت لباسها؛ فينكشف له حقيقتها". (180)

قال تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: 88، 89].

يقول الإمام ابن القيم: "وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم، والأمر الجامع لذلك: أنه الذي قد سَلِمَ من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره؛ ولهذا يُفَسِّرُ المرضُ الذي يعرض له تارة بالشك والريب، كما قال مجاهد وقتادة في قوله تعالى: {فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [البقرة: 10] أي: شك، وتارة بشهوة الزنا، كما فُسِّرَ به قوله تعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا} [الأحزاب: 32]، فالأول مرض الشبهة، والثاني مرض الشهوة.

ومرض القلب نوعان:

الأول: نوع لا يتألم به صاحبه في الحال، وهو النوع المتقدم كمرض الجهل، ومرض الشبهات والشكوك، ومرض الشهوات.

والنوع الثاني: مرض مؤلم له في الحال، كالهم والغم والغيظ.

وكما أن القلب قد يتألم بما يتألم به البدن، ويشقى بما يشقى به البدن، فكذلك البدن يتألم كثيراً بما يتألم به القلب، ويشقيه ما يشقيه، وكذلك الشاكُّ في الشيء المرتاب فيه، يتألم قلبه حتى يحصل له العلم واليقين". (181)

ونقل الإمام الذهبي عن سفيان الثوري قوله: "من سمع ببدعة فلا يحكمها لجلسائه، لا يلقيها في قلوبهم"، فعلق عليه بقوله: "أكثر أئمة السلف على هذا التحذير، يرؤن أن القلوب ضعيفة، والشُّبُهَة خطأفة". (182)

ويمكن إجمال خطر الشبهات في النقاط التالية:

1- تنفير الناس عامة والمسلمين خاصة من الإسلام.

2- إلحاق العيب والنقص بدين الله.

(180) مفتاح دار السعادة 140/1.

(181) إغاثة اللهيان 7/1 - 19 باختصار.

(182) سير أعلام النبلاء 261/7.

3- تهوين الدين في النفوس، واستخفاف الناس به، إذ القدسية من عظمة الدين عقيدة وشريعة، والشبهات تضرب العقيدة في مقتل وتؤدي إلى ازدراء الناس، وما خاب وخسر النصارى وابتعدوا عن الدين إلا لما وقفوا عليه من الفضائح في كتابهم الذي يقدسون، فهان ذلك الكتاب في أعينهم، وسقطت هيئته وقدسيته في قلوبهم.

4- الأعداء يعززون أنفسهم، ويحاولون مساواة عقائدهم المهترئة الوثنية بدين الإسلام.

5- الهيمنة على الناس والتأثير عليهم، فترك الرد معناه غزو واستكانة وذل ومهانة ولا شك، أما الرد فيقطع دابر الكافرين.

6- الشبهات حرب فكرية، بل من أشد الحروب فتكًا ما تعلق بحروب الأفكار وهزيمة العقول؛ ولذا فالردود القاطعة تحصن الفكر والعقل من الهزيمة والذل وتجعل المسلم فخورا بدينه.

7- الشبهات افتراء على الله ورسوله ثم على التاريخ لما فيها من تشويه الحقائق، إنها نفايات سامة يجب تخلص العالم منها.

8- إن الشبهة تؤدي إلى الشك، والشك يُؤثّر في درجة إيمان العبد؛ ولذلك علم الأعداء خطورة الشبهات والافتراءات، فجندوا جنود الظلام الذين لا همّ لهم سوى تتبّع النصوص والتنقيح عما عساه يكون زلزلة شديدة للمسلمين، وهذا نوع آخر من إعلان الحرب على المسلمين، والأنواع لا حصر لها، منها مثلاً تلك الحملة الشعواء من حملات الدس والوضع في الحديث.

9- إن الشبهات مُضِرَّةٌ؛ لأنها تجعل صورة الدين باهتة في القلوب، بل ويخجل المسلم ويتضعع إيمانه ويضطرب من أمور في دينه قد صورها له أولئك الكفرة تصويرًا شنيعًا.

المطلب الثالث : تنبيهات حول منهجية الرد على الشبهات

لا بد أن ينتبه الدعاة في ردهم على شبهات غير المسلمين إلى منهجيات مهمة في ذلك ومنها:

1- لا يتصدى لرد الشبهات إلا من أصبح متمكناً من معرفة الحق والباطل بالأدلة الشرعية، حتى يُحسِن ويُحْكِم إغلاق هذه الثغرات، ويسدَّ هذه الشبهات، ولذلك من لم يكن متأهلاً للرد على شبهات غير المسلمين، فليتجنب النظر فيما يوردونه، وليحذر على نفسه الفتنة؛ لأن القلوب ضعيفة، والفتن خطافة كما قال بعض السلف.

2- ينبغي لمن يرد على الشبهات بلغة غير اللغة العربية، أن يكون دقيقاً في نقل النص إلى اللغة الأجنبية، فلا يُترجم شيئاً من نفسه، بل عليه أن يستعين بمترجم أمين، له باع في الترجمة، وفي كيفية استخدام الألفاظ بشكلٍ دقيق.

3- يجب على الداعية أن يتعرف على الشبهات المثارة أولاً، وعلى المناهج والأساليب المناسبة للرد عليها ثانياً؛ ليتمكن من إزالتها عن قلوب وأذهان غير المسلمين.

4- الرفق واللين في إزالة الشبهات عن غير المسلمين هو الأصل، خصوصاً أن كثيراً منهم لم يُثر تلك الشبهات وإنما كانت نتاج خطط شيطانية، حيكّت وصُنعت خصيصاً داخل مؤسسات ومراكز أبحاث وأكاديميات تم إنشاؤها بهدف إعطاء صورة سيئة عن الإسلام، ولذلك وجب الترفق بصاحب الشبهة، وتوجيه التوجيه المناسب بالحكمة، والجدال بالتي هي أحسن. إلا أن هذا الأصل ليس أصلاً ثابتاً في كل الأحوال والقضايا ومع سائر المخالفين بل الضابط الكلي لأسلوب ولغة الرد هي المصلحة النهائية وثمة أحوال لا تكون المصلحة فيها مع اللين لذا يخطئ من يلتزم ويلزم غيره بأسلوب ذو وتيرة واحدة من هذا الجانب. {فقولاً له قولاً لنا} طه:44 {واغلظ عليهم} التوبة:73 فاللين في محله والشدة في محلها

ودين الله لا يتناقض، وإجماع السلف القولي والعملي والمنهجي كذلك، فللشدة أحوال تقتضيها، ويؤدّم اللين فيها وللين أحوال يتأكد الرفق فيها، وتذم الشدة.

5- ينبغي أن يكون لدى الداعية يقيناً جازماً بأنه ليس في الإسلام نقطة ضعف واحدة تجعلنا نستحي أو نتخوف منه، فالإسلام هو دين الله تعالى المحكم، يقول الله تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} [الأنعام: 115]، قال بعض أهل العلم في معناها: أي: صدقٌ في الأخبار، عدلٌ في الأحكام.

وقد امتن الله تعالى علينا بإكمال الدين، وإتمام النعمة، فقال: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: 3]، قال ابن عباس رضي الله عنه: "في قوله: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ): هو الإسلام، أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً، وقد رضي الله فلا يسخطه أبداً".

إذن، لا بد أن يكون لدينا ثقةً متناهيةً في هذا الدين، حيث إن كل منهج خصائصه تتبع خصائص من وضعه؛ فكل ما هو إنساني ليس بكامل، وذلك لانعدام كمال الإنسان، فلا يوجد كمال مطلق إلا لله عز وجل، فإذا وصلنا لهذه الدرجة من اليقين، استطعنا الرد على أية شبهة كانت.

6- ألا يكتفي المحاور بالإجابة عن الأسئلة الموجهة إليه والدفاع فقط، وإنما عليه بين الفينة والفينة أن يأخذ زمام المبادرة بسؤال الطرف الآخر، خاصة السؤال عن جوابه تجاه ما يطرحه عليه من أدلة، كأن يقول له: ما

جوابك عن هذا الدليل الذي يُثبِتُ عندي كذا كذا؟ وكذلك السؤال عن اللوازم والمآلات الفاسدة لما يقوله، والعمل على إحداث صدعٍ بينه وبين ما يعتقد.

من الضروري أن يقرن المحاور المسلم أثناء مناقشته مع الملحد بين الدفاع عن الإسلام والرد على اعتراضات الخصم، وبين اتخاذ موقف هجومي يُظهر بطلان الأسس التي يستند إليها المخالف. فلا يكتفي المحاور المسلم بتفنيد الشبهات والاعتراضات فحسب، بل يجب عليه أيضاً أن ينتقد مأخذ الملحد ويُبرز ضعف أدلته ومعتقداته. هذه الاستراتيجية المزدوجة، التي تجمع بين الدفاع والهجوم، تعزز من قوة الحجة الإسلامية وتكشف هشاشة المذهب المخالف، مما يسهم في دحض شبهاته بشكل أكثر فعالية.

7- ينبغي على المحاور أن يتجنب القفز أو الانتقال السريع بين المسائل والأفكار قبل إتمامها من حيث التصور والحكم، وذلك لتجنب تشتيت الحوار. فالتعمق في كل فكرة على حدة، وتوضيحها بشكل كامل، يسهم في تقديم حوار متماسك ومنظم، ويمنع حدوث أي لبس أو سوء فهم. إن الانتقال غير المدروس بين المواضيع دون استيفائها يضعف الحجة، ويشتت انتباه المتلقي، مما يقلل من فعالية الحوار.

قال الربيع بن سليمان: "كان الشافعي إذا ناظره إنسانٌ في مسألةٍ، فغدا إلى غيرها، يقول: نفرغ من هذه المسألة، ثم نصير إلى ما تريد."¹⁸³

8- من الواجب على المحاور المسلم أن يلتزم بالعدل والإنصاف عند مناقشة المخالف، فيُقر بما في كلام خصمه من صواب عند نقده، ويبين درجة مخالفته للحق بدقة. فمن الضروري التمييز بين الأقوال المختلفة وعدم معاملة جميعها على قدم المساواة في الخطأ والذم. بل يجب عليه أن يعترف بما هو صحيح، ويبين مدى قرب أو بعد المخالف عن الحق، دون أن يلصق به أقوالاً لم يقلها أو يُقوله ما لم يردده. كما لا ينبغي له أن يعتبر لوازم كلام الخصم بمثابة أقوال تبناها فعلياً، لأن ذلك يعد ظلماً وعدواناً يتنافى مع أخلاقيات الإسلام.

¹⁸³ تذكرة السامع والمتكلم ص 40.

المطلب الرابع: قواعد للداعية في التعامل مع الشبهات للوقاية والعلاج (184)

أولاً: قواعد وقائية للدعاة من الشبهات:

ما سبَّي القلب قلباً إلا لكثرة التقلب، فكيف به هذا القلب في غمار الحرب دونما درعٍ أو سيف، تُعرض عليه الشبهات، تحوم حوله الفتن، يموج مُلتَجِّئاً إلى حصنه؛ فيجده متهاوياً! فما لنا سوى إقامة بنيان هذا القلب، وتعزيزه بمصادر اليقين، ودلالات وبراهين صحة مسلكه وعقيدته في قلوب الدعاة إلى الله تعالى، وذلك من خلال النقاط التالية:

1- ضرورة تعزيز اليقين بأصول الإسلام:

"من المؤكد أن المؤمن ليس يحتاج في أزمنة الفتن وشيوع الشبهات، مثل عصرنا الحاضر، ما يحتاج لتقوية اليقين وتعزيزه وترسيخه، فمن الناس من يرى نفسه قوي اليقين، فإذا ضَغَطَتْهُ بعض الضغوط، كمرض طويل أو فقدان وظيفة أو موت عزيز، وما كان بسبيل هذا، اهتز يقينه وتضعع إيمانه! ومنهم من يرى نفسه راسخ اليقين، حتى إنه يتوهم أنه لو أقسم على الله لأبره، فإذا عُرِضت عليه شبهات وتلييسات دُهِشَ واحتار، واهتز واضطرب، ثم أسلم مقاد نفسه للشكوك، فلا يزال الشيطان يتلاعب به تلاعب الصبيان بالكرة حتى يخنقه في أحوال الكفر والإلحاد!

ولقد بين الله تعالى في القرآن الكريم، أن الإنسان قد يبدو أنه مؤمن بالله تعالى وملتزم طريق الحق والاستقامة، ولكن بمجرد أن ينزل به قدر غالب أو يقع له حدث ضاغط أو تعرض له شبهات خالبة، يأخذ الشك بخناقه وتضربه الحيرة بسياطها، فقال سبحانه وتعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} [الحج: 11]. أي من الناس من هو ضعيف اليقين، قليل الإيمان، لا يصله بالله تعالى إلا خيط رقيق، يدعي العبودية لله تعالى ما دامت شئونه الدنيوية صالحة كما يريد، أما إن أصابته فتنة من المكروه المختلفة أو شبهة من الشبهات، انخلع من رِبْقَةِ الإيمان فخرس الدنيا والآخرة!

ولهذا نجد أن قراءة الفاتحة واجبة في الصلوات الخمس؛ لأن من أعظم ما تَتَضَمَّنُهُ هو طلب الهداية والثبات على خط الاستقامة: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: 6-7]، والهداية المقصودة هنا قسمان، هداية البيان والتفهم، وهداية التثبيت والتأييد، فكلاهما ضروري للعبد ما دامت روحه في جسده، إذ لولا هداية التفهم؛ لسقط في الابتداع بدون أن يشعر، ولولا هداية التثبيت والحفظ؛ لزلَّت قدمه وذلَّ سواء السبيل.

إذن لا بد أن يعتني المسلم المعاصر بتعزيز اليقين في عقله وقلبه؛ ليحفظ على نفسه دينه وعقيدته وعلاقته بخالقه سبحانه إذ إن زوال اليقين من العقل والقلب له أضرار ونتائج وخيمة، وليتها كانت تقتصر على الدنيا، إذن لهان الأمر، بل إنها تمتد لتشمل مصير العبد في عالم الآخرة الأبدي! من أجل ذلك كان اليقين مطلباً شرعياً أصيلاً، فإذا نظرنا في تعاليم البيان القرآني والنبوي، وفي تفاصيل الإبداع التكويني في الوجود، سنكتشف أن من أبرز المقاصد المنشودة من ذلك، هي ترسيخ اليقين في كيان المسلم، إدراكاً وشعوراً، يقول الحق تبارك شأنه: {قَدْ

بَيِّنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [البقرة: 118]، وقال تعالى: {وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [الجاثية: 4]. بل إن الله تعالى كشف لإبراهيم عليه السلام أسرار ملكوت السماوات؛ للتتري في مراتب اليقين: {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ} [الأنعام: 75].

وطرق تعزيز اليقين متنوعة نجملها باختصار في التالي:

أولاً: الإكثار من تقليب النظر والفكر في ملكوت الكون والحياة مباشرة أو عبر مشاهدة البرامج الخاصة بذلك أو القراءة في الكتب؛ ولذلك أمرنا الله تعالى بالنظر في بدائع الخلق: {قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} [يونس: 101].

ثانياً: الإكثار من المطالعة والتبصر في البيان القرآني والنبوي، ولذلك أمرنا الله تعالى بالتفكر في معاني الشريعة وأسرارها وحكمتها: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: 44] إذ هذا التبصر جدير أن يؤكد على أن هذا الدين هو دين الحق.

ثالثاً: الحرص على الاستقامة بالتزام الفرائض والسنن والنوافل، والسير في درب الصالحين، وهذا أحد أسرار اقتران الإيمان بالصالحات في البيان القرآني: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: 82]، لأن للمعاصي ظلمة في العقل والقلب.

رابعاً: الحرص على مطالعة التاريخ لمشاهد تصاريف الأقدار الإلهية، فمن نظر في التاريخ نظر اعتبار؛ حصَّل يقيناً عظيماً، ولذلك أمر الله تعالى به: {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ} [آل عمران: 137]، لأن التاريخ مسرح تجليات الأسماء والصفات.

خامساً: التفكير في نعم الله تعالى المختلفة على العبد خاصة والناس عامة، سواء ما تعلق بالنعم المادية أم النعم المعنوية، وفي تصاريف الحياة اليومية، فهذا التفكير يمنح معرفة واسعة برحمة الله وفضله وقدرته، ولهذا يلفت الله تعالى نظر المسلم إلى كثير من النعم.

وكما نلاحظ إنَّ مغذيات اليقين ومقوياته لا تقتصر على شيء واحد ولا تنحصر في شيء واحد، بل هي مجموعة من العناصر التي تتفاعل فيما بينها، بحسب تنوعها وثرائها وعمقها ومداهها؛ لتدعم اليقين في العقل والقلب، وتحفظه من هجمات الشكوك والشبهات.

والحقيقة أن هذه هي غاية اليقين وثمراته، أي (التتري في معرفة الخالق سبحانه)، و(الثبات على خط الاستقامة)، و(الاعتصام من زيوف الشبهات)، ولهذا لما أرى الله سبحانه سيدنا الخليل إبراهيم عليه السلام عجائب ملكوت الكون، علل ذلك بأنه لأجل أن يتتري في مدارج اليقين إلى أقصى ما يمكن: {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ} [الأنعام: 75]، ففهمنا من ذلك، أن اليقين بما أنه مطلب للأنبياء والمرسلين، لا جرم أن يكون كذلك بالنسبة لأتباعهم وعموم المسلمين، كما أن اليقين ليس مطلباً لدرء الشبهات والاعتصام من تأثيراتها فقط، بل هو مطلوب ومرغوب أيضاً حتى للاعتصام من ضغط ظروف الحياة وشدائد الأقدار، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: "اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمَنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمَنْ يُوقِنُ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا".

لكن؛ حين ندعو لليقين وضرورة تعزيزه في العقل والقلب، يظن كثير من الشباب أننا ندعو لليقين المطلق النهائي، بل كثير منهم يبحثون عن هذا اليقين الذي ليس وراءه مثقال ذرة من اليقين!

والواقع أن هذا سوء فهم للقضية، فاليقين والطمأنينة العقلية والقلبية لا يمكن أن تتحقق للعبد بشكل نهائي، بل يحصل عليه بشكل متدرج؛ لأن اليقين والطمأنينة في حقيقة الأمر خبرة تجمع بين الجانب العقلي والجانب النفسي، ومعلوم أن الخبرة إنما تكون عبر الزمن وعبر مراحل مختلفة، ثم يظل كذلك بلا نهاية، بحيث لو عاش هذا المؤمن ألف عام في طاعة الله تعالى، فإنه سيظل يترقى في مدارج اليقين والطمأنينة بلا انقطاع وبلا وصول للمرتبة النهائية والأخيرة؛ لأنها أساساً غير موجودة ولا يمكن أن تكون موجودة.

نؤكد على هذا الكلام؛ لأن اليقين والطمأنينة مرتبط بالله سبحانه، والله سبحانه له الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته، وإذ كان الأمر كذلك، لم يكن ممكناً للمخلوق المحدود أن يصل إلى هذا اليقين المطلق وهذه الطمأنينة النهائية؛ لأن المحدود لا يمكن أن يحيط باللامحدود، والمخلوق لا يمكن أن يحيط بالخالق، وانتفاء الإحاطة هنا لا ينفي قابلية العقل للإدراك المتواصل بلا نهاية، ف(العقل يدرك المعلومات، والمعلومات لا يتصور أن تكون متناهية. نعم، إذا لاحظ العلوم المفصلة فلا يكون الحاضر الحاصل عنده إلا متناهيًا، لكن في قوته إدراك ما لا نهاية له)".⁽¹⁸⁵⁾

2- تكوين العقل الناقد:

لا بد للدعاة لهذا الدين من تفحص الحجج والبراهين والدلالات بعقل ناقد تُورَدُ عليه الشبهات فيُفَكِّكها ويردّها إلى مصدرها، لا تمر عليهم المغالطات مرور الكرام، ومما يساعد في تكوين هذا العقل أن يكون على دراية بطرق البحث العلمي وامتلاك مهاراته وأدواته، والقراءة في كتب آداب البحث والمناظرة وعلم الجدل؛ فيميز المقبول من المردود، والسمين من الغث.

3- التأصيل الشرعي:

لا يستقيم ببيان معرفي دونما قاعدة معرفية بأصول الفنون الشرعية من عقيدة وفقه ومصطلح وعلوم لغة وقرآن، فهذا هو مرد الأمر كله، لا حراك بدونه ولا محاكمة لشبهة إلا وإليه المآل.

4- تحديد مصادر التلقي والمعرفة والموقف من كل مصدر:

بين العقل والنقل اصطنعوا لنا المصادمات؛ فحارت عقولنا أيهما يُقدَّم أو يُؤخَّر، وكيف السبيل وأين المورد! فكيف تكون هذه الخبرة ومصادرنا غاية في الإحكام والاتزان! إذ لا تعارض بين قَطْعِي عقل ونقل، فخالق العقل هو مُشَرِّع النقل، وإجماع العلماء حُجَّةٌ، وأخبار الأحاد يُنظَرُ فيها ولا تُسَفَّه، منظومة معرفية متكاملة، إحكام معرفتها من أوجب وسائل الوقاية المحتاج إليها في هذا الوقت.

5- عدم التعرض لخطاب الشبهات من غير المتخصص:

وليحذر المرء من إيراد الشُّبه على قلبه، لا سيَّما مع قَلَّة البضاعة، فيتشربُّ القلبُ هذه الشبهة، فيزيغ ويضل؛ ولذلك لا ينبغي لغير المُختَصِّ أن يحوم حول كتابات المشكِّكين بُغية الثقافة العامة، ومعرفة ما عند الآخر.

6- القراءة الوقائية في كتب الردود على الشبهات:

ومما يعزز اليقين ويُثَبِّتُ الفؤاد أن يجد من الأدلة العقلية والنقلية ما يدحض قول المعاند مثير الشبهة، ويرد عليه قوله، وهنا يجب اختيار الكتب بعناية، إذ أن كتب الوقاية من الشبهات يجب أن تكون مما يُجْمَلُ في عرض

الشبهة ويُفصّل في الرد عليها، وأن تكون قوية الحُجة والبرهان.

7- الدعاء والابتهال:

وأخوف ما نخاف عليه هو إيماننا، فليس أوجب من أن نسأل الله الثبات، ونستعيذه من أن يصرف قلوبنا عن دينه، ونسأله ما سأله إياه رسولنا صلى الله عليه وسلم: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ"⁽¹⁸⁶⁾. قال الله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} [إبراهيم: 27]، "فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها"⁽¹⁸⁷⁾.

فما لم يكن بالله لا يكون، وكما قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "لكن إذا أقبلت على الله، وأصغيت إلى حججه وبيناته، فلا تخف ولا تحزن، إن كيد الشيطان كان ضعيفاً، والعامي من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى: {وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ} [الصفافات: 173]"⁽¹⁸⁸⁾.

ثانياً: قواعد للتعامل مع الإشكالات والشبهات بعد ورودها:

جولة في أروقة الفكر نتفقد معها ما نُقش على جدران الذاكرة مما يعلوه الغبار، أو أرسل إلى تلك المتاهات لنخفيه عنا، فنخرج منها بمزيد إعراضٍ عن تلك النقوش وكتمانٍ لتلك الصراعات والشبهات ونظن أننا نسيناها كأن لم تكن!

محالٌ أن تكون إشكالاتنا هذه بلا جواب، وحالنا تلك بلا علاج؛ لذا وفي غمرة الشبهات هذه التي تأتينا من كل حذب وصوب، وكثرة الواقعين فيها، فإننا بحاجة إلى:

- 1- استعمال التفكير الناقد والتوثيق العلمي في التعامل مع المعلومات والأفكار.
- 2- سؤال المتخصصين عما يُعرض لنا ويجول بخاطرنا؛ لتطمئن قلوبنا.
- 3- مراجعة الجهود السابقة في الرد على نفس القضية المستشكلة.
- 4- التماسك أمام الشبهة التي لم نعرف جواباً لها، فليس معنى ورود شبهة أنها صحيحة، وليس عدم علمنا بالجواب دليلٌ على عدم وجوده، قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ۖ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: 43].
- 5- دراسة سلبيات الانتقال إلى القبول بالشبهة وما يترتب عليه.

(186) سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ (3834)، جامع الترمذي، في كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن (2140) وقال الترمذي: وهذا حديث حسن.

(187) تيسير الكريم الرحمن ص425.

(188) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- الرسائل الشخصية 156/7.

المطلب الخامس: قواعد منهجية في الرد على الشبهات

أولاً: النظر في صحة مقدمات السؤال لهدم النتائج:

فكثيراً ما يُلقَى المفتري افتراءه في صيغة سؤال مشتمل على مغالطة؛ كقوله مثلاً: ما الحكمة من زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من عائشة رضي الله عنها وهي طفلة؟ والمغالطة هنا هي قول المفترى (وهي طفلة)، فهي رضي الله عنها لم تكن طفلة وقت زواجها من الرسول صلى الله عليه وسلم؛ بل كانت امرأة بلغت مبلغ النساء. فإذا شرع المسلم في رده ببيان الحكمة من زواج الرسول من عائشة رضي الله عنها دون بيان ما في السؤال من مغالطة، ربما ظن البعض أن ذلك إقرار ضمني بصحة مقدمة السؤال.

ثانياً: النظر في صحة الدليل:

إذا اشتمل الافتراء على دليل، فلا بد من التحقق من صحة الدليل متناً وسنداً قبل الشروع في الرد، فلو كان الدليل، مثلاً، آية من القرآن، فينظر في صحة نقل لفظ الآية، فقد يخطئ المفترى، عن عمد أو جهل، في نقل نص الآية، وكما أكثر النصارى والملاحدة من التحريف وقَوْلُوا القرآن ما لم يقل؟ وإذا كان الدليل حديثاً؛ فيبحث أولاً في صحة الحديث وثبوته، ثم يبحث في صحة نقل المتن، وكما صدَّع المرجفون رؤوسنا بالأحاديث الموضوعية والواهية، وأرادوا إقامة الحجة علينا بتلك الأحاديث الشنيعة والضعيفة؟ وإذا كان هذا الدليل تاريخياً أو علمياً؛ فيجب النظر في صحته في المصادر المعتبرة، ومطالعة أقوال أهل الاختصاص؛ لمعرفة مدى ثبوته، فكم من مرة حاول المرجفون إقامة الحجة على المسلمين بالإسرائيليات والأحداث الخرافية، وليس لها من مسوغ سوى ورودها في كتب المسلمين، ونسي هؤلاء أن مصدرا التشريع عندنا هما القرآن والسنة الصحيحة، ولا تقام علينا الحجة بأراء العلماء وأقوالهم إلا إذا وافقت القرآن والسنة.

ثالثاً: النظر في صحة الاستدلال:

من أبرز طرق المفترين، الإتيان بنصوص صحيحة، والاستدلال بها على معانٍ فاسدة لا يحتملها النص، وربما جمعوا بين سوائٍ ضعف الدليل وفساد الاستدلال؛ ولذلك ينبغي بعدَ النظر في صحة الدليل، أن نبحث في مدى صحة الاستدلال، وهل تحتمل دلالة النصّ المعنى الذي يقصده المفترى أو لا؟

رابعاً: تحديد موطن الشبهة:

من الضروري فهم موطن الشبهة، وتحديد ما يرمى إليه المفترى من طرح فريته بالضبط؛ حتى يكون الرد موجهاً لأصل الافتراء، ومَوْظَفاً في إزالة أي شبهة قد تقع من جراء طرح الفرية. فمثلاً: حين يطرح المفترى موضوعَ رضاع الكبير في الإسلام، فإن ما يرمى إليه هو تصوير أحكام الإسلام بالإباحية، وأنها تجيز لأي امرأة مسلمة أن تلقم ثديها لأي رجل. لذلك يجب أن يتجه الرد في الأساس إلى بيان عدم جواز التقام الثدي في رضاع الكبير، ثم بيان عدم شمول الحكم لكل رجل، أما إذا ارتكز الرد على مناقشة الخلاف في اختصاص حكم رضاع الكبير بسالم مولى أبي حذيفة⁽¹⁸⁹⁾، فهذا خروج عن المطلوب، وعدم توفيق في إصابة موطن الفرية.

(189) قصة سالم مولى أبي حذيفة الذي أرضعته زوج أبي حذيفة (سهلة) وهو كبير، حديث صحيح ثابت رواه مسلم وغيره. والإرضاع كان بإرشاد من النبي -صلى الله عليه وسلم-، وذلك أن الحاجة كانت تدعو إلى دخول سالم عليهما بعد كبره، خاصة وأنهم كانوا يعدونه ولدًا لهما قبل أن يبطل الله التبني. وليس في الحديث أنها ألقمته ثديها وهو

خامسًا: اختيار الأسلوب المناسب للرد على الافتراء:

الرد على الشبهات بالحجة والبرهان، مؤيِّدًا بالدليل الصحيح، وفق ضوابط وآداب الحوار والمجادلة التي هي أحسن.

ومما يجب الإشارة إليه أن هناك عدة عوامل تتحكم في اختيار الأسلوب المناسب للرد على الافتراء، منها:

1- مستوى الشخص المخاطب بالرد:

فَيُنظَرُ إلى مستواه الثقافي والفكري، ومنزلته بين قومه وحاله النفسي، فأسلوب مخاطبة المسلم بالرد يختلف عن أسلوب مخاطبة الكافر.

2- طبيعة الافتراء نفسه:

فَيُصَنَّفُ بحسب ما أسلفنا، وما مدى درجة التمكن من الرد وعدمه، وهل يقتضي المقام مقدمات أو لا يحتاج الأمر إلا لجملة واحدة تنهي الموضوع؟ فطبيعة الفرية تحكم على اختيار التطويل والإيجاز، وله علاقة بمستوى المرود عليه.

3- المقام الذي سيتم فيه الرد:

هل لدى الرادِّ على ما يكفي من الأدلة؟ وهل هو واثق من معلوماته؟ لأنه بتسرع قد يفتح على نفسه بابًا آخر من أبواب التضيق، وَتَحَكُّمِ الخصم فيه بإيراده لمعلومة خاطئة أو ما شابه، والأساليب تختلف بحسب المقام، فالمنظرة ليست هي المحاضرة، والتعقيب ليس هو السؤال، والرد الكتابي يختلف عن الرد الشفوي، وهكذا. فقد تجد من يحسن الرد الكتابي، وإذا تعلق الأمر بالشفوي لم يستطع إلى ذلك سبيلًا، وقد تجد الخطيب المُفَوِّه لا يستطيع أن يكتب ردًا واحدًا، وكلُّ بحسب مجاله وميدانه. لكن، والحق يقال، إن التوفيق والنجاح يكونان في اختيار الأسلوب الأمثل والمناسب، المُراعِي لظروف الزمان والمكان.

سادسًا: تفنيد الافتراء بقوة مع الاهتمام بإزالة موطن الشبهة:

إذا عُرِضَ الافتراءُ أو الشبهة فيجب أن يكون همك الأول هو المسارعة إلى القضاء على هذا الافتراء، واجتثاثه من أصوله بكل طريق ممكن، وإذا تعددت الردود على الفرية الواحدة، فالأولى أن تبدأ بأقوى هذه الردود، وهو الرد الذي تشعر أنه سيقضي على الفرية من الوهلة الأولى، بحيث يكون ما تبقى من الرد نافلة تؤكد تهافت الفرية، ويجب الحرص على خلو الرد من أي ثغرة يمكن للمفتري اصطيادها، والنفاز من خلالها إلى إعادة إثارة الافتراء نفسه مرة أخرى، أو إثارة افتراء غيره.

سابعًا: مكامن القوة في رد الشبه:

1- أن يكون موجهاً لموطن الافتراء وأصل الشبهة، لكي لا يعتبر الخصم ذلك هروبًا وتركًا للموضوع الأصلي، وتشبثًا بأهداب الفرار.

2- قوة الدليل ووضوحه، مع حسن الاستدلال به، فقوة الدليل تقضي على أحلام الخصم، وتكون سببًا في اقتناع الآخرين، والتعجيل بهزيمة المخالف؛ إذ الحق لا يُعلى عليه.

كبير، بل قد ورد أنها حلبت له اللبن فشربه؛ ففي رواية ابن سعد عن الواقدي عن محمد بن عبد الله ابن أخي الزهري عن أبيه قال: كانت سهلة تحلب في مسعط قدر رضعة، فيشربه سالم في كل يوم حتى مضت خمسة أيام، فكان بعد ذلك يدخل عليها وهي حاسر رأسها رخصة من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لسهلة. لذلك قال بعض العلماء: يجوز هذا عند الحاجة والضرورة، ولم ينسخ وهو ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو رأي وجيه.

3- دقة وضبط العبارات والألفاظ؛ لكي لا يدع المسلم مجالاً للخصم ليناور أو يراوغ أو يلعب بالعبارات العامة التي أوردها المسلم، فَيَحْمِلَهَا معانٍ أخرى، فيسقط المسلم.

4- أن يظهر ما في الفرية من ثغرات وأخطاء ومغالطات؛ إذ الإظهار جزء من المعركة، فمن لم يستطع الوقوف على مكانم الأخطاء والثغرات، صَعِبَ عليه أن يهزم خصمه، أما من وَقَفَ عليها، كان ذلك سبباً في إرباك خصمه؛ مما يؤدي إلى هزيمته.

ثامناً: حسن الاستدلال على الردود:

من الضروري أن يشتمل الرد على أدلة واضحة تبين صدقه من جهة، وتبين بطلان الفرية وتهافتها من جهة أخرى، وتتنوع هذه الأدلة بين شرعية وعلمية وعقلية ولغوية وتاريخية وغير ذلك، بحسب نوع الفرية وموضوعها. ومن المهم أن نحشد مجموعة الأدلة المتعلقة بالموضوع، ثم نقوم بترتيبها وتنظيمها، ونختار أقوى هذه الأدلة ثبوتاً، وأظهرها دلالة، وأكثرها تعلقاً بالموضوع، ونقدمها على غيرها، مع توثيق هذه الأدلة بعزوها إلى مصادرها. ومن المفيد إظهار موضع الشاهد من الدليل ووجه الدلالة منه، وتأييد ذلك بالنقل عن أهل الاختصاص من الكتب المعتمدة.

تاسعاً: بيان تهافت الافتراء وتهافته:

يجب على المؤمن الذي يتصدى للرد على افتراءٍ ضد الإسلام أن يكون على يقين من تهافت هذا الافتراء وبطلانه، وعليه أن يظهر هذا التهافت من خلال البحث عن ثغرات في مقدمة الافتراء، وفي أدلته، وفي صحة الاستدلال بها، وفي نتائج هذا الاستدلال.

وعليه أن يقوم بحصر جميع نقاط الضعف في الافتراء، ثم تنظيمها وترتيبها، ومن ثم يشرع في بيان كل نقطة منها بجلاء، مع موازنتها بعناصر القوة في الرد.

مثال هذه الطريقة: قول المفتري: لماذا خالف النبي صلى الله عليه وسلم شرع الإسلام بأن زوّج نفسه من زينب بنت جحش، زوجة ابنه زيد بن حارثة؟

فقد اشتمل الافتراء على مقدمات فاسدة، هي:

- 1- أن زيد بن حارثة كان ابناً للنبي صلى الله عليه وسلم.
- 2- أن زينب بنت جحش كانت زوجته حين تزوّجها النبي صلى الله عليه وسلم.
- 3- أن النبي صلى الله عليه وسلم زوّج نفسه بها.
- 4- أن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قد خالف الشرع الذي جاء به.

والرد عليها كما يلي:

- 1- زيد بن حارثة ليس ابن النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه كان دعيّه؛ أي: ابنه بالتبني، ثم ألغى الله التبني، فلم يعد زيد ابنه بأي وجه؛ قال الله تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الأحزاب:40].
- 2- زينب بنت جحش رضي الله عنها لم تكن زوجة زيد بن حارثة رضي الله عنه حين تزوّجها النبي صلى الله عليه وسلم؛ بل كانت مطلقة.

3- النبي صلى الله عليه وسلم لم يزج نفسه من زينب بنت جحش رضي الله عنها، وإنما زوّجها الله تعالى له؛ فقد قال عز وجل: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِيَسَى لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا} [الأحزاب:37].

4- النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يخالف شرع الله؛ لأنه الذي يبلغ هذا الشرع، والشرع إنما يُعرف من جهته، وفعله صلى الله عليه وسلم دليل على المشروعية؛ ولذلك جاء زواجه صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش رضي الله عنها؛ ليزيل أي حرج في قلوب المؤمنين من الزواج من مطلقات أدعيائهم. إذن فالأسلوب الأمثل في مواجهة هذه الطريقة، التدقيق في مفردات السؤال، مع المطالبة بالدليل على كل جزئية.

عاشرًا: بيان أن ما أراد المفتري إظهاره كنقيصة هو من المحامد والمحاسن:

إن كل أحكام الله كاملة لا نقص فيها، ولا يمكن لأي شخص مهما بلغ من علم وذكاء أن يثبت شيئًا من النقص في حكم من الأحكام الشرعية.

وكثيرًا ما يحاول المفتري قلب الحقائق وتزويرها، وتصوير المحاسن والمحامد كأنها نقائص وعيوب في الشريعة الإسلامية؛ ولذلك ينبغي على من يتصدى للرد على الافتراءات أن يظهر محاسن ما أراد المفتري إثبات قبحه، وأن يبين كمال ما ادّعى المفتري نقصه.

على سبيل المثال: يصور المفترون الجهاد على أنه إرهاب وقهر واعتداء على الحريات؛ ولذلك يجب أن يُظهر الرد على هذه الفرية -فوق إظهار كذبها وزيفها- تعدد محاسن الجهاد ومحامده، وأنه وسيلة لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وأن من مكارم هذه الأمة أنها تضحى بالنفس والمال في سبيل هداية البشرية إلى الدين الحق، وتوضيح أخلاقيات الحرب في الإسلام ونهيه عن الاعتداء على الأبرياء والفساد في الأرض.

الحادي عشر: افتراض الإيرادات على الرد وإبطالها:

قد يحاول المفتري إيراد بعض الاعتراضات على الرد؛ للتشكيك فيه وإظهار ضعفه، ومن المفيد أن يفترض من يتصدى للرد هذه الإيرادات ويتوقعها، ثم يقوم بالرد عليها قبل أن تُطرح، فهذا يعطي للرد قوة زائدة وتحصينًا من الاستدراكات والإيرادات.

على سبيل المثال: إذا استدل المفتري بحديث ضعيف، وجاء الرد عليه ببيان ضعف هذا الحديث، وغلب على الظن أن المفتري سيورد إيرادًا مفاده أن عالمًا معينًا قد صحح الحديث، فمن المفيد هاهنا التعرض لهذا الإيراد والرد عليه، قبل أن يطرحه المفتري.

كأن نقول: وقد يقول قائل: إن فلانًا من أهل العلم صحح الحديث، فكيف تقولون بضعفه؟ ونجيبه مثلاً: بأن هذا العالم معروف عنه التساهل في تصحيح الأحاديث، وقد استدرك عليه كثير من العلماء المحققين تصحيحه لهذا الحديث وبينوا خطأه فيه من عدة وجوه.

الثاني عشر: إلزام المفتري بما يعتقده والرد عليه من دينه:

إن الافتراءات التي يحاول المفترون إلصاقها بالإسلام كثيرًا ما تكون موجودة لديهم في كتبهم ودينهم وعقائدهم، ويكون رميهم للإسلام بها على طريقة: رمتني بدائها وانسلت.

ومن النافع جدًا في هذه الحالات إلزام الخصوم بما وُجد في كتبهم والاحتجاج عليهم بما تقرره مصادرهم، على أن

يأتي ذلك بعد استيفاء الرد من الناحية الإسلامية.

على سبيل المثال: يحاول المنصرون تصوير النَّسْخ في الإسلام على أنه مما يقدح في تمام علم الله وحكمته؛ لأنه يلزم من الإقرار بوجوده القول بالبَداء على الله، ويقصد بالبَداء أن الله عز وجل ظهر له من العلم ما لم يكن ظاهرًا من قبل ولذلك تم تغيير الحكم - تعالى عما يقول الظالمون.

والرد على ذلك يجب أن يكون بنفي وجود هذا التلازم، وتوضيح أن المسلمين لا ينسبون لله عز وجل البداء بل يَعُدُّونَ القول بذلك من الكفر، وأن ما يعتقدونه المسلمون هو أن الله حكم منذ الأزل بوضع الحكم المنسوخ لمدة معينة، ثم نَسَخَها بالحكم الآخر بعد ذلك لحكمة أرادها سبحانه.

فإذا تم استيفاء الرد من الناحية الإسلامية، كان من النافع تقرير وجود النسخ في كتب النصارى، وعلى الوجه الذي يحمل انتقاصًا لمعبودهم.

فقد جاء في كتاب النصارى رسالة إلى العبرانيين، بحسب الترجمة اليسوعية: "وهكذا نَسَخَتِ الوصية السابقة؛ لضعفها وعدم فائدتها".⁽¹⁹⁰⁾

وهذا النص يثبت وجود النسخ من جهة، ويبين حدوث النسخ بضعف الوصية وعدم فائدتها من جهة أخرى، وهذا انتقاص لمشرع الوصية وقدح في علمه وحكمته.

الثالث عشر: ختام الرد بتلخيص أهم ما جاء فيه من نقاط:

الأصل في الردود أن تكون مختصرة وموجزة على قدر الإمكان، ولكن قد يقتضي المقام إطالة بعض الردود؛ لكثرة جزئياتها، وتعدد عناصرها، وتنوع الأدلة فيها، وربما تذهل أذهان البعض عن استيعاب كل هذه العناصر والربط بينها، فالكلام قد يُنْسَبُ بعضه بعضًا؛ ولذلك فإن من المفيد أن نختم مثل هذه الردود بتلخيص أهم محاورها في نقاط مركزة مرتبة توضح المقصود.

الرابع عشر: عدم الخوض في الرد بدون تمكن وعلم:

قال الشيخ العثيمين: "لا يجوز للإنسان أن يقرأ كتابًا مضلًا من كتب اليهود، أو النصارى، أو المشركين، أو أهل البدع؛ إلا إذا كان عنده رصيد قوي يمكن أن يتحصن به، وأما إذا كان مبتدئًا في القراءة: فلا يجوز له أن يبدأ بقراءة هذه الكتب الباطلة؛ لأنه ربما تأثر بما فيها من الباطل، فهؤلاء ننصحهم بأن يتركوا هذه الكتب، حتى يحصنوا أنفسهم بالعلوم الشرعية الصحيحة قبل أن يدخلوا في هذه الكتب المضلة، فالإنسان إذا أراد أن يتحصن من السيل: أخذ في بناء السدود والمصارف قبل مجيء السيل، لا يفعل ذلك بعد مجيئه، فنقول: أولاً: حصنوا أنفسكم بمعرفة الشريعة، واغرسوها في قلوبكم، حتى إذا تمكنتم: فلا بأس أن تقرءوا؛ لتردوا على شبهات القوم وأباطيلهم".⁽¹⁹¹⁾

فبعض الدعاة يُنصَبون أنفسهم حماة لدعوتهم ومذهبهم، وهم لا يملكون الأسلحة التي يدافعون بها عن دينهم وعقيدتهم، أو ربما عن دعوتهم وجماعتهم.

فلا تجد عندهم علمًا ولا فقهاً ولا تجربة ولا دراية بواقعهم، وهم مع ذلك يريدون التصدي للشبهات ودحضها بكلمات جوفاء وصراخ وعويل، واتهام للطرف الآخر بالتعدي والظلم، دون أن يفندوا هذه الشبهات تفنيديًا علميًا

(190) الإصحاح: 7، العدد: 18.

(191) لقاءات الباب المفتوح 47/ السؤال رقم 7.

ومنهجياً، والسبب في ذلك هو جهلهم.

لذلك من لا يحسن العلم فلا أقل من أن يحسن الاعتراف بقلة العلم، إذ من قال لا أعلم فقد أفتى، ونجا من مواقف حرجة هو في غنى عن الوقوع فيها.

إن الصواب والنجاة في ألا يقحم الداعية نفسه في مجادلة أصحاب الشبهات ومحاورتهم وهو غير مستعد لذلك علمياً ومنطقياً؛ لأنه إن فعل ذلك، لا سيما أمام محفل من الناس، فإنه سَمِهَرَمٌ لا محالة وإن كان الحق معه، وسيبدو للناس أن زعم أصحاب الشبهات والاتهامات صحيح، فيقتنعون بذلك، ويظهر الباطل على حساب الحق، فمن يكون السبب حينئذ؟ إن السبب هو ذلك الذي أقحم نفسه فيما لا طاقة له به ولا علم.

إن الحل سهل ويسير، وهو أن يعترف أنه لا علم له في هذه الجزئية، وأنه يحتاج أن يبحث فيها أو يسأل عنها ثم يجيب، أو أنه يُحوّلُ مثير الشبهة إلى من هو أعلم منه وأكثر قدرة على الإجابة والرد، مصداقاً لقول الله عز وجل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل:43]. فإذا واجه الداعية في المناقشة أو المناظرة شيء لا يعرفه، فلا يخجل من السؤال والاستيضاح؛ حتى يتكلم بعلم وثقة.

ومن يتصدر لتفنيد شبهات المخالفين، ينبغي أن يكون راسخ العلم، واسع الاطلاع، فبعد دراسة مسائل العقيدة والفقه والتفسير والحديث، مع ما يلزم لذلك من علوم الآلة، عَلَيْهِ الاستفادة من الكتب المتخصصة في بيان الشبهات ودحضها وبيان زيفها؛ ليكون المتصدر لذلك عنده معرفةً بالحق تفصيلاً، ودرايةً بالباطل ووجه بطلانه تفصيلاً أيضاً.⁽¹⁹²⁾

الخامس عشر: رد المتشابه إلى المحكم:

وذلك تطبيقاً لقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} {آل عمران:7}.

فمثلاً: إذا اشتبه علينا معنى "كلمة الله" و"روح منه" في قوله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء:171] عدنا إلى محكم قوله سبحانه: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} {آل عمران:59} فنفهم أن عيسى خُلِقَ بكلمة الله "كن" تماماً مثلما خُلِقَ بها آدم.

وكذلك عدنا إلى قوله تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الجاثية:13]؛ لنفهم أن الإضافة بـ "منه" إضافة ربوبية وخلق، لا إضافة تبعيضية وتركيبية، وهكذا يُفسَّرُ المتشابه بالمحكم.

السادس عشر: رد الشبهة لعدم معقوليتها:

كزعمهم بوجود أخطاء نحوية في القرآن، وذلك لأن علم النحو الذي يحاكمون القرآن إليه إنما وضعه علماء

(192) من الكتب المفيدة والمهمة في هذا الباب، كتاب: الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية، عرض وتفنيدي ونقض للدكتور عبد العظيم المطعني، وكتاب: شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، للأستاذ الدكتور محمود مزروعة، وكتاب: شبهات حول السنة، للشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي، وغيرها من الكتب المشار لها في بداية المبحث.

اللغة بناءً على كلام العرب وأشعارهم في الحواضر والبوادي، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو واحد من هؤلاء الذين تربوا في البوادي وكانوا مرجعاً لعلماء النحو في تقعيد قواعده، والذين تلقوا القرآن لأول مرة هم أيضاً من هؤلاء، فيصير من غير المعقول أن يتلقى هؤلاء جميعاً خطأ ما في الكلام دون أن ينتهوا إليه، وهم الحجة الطبيعية لعلماء النحو واللغة..! فتصير الشبهة منطقاً معكوساً ومتناقضاً مع ذاته.

السابع عشر: إظهار التناقضات بجواررد الشبهات:

لأن إظهار التناقضات يخرج المسلم من دائرة الإحساس بالاتهام والدفاع في مواجهة الآخر، وما يترتب على ذلك من الهزيمة النفسية للمدافع، وشعور الانتصار عند المهاجم..

الثامن عشر: التفريق بين نص الوحي وفهم المسلمين:

لأن الأول: معصوم، يحدد إطار الإسلام وقيمه، والثاني: عمل بشري خاضع لاحتمال الصواب والخطأ، فبينما تقتصر الحجية في الجانب الإسلامي على كلام الله وما صحت نسبته إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، نجد أن النصارى يؤمنون بعصمة باباواتهم، وأنهم لا يتكلمون إلا بقوة "روح القدس".

التاسع عشر: مراعاة الفرق بين الطرح العلمي وطرح المواجهة:

فعند تنفيذ الشبهات والرد عليها ينبغي أن يتصف الرد بالاختصار والإحكام والبساطة والتلقائية، الأمر الذي يختلف عن الطرح العلمي التفصيلي دون مراعاة لعقول المخاطبين، فقد بوب البخاري باب في: من خص قومًا بالعلم دون قوم كراهية أن لا يفهموا. وذكر تحته قول علي رضي الله عنه: "حدثوا الناس، بما يعرفون أتحبون أن يكذب، الله ورسوله" وذكر ابن حجر⁽¹⁹³⁾ تحته قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، كما في صحيح مسلم: "ما أنت محدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة".⁽¹⁹⁴⁾

فعندما تثار شبهة: كيف أن الله يضل من يشاء؟ لا يمكن أن يكون الرد هو شرح قضية القدر والمشية في الإسلام، ولكن إسأل سؤالاً: هل يكون شيء بغير مشيئة الله؟ لا بد أن تكون الإجابة: لا. هل هناك من الناس من يضل؟ لا بد أن تكون الإجابة: نعم. إذن لا يكون هذا الذي يضل إلا بمشيئة الله.

تنبيهات إلى سلبيات لا بد من اجتنابها:

لا بد من الإشارة إلى سلبيات قد تقع في بعض الردود رغبةً في اجتنابها وتحذيراً من الوقوع فيها، وهذه السلبيات هي:

- 1- الدخول في جزئيات وتفريعات بعيدة عن موطن الشبهة وأصل الافتراء.
- 2- التطويل الزائد والإسهاب الممل في الرد على الافتراء.
- 3- اختصار الرد اختصاراً مخللاً يجعله غير كافٍ.
- 4- الانتقال إلى بحث عنصر قبل الانتهاء من بحث العنصر السابق له.
- 5- استخدام ألفاظ واصطلاحات غريبة تخفى على جمهور المستمعين.
- 6- الرد من دين الخصم وكتبه قبل استيفاء الرد من الناحية الإسلامية.

(193) فتح الباري 1/225.

(194) صحيح مسلم، مقدمة الكتاب، باب النبي عن الحديث بكل ما سمع (5).

7- غلبة الجانب العاطفي والخطابي في الرد على الجانب العلمي المنهجي.

8- استخدام عبارات التعميم والإطلاق في الرد دون التوثق من ذلك بالبحث والاستقراء التام، كقول القائل: "لم تأت هذه اللفظة في أي حديث" أو "لم يقل بذلك أي عالم قط" أو "لا ينكر ذلك أي شخص في العالم" أو "لم يحدث مثل ذلك في التاريخ كله".

9- تحوّل الرد إلى مناقشة أمور شخصية لا ينبغي على ثبوتها أو عدم ثبوتها حكم أو ثمرة.

10- الوقوع في التناقض والاضطراب في الرد، كإثبات شيء ثم نفيه، أو قبوله ثم رفضه، ومن ذلك قول القائل في موضع من إجابته إن كلمة النكاح لا تأتي إلا بمعنى الزواج فقط، ثم يعود فيذكر في موضع آخر من الإجابة أنها تكون بمعنى الوطاء، وهذا يسم كلامه بالتعارض والتناقض، وكان الأولى به من البداية أن يذكر أنّ النكاح يعني في الأصل الزواج، ولكن يُكنَى به عن الوطاء.

11- ردود الأفعال العنيفة المؤسسة على الانفعال والغضب والارتجال والحماس العاطفي؛ لأن ذلك من صور التسرع والعجلة، والصحيح أن الحجة تُقرع بالحجة، والدليل يُواجهُ بدليل مثله، فبعض الدعاة بدافع الحماسة للدفاع عن الدين يكتبون أو يقولون ردوداً تصل في كثير من الأحيان إلى حد الاستعطاف والذل والهوان، أما إذا كانت الحجة ناصعة، بددت أوهام المتخرصين.

تنبيهات عند التعامل مع أرباب الشبهات

ينبغي على الداعية المحاور مراعاة بعض التنبيهات عند التعامل مع أصحاب الشبهات:

النظر في أحوالهم، ومدافعهم بالأسلوب الأقوم والملائم، والذي يحقق دفع الشبهة وإظهار السنة، قال شيخ الإسلام: "والألفاظ في المخاطبات تكون بحسب الحاجات، كالسلاح في المحاربات، فإذا كان عدو المسلمين - في تحصنهم وتسليحهم - على صفة غير الصفة التي كانت عليها فارس والروم، كان جهادهم بحسب ما توجبه الشريعة التي مبناها على تحري ما هو لله أطوع وللعبد أنفع".⁽¹⁹⁵⁾

"كما يُحَدَّر من السَّبَاب والشتائم وبذاءة القلم واللسان أثناء معالجة الشبهات، فإن الرد بمجرد الشتم والتهويل لا يعجز عنه أحد والكلام البذيء يدل على انقطاع صاحبه وقلة علمه".⁽¹⁹⁶⁾

وعليه أن يجانب البغي والعدوان، ويتحرى العدل والإنصاف؛ "فالإنسان إذا اتبع العدل نُصِر على خصمه، وإذا خرج عنه طمع فيه خصمه".⁽¹⁹⁷⁾

وليحرص على مطالعة أحوال السلف وآدابهم في التعامل مع الشبهات، وجدال المخالفين ومناظرتهم. فالداعية طالب آخرة لا طالب دنيا، وهو مع الحق أينما كان؛ لذا فهو على استعداد أن يتخلى عن حظوظ النفس من أجل إعزاز الحق وإظهاره، وإيصاله للآخرين وإقناعهم به، ودحض شبهاتهم وأباطيلهم، وهذا يحتاج إلى معرفة طبيعة النفس البشرية، وما يصلح لها وما يسوؤها.

ومن أهم سمات هذه النفس أنها تميل إلى اللين والملاطفة والتعامل بالحسنى، وتنفر من الشدة والإذلال والإفحام والتحدي؛ إذ إن لها كبرياء، فمن أكرمها استطاع أن يقودها وأن يسيرها كيفما شاء، ومن خدش كبرياءها، فلن يظفر منها بطاعة ولا تصديق ولا انقياد، ولا يلومن بعد ذلك إلا نفسه.

لذا من أراد أن يمسح الشبهات من عقول الناس، أو أراد أن يدحضها، فعليه أن يلج إلى ذلك بالحسنى، وأن يتجنب العنف والشدة والتحدي، وذلك مصداقاً لقول الله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل:125].

ويقول جل ذكره مخاطباً نبيه الكريمن موسى وهارون عليهما السلام: {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه:43-44].

إن الداعية يناقش بالتلطف والأناة والهدوء، ومن الأشياء التي تفتح مغاليق النفوس، وتفعل فيها فعل السحر أن تقول لصاحبك في بدء حديثك: اسمح لي أن أبدي وجهة نظري في الموضوع، قد أكون مخطئاً، وأشكرك لو تفضلت وصرحت لي خطئي.

والحكمة والموعظة الحسنة، تقتضي ألا تسفه آراء صاحبك، وأن تظهر له الاحترام ولو كان على غير رأيك؛ لذا يقول الله تعالى: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام:108].

في بعض الأحيان لا ينفع المنطق والبرهان، إنما يجدي التودد والإحسان، حينذاك ألق عصا المنطق، واحمل راية

(195) مجموع الفتاوى 107/4.

(196) ينظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار د. يعي العمراني 91/1.

(197) درء التعارض بين العقل والنقل 409/8..

الحنان؛ لتفوز في الميدان.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه"⁽¹⁹⁸⁾؛ أي: عابه، وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه"⁽¹⁹⁹⁾.

وإلى هذا المعنى أشار القرآن الكريم: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت:34].

ودفع الإساءة بالإحسان ليس سهلاً يقدر عليه كل إنسان؛ بل يحتاج إلى تدريب نفسي، وصبر، ومجاهدة، ولذلك قال سبحانه: {وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت:35].

إن أسلوب التحدي، ولو كان بالحجة الدامغة والدليل المبين، يُبغض صاحبه للآخرين، فلا تلجأ إليه؛ لأن كسب القلوب أهم من كسب المواقف.

ثم إنك قد تفحم الخصم، وتعجزه عن الجواب بقوة حجتك، ولذلك قد يسلم لك، فقط لأنك أخرجته، بينما يرفض التسليم لك بعاطفته، حتى وإن كان عقله معك.

أما إذا تلطفت معه فسوف يقتنع بوجهة نظرك، إن عاجلاً أو آجلاً، فإذا أنهيت ما تريد قوله، وأدليت بدليلك، فاترك صاحبك، وإن لم يوافقك، فهو مع مرور الزمن سيقنع برأيك، بل ربما يتبناه ويدافع عنه بعد حين، فالوقت هنا له قيمته، وهو جزء من علاج الأفكار والنفوس.

ولنفرض أنك خرجت من المعركة منتصراً، فليكن انتصاراً مملوئاً بالتواضع حتى لا تجرح مشاعر صاحبك وتذله، إذ يكفيه ذلاً أنه هزم أمامك في عقله وعلمه، وراقب نيتك مراقبة شديدة؛ حتى لا يعتريك العجب والزهو، فيضيع أجرك ويحبط عملك.

والداعية الحكيم عليه أن يحاول استئصال ما في قلوب الآخرين من غيظ وكراهية، وأن يقودهم إلى الهداية؛ ليسعدوا بها كما سعد هو بها من قبل.

على أن هناك حالات تُستثنى من ذلك، يحسن بالداعية أن يلجأ فيها إلى الإفحام وإسكات الطرف الآخر، وعلى سبيل المثال يمكن افتراض الحالة التالية: رجل فاسد النية والطوية، يعادي الحق وهو يعرفه، ولا يبتغي الوصول إلى الحقيقة والوقوف عند الحجة واحترام الدليل، جمع عدداً من الشبان الصغار وأخذ يثير أمامهم مجموعة من الشبهات والأكاذيب، فهذا قد يكون الأفضل أن يوقعه الداعية في تناقض فكري أمام الآخرين، بحيث يخرجه ويفحمه ويسكته، ويهون من قدره لديهم؛ فيقطع عليه طريق إفسادهم.

إذن، ففي بعض الأحيان يكون الهجوم الحاد المركز على الخصم، وإحراجه وتسفيه رأيه، ضمن حدود الآداب الإسلامية، مطلباً مقصوداً من المناقشة أو المناظرة، وذلك إذا أساء إلى الفكرة وأهانها، أو تجاوز حدود الأدب، أو إذا اقتضت المصلحة إحراجه، فيكون إفحامه عقوبة له.

- ومن الأساليب المهمة كذلك: (الفصل بين الشبهة وقائلها)، وهي قاعدة جليلة لا يدركها كثير من الناس، كما أنها دقيقة لدرجة أنه قد لا يجيدها إلا العقلاء من أصحاب الفطنة والذكاء.

(198) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق (2594).

(199) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق (2593).

إن الهدف الرئيس، الذي تسعى إليه الدعوة، هو دحض الشبهة التي أثرت حولها، وليس هدفها القضاء على مثيرها؛ بل إن الدعوة الحققة هي التي تسأل الله تعالى الهداية لمثير هذه الشبهة، وتتمنى لو أن الله يشرح صدره إلى الحق فينجو من سخط الله وغضبه.

إن الحرب ليست حرب أشخاص بالدرجة الأولى؛ وإنما هي حرب أفكار وقناعات وآراء ومعتقدات، من هذا المنطلق فإنه ينبغي التمييز في التعامل بين الشبهة وبين قائلها، ففي أغلب المناقشات يحسن تناول الشبهة بالبحث والتحليل، أو بالنقد والنقض، بعيداً عن صاحبها أو قائلها، وذلك حتى لا يتحول الحوار إلى مبارزة كلامية، طابعها الطعن والتجريح، والعدول عن مناقشة القضايا والأفكار إلى مناقشة التصرفات والأشخاص.

وفي حالات قليلة يستحب الخروج عن هذه القاعدة، وذلك عندما تقتضي مصلحة الحق - لا النوازع الشخصية - تعرية الطرف الآخر وبيان ما فيه، ومع ذلك فيجب أن يتم هذا وفق الأدب الإسلامي على ضوء النصوص الواضحة، كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات:11]؛ أي: لا يطعن بعضكم في بعض، ولا يدعو أحد أخاه باسم أو وصف يكرهه.

وقال صلى الله عليه وسلم: "ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء".⁽²⁰⁰⁾

قول الله تعالى: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام:108].

قال ابن القيم: "فحرم الله تعالى سب آلهة المشركين - مع كون السب غيظاً وحمية لله وإهانة لآلهتهم - لكونه ذريعة إلى سبهم الله تعالى، وكانت مصلحة ترك مسبته تعالى أرجح من مصلحة سبنا لآلهتهم، وهذا كالتنبيه بل كالتصريح على المنع من الجائر؛ لئلا يكون سبباً في فعل ما لا يجوز".⁽²⁰¹⁾

إن الذين يثيرون الشبهات هم بشر مثلنا، يتأثرون كما نتأثر، فتثيرهم العبارة الفجة، وتغيظهم الكلمة الجارحة، كما يأسرهم الثناء اللطيف، ويقرهم الإحسان إلى أشخاصهم؛ لذا ينبغي أن نرفع من قدرهم ونكرمهم كأشخاص ولكننا في الوقت ذاته نبين خطأ اتهاماتهم وفساد شههم، ونشعرهم أن الخلاف الذي بيننا وبينهم ليس خلافاً شخصياً، وإنما هو خلاف في الأفكار والقناعات.⁽²⁰²⁾

كتب ومحاضرات لدحض الإلحاد والرد على الشبهات

ينبغي قراءة الكتب المتخصصة في دحض دعاوى الإلحاد، وتفنيد الشبهات، وبيان زيفها وبطلانها، والتي من بينها:

1- موسوعة بيان الإسلام الرد على الإفتراءات والشبهات، نخبة من كبار العلماء في 24 مجلد.

2- دفع شبهات المستشرقين حول السنة للأستاذ أحمد محمد بوقرين.

3- شبهات النصرارى حول الإسلام للأستاذ وليد كمال شكر.

4- موسوعة الرد على شبهات أعداء الإسلام للشيخ علي بن نايف الشحود.

(200) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الفحش والتفحش (1977) وقال حديث حسن، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (320).

(201) إعلام الموقعين 110/3.

(202) موسوعة دليل الداعية، قضايا منهجية في الدعوة إلى الله، أ.د. محمد العواجي، المدينة المنورة 1444

المبحث الثاني: المناظرات

المناظرة، ما لها وما عليها

حُقَّ لنا أن نسأل عن موقف الإسلام من عَقْدِ مثل هذه المناظرات، وما هي الضوابط الشرعية لإقامتها؟ وأيضًا ما هي الآثار الإيجابية أو السلبية المترتبة عليها؟

نقول إنَّ الأصل في الدعوة إلى الله، أن يقومَ الداعيةُ بتعريفِ الإسلامِ بأسلوبٍ مُرَكِّزٍ، لا حَشْوٍ فِيهِ، يُبَيِّنُ مقصوده مباشرة، والذي يوافق ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته.

وعلى الرغم من أنَّ المناظرة وسيلة هامة من الوسائل القولية؛ لتبليغ الدعوة إلا أنها في ذات الوقت سلاح ذو حدين؛ فقد تؤدي المناظرة إلى إظهار الحقِّ وتغيير معتقدات المخالفين- إذا ما أحسنَ الداعيةُ استخدام أدواته التي منحها الله إياها -، فيصبحَ الحقُّ واضحًا جليًا أمام الباطل، وقد تُؤدِّي المناظرةُ إلى النقيض تمامًا؛ فيكون ضررها على الدعوة أكبر من نفعها، وعلى أيَّة حالٍ، نحن لا ننادي بضرورة تجنب المناظرات، ولا نقول أيضًا بضرورة حصولها في كلِّ مناسبةٍ، وإنما الفَيْصَلُ بين هذا وذاك، يكونُ بناءً على ما تقتضيه الضرورة، والتي يقدرها الداعية الفطن بقدرها، وبمقارنة المصالح والمفاسد المترتبة عليها.

ومن المصالح المترتبة على هذه المناظرات؛ تضعيف جرأة المنحرفين وأصحاب الشبهات؛ مخافة أن يتعرضوا للتصدي والنقد من خلال المناقشة المستمرة لكل ما يطرحونه من غثاء.

ولقد باتت المناظرات ضرورةً ملحَّةً في القنوات الفضائية؛ حتى يتم ردع الخصوم، والرد على وقاحة الطاعنين الذين يتصدرون للهجوم على الإسلام وتشويهه، فإذا وُجِدَ من يناقشهم ويجادلهم ويفضح أمرهم على الملأ؛ فسيتم مزاحمتهم.

ولا ريب في أنَّ المناقشة عن الحق، وإبراز الصوت الإسلامي كصوت قوي له جهوده، وله مدافعه، لأُمُرٌ جَلَلٌ، يُثَبِّتُ لِلْآخِرِ عِظَمَ قَدْرِ الْإِسْلَامِ، وُعْلُوَ مَكَانَتِهِ وَهَيْبَتِهِ، مُعْلِنًا لْخِصْمِهِ، أَنَّهُ مُتَوَاجِدٌ فِي السَّاحَةِ، وَلَنْ يَبْرَحَهَا، فَهَوَ لَا يَخْشَى الْمَوَاجَهَةَ أَيًّا كَانَتْ، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى أَهْبَةِ الْأَسْتِعْدَادِ؛ لِذَخْصِ الْبَاطِلِ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضَ.

كما أنَّ هذه المناظرات نوع من إنكار المنكر، الواجب إنكاره، فكلُّ كَلَامٍ يُخَالِفُ شَرَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ يُحَاوِلُ النَّيْلَ مِنْهُ أَوْ يَكُونُ مَقْصُودُهُ السَّيْرَ فِي رِكَابِ التَّغْرِيبِ؛ فَإِنَّهُ مَنكَرٌ يَجِبُ عَلَى الدَّعَاةِ إِلَى اللَّهِ إِنْكَارُهُ قَدْرَ اسْتَطَاعَتِهِمْ.

المطلب الأول: ضوابط المناظرة وآدابها

هناك ضوابط معينة لا بد من توأفها، حتى تؤتي هذه المناظرات ثمارها، منها:

1- إخالص النية لله عزوجل:

فالإخالص من أهم الأسباب إلم يكن أهمها في إظهار الحق، وما يترتب عليها من انتفاع الناس، ومن الرفعة في الدنيا والآخرة، ورحم الله الشافعي حين قال: "وَدَدْتُ أَنْ يُظْهِرَ اللَّهُ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ غَيْرِي إِذَا نَاقَشْتُهُ". ولذلك لا ينبغي على الداعية أن يكون مقصوده من المناقشة، هو التغلب على خصمه، وإنما أن يكون هدفه في المقام الأول إظهار الحق للناس رجاء التعرف عليه، والعمل به؛ ومن ثمَّ عليه أن يحترس من تحويل المناظرة إلى انتصار للنفس أو قصد الشهرة والظهور؛ أو يتناول بألفاظ يُراد منها استنقاص الطرف الآخر، ونحو ذلك. ولهذا ما زال العلماء يحذرون من الشروع في إقامة مناظرة إلا للضرورة القصوى، ولمن هو أهل لها؛ لأنها مزلة الأقدام في مهاوي البعد عن الله؛ بسبب صعوبة الإخالص، وتطهير النفس من أهوائها في مثل هذه المواقف. ولذلك على الداعية قبل أي مناظرة وحوار، أن يصحح نيته بالتواضع لله عز وجل، وبالانكسار بين يديه، فهو الذي أقامه في هذا الموضع الشريف، وهو القادر أيضاً على استبداله إلم يحفظ تلك النعمة التي أنعم الله بها عليه، سائلاً إياه عز في علاه أن يطهر قلبه من أدرانته، وخلقته من كل رذيلة. وعليه أن يدرك أيضاً أن العلم وحده لا يكفي للمناظرة، فهو يحتاج بجانب العلم أن يكون فطناً، وعلى دراية بأسس الاستدلال وقواعد الحوار، والتي سنذكر بعضاً منها لاحقاً في هذا البحث إن شاء الله.

2- حسن الأسلوب وقوة البيان:

وعلى الداعية المحاور أن يتأهب للمناظرة بكثرة الاطلاع حول الموضوع المطروح، ومعرفة ما يثيره الخصوم من شبهات وحجج، وحبذا لو استفاد مما جرى من مناظرات مماثلة، تتسم بسرعة بديهية محاورها؛ والتي قد يكون لها أثرٌ بالغٌ في الارتقاء بثقافته، وتوسيع مداركه. وإذا كانت المناظرة عامة مع أحد الخصوم، فعلى الداعية البحث عن فيديوهات هذا الخصم، أو محاولة الوصول إلى حساباته الشخصية على وسائل التواصل الاجتماعي قبل اللقاء؛ حتى يتعرف على أسلوبه، وأدلته، ونقاط ضعفه؛ فعادةً، أمثال هؤلاء يكررون نفس الترهات، مما يُيسرُ على المحاور المسلم دحر مزاعمهم، وبيان هدي الإسلام والدفاع عنه. وإذا لم يجد الداعية نفسه أهلاً للمناظرة، فأولى به أن ينسحب وعلى الفور؛ حتى لا تؤتى الدعوة من قبله؛ فيكون قد أضرَّ بما لا يمكن إصلاحه. وهناك مجالات وتخصصات كثيرة للدعوة، فلينشط فيها، وليتربث إلى أن يصل إلى المستوى الذي يكون فيه مؤهلاً لتحمل تلك المسئولية من مواجهاتٍ ومناظراتٍ.

3- عدم التساهل في نقاش هؤلاء بما يخالف الشرع، بل لا يجوز تبني رأياً يخالف الشرع مخالفة صريحة؛ فلا يقال لخصمه مثلاً في مسألة تخالف الشرع: "أنا أحترم رأيك وأقدر ما تذهب إليه أو نحو ذلك"، وخاصة إذا كان الطرف الآخر يناقض مسألة معلومة من الدين بالضرورة.

4- التوازن بين الحاجة إلى المناظرة، وبين الأسلوب الهاديء، وذلك باللجوء إلى الجدل المحمود، والابتعاد عن الجدل المذموم الذي يثير النفوس ويوغر الصدور؛ قال الله عز وجل: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل: 125]؛ (لأن الجدل في مظنة الإغضاب، فإذا كان بالتي هي أحسن حصلت منفعتة)⁽²⁰³⁾ (وما ذاك إلا لأن النفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تقتنع وتنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق واللين وحسن الخطاب، حتى لا تشعر بالهزيمة أمام الآخرين).⁽²⁰⁴⁾

ولم يُعْهَدَ عن النبي صلى الله عليه وسلم كثرة استخدام أسلوب الجدل مع المسلمين أو غير المسلمين، بل حملت لنا سيرته أسلوبًا آخر يشبه الجدل وهو: الحوار، الذي تُوجَّهُ فيه الدعوة للمدعو بعيدا عن المنازعة والتعننت للرأي والخصومة، (فالحوار كلمة غالبًا ما تستعمل في المناظرة الهادئة التي يسود عليها الألفة والبحث عن الحق، والجدال غالبًا ما يكون جُوه صاخبًا وقد ينشأ عنه خصومة وعناد).⁽²⁰⁵⁾

5- الحذر من الخوض في القضايا المعاصرة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية؛ إلا إذا كان ملماً بجوانبها؛ حتى لا يؤدي كلامه بغير علم إلى زعزعة الثقة فيه أمام الناس.

(203) مجموع الفتاوى: شيخ الإسلام ابن تيمية 45./2

(204) الإقناع في التربية الإسلامية: سالم بن سعيد بن مسفر بن جبار ص 68، دار الأندلس الخضراء، ط:1، 1419هـ/1998م.

(205) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم: عبد العزيز ناصر الجليل ص 64، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط:2، 1412هـ، وينظر: الإقناع في التربية الإسلامية: سالم بن سعيد بن مسفر ص 68، وقد اعتبر بعض المفسرين الجدل خارجًا عن الأساليب الدعوية، فقال: (أما الجدل فليس من باب الدعوة، بل المقصود منه غرض آخر مغاير للدعوة؛ وهو الإلزام والإفحام، فلهذا السبب لم يقل ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل الأحسن، بل قطع الجدل عن باب الدعوة تنبيهًا على أنه لا يحصل الدعوة، وإنما الغرض منه شيء آخر). تفسير الفخر الرازي 141/20

المطلب الثاني: المفاصد المترتبة على المناظرات العامة

1- قد تكون هذه المناظرات سببًا في علوِّ الباطل على الحقِّ، في حالِ مَا إِذَا كَانَ المحاورُ المسلمُ ضعيفًا، وليس مؤهلًا؛ فيبدو للحضور أنَّ الإسلامَ ضعيفٌ بضعفه هو، وأنَّ الآخرَ رغم باطله يبدو أقوى منه حجةً ومعرفةً وبيانا.

2- لا تكاد تخلو أي جلسة يقوم فيها المحاور المسلم بدعوة الآخرين إلى الإسلام من احتدام نقاشها في نهاية المطاف وتحويلها إلى مشاحنة وجدال، مع أن الجدال ليس من صفات أهل الإيمان؛ فقد أخبرنا الله عز وجل في كتابه العزيز، قائلًا: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان: 63]؛ كما أكدَّ صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى، فقال: "أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رَبِضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا".⁽²⁰⁶⁾ لأنَّ أكثرَ مَنْ تدخل معه في جدال أو مناظرة يتخذ موقف المُدافعة والتحصن والعناد.

3- اشتمال هذه المناظرات على بعض السلبيات التي قد تؤدي إلى إعاقة الهدف المرجو منها؛ فتتحول إلى معول هدم بدلاً من كونها وسيلة دعوية بناءة؛ كأن يكون هدف المناظر رغبته في الظهور، وذلك بإبراز قوته، وحسن بيانه، وجزالة أسلوبه أمام خصمه.

لا مرحبا بأي جدلٍ عقيم

إن المناظرة، تحتاج إلى صبر ولين وحسن ظن بالمدعو؛ فهناك من بين الملاحدة عدد ليس بقليلٍ يحاور وهو يريد معرفة الحق، فلو أنك صبرت عليه ورافقتَه لفترة طويلة وركّزتَ على عرض جمال ومحاسن الإسلام بأسلوب احترافي؛ ستصبح سبباً لهداية الكثيرين منهم بإذن الله.

وأنا أعرف كثير من بني جلدتي، وربما من أقربائي كانوا لسنوات طوال شيوعيين أو علمانيين، ثم كتب الله لهم الهداية، أذكر أن أحدهم قال لي في إحدى المرات: "لا أريدك أن تتكلم معي عن الدين أبداً"، فلم أنفك عنه، حيث أنني كلفت أصدقاء آخرين للحوار معه، فضلاً عن أنني كنت أقدم له هدية في كل مناسبة؛ لتأليف قلبه، وبعد اثني عشر عاماً، هداه الله عز وجل، والآن يقوم ببناء مساجدٍ، ويطبّع كُتُباً دعويةً، ويذبُّ عن حياض الإسلام في كل حدبٍ وصوبٍ.

ولا تتعلق الدعوة بإقامة الحجة أو إحراج الآخر، وإنما بكسب القلوب والعقول، اسأل نفسك الأسئلة التالية وتمعنّ بها:

• ما الهدف من النقاش الدعوي؟

• كيف يجب على غير المسلم الشعور بعد هذه المناقشة؟

• ماذا سيسألك الله عن هذه المناقشة؟

لذا، لا تخض في جدالات لا طائل منها، وإنما ركّز على تبليغ رسالة الإسلام السمحاء إلى البشرية، وإذا أردت يوماً ما أن تخوض مناظرة، فإننا سنذكر لك القواعد التي أرساها أهل الخبرة في ذلك، لتكون خطوة أولى في طريقك، وبعدها ترتقي بمستواك إلى أن تبلغ مبلغاً يُمكنك من خوض هذا المضمار.

نَقَادي إثارة الشُّبهات في المناظرات العامّة

وعلى المحاور المسلم وهو يطرح موضوعه، الابتعاد عن إثارة الشُّبهات أو فتح مواضيع تزيد من حيرة الناس. وعلى فَرَضٍ أَنَّهُ قد أُثِيرَت أمامه شُبهةٌ، أو وُجِّهَ إليه أمرٌ ما، واحتاج إلى مناظرةٍ، هنا وَجَبَ عليه أن يكون مدرّجاً لكلِّ جوانبِ القضية وأبعادها المختلفة؛ كي يتمكن من إزالتها، وإظهار الحق فيها، بما يتوافق مع آي القرآن، ونصوص السنة المطهرة، وما هو مستمد من تعاليم الشريعة الإسلامية.

أما أن يَسْتَشْرِفَ للشُّبهات، غير عابئٍ بالمناظراتِ وخطورتها، ولسانُ حاله يقول: "هيا يا من أنتم على غير الإسلام!، اتنوني بما لديكم من شُّبهات؛ لأُجيبَ عنها"، وهو يظن أن هذا من صميم الدعوة إلى الله، فمن المؤكد أَنَّهُ بذلك مُتَوَهِّمٌ، واعتقادهُ هذا باطلٌ، ولا علاقة له بمنهج الدعوة التي سار عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وسار عليه أصحابه من بعده، ولا بمنهج القرآن في دعوة المشركين إلى الله عز وجل.

ولقد وَجَدْتُ على طاوولاتٍ دعويةٍ في ألمانيا، ردوداً على شُّبهاتٍ بأسلوبٍ مُنقَرٍ، ولربما لم تكن من الأصل شُّبهة لدى الآخر الذي ليس بينه وبين الإيمان بالله عز وجل إلا أن يقوم أحد المحاورين بتعريفه بأساسيات الإسلام كالتعريف بالله عز وجل، وبتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وتعريفه بالرسالات؛ ليخرج بعدها من ظلمات الكفر وبرائن الجهل إلى نور الإيمان، وقلبه راضٍ مطمئنٌ.

المطلب الثالث: النصائح الذهبية في مناظرة الملحدين⁽²⁰⁷⁾

هذه مجموعة من النصائح الذهبية، استخلصها الأستاذ نور الدين قوطيط من مطالعاته في الإلحاد، وحواراته مع الملاحدة:

1- تذكر أنّ غايتك من الحوار والمناظرة هي هداية الملحد وتبيين ضلاله بأدلة العقل الصريح والعلم الصحيح، أي أن تكشف له عن تجليات الحقائق في الدين، في الحياة، وفي الكون، وفي المصير بعد الموت. هذه الغاية النبيلة تُحتم عليك توخي الحذر من الشرك الخفي، أعني: الغرور، العجب، الرياء، السمعة، وغير هذا من الموبقات الباطنة التي تدمر علاقة الإنسان بالله تعالى، أي تحتم عليك الإخلاص لله تعالى في هذه الغاية النبيلة والهدف العظيم؛ ذلك لأنّ الإخلاص لله تعالى يمنحك قوة من الله تعالى وبصيرة واضحة، قال الله تعالى: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} [الزمر: 11].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه"⁽²⁰⁸⁾، وفي رواية ابن ماجه: "فأنا منه بريء وهو للذي أشرك". إنّ حب الظهور بأنك واسع الاطلاع، قوي الحجة، مُفحم البرهان، ما هو إلا هوى متغلغل في أعماق النفس، ليت شعري ما قيمة مجهوداتك إذا ذهبت سدى ولم يكن لها قيمة عند الله تعالى؟!

تذكر أنّك عندما تسمح للأنا بالتضخم فيك، وللشهوات الخفية بالسيطرة عليك، فذلك يعني أنّك ترضى أن يكلك الله تعالى إلى نفسك، ويعني أنّك ترضى أن تكون للشيطان ولياً.

إذن قبل أي مناظرة وحوار صحح نيّتك لله تعالى وطهر قلبك من كل الأخلاق المرذولة، فعدم الإخلاص لا يثمر ثمرة حتّى لو بذل صاحبه من الجهد ما عساه أن يبذل.

2- كن ذا أدب جميل وأسلوب راق، واختر كلماتك بعناية؛ فحسن الأدب وجمال الأداء في عرض الأفكار له تأثير قوي على النفس، ولو لا شعورياً. ولهذا أمر الله سيدنا موسى صلى الله عليه وسلم أن ينهج هذا النهج مع أعتى طاغية عرفه تاريخ البشريّة، فقال: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْتَشَى} [طه: 44] أي أن "تكون بكلام رقيق لين سهل رقيق ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع"⁽²⁰⁹⁾، لكن هذا القول ليس يعني الليونة المائعة والاستخذاء والتنازل عن الحق بدعوى تبليغ الدعوة، فإنّ بعض النماذج لا يليق معها إلا الشدة في القول، والغلظة في الفضيحة، والبيان الكاشف في التناقض والتهافت.

كما أنّ هذا لا يعني التخلي عن قواعد الدين ومصطلحات وتسمية الأشياء بمسمياتها الحقيقية كما وردت في القرآن والسنة، بدعوى تأليف الملحد وتقريبه، فالحق أحق أن يتبع، والانضباط بمبادئ الشريعة ومصطلحاتها أهم شيء بالنسبة لك كإنسان مسلم؛ لأنّ غرضك هو هداية الملحد ولكن في إطار الدين الرباني.

وتذكر أنّ التخلي عن مبادئ الدين وإلغاء مصطلحاته أثناء الحوار، سيوقعك في متاهات أو حرج شديد؛ ولهذا قال الله تعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم توجيهاً له في محاوره بعض نماذج الكفر والنفاق: {فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا} [الفرقان: 52]، أي جهاد الحجة والبرهان بلا كلل ولا فتور.

(207) مقال منشور في موقع الألوكة. النصائح الذهبية في مناظرة الملحدين، مقال منشور في موقع الألوكة، هي مجموعة من النصائح الذهبية، استخلصها الأستاذ نور الدين قوطيط من مطالعاته في الإلحاد، وحواراته مع الملاحدة.

(208) رواه مسلم.

(209) تفسير ابن كثير.

كما أنّ دعوى أنّ الملحد قدر اللسان، مغرم بالشتم والسخرية، تسمح لك أن تنزل إلى مستواه، فأنت تمثل الحق والعدل والجمال، فكيف تكون مثله؟!

3- تعمّق إلى أقصى ما تستطيع في العلوم الشرعية: القرآن والسنة، وكل ما تفرّج عنهما من العلوم المختلفة، إما على يد علماء متعمقين في ذلك أو على كتبهم الصحيحة: القديمة والحديثة، والفكر الإسلامي المعاصر ومدارسه، وأنصحك بالتركيز -ولا أقول إهمال الباقي- على: قواعد التفسير وأصوله، قواعد الفقه وأصوله ومقاصده، قواعد الحديث وأصوله، فهذه الدراسة هي عدّتك وسلاحك الأقوى، وبذلك لن يستطيع الملحد أن يخترق نظامك الإدراكي لدينك، وإلاّ فمن رام الدعوة إلى الإسلام وإفحام الملحد وهو جاهل بدينه، إلا من تلك الخلاصات والمقالات التي يجمعها من هنا وهناك، فهذا أقرب لأن ينخلع هو نفسه عن ربقة الدين، بعد أن تهافت عليه شبهات وإشكالات الملاحدة.

على أنّ هذا القول لا يعني دراسة الدين بنيتة إفحام الملاحدة، بل يجب أن تكون الدارسة أولاً وآخراً؛ لتنوير العقل، وفهم مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والعمل بتعاليم القرآن والسنة، إذ أنّ الواجب في الدعوة هو دعوة نفسك الشخصية، قبل دعوة الآخرين.

4- توسّع في الثقافات والمعارف والعلوم إلى أقصى ما تستطيع، ولكن مع احترام الأوليات، فذلك سيزيدك بصيرة واضحة بدينك، ومكامن القصور والخلل والباطل فيما عند الآخرين، كما أنّه سيزيد حجتك قوة وبراهينك مناعة، بحيث لا يستطيع الملحد أن يزيّف أمامك أي فكرة؛ ولهذا لا تقتصر في الدارسة والمطالعة على علوم الشريعة المختلفة، بل وسّع دائرة اهتماماتك لتشمل الثقافات والعلوم المعاصرة: علم النفس، الاجتماع، الحضارة، الفلسفة، الفيزياء.. إلخ. فإذا كانت علوم الشريعة هي الأساس والقواعد، فإنّ هذه الثقافات والعلوم لا شك أنّهم تفسح لك المجال لفهم دلالات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بشكل أكثر رحابة، وتُعطيك القدرة على رؤية مكامن القصور والخطأ في الفكر الإلحادي.

5- التزم بالحوار الجاد أثناء المناظرة، ولا تسمح للملحد أن يُفقد الحوار قيمته بكثرة التشغيب والصراخ، ومزج المواضيع والتنقل بينها كيف شاء، أي أن يُحوّل مسار المناظرة من الوصول إلى الحق إلى مسار المناظرة لأجل المناظرة فقط وكثرة الصراخ والتشغيب، فهذه هي خطتهم مع من يحاصرهم بالأسئلة والإشكالات، كما أنّ هذا يعني أنّه يجب عليك أن تُحدّد بشكل صارم مع الملحد الموضوع الذي تريدان الحوار فيه والمناظرة حوله، والامتناع بشكل مطلق عن الخروج عنه.

وأيضاً هذا يعني أنّه يجب عليك أن تحدد معه المرجعية التي تحتكمان إليها وترضيان بأحكامها وتلتزمان بقوانينها، وفي حالتك من الطبيعي أن يطالبك بأن تكون المرجعية هي: العقل والعلم، فالتزم له بذلك، إلا أنّك ستجده بشكل تلقائي يكفر بأحكام العقل ومقررات العلوم، لأنّها ببساطة تناقض فكره الإلحادي.

ولهذا عندما تجد أنّ المناظرة فقدت قيمتها وانحرف مسارها وكفر محاورك بالمرجعية المتفق عليها، فأنصحك يا أخي أن تعلن انسحابك منها، ليس لأنك ضعيف الحجة، قليل الحيلة، بل لأنّ ذلك تعظيم لله تعالى، وتقدير لعقلك، واحترام للحقيقة أن تشوهه في حوار عقيم.

6- لا تنخدع ولا تهوّل كثرة تشقيق الملاحدة للكلمات ورفعهم الدائم لشعارات براقية، مثل: عقل، دليل، علم، لقد درسنا وبحثنا، وعلماء العالم كلهم متفقون على كذا.. إلخ، فهم بهذا ينشدون صدمتك النفسية، لكي

يعجز عقلك عن التفكير، وبالتالي يتشرب طروحاتهم وشبهاتهم، أي أنهم يمارسون إرهابًا نفسيًا، وهذا خطة يهودية، مارسوها قديمًا مع المسلمين، لكي يشككوهم في الإسلام.

ولهذا خلد الله تعالى هذا الموقف في القرآن لكي يعتبر به المؤمن، فقال حكاية عنهم: {وَقَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَاسْكُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [آل عمران:72].

"هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم، وهو أنهم تشاوروا بينهم أن يُظهِرُوا الإيمان أول النهار ويُصَلُّوا مع المسلمين صلاة الصبح، فإذا جاء آخر النهار، ارتدوا إلى دينهم، ليقول الجهلة من الناس إنما رَدَّهُمْ إلى دينهم اِطَّلَاعِهِمْ على نقيصة وعيب في دين المسلمين" (210).

كما أنها خطة الفلاسفة قديمًا، بل وكل فرق الضلال من الصوفية والروافض وغيرهم، ولقد قال الإمام الغزالي عن الفلاسفة ومقلديهم: "وإنما مصدر كفرهم سماعهم أسماء هائلة، كسقراط، وبقراط، وأفلاطون، وأرسطو طاليس، وأمثالهم، وإطناط طوائف من مُتَّبِعِيهِمْ وَضُلَّالِيهِمْ في وصف عقولهم، وحسن أصولهم، ودقة علومهم: الهندسية، والمنطقية، والطبيعية، والإلهية، واستبدادهم - لفرط الذكاء والفتنة - باستخراج تلك الأمور الخفية، وحكايتهم عنهم أنهم - مع رزانة عقولهم، وغزارة فضلهم - منكرون للشرائع والنحل، وجاحدون لتفاصيل الأديان والملل، ومعتقدون أنها نواميس مؤلفة وحيل مزخرفة" (211).

فكن واثقًا بدينك وعقلك، فأنت تنتهي إلى الحق المطلق.

7- كن على يقين أن الوحي الرباني والمنهج الإسلامي يستحيل أن يناقض عقلًا صريحًا أو علمًا ثابتًا. فالوحي كلام الله، والعقل خلق الله، ولا يمكن أن يتناقض كلام الله مع خلقه، ولهذا قال الحق: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم:30].

كما أن الله تعالى نبه على عمق الانسجام بين الوحي والعقل بقوله: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي} [الحجر:29].

أما إذا صادفت ما يُوجي بالتناقض بين معطيات الوحي ومعطيات العقل وفروعه، فاعلم أنه ليس تناقضًا حقيقيًا، بل هو بسبب نقص في المعطيات: إما أن المعطى الديني الذي اعتمدت عليه ليس صريحًا بل محتملاً، أو ليس صحيحًا بل ضعيفًا (في حال أحاديث السنة)، أو مجملًا وليس مفصلاً، أو مقيدًا وليس مطلقًا.

وإما أن المعطى العقلي الذي اعتمدت عليه ليس كاملاً في مقدماته، أو ليس صحيحًا في بعض أجزائها، أو أنه نظرية لا ترقى إلى اليقينية العلمية.. إلخ.

وإنما ينبغي أن تفهم أنه يستحيل وجود تناقض بين صحيح المنقول وصريح المعقول؛ لأن اعتقادك أن الخالق إله كامل كمالًا مطلقًا: علمًا، حكمة، قدرة، رحمة.. إلخ، يحتم عليك أن تعتقد أنه يستحيل أن يتضمن وحيه ما يتناقض مع العقل البشري الذي ما خلق الوجود إلا لأجله.

8- تأكد بصورة مطلقة أن الملاحظة على باطل وضلال مهما زخرفوا القول وزينوا الحديث؛ ذلك لأنهم ناقضوا صريح المعقول، ورفضوا دلائل العلوم، وعاندوا بديهيات الفطرة، بل تأكد أنهم يدركون في قرارة أنفسهم أنهم على

(210) تفسير ابن كثير.

(211) تهافت الفلاسفة: 24.

باطل وأنَّ هناك شيئاً مضطرباً في نظامهم الإدراكي، ولكن هناك مجموعة من العناصر التي تتدخل في تنفيرهم من الله والهروب منه، حتى وإن قامت كل الأدلة على وجوده وضرورة عبادته والطاعة له، من مثل:

- الأفكار المسبقة التي تمنعهم من مراجعة الحق والقبول به.

- الأزمات النفسية التي مروا بها في فترة من فترات حياتهم الماضية.

- رغبتهم في الشعور بالتقدير الذاتي عن طريق: خالف تُعَرَّف، نشدان بعضهم للشهرة: فلان مفكر حر، فلان لا يقلد أحداً بل يتقيد فقط بالعقل والعلم.

- سوء أوضاع المسلمين وربطهم - أي الملاحدة - بطريقة لا شعورية بين الدين والتخلف في واقعنا المعاصر.

- عجزهم الفاضح عن فهم جوهر حقائق الوجود وعلاقاته، وبالتالي هم يرفضون ليس لعدم الدليل؛ بل لعجزهم عن فهمه وإقامته.

- انخداعهم بأقوال بعض الغربيين بأنَّ العلم في العصر الحديث يستطيع تفسير كل شيء وأنه حقائق مطلقة، ولما كانت الحقائق على وجود الله تعالى واضحة، والبراهين على ضلال الإلحاد والكفر جلية، فضحهم الله تعالى، فقال في محكم آياته: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} [النمل:14].

9- أحد أهم خطط الملاحدة في التشغيب على العقل المسلم والتشويش على الحقائق لديه، هو استعمال طريقة العموميات والتعميمات.

ماذا أقصد بهذا الكلام؟

طريقة العموميات أقصد بها أنَّ الملحد يستعمل الكلمات بمعناها العام المقبول لدى جمهور الناس، ويرفض تحليلها والدخول في تفاصيلها؛ لأنه يدرك أنَّ هذا التفصيل للكلمات وتحديد المعاني المرادة منها بالضبط أثناء الحوار والمناظرة سيهدم عليه أفكاره، وينقُض له بناءه الإلحادي.

ولهذا احرص أيها المؤمن على عدم الانخداع بالعموميات، بل طالبه دائماً بتحديد الكلمات بمعانيها اللغوية والاصطلاحية، وهذا ما يسميه علماءنا بالسبر والتقسيم، أي تفكيك الكلمات لقبول ما فيها من الحق ورد ما فيها من الباطل.

أما طريقة التعميمات فأقصد بها، أنَّ الملحد يأخذ الكلمة التي تشمل بمفهومها العام مجموعة من المعطيات، ثم يركز على باطل بعض تلك المعطيات ليسحبه على جميعها، مثل: كلمة دين، فهذه الكلمة تشمل الإسلام، المسيحية، اليهودية، البوذية.. الخ، والملحد حين يريد خداع نفسه وخداع المؤمن يأخذ معطيات المسيحية أو البوذية مثلاً ويضيفها على الإسلام بسبب أنَّ المسيحية دين والإسلام دين إذن هما سواء؛ ولهذا كن حذراً أثناء الحوار من التعميمات، ووافق على أنَّ هذه الكلمة تشمل الجميع، لكن خصائصها وحقائقها تختلف من دين إلى آخر.

10- لا تغتر بالمصادر التي يذكرها الملحد أثناء حوارهِ ومناظرته، فهم - غالبهم - قوم هُبت، يفترون الكذب وهم يعلمون، وبعضهم الآخر يجهل ما ينقل، بل يلجؤون إلى عملية القص في القرآن، وفي الحديث مع الاستشهاد بالضعيف والموضوع، وفي كلام العلماء؛ ولهذا يجب عليك أن تطالبه أولاً بالمصدر، وأن تتأكد بنفسك، ثم تأمَّل معاني الحديث وشروح العلماء له إن كان حديثاً صحيحاً مقبولاً لدى علماء الحديث، وأيضاً سياق الآيات والأحاديث، وأيضاً سياق شاهده من كلام العلماء، والغفلة عن هذه الحقيقة ستجعل الملحد يحاصركَ في دائرة

ضيقة حرجة، تجد فيها نفسك مُلزمًا بالدفاع ولو بالخطأ الذي لا يقبله الله ولا رسوله ولا علماء الأمة، وهذا راجع إلى الفكرة السابقة من أنه يستحيل أن يتناقض كلام الله أو كلام رسوله صلى الله عليه وسلم مع معطيات العقل الصريح والعلم الصحيح، أما كلام العلماء فالجمهور معصوم من الخطأ، وما يوجد في كلام بعضهم مما فيه مخالفة لتقريبات القرآن والسنة، فذلك أمر طبيعي، إذ ما جعل الله العصمة لأحد إلا: للقرآن، السنة، جمهور العلماء، والقرآن والسنة حاكمان على كلام العلماء، وليس كلام العلماء هو الحاكم عليهما. وستجد الملحد يستشهد بكلام بعض العلماء مما يوافق هواه أكثر مما يستشهد بالقرآن والسنة، إذا وجدك يقظاً معه؛ ولهذا لا تُدهش لأخطاء بعض علمائنا رضي الله عنهم.

11- احذر من التسرع في خوض مناظرات مع الملاحدة، إلا بعد أن تستعد لها جيداً: علماً، وفهماً، فكم من شاب ظن بنفسه القدرة على المناظرة، والمسكين ليس معه من العلم إلا القشور، فراح يخوض مناظرات ويدخل على صفحاتهم ومنتدياتهم، فوقع في شركهم، فانقلب ملحدًا مثلهم، وإنما السبب هو الحماسة الفارغة من بعض الشباب، يزعمون أنهم يريدون نُصرة الإسلام، ولكن بدون سلاح!!

ولقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمن من فتنة الدجال وأمره بالهروب منه، فقال: "من سمع بالدجال فليئاً عنه، فوالله إنَّ الرَّجَلَ لِيَأْتِيَهُ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ ، أَوْ لَمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ". (212)، ولهذا خذ مني نصيحة: طالع في علوم الشريعة أولاً، واجمع حصيلة معرفية وثقافية ثانياً، وتابع مناظرات فحول الإسلام مع الملاحدة ثالثاً؛ لكي تعرف كيف تدار المناظرات، وكيف تسير، وكيف يُجيب عليها المناظر المسلم وكيف يلقي الملحد شبهاته، وقرأ كتب الرد على الإلحاد وكشف زيوفه رابعاً، وبعد كل هذا، وهو يأخذ وقتاً، تستطيع أن تتوكل على الله وتبدأ معهم، ومع الوقت ستكتسب خبرة في هذا المجال.

12- وهنا سأضع لك مجموعة من ملامح الإلحاد عسى أن تنتفع بها:

أولاً: الإلحاد بفروعه كافة يقوم على كم هائل من الشبهات المضللة، بل على كم هائل من التزييفات الخادعة، التي تدور بين أربع مستويات:

1- شبهات عقلية.

2- شبهات علمية.

3- شبهات دينية.

4- شبهات عاطفية.

ثانياً: يستغل الإلحاد القاسم اللغوي المشترك لكلمة: دين، فيعتقدون - ويريدون للقارئ أن يعتقد أيضاً- أن كل ما صح بحق المسيحية مثلاً يصح بحق الإسلام، والسبب أن كليهما تنسحب عليه كلمة: دين، وبالتالي فهما نسخة واحدة!!

(212) صحيح أبي داود 4319: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوصِي أَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ وَيَبَيِّنُهُ لَهُمْ، كَمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَالِ"، أَي: بِخُرُوجِهِ وَظُهُورِهِ فِي زَمَانِهِ، "فَلْيَنَازِقْهُ"، أَي: فَلْيَبْغُذْ وَلْيَغُوبْ عَنْهُ وَلَا يَعْتَمِدْ فِي مَلَاقَاتِهِ لَهُ عَلَى مَا بِهِ مِنْ إِيْمَانٍ؛ "فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجَلَ لِيَأْتِيَهُ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ، أَوْ لَمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ"، فَيُنَادِي بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَظُنُّ أَنَّهُ سَيَسْلَمُ فِي مَلَاقَاتِهِ لِلدَّجَالِ، وَأَنَّهُ فِي مَأْمَنِ مِنْهُ لَمَّا بِهِ مِنْ إِيْمَانٍ، رُبَّمَا لَا يَسْعُهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَ الدَّجَالَ؛ لَمَّا سَيَنْخِذُ بِمَا مَعَ الدَّجَالِ مِنْ آيَاتٍ، فَيَصِيرُ كَافِرًا وَهُوَ لَا يَدْرِي. وَفِي الْحَدِيثِ: النَّبِيُّ عَنْ حُضُورِ مَوَاطِنِ الْفِتَنِ وَأَمَاكِنِهَا، وَيَبَيِّنُ أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ النَّجَاةِ مِنَ الْفِتَنِ الْإِبْتِعَادَ عَنْهَا وَعَنْ أَمَاكِنِهَا. وَفِيهِ: التَّحْذِيرُ مِنْ اغْتِرَارِ الْإِنْسَانِ بِمَا مَعَهُ مِنْ إِيْمَانٍ فِي مُوَاجَهَةِ الْفِتَنِ وَحُضُورِهَا.

ثالثًا: العقل الإلحادي يعجز عن فهم مستويات الوجود: الواجب، الممكن، المستحيل.

ولهذا تراه يَخْلُطُ في أسئلته وافتراضاته، ويُؤسَس عليها كَمَا هَاتِئًا من النتائج.

ومعلوم في قوانين العقل أنَّ المقدمة إذا كانت خطأ، فبالضرورة تكون النتيجة خطأ؛ ولهذا يشدّدون على: من خلق الله؟! علمًا أن صيغة هذا السؤال مثلًا تهدم نفسها بنفسها؛ لأنّه إذا كان الإله مخلوقًا من طرف الله، إذن فالله هو الإله والخالق الوحيد، أما الآخر فهو مخلوق وليس إلهًا، وقِس على هذا.

رابعًا: يرفض الفكر الإلحادي الاعتراف باللغة وسعة دلالاتها المتنوعة؛ سواء الفكرية، أم الأخلاقية، أم النفسية؛ ولهذا تجد لديه حساسية شديدة تجاه المفردات اللغوية التي تحمل - من بين ما تحمل - شحنات دينية؛ مثل: عقيدة، عبادة، تقليد... إلخ.

خامسًا: من خُدِعَ الإلحاد الماكرة أنّه يعتمد على طرح أسئلة هي في أساسها مبنية على أصول أخرى، وبدون التسليم بتلك الأصول والافتناع بها، تجرّ تلك الأسئلة الماكرة صاحبها إلى بلبلة فكرية واضطراب عقائدي مثل: لماذا خلقنا الله بدون أن يأخذ رأينا (أنت مخلوق فكيف يأخذ رأيك؟) إذا كان الله سبحانه يريد الخير لنا، فلماذا خَلَقَ النَّارَ قبل أن يخلقنا: (أنت مخلوق عاجز عن فهم طبيعة روحك، فكيف تريد أن تحيط علما بحكمة الله المطلقة؟).

سادسًا: "أَكْثَرُ ما يلجأ إليه الملحدون في الاحتجاج لإلحادهم هو أنّ المؤمنين بوجود الخالق لم يعطوهم على وجوده حجة مقنعة، لكنهم حين يفعلون ذلك يفترضون أنّ الأمر الطبيعي هو عدم وجود الخالق، وأنّ الذي يدعي وجوده هو المطالب بإعطاء الدليل على وجوده، لماذا لا يكون العكس؟ لماذا لا يكون الأمر الطبيعي هو الأمر الذي يؤمن به جماهير الناس والذي يجدون له أصلًا في نفوسهم، وأن الذي يشذ عن هذا هو المطالب بالدليل؟".

سابعًا: ينطلق الإلحاد الغربي من ثلاث منطلقات: واقعه المعاصر الغارق في المادية، تاريخه البئيس مع الكنسية، مقولات الفلسفة اليونانية، هذه المعطيات - خاصة المعطى الأول والثاني - ساهمت بشكل كبير وفعل في تشكيل عقلية الإلحاد لدى الملاحدة الغربيين، ويأت الإلحاد العربي الغبي الساذج، فيُسْقِط هذه الملابسات على نفسه في علاقته هو بالإسلام وكل شيء.

ثامنًا: ينطلق الإلحاد العربي المعاصر من ثلاث منطلقات:

الأولى: واقعه الحالِك المتردّي في التخلف والاستبداد.

الثانية: انصهاره في بوتقة الإلحاد الغربي؛ ولهذا ينقل شبهاته وأفكاره، فلست تجد فكرة عند الملحد العربي إلا وتجد شقيقه الغربي سبقه إليها أوّلًا.

والثالثة الأثافي: جهل شنيع بالمنظومة الإسلامية تصوّرًا وممارسةً، وهذا يدل على فقر العقل الملحد العربي وعجزه عن ابتكار أفكار جديدة تخص عقيدته الإلحادية، والعجب أنّه يدعي بعد هذا العقل والحريّة!!

تاسعًا: من مميّزات الإلحاد المعاصر عن الإلحاد القديم، أنّ كَهَنَتَهُ يروجون لِزَعْمٍ يعتقدون أنّه برهان قاطع على صحة دينهم الإلحادي الجديد، ألا وهو تقديمهم لدين الإلحاد على أنّه حتمية تاريخية وضرورة وجودية، وأنّ العلم والزمن كفيلاّن بإسقاط الإله من على عرشه وبالتالي كَشَفَ خرافات العقائد الدينية التي تأسست على

فكرة وجود إله مطلق، وبالتالي سيحل العقل والعلم في تنظيم شؤون الحياة تنظيمًا راقياً وتفسير معطيات الحياة تفسيراً صحيحاً، وتحقيق السعادة للإنسان بصورة جميلة، محل العقائد الدينيّة ومقولة الإله المطلق.

عاشراً: يُرَوِّجُ كهنة الإلحاد المعاصر وأربابه لفكرة ماكرة كثيراً ما خَدَعَتِ الشباب والسذج من النَّاس من ذوي الثقافة والمعرفة المحدودة، ألا وهي أَنَّ الإلحاد ليس ديناً ولا منهجاً ولا عقيدة، بل هو فقط موقف يتبنَّاه المرء تجاه مسألة وجود الإله، والحياة بعد الموت.

والمكر هنا هو أَنَّ كل فكرة كلية تشمل بالضرورة: التصورات العقلية، وعنما تنتج القيم الأخلاقيّة، وعنما تتحدد طبيعة القوانين التشريعيّة والعلاقات الاجتماعية.

أي أَنَّ كل فكرة كليّة تأخذ طابعاً فلسفياً شمولياً، لا يمكن أن تنفصل عراها مطلقاً.

المطلب الرابع: حيل الملاحظة في التناظر، وكيفية التعامل معها

اعلم أيها المحاور رعاك الله وسددك، أن أصحاب المذاهب الفكرية غالبًا ما يستعملون حيلًا في التناظر؛ نظرًا لضعف حجّتهم وهشاشة بنيان منطقتهم، فيلجؤون إليها؛ للتلبيس عليك وعلى القراء؛ بغية طلب الفكاك، ومحاولة إيهام الناس بقوة الطرح، وسلامة المنطق!

وسأذكر لك بعض هذه الحيل مع أسلوب التعامل معها، حتى تكون لك مرجعاً وتسترشد بها أثناء حوارك مع هؤلاء:

1- تقرير القضية السالبة دون أدلة:

وهذه أول حيل المناظرات التي لا يوجد ملحدٌ لا يستعملها، وهو تقرير قضيةٍ سالبةٍ دونما أدلّةٍ ورفعها مرتبة الأصل الذي ينبغي التسليم به، في حين أن القاعدة المنطقية تقول: "أن مانع القضية السالبة يُسَلِّمُ جدلاً بنقيضها".

ونضرب المثال على هذا أن الملحد بمجرد أن يدخل على أهل الإسلام يقول: "أن الأصل هو عدم وجود الله تعالى ومن يدعي العكس عليه بالدليل"، وهو تدليسٌ مفضوحٌ؛ لأن الأصل هو وجود الله تعالى، وأدلة عدم وجوده منتفية، فهو من ادّعى النقيض السالب وليس نحن، ومن قرّر السالب عليه بالبرهان وإلا سلّم بالأصل، ذلك أننا شاهدنا بالحس والعقل استحالة وجود الكائنات دونما وجود واجب الوجود، فالسيارة مثلاً يستحيل أن يقول قائلٌ إنها جاءت صدفة وأن الأصل هو وجودها بدون صانع!؛ لأننا لما رأينا الأحكام في صنع السيارة والدقة في التصميم، عرفنا أنه يستحيل ألا يكون لها صانعٌ سواءً عرفناه أو لم نعرفه، فكان من ادّعى أن الأصل عدم وجود صانعٍ لتلك السيارة وسَمَّناهُ بالسَّفَه؛ لضعف موقفه وتسليمه بقضيةٍ سالبة، فما بالك بمن نفى خلق الكون وهو أرقى وأكبر وأعقد من تلك السيارة!

وعليه فإن من ادّعى عدم وجود الإله، عليه بالأدلة وإلا فالتسليم بالقضية الأصل وهو وجود الله تعالى؛ لِكَمِّ الأدلة العقلية والنقلية التي تقرر هذه الحقيقة.

فهكذا يكون التعامل مع هذه الحيلة، عبر ضرب مثالٍ مُبَسَّطٍ لتقريرها في نفس الملحد، وإلزامه بإعطاء أدلة تنصر قوله ذاك.

2- التعمق في العبارات واعتماد الغموض في الطرح:

قد تواجه أيها اللبيب ملحدًا له حظ في الفلسفة، يجنح معك إلى الغموض في الكلام، والتعمق في العبارات، وإلقاء بعض المفاهيم الفلسفية؛ بغية إبراز عضلاته عليك، وتخجيلك أمام القراء والمستمعين، حتى إن أجبته يواجهك بالقول: إنك لم تفهم قصده! حتى إن أعاد عليك الكرة بنفس الغموض، التفت إلى الحاضرين وخاطب القراء: أن الرجل لا يفهم قولاً!

فيحاول تقرير فكرة أنه أعلى منك ثقافة وأنه حاذق بارع، وأنك لست بمستواه الفكري!

وهنا عليك أيها المحاور استيقافه في كل كلمةٍ غامضةٍ ألقى بها إليك، وسؤاله: ماذا تقصد بالجملة الفلانية؟ حتى يُقَرِّرَ لك المعنى بوضوحٍ لا لَبْسٍ فِيهِ؛ فتكبح بذلك حيلته، أو تلزمه في شروط الحوار بأن يستعمل لغة صريحة لا تقبل معها وجوهًا أخرى في الفهم.

3- الإجمال:

وهذه حيلة مشهورة يستعملها بعض الملاحدة أثناء الحوارات والمناظرات، وهي إن كان المحاور المسلم حدقًا يحسن طرح الإلزامات في قضية معينة، وعلم الملحد أن الإلزام قوي لا محيد عنه ولا مناص منه، يجيب إجمالًا دونما تطرق لدفع ذلك الإلزام، فيعلق بجملة أو جملتين ثم يقفز إلى جانب من جوانب القضية متجاهلاً نقاش ما جادَ به المؤمن من إلزامات!

ومقصده من هذا، هو تجنب الإفحام من طرف الخصم؛ لأنه في حال أفجم، فعليه إما أن يسلم بصحة طرح محاوره، أو أن يقف موقف ضعف أثناء المناظرة.

وهنا أهمية أن يكون الحوار أو المناظرة لها حَكَمٌ يتدخل لإدارة الحوار، ويفرض على كلا المحاورين الإجابة عن الإلزامات وعدم تجنّب مناقشتها وفي حالة لم يتنبه مدير الحوار، فعليك أيها المحاور المسلم أن تنبهه لهذه المسألة أثناء مداخلتك التعقيبية، وفي حالاتٍ يفضل أن تأخذ الكلمة وتمتنع عن إضافة شيء، حتى يجيبك محاورك عن إلزاماتك.

4- التطويل والإطناب في المداخلة:

وقد يستعمل الملحد هذه الحيلة بأن يقول أو يكتب كلامًا طويلًا يورث السامة والضجر، حتى أنك على طول مداخلته تجده لم يقل إلا فكرةً أو فكرتين، محاولًا بذلك إيهام القراء والحاضرين بقوة طرحه وخبرته؛ فالكلام الطويل لأول وهلة قد يظنّه البعض علامة على قوة الطرح وحجّيته.

وهذه الحيلة كان يستعملها السفسطائيون اليونانيون في مناظراتهم الفلسفية، وأشهر من استعملها هو الفيلسوف اليوناني بروتاغوراس خاصة في مناظراته مع أفلاطون.

فإن استعمل الملحد هذه الحيلة فننّه إلى أن كلامه كله لم يناقش إلا فكرةً أو فكرتين، واذكرهما له، وبين حيلته للناس، واضرب بعرض الحائط كل الكلام التابع والذي لا يُغني شيئًا، والتفت إلى الفكرة واهدم بنيانها.

5- تفرّيع النقاش وإثارة أكثر من قضية واحدة:

والقصد من هذه الحيلة التشغيب، وزعزعة التناسق الحوارية للمناظرة، على سبيل المثال: إذا كان الحوار حول نقطة معينة كوجود الله تعالى، تجد الملحد أثناء مداخلته لا يلتزم بهذه النقطة فقط، بل يجر النقاش إلى قضايا أخرى كمسائل القضاء والقدر، وتواتر القرآن، ومسائل النبوة وغيرها؛ بغية إحداث نوعٍ من التشثيت للمحاور وإرغامه على بذل مجهود كبير لكي يجيب على كل القضايا والتساؤلات! وهنا الملحد يريد أن يخلق نوعًا من السامة لخصمه، حتى إن أعياه، ترك له المناظرة؛ فيرجع فرحًا إلى قومه أنني أفحمتُ المسلمين في عقر دارهم!

وهذه الحيلة ينبغي ألا ينساق وراءها المحاور المسلم، بل لا يكلف نفسه عناء الإجابة إلا على النقطة المتفق عليها، ويبيّن ذلك صراحة ولو كان الحوار مكتوبًا وجاريًا على منتدى من المنتديات، فيفضل للمراقب الذي يدير الحوار أن يحذف كلّ شيء لا علاقة له بأصل الموضوع.

6- تجاهل الأفكار المطروحة:

التجاهل بمثابة هروب إلى الأمام من طرف الملحد، حيث لا يجيب إلا على ما أراد ويترك ما سيُسبب له صعوبة في الرد وسيحرجه أمام الناس أثناء المناظرة، فيدخل في انتقائية بغیضة تمس جوهر المناظرة! ولسان حاله يقول: "فإن تجاهلتُ أفكارك وأجبتُ على ما أريد فقط ففيه إضعافٌ لمداخلتك"، فالمخالف يبني مداخلته على أساس

إيقاع القراء والمحاور في النسيان، فيشرع في تفصيل مداخلته على جزء من المسألة فقط وبينهما بشكل يجرفك إليها حتى لا تتذكر ما أسلفت أنفًا.

وهنا ينبغي للمحاور المسلم أن يشترط قبل البدء بالمناظرة ألا يترك مخالفةً نقطة إلا وعلق عليها، وكذلك المحاور يلتزم بذلك أيضًا في إطار موضوع المناظرة المتفق عليه.

وعليك في حالة الحوار المكتوب حينما تفرغ من قراءة مداخلة مخالفة أن ترجع إلى مداخلتك الأصلية؛ لتعيد قراءتها واستدكار ما تجاهله الملحد من أفكار والزامات.

7- التركيز على أمرٍ فرعي بغية الإحراج:

وهنا حينما يدخل الملحد لأجل نقاش مسألة فرعية فقط وذلك من أجل إحراج محاوره فيها، فتجده قد هيأ الشبهات في تلك النقطة، ولا يريد إلا أن يطرحها لكي يُزَعزِعَ عقائد العامة ويحرج المحاور، خاصةً إن تبين له أن المحاور المسلم ليس متعمقًا في الفقه أو الحديث... وهنا قد قررنا في قواعد التناظر أن المحاور المسلم لا ينبغي له أن ينساق إلى أي نقاش فرعي يجترُّهُ الملحد، حتى يستكملا مع التباحث في المسائل الأصولية.

8- ادعاء العلم بمصنفات الإسلام والتعمق فيها:

لكم هو سهلٌ أن يدخل علينا الملحد لكي يخبرنا أنه متعمق في مصنفات الإسلام خاصة مع توفر الكتب الإلكترونية ووفرة المعلومات ومحركات البحث العنكبوتية، حتى إن سألته عن فحوى كتابٍ تجد بضربة زر قد قرأ تلخيصًا له ودراسة عنه، فينسخ لك ما وجد؛ لكي يثبت دعوى أنه قرأ وتعمق! ولذلك فإنَّ المحاور المسلم إذا كان في نقاشٍ مباشرٍ يرى فيه خصمه، سيسهل عليه أن يخرجه بسؤاله عن كتابٍ بعينه، وهو الشيء الذي لا يمكن أن يفعله أثناء الحوار الكتابي.

أما إن كان في حوارٍ لا يرى فيه من أمامه، عليه في تلك الحالة أن يكون فطنًا؛ لِيَتَسَنَّى له كَشْفَ كذبه، وذلك بترك هذا الدَّعيّ يستغرق في الحوار، حتى إذا نَبَى كَذِبَ مَا ادَّعَاه، يأتي هو ليفاجئه برأي عالمٍ فلانيٍّ، ادَّعى هذا الملحد أنه قرأ له، ثم يسأله عن رأيه الشخصي فيه، أو يقول له: "ألم تقرأ كلامَ العالم الفلاني في كتابه الذي قرأت، والذي يذكر فيه: كذا وكذا؟"، ثم يصرِّح له بقولٍ لم يقله العالم؛ ليرى هل سيراجعه في ذلك أم سيتابعه؟، وبرِدَّة فعل الملحد والتي غالبًا لا يراجع فيها خصمه، يظهر أنه كذابٌ أَشْر، وهنا وجب على المحاور المسلم أن يُشَنِّع عليه؛ لِيُثَبِّت للناس كَذِبَهُ.

9- النسخ واللصق من شبهات المستشرقين والمنصرين:

وهذه الحيلة يلتجئ إليها الملحد؛ لضعفه الثقافي والعلمي، حيث يضطر إلى نسخ ما يجد في المواقع؛ بُغْيَةً أن يُقال أنه عارفٌ مناظرٌ! وهنا ينبغي للمحاور أن ينسخ كلمة أو كلمتين من مداخلة الملحد ويعرضها على محرك البحث، فإن وجد أن الرجل ناسخ لا يعرف شيئًا، فضحه أثناء المناظرة، وحينها سيضطر إلى عدم النسخ وسيبذل مجهودًا أكبر في النقاش، وهنا سيسهل على المحاور دحض حججه الواهية، وكشف عواره وضعفه للناس؛ كالمصارع الذي يتحداك في الحلبة ولم يبلغ مبلغ الاحترافية فيها، فحينها سيسهل عليك نزاله وصَرَغُهُ.

10- السخرية والاستهزاء بالمعتقدات الإسلامية:

طبعًا من حين لآخر ستجد هذا النوع من الملاحظة منتشرًا، فهو لا يريد إلا تفرغ حقه وبغضه للدين وللمتدينين، والتنفيس عن مشاعره، وفي هذه الحالة ينبغي أن يُحذفَ كلام الملحد جملة وتفصيلاً، وأن يحذره مدير الحوار، فإن عاد، أوقفت المناظرة؛ لعدم التزامه بالأداب العامة للتناظر.

وقد جاء الشرع مؤكداً لنا حرمة البقاء في مجلس يضم استهزاءً بمعتقداتنا، يقول الله عز وجل: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} [النساء: 140].

11- التدليس على المصنفات الإسلامية:

وهي حيلة يستعملها الضعيف من الملاحظة وقد ورثوها عن المنصرين الحاقدين على الإسلام، وهي حينما يلصق أحدهم بعالمٍ من العلماء شيئاً لم يقله في شناعة، ويقول لك ارجع إلى الكتاب الفلاني والصفحة الفلانية، فالمحاور غالباً حينما يأتيه الملحد بمثل هذا لا يرجع إلى الكتاب ويظن سلامة النقل، فيبدأ بالاعتذار للعالم وأن العصمة دُفنت بدفن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو حق.

لكن على المحاور ألا يثق بهؤلاء مطلقاً، ودائماً ما يجب عليه أن يتبع الحيطة والحذر ويتثبت في النقل ويرجع للمصنف قبل أن يجيب، حتى إن كان النقل صحيحاً قرأ الاقتباس في سياقه فلعل ذلك الإمام يقصد ما لم يفهمه الملحد!

أما إن اكتشف التدليس فليفضحه على رؤوس الأشهاد؛ ليسقط الملحد من عين أصدقائه ومتبوعيه، فتدليس واحدٌ مفضوح كفيلاً بأن ينسف كل مقالات ومواضيع ذلك الملحد.

12- الكذب على الأطروحات العلمية والمؤلفين:

وهذه الحيلة مقتضاها أن يخترع الملحد نظرياتٍ من عنده وربما أسماء قد تجدها حاضرةً أو غير موجودةٍ قط، كأن يقول لك قال العالم البيولوجي فلان نظريةً كذا، ثم يخترع لها اسماً رناناً، حتى إن بحثت لن تجد للنظرية وجوداً ولا الاسم الذي زودك به، أو يخترع نظريةً مع اسم موجود في الساحة العلمية، أو نظريةً موجودة يحرفها لكي تقرر معتقده، وهنا ينبغي للمحاور أن يكون على علم بمختلف الأطروحات العلمية في هذا المجال، فإن لم يكن متخصصاً في العلم الوضعي؛ فليُخلِ الساحة لمن سدَّ هذا الثغر، فالخير في التكامل بين المواهب والقدرات. وهنا ينبغي للمحاور أيضاً أن يبحث في مزاعم الملحد، وإن لم يجد فليطالبه بالدليل والمصدر، أو فليصور له الكتاب والصفحة التي فيها ذلك الكلام، فإن عجز، فاعلم أنه كذوبٌ، وإن صدق في نظرية، فعلى المحاور أن يبين له حدود العلم التجريبي أولاً، والفرق بين ما يُعتبر حقيقة علمية، وبين نظرية مثل غيرها.

13- قلب كلام المحاور على غير وجهه:

وهنا قد يقلب الملحد كلام المحاور على غير وجهه، فيقول له أنت قلت كذا وكذا، ويحرفه ثم يجيب عنه؛ لأن في التحريف إضعافاً لكلام المحاور المسلم، فإن لم ينتبه المحاور لكثرة المسائل والمشاكل، انطلت الحيلة على القراء والمستمعين، فعليك أمها المحاور ألا تدخل مناظرة إلا وأنت متفرغٌ لها، لا تفكر في غيرها؛ فهو وقت تقتطعه لله تعالى وليس للمخلوقين.

وعليك أن تُنَبِّهَ مخالفتك لهذه المسألة وتعيد طرح كلامك بشكل أبسط وكلمات دقيقة لا تقبل التأويل، فإن عاد الملحد ليستعمل هذه الحيلة فيمكنك أن توقف الحوار أو تطلب من مدير المناظرة بأن يتخذ الإجراءات التي يراها مناسبة في مثل هذه الحالة.

فهذه أبرز الحيل التي يستعملها الملاحدة في حواراتهم، يتوسلون بها إفحام أهل الدين وإضعاف حججهم وآراءهم، فاحذر رعاك الله من هذه الحيل، وتعامل بها بالشكل الذي قررناه لك أنفاً، ولا تأخذك شفقة أو تجعل للشيطان عليك سبيلاً، فيُؤمِّنِيكَ بِإِسْلَامِ الْمُلْحِدِ إِنَّ أَنْتَ تَرَاخَيْتَ مَعَهُ وَتَسَاهَلْتَ وَلَمْ تَلْزِمَهُ! فَإِنَّكَ فِي مَوْقِعَةٍ تَمَثَلُ دِينَكَ وَتَتَكَلَّمُ بِاسْمِ أُمَّتِكَ، كَسَفِيرٍ لِلْإِسْلَامِ تَحْمِلُ رَايَةَ الدَّعْوَةِ، وَتَدُبُّ عَنِ بِيضَةِ الدِّينِ وَعَنِ حِيَاضِ الْإِسْلَامِ، فَلَا يَصِلُحُ أَنْ تَتَعَاطَلَ كَالْحَمَلِ الْوَدِيعِ مَعَ شَخْصٍ لَا يَسْتَحِقُّ، كَمَا لَا يَصِلُحُ أَنْ تَكُونَ شَدِيدًا مَعَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ.

إنما الأمر حسب كل شخصية من الشخصيات، وطريقة كلامه، وهل استعمل الحيل أم لم يستعملها؟ وأنت ترجو في الأخير رضا الخالق عز وجل، سواء جعلك الرحمن سبباً في إسلام مخالفتك أم لم يجعلك.

كما عليك ألا تكون سريعاً في طلب النتيجة، وتضغط على مخالفتك وتطالبه بإعلان إسلامه! بل عليك أن تتمهل، فلربما لن يسلم إلا بعد أن تنتهي مناظرتك بأشهر، ولربما سنوات، فالمناظرة حتى وإلّا تنته بإسلامه، فإنما تنطبع في ذهنه، وتُعيدُ صياغة عقله اللاواعي، وغالبًا بعد المناظرة يجد نفسه تهفو أكثر إلى المصنفات الإسلامية، والكتب الفكرية في هذا الصدد.⁽²¹³⁾

(213) بتصرف: كيف تحاور ملحدًا، دليلك المنهجي لمهارات الحوار، أمين بن عبد الهادي خربوعي، ص 93-104.

المبحث الثالث: الجدل بالتي هي أحسن

من المعلوم أن الناس يتفاوتون في إدراك الحق، فمنهم من يدركه بنفسه، أو بتعليمه وإرشاده أو وعظه، ومنهم من لا يدركه إلا بالحوار والمناقشة والجدال، ولذا كان الجدل بالتي هي أحسن من الأساليب الأصيلة في الدعوة إلى الله، والتي سنسلط عليها الضوء في السطور التالية⁽²¹⁴⁾:

المطلب الأول: الجدل لغةً واصطلاحاً:

أولاً: الجدل لغة:

"مقابلة الحجة بالحجة؛ والجدال والمجادلة: المناظرة والمخاصمة والمفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة"⁽²¹⁵⁾.

ثانياً: الجدل اصطلاحاً:

قيل: "دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة"⁽²¹⁶⁾.

وقيل: "مقابلة الحجة بالحجة، وكشف الشبه لدى من تجادله بالأدلة المقنعة والبراهين الواضحة، فالمجادلة والجدل في الأصل هو الاحتجاج لتصويب رأي ورد ما يخالفه، فهو حوار وتبادل في الأدلة ومناقشتها"⁽²¹⁷⁾.

وقيل: "المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة بقصد إظهار الحق ودحض الباطل"⁽²¹⁸⁾.

فالجدال: هو حوار كلامي يتفهم فيه كل طرف من الفريقين المتحاورين وجهة نظر الطرف الآخر، ويعرض فيه كل طرف منهما أدلته التي رجحت لديه استمساكه بوجهة نظره، ثم يأخذ بتبصر الحقيقة من خلال الانتقادات والاعتراضات التي يوجهها الطرف الآخر على أدلته، أو من خلال الأدلة التي ينير له بها بعض النقاط التي كانت غامضة عليه⁽²¹⁹⁾.

المطلب الثاني: أنواع الجدل:

الجدال والمناظرة نوعان:

- النوع الأول: جدال ممارسة:

يماري بذلك السفهاء ويجاري العلماء ويريد أن ينتصر قوله؛ فهذا مذموم، وهذا النوع من الجدل هو الذي ذمه الله تعالى في غير موضع من كتابه، ومن ذلك قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ} [الحج: 3]، وقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ} [الحج: 8]، وقوله سبحانه: {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ} [غافر: 4]. فهذا الجدل الممنوع هو "الجدال الذي يفضي إلى باطل ويقوم على الزور والبهتان وإضاعة الحقوق وترويج الشبهات والمنكرات، وكذلك

(214) للاستزادة ينظر: بحث: وسطية الإسلام ودعوته للحوار أ. د عبد الرب نواب، وكتاب أدب الحوار، د. عائض القرني، وأصول الحوار وأدابه في الإسلام، للشيخ: صالح بن حميد، والحوار أصوله المنهجية وأدابه السلوكية، للشيخ: أحمد الصويان، وضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة لعبد الرحمن الميداني، والأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية أ.د عبد الرحيم المغدوي 700/2-708.

(215) ينظر لسان العرب، لابن منظور 105/11، والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ص 189.

(216) التعريفات، للجرجاني، ص 74.

(217) البصيرة في الدعوة إلى الله، لعزیز بن فرحان العنزي، ص 123.

(218) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية 700/2.

(219) فقه الدعوة إلى الله: عبد الرحمن الميداني 637/1.

الجدال الذي تناول الغيبيات وما أمرنا بالتسليم والتصديق به".⁽²²⁰⁾

- النوع الثاني: جدال لإثبات الحق وإن كان عليه:

فهذا محمود مأمور به⁽²²¹⁾، وهو المعني بقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل: 125].

وقوله: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [العنكبوت: 46] ولهذا لما أمر الله بجدال أهل الباطل ودعوتهم به قيّد ذلك الجدال بالحسن ولم يطلقه؛ ليُعلم أن الجدال منه المحمود ومنه المذموم.

قال ابن كثير: "من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب".⁽²²²⁾

فالجِدال من الأساليب الدعوية التي أمر بها تعالى، ولكنه شرط لها أن تكون بالأحسن، "وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها".⁽²²³⁾

الأمر بالمجادلة بالتي هي أحسن في نصوص الشرع:

ذكر الله في كتابه مجادلة أهل الكتاب فقال: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [العنكبوت: 46].

"وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" إلا بالخصلة التي هي أحسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشغبة بالنصح، "إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ" بالإفراط في الاعتداء والعناد أو بإثبات الولد وقولهم يدُ الله مغلولةً أو بنبد العهد ومنع الجزية، "وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ"، هو من المجادلة بالتي هي أحسن.⁽²²⁴⁾

"قال في الجدال (بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) ولم يقل بالحسنة كما قال في الموعظة؛ لأن الجدال فيه مدافعة ومغاضبة، فيحتاج أن يكون بالتي هي أحسن حتى يصلح ما فيه من الممانعة والمدافعة، والموعظة لا تدافع كما يدافع المجادل فما دام الرجل قابلاً للحكمة أو الموعظة الحسنة أو لهما جميعاً لم يحتج إلى مجادلة فإذا مانع جودل بالتي هي أحسن".⁽²²⁵⁾

ويقول ابن عاشور رحمه الله: "وَعَطْفُ (وَقُولُوا آمَنَّا) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ تَعْلِيمٌ لِمُقَدِّمَةِ الْمُجَادَلَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَهَذَا مِمَّا يُسَمَّى تَحْرِيرَ مَحَلِّ الْبُرْءِ وَتَقْرِيْبُ شِقَّةِ الْخِلَافِ، وَذَلِكَ تَأْصِيلُ طُرُقِ الْإِلْزَامِ فِي الْمُنَاطَرَةِ، وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: قَدْ اتَّفَقْنَا عَلَى كَذَا وَكَذَا، فَلْتُنْتَجِ عَلَى مَا عَدَا ذَلِكَ، فَإِنَّ مَا أَمُرُوا بِقَوْلِهِ هُنَا مِمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْفَرِيقَانِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هُوَ السَّبِيلَ إِلَى الْوِفَاقِ، وَلَيْسَ هُوَ بَدَاخِلٍ فِي حَيِّزِ الْمُجَادَلَةِ؛ لِأَنَّ الْمُجَادَلَةَ تَقَعُ فِي مَوْضِعِ الْإِخْتِلَافِ؛ وَلِأَنَّ مَا

(220) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية 706/2.

(221) ينظر كتاب العلم، لابن عثيمين، ص 164.

(222) تفسير القرآن العظيم 532/4.

(223) تيسير الكريم الرحمن ص 404.

(224) أنوار التنزيل للبيضاوي 196/4 باختصار يسير.

(225) الرد على المنطقيين ص 468.

أَمَرُوا بِقَوْلِهِ هُنَا هُوَ إِخْبَارٌ عَمَّا يَعْتَقِدُهُ الْمُسْلِمُونَ، وَإِنَّمَا تَكُونُ الْمُجَادَلَةُ فِيمَا يَعْتَقِدُهُ أَهْلُ الْكِتَابِ مِمَّا يُخَالِفُ عَقَائِدَ الْمُسْلِمِينَ".⁽²²⁶⁾

ومن النماذج التطبيقية للمجادلة والتي هي أحسن، قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران 64].

وكذلك أمر الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام أن يجادلا فرعون الطاغية والتي هي أحسن، وأن يُليينا له القول، فقال تعالى: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّيَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه: 44].

وقد بين الله تعالى هذا القول اللين بقوله: {فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ * وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ} [النازعات: 18-19] بأسلوب العرض لا الأمر.

وذكر الله لنا كذلك في القرآن الكريم نماذج للمجادلة والتي هي أحسن، في دعوة الأنبياء لأقوامهم. وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجادل المدعويين، سواء مع كفار قريش كما في قصة عتبة بن الربيعة، وسواء كانوا من أصحاب الديانات الأخرى كما في سورة آل عمران التي ذكر الله عز وجل فيها محاوراة النبي صلى الله عليه وسلم مع نصارى أهل نجران⁽²²⁷⁾، وكما في عدد من السور التي فيها بيان عدد من المحاورات مع المنافقين وغيرهم.

وفي التاريخ الإسلامي يوجد كثير من النماذج في الجدل والتي هي أحسن مثل محاوراة ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج عندما خرج آلاف منهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فأرسل إليهم ابن عباس رضي الله عنهما فناقشهم، وحاورهم وكشف شبههم حتى عادوا إلى سبيل الحق، وإلى سماع أوامر الخليفة، وطاعة ولاة الأمور.

المطلب الثالث: أهمية الجدل والتي هي أحسن في الدعوة:

الحوار والمجادلة قد جاءت الشريعة ببيان مشروعيتها، وبيان أنهما وسيلة إلى الدعوة إلى الله عز وجل، قال سبحانه: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل: 125] فجعل المجادلة - وسيلة - من وسائل الدعوة إلى الله عز وجل، فهكذا الحوار.⁽²²⁸⁾

قال عز وجل: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [العنكبوت: 46] فنهى عن مجادلة أهل الكتاب إلا إذا كانت المجادلة بالحسنى، والاستثناء من النفي يكون إثباتاً، فكانه قال: جادلوهم والتي هي أحسن، وقال جل وعلا: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: 111] وهذا فيه نوع من مجادلة ومحاوراة.

ويقول ابن القيم: "لمناظرة المبتطل فائدتان:

أحدهما: أن يُردَّ عن باطله ويرجع إلى الحق.

(226) التحرير والتنوير 7/21.

(227) هذه المحاوراة دلت عليها الآيات من صدر سورة آل عمران حتى بضع وثمانين آية منها، وانظر في ذلك: جامع البيان 3/161، ومعالم التنزيل 5/2، وزاد المسير لابن الجوزي

349/1، والجامع لأحكام القرطبي 3/4، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير 1/344، والدر المنثور للسيوطي 2/141.

(228) أدب الحوار د. سعد بن ناصر الشثري ص 9، وأصول الحوار وأدابه في الإسلام، للشيخ: صالح بن حميد.

الثانية: أن يَنْكَفَّ شَرُّهُ وعداوته ويتبين للناس أن الذي معه باطل". (229)

وقد ذكر الله تعالى في كتابه كثيراً من المحاورات مع الذين كانوا في عهد النبوة، سواءً كانوا من اليهود أو النصارى أو المشركين.

فإن الله عز وجل قد حكى لنا العديد من هذه المحاورات والمناقشات التي تكشف أفكارهم السيئة قال تعالى: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَبِيًّا خَلَقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [يس 78، 79] وهكذا تعددت الآيات في محاوراة أصحاب مثل هذه الأفكار.

قال ابن القيم: "جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم وإقامة الحجة عليهم". (230)

فقد عني الإسلام في منهج الدعوة إليه والتعريف به بالجدال والتي هي أحسن، وذلك أمر لا غرابة فيه أبداً، فالجدال والتي هي أحسن هو الطريق الأمثل للإقناع، الذي ينبع من أعماق صاحبه، والاقناع هو أساس الإيمان الذي لا يمكن أن يُفرض وإنما ينبع من داخل الإنسان.

وقدم لنا القرآن الكريم نماذج كثيرة من الحوار، منها ما دار بين الله عز وجل وملائكته في موضوع خلق آدم، ومنها ما دار بين إبراهيم عليه السلام وبين الرجل الذي آتاه الله الملك، ومنها الحوار في قصة أصحاب الجنتين في سورة الكهف، وقصة قارون مع قومه، وحوارات الأنبياء عموماً.

وكذلك السنة مليئة بالمواقف الحوارية التي اتخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنجح الوسائل للتعريف بالدين والإقناع به.

ومن هنا يتأكد أهمية الاعتماد على أسلوب الجدال والتي هي أحسن في الدعوة من حيث إيضاح حقائق هذا الدين، وهداية العقل وتحريك الوجدان، واستجاشة الضمير، وفتح المسالك التي تؤدي إلى حسن التلقي والاستجابة، والتدرج بالحجة احتراماً لكرامة الإنسان وإِعْلَاءً لَشَأْنِ عقله الذي ينبغي أن يقتنع على بينة ونور. (231)

فالغاية من الجدال والتي هي أحسن إقامة الحجة ودفع الشبهة والفساد من القول والرأي، فهو تعاون من المتجادلين على معرفة الحقيقة، والتوصل إليها، ليكشف كل طرف ما خَفِيَ على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق، يقول الحافظ الذهبي: "إني وضعت المناظرة لكشف الحق وإفادة العالم الأذكي العَلْمَ لَمَنْ هو دُونَهُ وتنبية الأغفل الأضعف". (232)

ومتى بَعُدَ الجدال عن غايته وَشُغِلَ عن ظهور الحق، ووضوح الصواب صار من الجدال العقيم، الذي وردت النصوص في النهي عنه والتحذير منه، حتى إن الذهبي عد هذا النوع من الكبائر في كتابه. (233)

المطلب الرابع: معالم في الجدال والتي هي أحسن:

اعتنى علماء الإسلام ببيان الآداب والضوابط التي يجب أن يكون عليها الحوار والمجادلة، وذلك في كتبهم الأصولية فإنهم عندما يبحثون في قواعد الاستدلال، والأسئلة الواردة على الاستدلال بالأدلة يجعلون فصلاً

(229) الصواعق المرسله 1276/4.

(230) انظر زاد المعاد 3/558.

(231) في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ص: 16 بتصرف.

(232) فيض القدير 1/209.

(233) الكبائر ص 149.

خاصًا في أحكام الجدل، وأدبه، ثم إن طائفة من أهل العلم ألفوا مؤلفات مستقلة من هذا الفن في مسعى الجدل على طريقة الفقهاء⁽²³⁴⁾.

- ومن أهم الأمور التي ينبغي للداعية مراعاتها عند الجدل بالتي هي أحسن⁽²³⁵⁾:
أولاً: مراعاة أحوال الذين يُسْتَعَدُّ معهم أسلوب الجدل بالتي هي أحسن:

حيث يُسْتَعْمَلُ مع من كان معانداً للحق قائماً على باطل ويعتقد أنه على الحق، وعنده شبهات وأدلة يستدل بها على باطله؛ كأصحاب الأديان الباطلة المحرفة، وأهل الفرق التي تنتسب إلى الإسلام والتي خالفت منهاج النبوة⁽²³⁶⁾.

وقد يكون الجدل بالتي هي أحسن والمناظرة في بعض فروع العمليات، وفي هذا الحال فليس شرطاً أن يكون المخالف من أهل الباطل، فقد يكون من الحريصين على متابعة الحق؛ لكنه اعتقد الحق في بعض المسائل على خلاف الصواب فيها مستنداً إلى أدلة وشبهات، فهذا يناظر بالحجة والبرهان والدليل القاطع الذي يظهر له به أن الحق على خلاف ما ذهب إليه.

ثانياً: قصد بيان الحق:

فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من تعلم العلم ليباهي به العلماء ويجاري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله جهنم".⁽²³⁷⁾

فالمقصود أن يكون قصد المُجَادِلِ والحامل له على المجادلة الوصول إلى الحق وإظهاره، وإبطال الباطل، وألا يكون قصده هو التشفي من الخصم وإفحامه وإسقاطه؛ خاصة إذا كان الخصم من الحريصين على متابعة الحق وقد زلت قدماه في مسألة من المسائل، فينبغي في هذا الحال ألا تفضي المجادلة إلى العداوة والشقاق، "فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً، ومن ذلك: الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقد بها؛ فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وألا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق، لا المغالبة ونحوها".⁽²³⁸⁾

ثالثاً: اعتقاد المناظر بأحقية الكتاب والسنة، والانطلاق منهما في مناظراته:

فقد ذكر ابن تيمية رحمه الله أن أناساً وشوا به عند سلطان الديار المصرية واتهموه بفساد الاعتقاد، فعقد السلطان له مناظرة جمع له فيها قضاة المذاهب الأربعة؛ وغيرهم من نوابهم؛ والمفتين والمشايخ، وقال له: هذا المجلس عقد لك فقد ورد مرسوم السلطان بأن أسألك عن اعتقادك وعمّا كتبت به إلى الديار المصرية من الكتب التي تدعو بها الناس إلى الاعتقاد، فقال ابن تيمية رحمه الله في بداية مجادلته: "أما الاعتقاد: فلا يؤخذ عني ولا عمن هو أكبر مني؛ بل يؤخذ عن الله ورسوله وما أجمع عليه سلف الأمة؛ فما كان في القرآن وجب اعتقاده وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة مثل صحيح البخاري ومسلم".⁽²³⁹⁾

رابعاً: وضوح المنهج الذي سيسير عليه الجدل:

فالوضوح والعلم بمنهج الجدل أمر مهم جداً لكلا المتجادلين، فالمعرفة بالطريق الذي يجب أن يسلكه الداعية

(234) هو من مؤلفات الشيخ سعد الشثري وهو مطبوع بعنوان آداب الحوار ص 14.

(235) ينظر: فقه الدعوة إلى الله للميداني 639/1-648، ووسائل الدعوة للمغذوي ص 98-99.

(236) ينظر مفتاح دار السعادة 1/153، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير 4/526، وتيسير الكريم الرحمن ص 452، مجموع فتاوى ابن باز، 4/229.

(237) سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب، باب الانتفاع بالعلم والعمل به (260)، قال الشيخ الألباني: صحيح لغيره، أنظر: صحيح الترغيب والترهيب، برقم (110).

(238) تيسير الكريم الرحمن ص 452.

(239) مجموع الفتاوى 3/161.

في جداله واجب قبل البدء في الجدل مع أي أحد، وَمِنْ ثَمَّ لَا بُدَّ مِنْ حَدُوثِ اتِّفَاقٍ بَيْنِ الطَّرْفَيْنِ عَلَى ذَلِكَ الْمَنْهَجِ سِوَا مِنْ حَيْثُ الْأَدْلَةُ الْعَقْلِيَّةُ أَوْ الْخَبْرِيَّةُ أَوْ حَسِيَّةٌ، أَوْ مِنْ حَيْثُ الْأَسْلُوبُ، أَوْ مِنْ حَيْثُ تَرْتِيبٌ وَتَنْظِيمٌ طَرِيقَةً الْعَرْضِ وَالرَّدِ وَالْإِجَابَةِ عَلَى الْأَسْئَلَةِ.

فلا يقبل الداعية أن يدخل في جدال غير واضح المعالم أو غير واضح المنهج، وإلا أصبح مجلس الجدل مجالاً لإثارة الشبه والافتراءات وإعطاء الخصم فرصة لنشر أفكاره دون منهجية واضحة في الرد على تلك الشبهات. وهناك جانب آخر يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار، وهو "تقديم الأهم فالمهم من الحجج والبيانات والأدلة الواضحة المفحمة، مع مجانية إطالة الكلام وغرابة الألفاظ أو الخروج عن صلب الموضوع، وكذلك الحذر من التعارض بين الأدلة أو التناقض بين الحجج، وعدم الطعن في أدلة الخصم إلا ضمن الأمور المبنية على المنهج الصحيح⁽²⁴⁰⁾.

خامساً: انضباط الموضوع الذي هو محل الجدل:

وذلك أولاً بتحرير موضع النزاع بين المتجادلين، وأن تكون المجادلة واضحة الهدف، وهي: معرفة الحق والدلالة عليه والدفاع عن الإسلام وعقيدته؛ فبدون ذلك تكون المناظرة عبارة عن عبث لا فائدة منه.

ولا ينبغي كذلك أن يجادل الداعية في شيء هو غير متمكن منه، والتنبه إلى أن يكون الموضوع مما يجوز أن تجري فيه المجادلة شرعاً، فلا يجوز المجادلة في ذات الله وأسمائه وصفاته كما قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف: 180]؛ وذلك لأن العقل لا يستطيع أن يدرك هذا الأمر.

ويدخل في هذا كل ما غاب عنا وليس لنا سبيل إلى إدراكه، فالجدال فيه من العبث واللغو المنهي عنه.

سادساً: الابتعاد عن الألفاظ النابية والهمز واللمز والاستهزاء:

وذلك لأن هذه الأشياء لا تُحَقُّ حَقًّا، ولا تُبْطَلُ باطلاً، وكذلك إن الذي يلزم آداب الحوار والجدال، ويراعي الأحكام الشرعية المتعلقة به، يكون فعله محموداً مُرَغَّباً فيه مُثَابَهاً عليه، ومن لم يكن كذلك، ولم يراع الآداب الشرعية، والأحكام المتعلقة به فإنه يكون مذمومًا وحينئذ ينبغي أن نتعلم ما هي الآداب التي جاء بها شرعنا فيما يتعلق بالحوار والجدال حتى يكون محموداً مَأْجُورًا مُثَابًا.⁽²⁴¹⁾

سابعاً: التَّنَزُّلُ مَعَ الْخُصُومِ وَمَخَاطَبَتُهُمْ بِاصْطِلَاحِهِمْ حَالِ دَعْوَتِهِمْ وَالرَّدِ عَلَيْهِمْ:

وهذا أسلوب قرآني ذكره الله تعالى في قوله: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [سبأ: 24]، قال القرطبي: "هذا على وجه الإنصاف في الحجة، كما يقول القائل: أهدنا كاذب، وهو يعلم أنه صادق وأن صاحبه كاذب، والمعنى: ما نحن وأنتم على أمر واحد، بل على أمرين متضادين، وأحد الفريقين مهتد وهو نحن والآخر ضال وهو أنتم".⁽²⁴²⁾

وقال تعالى في موضع آخر: {قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} [الزخرف: 81]، قال القرطبي رحمه الله: "المعنى قل يا محمد إن ثبت لله ولد فأنا أول من يعبد ولده، ولكن يستحيل أن يكون له ولد، وهو كما تقول لمن تُجَادِلُهُ: إن ثبت ما قلت بالدليل فأنا أول من يعتقده، وهذا مبالغة في الاستبعاد، أي لا سبيل إلى اعتقاده، وهذا ترقيق في

(240) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية 2/708 باختصار.

(241) تم الحديث عن هذا الموضوع بشيء من التوسع في الكتاب الثالث من هذه الموسوعة تأهيل الدعاة، في فصل التأهيل المهاري للداعية.

(242) الجامع لأحكام القرآن 14/298.

الكلام، كقوله: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [سبأ: 24].

والمعنى على هذا: فأنا أول العابدين لذلك الولد، لأن تعظيم الولد تعظيم للوالد⁽²⁴³⁾، "فإننا في هذا المقام نتكلم معهم بطريق التَّنَزُّلِ إليهم، كما تنزل إلى اليهودي والنصراني في مناظرتهم، وإن كنا عالمين ببطلان ما يقوله، اتباعاً لقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل:125]، وقوله: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [العنكبوت:46]، وإلا فعلمنا ببطلان ما يعارضون به القرآن والرسول، ويصدون به أهل الإيمان عن سواء السبيل وإن جعلوه من المعقول بالبرهان أعظم من أن يُبَسِّطَ في هذا المكان"⁽²⁴⁴⁾.

ثامناً: مراعاة زمان ومكان المجادلة، وحال الأشخاص المتجادلين:

"الجدل قد يكون بالتي هي أحسن، وقد يكون بغير ذلك؛ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَرْجِعَ ذَلِكَ إِلَى حَالِ الْمَجَادِلِ وَغَلْظَتِهِ، وَلِينِهِ وَحِدْتِهِ وَرَفَقِهِ، فَيَكُونُ مَأْمُورًا بِمَجَادِلَتِهِمْ بِالْحَالِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وَبِالْبِرَاهِينِ الْقَاطِعَةِ وَالْأَدْلَةَ الدَّامِغَةَ، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِمَا يُجَادِلُ بِهِ مِنَ الْحُجَجِ وَالْبِرَاهِينِ، وَالْكَلِمَاتِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ شَيْءٍ وَأَبْيَنُهُ، وَأَدْلُهُ عَلَى الْمَقْصُودِ، وَأَوْصَلُهُ إِلَى الْمَطْلُوبِ"⁽²⁴⁵⁾.

ولا بد من الأهلية لِكَلِّ المتجادلين فلا يقبل الداعية أن يُجَادِلَ من هو أقل منه مرتبة في العلم، فالخطر كل الخطر من مجادلة أهل الجهل والمتعلمين.

وكذلك لا بد للداعية ألا يتجادل مع أحد هو لا يعرفه أو لا يعرف مستواه العلمي وقدراته وشبهاته وأساليبه في الجدل، أو أن الداعية لا يتقن محل النزاع المتجادل عليه.

تاسعاً: البعد عن المجادلة إذا كانت تُفضي إلى فتنة وإلحاق ضرر:

فقد جاء في بعض النصوص النهي عن الجدل من هذا النوع، فجاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محملاً"⁽²⁴⁶⁾.

وجاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما ضلَّ قومٌ بعدَ هُدًى كانوا عليه إلا أوتوا الجدلَ، ثمَّ تلا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآيةَ {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} [الرُّخْرُف: 58]"⁽²⁴⁷⁾.

وقال الإمام الشافعي: "المراء في الدين يقسي القلب، ويورث الضغائن"⁽²⁴⁸⁾.

فمجادلة المخالفين إنما يكون القصد منها إظهار الحق وإعلانه وليس حصول الضرر للدعوة وأهلها، فلا بد من الامتناع أو التوقف عن الجدل إذا كان سيؤدي إلى فتنة وفساد أكبر يلحق بالداعية أو الدعوة أو المدعوين.

(243) الجامع لأحكام القرآن 119/16.

(244) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية 188/1.

(245) مدارج السالكين 446/1.

(246) سنن أبي داود كتاب الأدب، باب في حسن الخلق (4800) وحسنه الألباني.

(247) جامع الترمذي في كتاب التفسير، باب سورة الزخرف (3253) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في افتتاح الكتاب، باب اجتناب البدع والجدل (48)

وحسنه الألباني.

(248) سير أعلام النبلاء 28/10.

المطلب الخامس: العلاقة بين الجدل والحوار والمناظرة والمناقشة:

الحوار عند العلماء المتقدمين يسمونه الجدل، ويستدلون عليه بقوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [المجادلة: 1] فسمى ذلك الجدل والمجادلة حوارًا. وقد ذكر الباحثون فروقًا في المعنى الاصطلاحي والمعنى اللغوي بين هذه الألفاظ وفي الأخير هي متقاربة، فالجدل والمناظرة والمناقشة تعتبر من أنواع الحوار.

- والفرق بين الحوار والجدل: أن الجدل فيه خصومة، أما الحوار فلا يشترط فيه وجود الخصومة.
- والفرق بين المناظرة والحوار: أن المناظرة تقوم على التضاد، أما في الحوار فلا يشترط وجود التضاد.
- والفرق بين الحوار والمناقشة: أن المناقشة تقوم على المحاسبة وبيان الأخطاء، أما الحوار فإنه لا يقوم على بيان الأخطاء فقط.
- الجدل والمناظرة والمناقشة: يشتركون مع الحوار في المعنى اللغوي، أما في المعنى الاصطلاحي فهناك فروق اصطلاحية بينها، وهي تختلف بين الباحثين. (249)

المبحث الرابع: أولويات الحوار

إِنَّ أَوَّلَ مَا يَجِبُ عَلَيْنَا عِنْدَ مَحَاوِرَةِ الْكُفَّارِ هُوَ التَّرْكِيزُ عَلَى قَضَايَا الْإِيمَانِ وَالتَّعْرِيفِ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، فَإِنَّهُ إِذَا أَمِنَ بِاللَّهِ رَبًّا؛ سَهَّلَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْبَلَ أَحْكَامَهُ حَتَّى وَإِنْ لَمْ تَتَبَيَّنْ لَهُ بَعْدُ حُكْمَهَا وَعِلْمَهَا. وَإِذَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الدِّينَ الْحَقُّ، وَأَنَّ غَيْرَهُ دِينٌ بَاطِلٌ؛ سَهَّلَ عَلَيْهِ أَنْ يَفْهَمَ لِمَاذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُمَكَّنَ لَهُذِهِ الْأَفْكَارَ الْآخَرَى؟ إِذِ الْأَمْرُ لَا يَتَعَلَّقُ بِمَجْرَدِ مَصْلَحَةِ دُنْيَوِيَّةٍ، وَإِنَّمَا مَتَعَلِّقٌ بِمَصِيرٍ آخَرِيٍّ، فَإِمَّا إِلَى جَنَّةٍ أَوْ إِلَى نَارٍ - عِيَادًا بِاللَّهِ -.

وإذا كان هؤلاء القوم يُصَدِّرُونَ مِنَ الْقَوَانِينِ مَا قَدْ يَقِيدُ حُرِيَّةَ بَعْضِ الْجِهَاتِ؛ لِظَنِّهِمْ أَنَّ ذَلِكَ يَحْقُقُ لَهُمْ مَصْلَحَةً أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُمْ مَفْسَدَةً فَكَيْفَ لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِينَ مَنَعُ مِثْلِ هَذِهِ الْأَفْكَارِ الَّتِي تُفَوِّتُ بِهَا أَعْظَمَ مَصْلَحَةٍ وَهِيَ الْحِفَاظُ عَلَى الدِّينِ؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ} [البقرة: 21-22].

ولقد أشار الله عز وجل في هذه الآية إلى ثلاثة براهين دالة على البعث بعد الموت، وقد بيَّنها مُفَصَّلَةً فِي آيَاتِ أُخَرَ:

البرهان الأول:

خلق الناس، في قوله: {اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ}؛ لأن الإيجاد الأول هو أعظم برهان على الإيجاد الثاني، وقد أوضح ذلك في آيات كثيرة كقوله: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الروم: 27].

وقوله: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ} [الأنبياء: 104]. وكقوله: {فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}

(249) ينظر هذا الأمر بتوسع في بحث علمي بعنوان: الحوار في الإسلام، لزين جابر حسين ص5، من إصدارات: المركز الوطني للمتميزين - سوريا.

[الإسراء:51].

وقوله: {أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} [ق:15].

وكقوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ} [الحج:5].

وكقوله: {وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى} [الواقعة:62].

ولذا، ذكر تعالى أن من أنكر البعث، فقد نسي الإيجاد الأول، كما في قوله: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ

يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [يس:78-79].

وقوله: {وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا} [مريم:66-

[67].

ثم رتب على ذلك نتيجة الدليل بقوله: {فَوَرَّبُّكَ لَتْحَشْرَنَّهُمْ} [مريم:78]، إلى غير ذلك من الآيات.

البرهان الثاني:

خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، المشار إليه بقوله: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً}؛ لأنهما من أعظم المخلوقات، ومن قَدَرَ على خلق الأعظم؛ فهو على غيره قادرٌ من باب أخرى.

وأوضح الله تعالى هذا البرهان في آيات كثيرة كقوله تعالى: {الْخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} [غافر:

[57].

وقوله: {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ} [يس:81].

وقوله: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُمُ الْجَهَنَّمَ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ} [الأحقاف:33]، وقوله: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ} [الإسراء:99]،

وقوله: {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا} [النازعات:27]، إلى غير ذلك من الآيات.

البرهان الثالث:

إِحْيَاءُ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا، فإنه من أعظم الأدلة على البعث بعد الموت، كما أشار له هنا بقوله تعالى: {وَأَنْزَلَ مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ}، وأوضح ذلك في آيات كثيرة كقوله: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ شَجَرًا وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُنِئًا فَسَقْنَا بِهِ الْغُلَّاقَ وَخَرَجُوا مِنْهُ شَرَابًا} [الأنعام:122].

وقوله: {وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ} [ق:11]، يعني: خروجكم من قبوركم أحياء بعد أن كنتم عظامًا رميمًا.

وقوله: {وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ} [الروم:19].

وقوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا أَفَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيْتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ كُلَّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأعراف:57].

وفي السنة المطهرة؛ قوله صلى الله عليه وسلم: "ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل

العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة".⁽²⁵⁰⁾

(250) الراوي: أبو ذر الغفاري، أخرجه ابن أبي شيبة في ((العرش)) (58) واللفظ له، وابن حبان (361)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (167/1) مطولاً.

الفصل الثاني: قواعد الحوار في الرد على المخالفين

المبحث الأول: أُسُسُ مَنَهْجِيَّةِ فِي الْحَوَارِ وَالرَّدِّ عَلَى الْمُخَالَفِينَ

هناك أُسُسُ منهجية في الحوار والجدل لمن أراد أن يجادل أو يحاور في مجال الدعوة إلى الله، وبيان محاسن الإسلام، أو في مجال نقد الباطل.

وقبل أن نتطرق إلى تلك الأسس بشيء من التفصيل، نريد أن ننبه أولاً على أن المنهج العام في الرد على المخالفين متمثل، ومع ذلك، ثمة فروقٍ طفيفةٍ ببعض الجزئيات، وَمَنْ نَظَرَ فِي ردود شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يجد أنه يرد على الطائفة أو الملة أو الفرقة ثم يبين القواسم المشتركة بينها وبين غيرها من الطوائف الباطلة، على سبيل المثال: رده على النصارى أو الملاحدة في بعض النقاط ثم يقول: "وهذا مثل صنيع المتكلمين"، كما أنه شبهه كفر النصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم بكفر اليهود بعبسى، ثم شبه عبث هؤلاء بالنصوص بعث المتكلمين.

وفي خلال السطور التالية، سنطرح بعض الأسس المنهجية في الرد على أمثال هؤلاء من الطوائف المنحرفة، ومنها:

أولاً: الدعوة إلى التوحيد؛ قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 25].

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 21].

وقوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56].

ثانياً: ترتيب الأولويات؛ فنبدأ بالأهم فالأقل أهمية، ولا نقدم ما حقه التأخير أو العكس، ولقد ذكر الله ذلك في قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 64].

وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين أرسله إلى اليمن: "إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم".⁽²⁵¹⁾

وما يلفت الانتباه هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ أولاً بمسألة التوحيد، حيث لا يُقَدَّمُ عليها أيَّةُ مسألةٍ أخرى، وَمِنْ ثم علينا أن نبدأ الحوار بما بدأ به الله -عز وجل-، ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ونلاحظ أنَّ كثيراً من الحوارات تنطلق من غير هذا التوجُّه، ولو انطلقت من هذا: لاختصرت على نفسك وعلى غيرك من المخالفين الشيء الكثير؛ لأنَّه مَنْ قَبِلَ بهذا؛ فهو لما سواه أقبل، ومن رفضه، فلاي شيء ستحاكمه؟!

ثالثاً: حَسَدُ الأدلَّةِ على الخصم؛ فلا تقتصر على دليلٍ واحد، حتى وإن بدا لك أنه كافٍ في نسف الشبهة ودحضها، إذ عليك أن تورد من الأدلة كل ما يمكن الاستدلال به من دليل سمعي وعقلي وحسي، ولا تستقل بالأدلة الشرعية في نقض أدلة المجادل، بل إنَّ كُلَّ دليلٍ صحيح عقلي أو تجريبي أو حسي أو ضروري، فهو دليلٌ شرعي ينبغي أن تحشده في أدلتك وتستدل به.

ومن نظر في براهين القرآن، وجد من ذلك الشيء العظيم، فعلى المحق أن يجلب بخيل الحقِّ ورجله، ويحشدُ

(251) رواه البخاري 1496 واللفظ له ومسلم 19.

الأدلة حشدًا حتى يَسُدَّ على المبطل منافذَ السمع والبصر: فَيَقْدِفَ بالحقِّ على الباطلِ، فإذا هو زاهقٌ بإذن الله. ومن نظر في منهج علماء السلف في تأصيل العقيدة أو الرد على المخالف فيها يجد أنهم قد يُوردون عشرات الأدلة على المسألة الواحدة، وما كتاب التوحيد لإمام الأئمة ابن خزيمة أو كتاب العلو للذهبي أو الواسطية إلا شاهدًا على ذلك، فقد تَضَمَّنَتْ عشرات الأدلة على مسائل معدودة.

رابعًا: مراعاة الفروق بين المدعويين والمتحاورين؛ ولذا نَوَّعَ القرآن في أدلته بين أدلة تناسب أصحاب الحرث، وأدلة تناسب أهل الحواضر، وأخرى تناسب من يركب البحر، ورابعة تناسب من يطير في الفضاء، وخامسة تناسب أهل العقول والنظر، واستشهد الله بأعظم وأجل شاهد على أجل مشهود، قال تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [سورة آل عمران: 18].

كما استدل بأحقر موجود وأدناه كالبعوض والذباب، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ} [سورة البقرة: 26].

قال الشيخ ابن عاشور رحمه الله في تفسيره: "عند قوله جل شأنه: {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُه كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ} [الرعد: 17]، وهذا تمثيل آخر ورد استطرادًا عقب ذكر نظيره يفيد تقريب التمثيل لقوم لم يشاهدوا سيول الأودية من سكان القرى مثل أهل مكة وهم المقصود، فقد كان لهم في مكة صواغون كما دل عليه حديث الإذخر، فقرب إليهم تمثيل عدم انتفاعهم بما انتفع به غيرهم" (252).

خامسًا: نقض أدلة الخصم متدرجًا من الأدنى إلى الأعلى؛ ومن الدليل الضعيف إلى الدليل الأقوى وهو عكس مسلك مناقشة المسائل؛ لأن الأدلة إذا تهافتت، ورأى المبطل أن أدلته التي يعتدُّ بها، ويرأها ناصرة للدليل الأقوى بدأت تتساقط؛ هان عنده الدليل الأقوى؛ ألا ترى أن إبراهيم الخليل بدأ في نقض ألوهية الإله الأدنى وهو نقض عبادة الكوكب ثم تدرج إلى الأعلى؟! وكذلك كَسَرَ الأصنام وَتَرَكَ الكبير؛ ليكون سقوط الأدنى مُهَيِّئًا لسقوط الأعلى؟!

وكذلك قوله تعالى: {وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَدَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [سورة الزخرف: 48]. قال ابن جرير رحمه الله: "القول في تأويل قوله تعالى: (وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَدَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)، يقول تعالى ذكره: وما نرى فرعون وملأه آية، يعني: حجته لنا عليه بحقيقة ما يدعوه إليه رسولنا موسى (إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) يقول: إلا التي نريه من ذلك أعظم في الحججة عليهم وأؤكد من التي مضت قبلها من الآيات، وأدل على صحة ما يأمره به موسى من توحيد الله" (253).

هذه القاعدة ليست دائمة صحيحة فتارة تجد العكس صحيحًا كما في قاعدة "احترام ترتيب القوى الاستدلالية عند الأستاذ أمين خربوعي (وغيره) إذ يقول:

(252) التحرير والتنوير (118/13)

(253) جامع البيان (614/21)

"ينبغي عليك أيها المحاور أن تحترم القوة الاستدلالية في مناظرتك، فالأدلة ليست سواء في قوتها وحجيتها، فلا يغرنك ضعف الخصم فتقول في نفسك سوف أقدم أضعف الاستدلالات ثم أؤخر أقواها، بل عليك تقديم أقواها وتأخير أضعفها، فقد يكون في الحاضرين من يُضَيِّقُ عليك في مقام آخر، خاصة في الحوار الكتابي، كأن يفتح عليك رابطاً للتعليق في المناظرة ويُضَعِّفُ من منزلتك وقوة خطابك.

وبما أنَّ المناظرة هي سبيلٌ إلى طرح حجية الحق على كافة المتابعين، وستبقى مرجعاً يَرْجَعُ إليه إخوانك ومخالفوك على السواء!؛ لذلك ينبغي عليك أن تبدأ بأقوى الأدلة الشرعية التي نص عليها القرآن الكريم في إثبات وجود الله عز وجل، كدليل الخلق على وجود الخالق، ودليل الفطرة، وغيرها، ولا تقدِّم الأدلة الكلامية التي فيها أخذٌ ورد، بل إن استطعت، فلا تتكلم فيها، أو أجزؤها كأدلة تابعة في المستوى الثاني أو الثالث؛ لتنصر الأولى من باب زيادة الإفحام."²⁵⁴

سادساً: ضَمُّ الخصمِ إلى خصمه؛ وجعلهم في دائرة واحدة فإن المبتطل ربما رأى أنه على حق وأن المخالف الآخر مخطئ، فإذا سلكهم المحق في سلك واحد ظهر عوارهم وتبين توافقهم على القول الساقط، وهذا نراه في القرآن كثيراً فالقرآن يجمع المتماثلات من الضلالات ومن الضلال وهذا كثير.

سابعاً: إثباتُ أنَّ الضلالَ الذي يقوله الخصم مسبقاً إليه؛ وأنه ليس هو من فتقه، ولا أول من قال به، فهذا يكسر حدة الخصم، ويجعله في موضع المقلد التابع، قال تعالى عن أمثال هؤلاء: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [سورة التوبة: 30].

وعن أبي واقد الليثي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يُقال لها ذات أنواط، يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواطٍ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "سبحان الله هذا كما قال قوم موسى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}"⁽²⁵⁵⁾ والذي نفسي بيده لتركن سنة من كان قبلكم."⁽²⁵⁶⁾

ثامناً: عَدْمُ التَّسْلِيمِ لِلْمُخَالَفِ بِالمُصْطَلَحَاتِ الباطلة؛ أو التي تتضمن حقاً وباطلاً حتى تُبَيِّنَ بطلانها أو تُبَيِّنَ ما فيها من الحق والباطل؛ لأن استخدام المصطلح دون بيان ما تضمنه؛ يُلبِّسُ على المتلقي، وقد يحول دون معرفة الحقي، ولا بأس من التنزُّل مع الخصم في استخدام مصطلحاته بعد بيان ما فيها كما ذكرت، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والألفاظ في المخاطبات تكون بحسب الحاجات، كالسلاح في المحاربات."⁽²⁵⁷⁾

تاسعاً: أَنْ يَتَحَاوَرَ الْمُسْلِمُ مِنْ وَاقِعِ الاعتزاز بهذا الدين، وَمِنْ مُنْطَلَقِ الغلبة له ولأدلتيه وبراهينه؛ لأنه من يدخل وهو خائف أو مهزوم، فأتى له أن ينتصر إلا أن يشاء الله، وهناك الكثير من الأمثلة لسلفنا الصالح والتي تؤكد على هذا المعنى، منها:

²⁵⁴ كيف تحاور ملحدًا، دليلك المنهجي لمهارات الحوار، أمين بن عبد الهادي خربوعي، ص 83-91.

(255) الأعراف: 138.

(256) رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح (2180) وأحمد (21897).

(257) مجموع الفتاوى لابن تيمية (4/ 107).

- قال أبو بكر المروزي: وقال لي ابن أبي حسان الوراق: "طلب مني أبو عبد الله وهو في السجن كتاب حمزة في العربية، فدفعته إليه، فنظر فيه قبل أن يمتحن".⁽²⁵⁸⁾
- أخبرني أبو عمرو عثمان بن عمر قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون، وأخبرنا محمد بن علي السمسار قال: "رأيت شيخاً قد جاء إلى أبي عبد الله وهو مريض، فجعل يبكي وقال إنه ممن حضر ضربه، فلما خرج سمعته يقول: والله، لقد كلمت ثلاثة من الخلفاء ووطئت بسطهم ما هبتهم وما دخلني من الرعب ما دخلني منه وهو مسجى، والله لقد رأيتته يناظر وهو عال عليهم قوي القلب، والمعتصم بكلمه ويقول: أجبني إلى ما أسألك، أو شيء منه، فيقول: لا أقول إلا ما في كتاب الله أو سنة رسول الله، فيقول له: لا تقول: القرآن مخلوق؟ فيقول له: وكيف أقول ما لم يقل؟ قال الرجل: فقلت لرجل كان إلى جانبي: ما تراه ما يَرَهُبُ ما هو فيه، ولا يَلْحَنُ في مثل هذا الوقت، والسياط والعقابين بين يديه، وليس في يده منه شيء".⁽²⁵⁹⁾
- قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "لكن إذا أقبلت على الله، وأصغيت إلى حججه وبياناته، فلا تخف ولا تحزن، إن كيدَ الشيطان كان ضعيفاً، والعامي من الموحدين يَغْلِبُ الألف من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى: {وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَلْبُونَ} [سورة الصافات:173]"⁽²⁶⁰⁾.
- عاشراً: الاعتِمَادُ بِالدرَجَةِ الأُولَى عَلَى الأدلَّةِ العَقْلِيَّةِ النَّقْلِيَّةِ؛ ففيها كفايةٌ وهدىٌ وبيانٌ لا يوجد في غيرها، وفيها يُسَرُّ وَقُرْبٌ يفهمها المتلقي من أول وهلة كما في قوله تعالى: {هُدًى خَلَقَ اللهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [سورة لقمان:11].
- قال شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله: "أنَّ ما عداه من كتب الناس وآرائهم ومعقولاتهم بين علوم لا ثقة بها، وإنما هي آراء وتقليد، وبين ظنون كاذبة لا تغني من الحق شيئاً، وبين أمور صحيحة لا منفعة للقلب فيها، وبين علوم صحيحة قد وعروا الطريق إلى تحصيلها، وأطالوا الكلام في إثباتها، مع قلة نفعها، فهي: (لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ وَعَرٍ، لا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى، ولا سَمِينٌ فَيَنْتَقِلُ)"⁽²⁶¹⁾.
- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وابن الفارض - من متأخري الاتحادية - صاحب القصيدة التائية المعروفة (بنظم السلوك) وقد نظم فيها الاتحاد نظماً رائعاً اللفظ، فهو أخبثُ من لحم خنزيرٍ في صِينِيَّةٍ من ذهبٍ، وما أحسن تسميتها بنظم الشكوك، الله أعلم بها وبما اشتملت عليه، وقد نفقت كثيراً وبالغ أهل العصر في تحسينها والاعتداد بما فيها من الاتحاد".⁽²⁶²⁾
- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "بل الأمر، ما عليه سلفُ الأمة وأئمتها أهلُ العلم والإيمان، مِنْ أَنَّ الله سبحانه وتعالى بيَّنَ من الأدلة العقلية التي يُحْتَاجُ إليها في العلم بذلك ما لا يَقْدِرُ أحدٌ من هؤلاء قَدْرُهُ، ونهاية ما يذكرونه جاء القرآن بِخُلَاصَتِهِ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ، وذلك كالأمثال المضروبة التي يذكرها الله تعالى في كتابه التي قال فيها: {وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} [سورة الروم:58]"⁽²⁶³⁾.

(258) الرد على الجهمية المقدمة (47/1).

(259) الإبانة الكبرى لابن بطة (264/6).

(260) كشف الشبهات (14/1).

(261) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان (44/1).

(262) مجموع الفتاوى لابن تيمية (74/4).

(263) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (129/1).

- قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: "وإذا تأمل الفاضل غاية ما يذكره المتكلمون والفلاسفة من الطرق العقلية، وجد الصواب منها يعود إلى بعض ما ذكر في القرآن من الطرق العقلية بأفصح عبارة وأوجزها، وفي طرق القرآن من تمام البيان والتحقيق ما لا يوجد عندهم مثله، قال تعالى: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}." (264)

ولا يخفى أن مخاطبة العقول على أنواع:

- منها: ما يعود إلى طريقة الخطاب وأسلوبه كالسؤال، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: ما تعدون المفلس فيكم؟
- ومنها: استعمال القياس، كما في قوله تعالى: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [سورة يس: 78-79]، وفي الحديث عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بالسوق، داخلاً من بعض العاليتين، والناس كنفته، فمرَّ بجدي أسك مبيت، فتناوله فأخذ بأذنيه، ثم قال: "أيُّكم يحبُّ أن هذا له بدرهم؟ فقالوا: ما نحبُّ أنه لنا بيتي، وما نضغُ به؟ قال: أئحِبُّونَ أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حيًّا، كان عيبًا فيه؛ لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: فوالله للدنيا أهونُ على الله، من هذا عليكم." (265)

- ومنها: ما يعود إلى طريقة إبطال أقوال المخالفين كإبراز التناقضات العقلية في كلام الخصم، كما في قوله تعالى: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} [سورة القلم: 35-36]، وقوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [سورة الأنبياء: 22]

- ومنها: ما يعود إلى بيان مكانة العقل، وأنه تابع للنقل وأنه مناط التكليف وليس مصدر التشريع، كما في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَأْتِيكُمُ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [سورة الملك: 8-10].

الحادي عشر: ردُّ بعض أدلة المخالفين بعضها ببعض؛ فلا تكاد تجد دليلاً يستدل به المبطل إلا وتجد من حربه من يرد هذا الدليل، وفي هذا إسقاط لأدلته، وهذا استعمله السلف مع المخالفين، فيردُّونَ على المعتزلة ببعض أدلتهم وبأدلة الأشاعرة، ويردُّونَ على الأشاعرة ببعض أدلتهم وبأدلة المعتزلة.

الثاني عشر: أن الدليل الصحيح يدلُّ على الحقِّ ولا يدلُّ على الباطل؛ ولو تدبرت النص الذي يستدل به المبطل من القرآن الكريم أو من السنة لوجدت أنه دال على الحق؛ لأن الدليل الصحيح هو في صف المحق، ولو استدل به المبطل فعليك أن تتدبره؛ لتقلب الدليل عليه، فالله عز في علاه يأبى أن يدلَّ بدليلٍ صحيحٍ على أمرٍ باطلٍ.

الثالث عشر: تتبُّع الضلال وبيان سببه، ومن أين أتى! لأن هذا يوضح للمبطل نسب ضلاله، فربما أنف من الضلال إذا عرف مصدره الأول.

الرابع عشر: إلزام المخالف بما يفضي إليه قوله؛ وأن هذا اللازم يرفضه العقلاء والأمم جميعاً، وإلزامه بتناقضاته في دلائله ومواقفه، كما تلزم النصراني بشرية المسيح؛ لأنه يأكل الطعام؛ فكيف يكون إليها؟

(264) شرح العقيدة الطحاوية (76/1) كشواهد البعث والوحدانية كآية البقرة وآية فصلت.

(265) مسلم (2975).

الخامس عشر: شُمُولُ الْخِطَابِ لِكُلِّ فِئَاتِ الْمَدْعُوعِينَ؛ فلا تَقْصُرْ حِوَارِكَ عَلَى فِئَةٍ دُونَ أُخْرَى، وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي دَعَوَاتِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمْتُكَ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظِ اللَّهُ يَحْفَظُكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ مُجَاهِدًا، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ". (266)

السادس عشر: عَدَمُ الْمَدَاهِنَةِ فِي قَوْلِ الْحَقِّ؛ قَالَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} [القلم: 9]. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ خَطِيبًا، فَكَانَ فِيهَا قَالَ: "لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ فِي حَقِّ إِذَا رَأَاهُ، أَوْ شَهِدَهُ أَوْ سَمِعَهُ". (267)

السابع عشر: الْحَذَرُ مِنَ الْاسْتِجَابَةِ لِلْمَدْعُوعِينَ أَوْ الْخُضُوعِ تَحْتَ نَفُوذِ الْمُخَاطَبِينَ؛ انظر مثلاً كيف صور الله بعض الجماهير المتلقية وهي تحاول استمالة النبي صلى الله عليه وسلم عن مقررات الوحي وتعدده بأن تنساق خلفه وتنصره، فقال عز وجل: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتُفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرُهُ وَإِذَا لَا تُحْذِرُونَ خَلِيلًا} [سورة الإسراء: 73].

وقد يُزَيِّنُ الشَّيْطَانُ لِلدَّاعِيَةِ أَنَّ الْمَدْعُوعِينَ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَجِيبُوا وَيَكُونُونَ مُسْلِمِينَ إِذَا بَدَّلَ بَعْضُ الْوَحْيِ، وَقَدْ حَذَّرَ اللَّهُ نَبِيَّهَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ جَلِ ثَنَاوَهُ: {وَلَوْلَا أَنْ تَبَتُّنَاكَ لَقَدْ كِدْتُمْ تَرَكُّنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا} [سورة الإسراء: 74-75].

كما أخبرنا الله عز وجل عن غاية المخالفين وطلبهم المستمر بالتغيير والتبديل كما في قوله عز شأنه: {وَإِذَا تُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بِرُؤَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلْهُ فُلٌ مَّا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقُّاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ عَظِيمٌ} [سورة يونس: 15]، فليكن المسلم على حذر من ذلك.

الثامن عشر: دَعْوَةُ الْمَعَانِدِ إِلَى التَّمَعُّنِ فِيْمَا يُعْرَضُ عَلَيْهِ بِتَجَرُّدٍ؛ قَالَ اللَّهُ جَلِ ثَنَاوَهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: {قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} [سورة سبأ: 46]، "وتلك الواحدة أن تقوموا لله بالنصيحة وترك الهوى، (مثنى) يقول: يقوم الرجل منكم مع آخر فيتصادقان على المناظرة: هل علمتم بمحمد صلى الله عليه وسلم جنونًا قط؟ ثم ينفرد كل واحد منكم، فيتفكر ويعتبر فردًا: هل كان ذلك به؟ فتعلموا حينئذ أنه نذير لكم، وقوله (ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنّة) يقول: لأنه ليس بمجنون" (268)، وقال تعالى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ} [سورة الأعراف: 184].

التاسع عشر: الْعِنَايَةُ بِالْإِجْمَاعِ؛ سِوَاءِ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ السَّلَفُ، أَوْ كَانَ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْإِسْلَامِ، أَوْ مَا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّمُ، وَهَذَا كُلُّ بِحَسَبِهِ وَبِحَسَبِ مَنْ تُجَادِلُ وَتَدْعُو.

(266) رواه الإمام أحمد في مسنده (2763)، ورواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح (2516).

(267) رواه أحمد في مسنده واللفظ له (11017)، والترمذي (2191)، وصححه الألباني

(268) الطبري (418/20).

العشرون: عَدَمُ الْإِنْتِقَالِ مِنْ مَسْأَلَةٍ إِلَى أُخْرَى قَبْلَ إِحْكَامِهَا؛ وبيان ما فيها من الحق والباطل؛ لئلا يتشتت المتلقي، وقد يفهم بعض المتابعين والمتلقين أن هذه المسألة ليس للحق فيها قولٌ حاسم؛ لذا قَبِلَ المحق الانتقال عنها.

الحادي والعشرون: أَنْ يُبَيِّنَ لِلْمُحَاوِرِ بِشَاعَةَ أَمْرٍ هُوَ يَسْتَبْشِعُهُ غَايَةَ الْإِسْتِبْشَاعِ، فإذا سلم بشناعته يقال له: "ما تعتقده أعظم بشاعة من هذا الذي تنفر منه"، ولقد بيّن شيخ الإسلام بشاعة الإِدْعَاءِ أَنَّ لَهِ صَاحِبَةً وَزَوْجَةً وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ إِدْعَاءَ اللَّهِ وَلَدَ أَعْظَمَ مِنْهَا.

الثاني والعشرون: أَنْ يُبَيِّنَ لِلْمُحَاوِرِ أَنَّ الَّذِي يَنْفِرُ مِنْهُ عِنْدَ خَصْمِهِ قَوْلُهُ أَشَدُّ بِشَاعَةً مِنْهُ، فالنصراني يرى عبادة العجل في غاية الضلال، لكن دعوى الولد أعظم منها.⁽²⁶⁹⁾

الثالث والعشرون: أَنْ تَعْلَمَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّهُ مَا مِنْ أَصْلٍ شَرْعِيٍّ أَوْ مَسْأَلَةٍ أَصْلِيَّةٍ فِي دِينِ اللَّهِ لَا يَدُلُّ عَلَيْهَا إِلَّا دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ غَيْرُ نَقْلِيٍّ؛ بل كل أصل من أصول الشرع فقد دل عليه الكتاب والسنة أو أحدهما؛ لأن القرآن والسنة فيهما الكفاية والشفاء، فالله قد أكمل الدين وأتم النعمة ببعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [سورة العنكبوت:51]. فلا ينبغي لطالب العلم أن يبحث عن أدلة الأصول الشرعية في غير القرآن الكريم والسنة النبوية، لكن لا مانع أن يعضد أدلة الوحي ببعض الأدلة العقلية التي لا تخالف الوحي؛ لأن الدليل العقلي الصحيح من الشرع.

الرابع والعشرون: عَلَيْكَ بِالْعَدْلِ مَهْمَا كَانَ خَصْمُكَ ظَالِمًا أَوْ عَادِلًا أَوْ قَرِيبًا أَوْ بَعِيدًا؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِالْعَدْلِ حَتَّى مَعَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ صَدَوْهُمْ عَنِ الْبَيْتِ، قَالَ تَعَالَى: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [سورة المائدة:2].

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [سورة المائدة:8].

وعليك بالإحسان والبر؛ فإن إحسانك للمخالف مما يؤلف قلبه ويدعوه لقبول الحق الذي معك، قال تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [سورة الممتحنة:8].

وقال تعالى: {فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [سورة آل عمران:159].

وهناك المزيد من الأسس المنهجية في التخصص منها: النفي – كما الإثبات – يحتاج إلى دليل؛ فلا نقبل من أحد أن ينفي وجود الله بدون حجة ولا دليل، فتبقى مجرد دعاوى واهية، ولا يمكن للمحد أن يقيم البرهان على إلحاده. إنَّ الملاحظة لا يُقَرُّونَ بأنهم لا يمتلكون أي دليل على نفي وجود الله، وإنما هي مجرد شكوك، والشك لا يبرر النفي القاطع، وعدم الدليل ليس دليل على العدم.

فالمُحَدُّ لا يبذل جهدًا جادًا للتعرف على الإسلام حتى يُمَرِّكَزَ حياته على تلك الفكرة، ولا توجد نظرية علمية

(269) هذه وما قبلها بيَّنها شيخ الإسلام في الجواب الصحيح 2/138-140.

يمكنها أن تنفي وجود الخالق؛ لذا فلا وجود للملحد حقيقة؛ لأنَّ غاية ما يمكن للملحد أن يقوله: "لم يُثبِتْ عندي وجود الخالق"، وأما أن يقول: "عندي دليل على عدم وجود الخالق"، فهذا مجرد ادعاء يطالب صاحبه بالدليل، فأنا على سبيل المثال أستطيع أن أدعي عدم وجود مدينة اسمها نيويورك؛ لأنني لم أرها.

وإن قالوا: لسنا نحن من يُطالب بإقامة الدليل على وجود الإله، وإنما المطالب بذلك هو المؤمن بوجود الإله!، في هذه الحالة على المؤمن أن يعي أنَّ عليه إقامة الدليل على وجود الله، ويؤكد أنه لم يبنِ اعتقاده إلا بالحجج والبراهين العقلية والعلمية اليقينية.

الخامس والعشرون: مُطالَبَةُ المخالفين بإثباتِ صِحَّةِ نَقْلِهم أو سلامةِ استدلالِهم، فكلُّ دعوى لا بدَّ من إقامة الدليلِ عليها، بدليلِ نقليٍّ صحيحٍ أو عقليٍّ صريحٍ.

قال الله جلا جلاله: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة:111]، وقال الله جلا جلاله: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ إِنْ تُؤْتَوْنَ بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الأحقاف: 4]، فطالِبهم أوَّلًا بالطَّرِيقِ العَقْلِيِّ، وثانِيًا بالطَّرِيقِ السَّمْعِيِّ، حيث إنَّ الكثير من أهلِ البِدْعِ يَسْتَدِلُّ على بدعته بنقلٍ ضَعِيفٍ أو موضوعٍ، أو دَلَالَةٍ ضَعِيفَةٍ، أو بعقلٍ فاسِدٍ؛ أمَّا أهلُ الفلسفةِ والكلامِ فيكثُرُ عندهم الاستدلالُ بالأقْيَسَةِ العَقْلِيَّةِ الفاسِدةِ، أو الاحتمالاتِ والتَّجْوِيزَاتِ.

السادس والعشرون: عدم الخلط بين الفرضيات والحقائق:

يجب عدم إذابة الحد الفاصل بين الفرضيات العلميَّة والحقائق العلميَّة والخلط بينهما؛ فالافتراضات العلميَّة بحكم أنَّها غير يقينية وفي معرض الخَطِّ فلا يمكنها أن تشكِّل أساسًا لبناء رؤية فلسفية إزاء الكون والوجود، وما يُطرح عن إمكانية تفسير الكون تفسيرًا يُستغني به عن نظرية الخالق المنظَّم هو - في أحسن التقادير - مجرد افتراضات علميَّة لم ترقِّ إلى مستوى اليقين والحقيقة، فكيف ترقى إلى مستوى اليقين، والجال أنَّ المعطيات العلميَّة نفسها في تغيُّر وتبدُّل دائم، لدرجة أنَّ حَدَّتْ بالبعض لوصف عصرنا أنَّه عصر الفوضى المعرفي اللَّائِقِيْنِي؟! وعليه فإنَّ الفرضيَّات العلميَّة الحديثة في علمي الأحياء والفيزياء المتَّصلة بقضية مبدأ الخلق وعلته الأولى لا ترقى إلى مستوى الحقيقة العلميَّة التي لا يخالطها الشك، وإنَّما هي مجرد فرضيَّة علميَّة، فلا تصلح كمستندٍ لرفض فكرة وجود الخالق أو إبطال المعتقدات الدينيَّة.

وكما تلقى بعض الفرضيات العلميَّة رواجًا وانتشارًا أكبر من حجمها العلمي، فيجعلها في مصافِّ الحقائق العلميَّة في الذهن العام، وقد يُمنع من النقاش في هذا الأمر حتى بداخل الوسط العلمي نفسه، مع كونه يعترف بأنها ليست سوى فرضية محتملة! ومثال ذلك: نظرية التطوُّر الدارونية كما يعترف بذلك كثير من أهل الخبرة.

ولا يخفى على ذي عقل أنَّ الاكتشافات العلميَّة في كل هذا الكون الفسيح بسماؤه وأرضه تُثبِتُ وجود نظام دقيق وبديع مهيمن على هذا الكون من الذرة إلى المجرة، وبديهيُّ أن النظام لا ينطلق من الفراغ ولا ينبعث من الفوضى والعبثية أو الصدفة.

المبحث الثاني: قواعد عامة على الداعية المحاور أن يلزمها

كثير من المتصدرين لحوار المذاهب الفكرية، يَقَعُونَ في أخطاءٍ منهجيةٍ تحرمهم من الوصول إلى نتائجٍ إيجابيةٍ مع الملاحدة، ومَرَدُّ ذلك إلى عدم اتباعهم للمنهج المرتضى في الحوار، فتجدهم يقدمون ما حقه التأخير، ويؤخِّرون ما حقه التقديم، أو يَسْقُطُونَ في حِيلِ الملحدين؛ فينساقون وراءهم حتى إن قرأت المناظرة أو سمعتها، تجدها تفتقد للترابط المنطقي والمنهجي، فيصبح وكأن المناظرة عبارة عن سؤالٍ من الملحد، وجوابٍ من المسلم! فتكون خاوية من الإلزامات، لا إفحام فيها ولا تفنيد؛ فتصبح المناظرة والحوار أشبه بعرضٍ لفكر الملحد مقابل عرضٍ لفكر المسلم، دونما تمحيصٍ لتلك الأفكار وردّها.

وَمِنْ ثَمَّ إِلَيْكَ أَيُّهَا الْمَحَاوِرُ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْقَوَاعِدِ عَلَيْكَ اتِّبَاعُهَا حَتَّى تُحَقِّقَ الْغَرَضَ، وَتَشُدَّ الْمَقْصُودَ:
القاعدة الأولى: وضع شروط عامة لسير النقاش:

لا يسوغ أيها الداعية أن تدخل لمناظرة أو حوار، دونما شروطٍ تتفق مع مخالفك حولها، وهذه القاعدة الافتتاحية تكون تذكيرًا بأداب التناظر، حيث ينبغي على المحاور أن يُذَكِّرَ مخالفه من أن القصد من الحوار هو البحث عن الحق، وَتَبْدُ التعصب والعناد، وإخلاص النية لهذا القصد، كما تُجَنَّبُ الكلمات المُفْضِيَّة إلى تعكير صفو المناظرة، كأن يستهزئ بالخصم، أو يَصِفُه بالغباء أو البلادة، أو يُسِيء إلى معتقد الآخر بألفاظ استفزازية أو يضمن مداخلته لَمُزًا معيبيًا، فكل ذلك من الصوارف عن الحق الكفيلة بقذف المناظرة إلى غياهب التعنت. وينبغي من بين الشروط أيضًا تَجَنُّبُ التطويل في المداخلة، فالكلام إن طال دون داعٍ اشتمل على إطناب تَمُجُّهُ الأذان وَتَمَلُّهُ القلوب وتضييق به الأعين، ثم الاتفاق على وقت المناظرة كم ستطول، وتحديد وقت كل مداخلة، وعدد المداخلات سواء في الحوار المباشر أو الحوار عبر الكتابة، فالمناظرة ينبغي أن تكون معلومة الوقت لا أن تطول إلى أشهر، أو تكون بطيئة في حالة التحاور الكتابي.

القاعدة الثانية: تحديد موضوع النقاش الكلي وضبط الإشكاليات:

فلكل مناظرة موضوع كلي يكون هو العمدة في الحوار، فإن كانت حول إثبات وجود الله تعالى، ينبغي أن تُحَدِّدَ الإشكاليات المطروحة، والتي ستتكلَّم المناظرة بالإجابة عنها، ثم تحديد الأفكار الفرعية والنقط التي ستثار أثناء المناظرة.

ويصح أن يُثار أكثر من موضوع في المناظرة الواحدة، حتى إن فرغ المتحاوران من موضوع انتقلوا إلى آخر، الشرط الوحيد هو أن يُراعى السُلْمُ المنطقي بين تلك المواضيع، فلا يصح على سبيل المثال، الانتقال من إثبات وجود الله إلى إثبات فرضية الحجاب بعدها!

القاعدة الثالثة: ضبط التعريفات ووضوح الفكرة من كلا الطرفين:

وهي ما يَصْطَلِحُ عليها فقهاء الأصول بتحرير محل النزاع، فإن كان الموضوع حول الإلحاد النيتشاوي مثلاً فعلى المحاور أن يطلب من المخالف وضع تعريف بسيط بمعتقدده، حتى وإن كان عارفاً به؛ لأنه لا يضمن أن مخالفه قد يكون لديه تصوُّر خاطئ له، أو أن القُرَاءَ يعرفون الموضوع!

وكلما كانت هناك عبارةً غامضة، فليستَوْقِفْ محاوره للاستفسار عنها، حتى لا يقع خروجٌ عن القصد، فيصبح المحاور المسلم يتكلم في وادٍ ومخالفُهُ يتحدث في وادٍ آخر. ولذلك على المحاور المسلم أن يحدّدَ بَدَقَّةِ الاستشكال الراسخ في ذهن مخالفه، ويضع أصبعه بدقة على الجرح الذي يعاني منه في المسألة.

القاعدة الرابعة: البدء بالأصول وتأخير الفروع:

وهي قاعدةٌ جوهريّةٌ هامةٌ جدًّا، فلا يسوّغُ أن تناقشَ ملحدًا في مسألةٍ فرعيّةٍ، كفهم لحديث معين، أو حول مناسك الحج، أو حول الحجاب، أو الصلاة أو غيرها، بل ينبغي احترام التدرج، فالملحد ينبغي أن يناقش في أمّ القضايا وهي إثبات وجود الله تعالى؛ لأنك لو ناقشته في أمرٍ فرعيٍّ، فغالب ما ستجوه منه هو أن يسلمَ لك بفوائد الحجاب على سبيل المثال، لكنه في الأصل هو منكرٌ لوجود الله تعالى، فحتى لو ألزمته بالتسليم في قضيةٍ فرعيّةٍ، فسوف يقلب عليك الطاولة بقوله أنّه لا يؤمن بصحة دينك جملةً وتفصيلاً.

ولذلك فإنّ المنهج المعتبر في حوار الملاحدة أن تبدأ معهم في إثبات وجود الله تعالى، ثم ضرورة إنزال الشرائع وإرسال الرسل، ثم أي الأديان أحق بصفة الربانية، ثم في إعجاز القرآن وتواتره، ثم في صحة نقل السنة ومنهج الأخذ عن الرواة، وهكذا حتى تصل معه إلى الفروع.

ويصح أن تكون المناقشة في أصل من أصول الإلحاد، كإثبات خطأ نظرية الارتقاء والتطور، أو في حدود العلم، أو في أصول المعرفة، أو بطلان الصدفة أو قِدَمِ المادة... وغيرها من المواضيع التي تحقق صفة الأصوليات الاعتقادية.

القاعدة الخامسة: مراعاة قواعد الفعل اللغوي:

والقصد من قواعد الفعل اللغوي هو أن يتعاون المتخاطبان على الوصول إلى الغرض المطلوب من دخولهما في التخاطب، وعليه ينبغي أيها المحاور أن تلتزم بقواعد، منها:

أ- قاعدة الكم:

وهي أن تكون إفادتك للمخاطب على قدر حاجته من غير زيادة ولا نقصان، فإن أنت زدت في الكلام وأطلت على محاورك من غير فائدة؛ حينها لن تضمن استيعابه الكلي للفكرة، وإن نقصت في الكلام؛ لم تعطِ حينها للجواب حقه؛ فيصعب على مخالفك أن يسلم بكلامك.

ب- قاعدة الكيف:

أي لا تقل إلا ما تعلم صدقه، أو تقدر على إثباته، فقد يكون مخالفك قد أثار قضيةً متمكنًا هو منها، ويعرفُ نقصانها وعيوبها كأن يجركَ لمناقشةٍ دليلٍ كلاميٍّ له ثغرات، أو تُلقيَ إليه كلامًا مرسلاً؛ حتى إذا ما طالبك بالدليل؛ عجزت عن تقديمه!

ج- قاعدة العلاقة:

بمعنى مراعاة المناسبة في الكلام، فأفكار المناظرة تتسم بالعلاقة الترابطية بينها، فلا تقفز من فكرة إلى أخرى بعيدة عنها حتى لا تفتح على نفسك باب التشتت؛ فتصبح المناظرة عبئًا ثقیلاً عليك.

د- قاعدة الجهة:

وهي الاحتراز من الغموض والإطناب والاضطراب؛ لأنك حينها توجه رسالة لمحاورك بضعف تمكنك، وعجزك عن إيضاح فكرتك.

القاعدة السادسة: احترام قواعد الفعل الحجاجي:

الحجة؛ هي التي تقرر صحة فكرة معينة، وترسخها في النفس وتقتضي التسليم بها. ولكي تكون موفقًا في عرضها أيها المحاور -رعاك الله- ينبغي أن تلتزم بشروطها، وهي كالاتي:

أ- شرط المضمون القَصَوِي:

أي عليك أن تأتي بمجموعة من الأحكام الجازمة التي ينطوي كلُّ منها على قضية مخصوصة.

ب- الشرط الجوهرِي:

أي أن مجموعة الأحكام هذه ينبغي أن تأتي بها اجتهادًا منك؛ لإثبات الدعوى، بمعنى أن يكون هدفك، إقناع الطرف الآخر بصوابها.

ج- شرط الصدق:

أي ينبغي عليك أن تعتقد بصدق القضايا التي جئت بها لإثباتها، فإن لم تقتنع بصدقها، فكيف ستثبتها لمخالفك؟!

د- الشرط التمهيدي:

وهنا ينبغي أن تعتقد أيها المتكلم أن محاورك لا يسلم بالدعوى، وإنما يسلم بالقضايا التي جاء بها لإثباتها، ومن ثم عليك أن تهَيِّج الحجة المُبْطِلَةَ لقضاياها، والتي لا بد أن تكون بمثابة السلاح الذي تُنْقِضُ به أفكاره ودعاويه المزيفة التي يعتقد بصحتها.

والمقام هنا ليس مقام تفصيل، وإنما مطلوب من الداعية أن يكونَ متعمقًا في أساليب الحجاج، وسلامة الاستدلال، والقواعد المنطقية. كما أن هذا الموضوع يحتاج إلى إفرادِه بالتأليف في كتابٍ مستقل، لعله يصدر مستقبلاً إن شاء الله تعالى.

القاعدة السابعة: احترام ترتيب القوى الاستدلالية:

ينبغي عليك أيها المحاور أن تحترم القوة الاستدلالية في مناظرتك، فالأدلة ليست سواء في قوتها وحجيتها، فلا يغرنك ضعف الخصم فتقول في نفسك سوف أقدم أضعف الاستدلالات ثم أؤخر أقواها، بل عليك تقديم أقواها وتأخير أضعفها، فقد يكون في الحاضرين من يُضَيِّقُ عليك في مقام آخر، خاصة في الحوار الكتابي، كأن يفتح عليك رابطاً للتعليق في المناظرة ويُضَعِفُ من منزلتك وقوة خطابك.

وبما أن المناظرة هي سبيلٌ إلى طرح حجية الحق على كافة المتابعين، وستبقى مرجعًا يَرْجِعُ إليه إخوانك ومخالفوك على السواء؛ لذلك ينبغي عليك أن تبدأ بأقوى الأدلة الشرعية التي نص عليها القرآن الكريم في إثبات

وجود الله عز وجل، كدليل الخلق على وجود الخالق، ودليل الفطرة، وغيرها، ولا تقدّم الأدلة الكلامية التي فيها أخذ ورد، بل إن استطعت، فلا تتكلم فيها، أو أخزها كأدلة تابعة في المستوى الثاني أو الثالث؛ لتنصر الأولى من باب زيادة الإفحام.

القاعدة الثامنة: التنوع في الاستدلالات العقلية:

فالاستدلال العقلي هو: استنتاج قضية مجهولة من قضية معلومة، والتّوصّل إلى حكم تصديقي مجهول بملاحظة حكم تصديقي معلوم. وهذا التعريف، يُعتبر من المسلمات التي يأخذها طالب العلم عن أهل الحجاج والاستدلال من العلماء المعتمدين، وهو أنواعٌ، منها على سبيل المثال:

أ- التوصل إلى صحة قضية بملاحظة نفي نقيضها:

على سبيل المثال، بطلان قضية إتيان الموجود الأول من العدم؛ وذلك لأنّ العدم هو حالة لا يمكن أن يصدر عنها الخلق إلا بوجود موجودٍ مخالفٍ لهذا العدم، فإتيان العدم من اللاعدم هو مستحيلٌ عقليٌّ، ومن ثمّ نستطيع أن نُثبت حينها وجودَ وجودٍ واجبٍ الوجود⁽²⁷⁰⁾ بنفي نقيضه.

ب- التوصل إلى إثبات وحدانية الله باستحالة التعدد:

فلو كان في الكون إله غيره الله؛ لفسد، ولأراد كل إله أن يعلو على نظيره ببرهان العقل، لكنّ الكون لم يفسد بالبرهان المشهود؛ فينتج عن ذلك أن الخالق واحد لا شريك له.

ج- إثبات حدوث العالم بملاحظة قضيتين متباينتين متسلسلتين:

فالكون متغيّرٌ، وكلُّ متغيّرٍ حادثٌ، إذن فالكون حادثٌ.

والاستدلال أيها المحاورينقسم إلى قسمين هما:

- 1- الاستدلال المباشر: وهو ما ضربنا عليه المثال أعلاه، ويكون إثباته بالتقابل، أو العكس، أو تلازم الشرطيات.
- 2- الاستدلال غير المباشر: وهو حينما تحتاج لأكثر من قضية؛ لإثبات أصل واحد، ويكون عبر القياس أو الاستقراء أو التمثيل.

ولذا عليك أيها اللبيب ضبط هذه الأنواع لكي تكون مناظرُك مُفحمةً ملزمةً قاهرةً للباطل ومحقة للحق.⁽²⁷¹⁾

(270) واجب الوجوب: يراد به أن وجوده سبحانه لذاته، فيستحيل عليه العدم أولاً وأبداً، بخلاف المخلوق فإنه ممكن الوجود أو جائز الوجود، أي يجوز عليه الوجود والعدم، ووجوده لا لذاته، بل بإيجاد الله تعالى، وينبغي أن يعلم أن لفظ "واجب الوجود" غير وارد في كلام الله تعالى، ولا في كلام رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد استحدثته الفلاسفة المتأخرون، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "وأما الكلام بلفظ "الواجب الوجود"، و "ممكن الوجود": فهذا من كلام ابن سينا وأمثاله، الذين اشتقوه من كلام المتكلمين المعتزلة ونحوهم، وإلا فكلام سلفهم، إنما يوجد فيه لفظ العلة والمعلول/ انظر: منهاج السنة النبوية (132 / 2).

(271) كيف تحاور ملحدًا، دليلك المنهجي لمهارات الحوار، أمين بن عبد الهادي خربوعي، ص 83-91.

المبحث الثالث: قواعد تنفع المحاور مع الملاحدة ومع غيرهم

1- عدم العلم بالدليل، ليس علماً بالعدم:

بعض المتناظرين قد يجعلُ عُمْدَتَهُ في نفي وجود أمرٍ ما، هو عدمُ علمِهِ بالدليل على وجوده، والأصلُ أنَّ عدمَ العلمِ بالدليل، ليس علماً بالعدم، وعدمُ الوجودان، ليس نفيًا للوجود، فكما أنَّ الإثباتَ يحتاجُ إلى دليل، فكذلك النفيُ يحتاجُ إلى دليل، وإلا فما لم يُعلم وجوده بدليلٍ مُعَيَّن، قد يكون معلومًا بأدلةٍ أُخرى. قال الله تعالى: {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ} [يونس: 39] فهذا نعيٌّ على كُلِّ من كَذَّبَ بما قَصَرَ عنه علمُهُ.

فمن نفي كثيرًا من الغيبيات؛ كالصِّفَاتِ، والقَدْرِ، والملائكة، والجنِّ، وأحوالِ البرزخ، والمعاد؛ لعدم قيام دليل الحسِّ والمشاهدة، أو دليل العقل -كما يزعم- كان غلطًا؛ لأنَّه أَخْبَرَ عن نفسه، ولا يمتنع أن يكون غيره قد قام عنده دليل العقل، أو دليل السَّمْعِ، أو دليل المشاهدة، كما وقع ذلك للرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم في مشاهدة الجنِّ والملائكة وأحوالِ البرزخ والمعاد.

ويُستثنى من هذه القاعدة ما إذا كان وجود المدلول مُستلزمًا لوجود الدليل، وقد علم عدم الدليل، فيقع العلم بعدم المدلول المستلزم لدليله؛ لأنَّ عدمَ اللازم، دليلٌ على عدمِ الملزوم، فمثلًا: قد ثبتت توافرُ الدواعي على نقلِ كتابِ الله تعالى ودينه؛ فإنَّه لا يجوزُ على الأمةِ كتمانُ ما يحتاجُ النَّاسُ إلى نقله، فلمَّا لم يُنقل ما يحتاجون إليه في أمرٍ دينهم نقلًا عامًا، علمنا يقينًا عدمَ ذلك، نحو سورة زائدة، أو صلاةٍ سادسة، ونحو ذلك.⁽²⁷²⁾

2- الباطل لا يُردُّ بالباطل، بل بالحق:

السلفُ والأئمةُ يذمُّون ما كان من الكلامِ والعقليَّاتِ باطلاً، وإن قصِدَ به نصرُ الكتابِ والسُنَّةِ، فيذمُّون من قابلَ بدعةٍ ببدعةٍ، وفسادًا بفسادٍ⁽²⁷³⁾؛ فالباطلُ يُردُّ بالحقِّ المحضِ، والبدعةُ تُردُّ بالسُنَّةِ الصَّحيحةِ. قال ابنُ قُتَيْبَةَ: "تعمَّقَ آخرون في النَّظَرِ، وزعموا أنَّهم يريدون تصحيحَ التَّوْحِيدِ بنفي التَّشْبِيهِ عن الخالقِ، فأبطلوا الصِّفَاتِ؛ مثلُ: الجِلمِ، والقُدرةِ، والجلالِ، والعَفْوِ، وأشباه ذلك"⁽²⁷⁴⁾. وأراد بعضُ مُثَبِّتَةِ القَدْرِ الرَّدَّ على نِفَاتِهِ، فأنكروا فعلَ العبدِ واختياره، والشَّيعةُ أرادوا الإنكارَ على الخوارج الذين كفَّروا عليًّا رضي الله عنه، فوقعوا في سائرِ الصَّحابةِ -عدا آلِ البَيْتِ- تكفيرًا وتفسيرًا!

3- الامتناعُ عن مناظرة أهلِ السَّفْسطة:

إذا وضَحَ الحقُّ وبان لم يَبْقَ للمُعَارضةِ والمجادلةِ محلٌّ، فإذا جحدَه الخصمُ كان سوفسطائيًّا⁽²⁷⁵⁾؛ فلا ينبغي مُناظرته بعد ذلك.

قال الله تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ} [الكهف: 29].

(272) المُؤسَّعةُ العَقْدِيَّةُ، مَطْبُوعٌ وَمُنشُورٌ عَلَى مَوْقِعِ الدَّرَرِ السِّيَّيَّةِ عَلَى الإِنْتَرِنِيتِ.

(273) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (165/7).

(274) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة (ص: 36).

(275) قال الجرجاني: (السَّفْسطةُ: قياسٌ مُركَّبٌ مِنَ الوَهْمِيَّاتِ، والغرضُ منه تغليبُ الخصمِ وإسكاته) ((التعريفات)) (ص: 118).

وقال الله سبحانه: {يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ...} [الأنفال: 6]، وقال الله عزَّ وجلَّ: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام: 68].

فكُلُّ من جادل في الحقِّ بعد وُضوحه وبيانه فقد غلط؛ شرعاً وَعَقْلاً. (276)

ولهذا كان من الأسئلة ما ليس له جوابٌ غيرُ السُّكوتِ، كما جاء عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فيقول: من خَلَقَ كذا؟ من خَلَقَ كذا؟ حتى يقول: من خَلَقَ رَبَّكَ؟ فإذا بَلَغَهُ فليستَعِذْ بِاللَّهِ وَلِيْنْتِهِ". (277)

4- السُّكُوتُ عَمَّا سَكَتَ اللهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ:

كُلُّ مَسْأَلَةٍ من مَسَائِلِ الاعتقادِ لا يُحَكَّمُ فيها نفيًا أو إثباتًا إِلَّا بدليل؛ فما ورد الدليلُ بإثباته أثبتناه، وما ورد بنفيه نَقِيناه، وما لم يردْ بإثباته ولا بنفيه دليلٌ تَوْقَفْنَا، ولم نَحْكَمْ فيه بشيءٍ لا إثباتًا ولا نفيًا، ولا يعني هذا أَنَّ المسألةَ خاليةٌ عن الدليلِ، بل قد يكونُ عليها دليلٌ، لَكِنْ لا نَعْلَمُهُ، فالواجبُ علينا التوقفُ لحين وجدانِ الدليلِ. (278)

قال اللهُ تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: 36].

5- الحَقُّ لا يُعْرَفُ بِالرِّجَالِ، فَإِذَا عُرِفَ الحَقُّ عُرِفَ أَهْلُهُ:

الحقُّ ما وافق الدليلَ من غيرِ التفاتٍ إلى كثرةِ المُقْبِلِينَ، أو قِلَّةِ المعْرِضِينَ؛ فالحقُّ لا يوزَنُ بالرجالِ، وإنما يوزَنُ الرِّجَالُ بالحَقِّ، ومجرَّدُ نُفُورِ النَّافِرِينَ، أو محبَّةِ المُوَافِقِينَ لا يدلُّ على صِحَّةِ قولٍ أو فسادِهِ. وكلُّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ يُؤَخِّدُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُرَدُّ، إِلَّا الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وذلك لأجلِ ثُبُوتِ العِصْمَةِ لِلشَّارِعِ وَخَدِهِ، أَمَّا غَيْرُهُ فَيَعْتَرِيهِ مِنْ نَقْصِ العِلْمِ والفَهْمِ ما يَسْتَوْجِبُ عَرَضَ قَوْلِهِ عَلَى الشَّرْعِ. (279)

6- مُطالِبَتُهُم بِإثباتِ صِحَّةِ نَقْلِهِم أو سلامةِ اسْتِدلالِهِم:

كُلُّ دَعْوَى لا بدَّ مِنْ إقامَةِ الدليلِ عليها بدليلٍ نقليٍّ صحيحٍ أو عقليٍّ صريحٍ. قال اللهُ تعالى: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: 111].

وقال اللهُ سبحانه: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ إِنَّتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الأحقاف: 4]، فطالِبَهُم أَوَّلًا بالطَّرِيقِ العَقْلِيِّ، وَثانِيًا بالطَّرِيقِ السَّمْعِيِّ. (280)

وكثيرٌ مِنْ أَهْلِ البِدْعِ يَسْتَدِلُّ عَلَى بَدْعِهِ بِنَقْلِ ضَعِيفٍ أو موضوعٍ، أو دَلالَةٍ ضَعِيفَةٍ، أو بعقلٍ فاسِدٍ.

أَمَّا أَهْلُ الفِلسَفَةِ والكلامِ فيكثُرُ عندهم الاستدلالُ بالأقيسةِ العَقْلِيَّةِ الفاسِدةِ، أو الاحتمالاتِ والتَّجْوِيزاتِ. (281)

7- المُعارِضَةُ الصَّحِيحَةُ هِيَ الَّتِي يَمكِنُ اطِّرادُها:

(276) درء تعارض العقل والنقل ((لابن تيمية (173/7)، ((القواعد الحسان)) للسعدى (ص: 130).

(277) أخرجه البخاري (3276) واللفظ له، ومسلم (134).

(278) مجموع الفتاوى لابن تيمية (432/16).

(279) نقض المنطق لابن تيمية (ص: 263)، ((القواعد المثلى)) لابن عثيمين (ص: 86).

(280) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (57/1) و (395/7).

(281) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ص: 55، 78)، ((درء تعارض العقل والنقل)) لابن تيمية (12/1، 29).

قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: 258].

فلما سوَّى الملحدُ نفسه بالله تعالى في ادِّعاء الإحياء والإماتة، طالبه إبراهيمُ بإجراء المساواة في غيرها من حقوق الرُّبوبيَّة، ومنها: التصرُّف في الكون وفي كواكبه وأجرامه، ومن ذلك أنَّ الله تعالى يُسَيِّرُ الشَّمْسَ من المشرقِ على المغربِ، فإن كان صادقًا في ادِّعاء المساواة لله تعالى في الإحياء والإماتة، فليعكسْ إذن حركةَ هذه الشَّمْسِ؛ لتسيرَ من المغربِ إلى المشرقِ، {فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}.⁽²⁸²⁾

وكذلك يقال -مثلاً- لنفاةِ بعضِ الصِّفَاتِ بقصدِ التنزيه: اطْرُدُوا حُجَّتَكُمْ وانفُوا سَائِرَ الصِّفَاتِ، بل وسائِرَ الأسماءِ، حتى صفةُ الوجودِ؛ لأنَّ المخلوقَ يتَّصفُ بها، فمن طَرَدَ منهم لم يَبْقَ عنده إلهٌ يُعْبَدُ، ولا رَبٌّ يُصَلَّى له ويُسَجَدُ، ومن فَرَّقَ؛ بَقِيَ في التناقُضِ، والمحقُّ من أثبت الصِّفَاتِ جميعًا مع نفي التَّشْبِيهِ والمماثلةِ بين الخالقِ والمخلوقِ.⁽²⁸³⁾

8- الحَيِّدَةُ عَنِ الْجَوَابِ دَلَالَةٌ عَلَى انْقِطَاعِ الْحُجَّةِ:

الحَيِّدَةُ هي: جوابُ السَّائِلِ بِغَيْرِ مَا سَأَلَ عَنْهُ، ومثالُ الحَيِّدَةِ ما ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ قَوْمِهِ فَقَالَ: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَافِيَةً * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ} [الشعراء: 70-73] فصاروا بين أمرين: أن يقولوا بالإيجابِ، وليس لهم حُجَّةٌ على ذلك إلا مجردُ الدَّعْوَى، أو يقولوا بالنَّفْيِ، فتظَهَرَ حُجَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ، فلَمَّا أدركوا أنَّ أَيًّا من الأمرين لا يَصْلُحُ جوابًا يُخْلِصُهُمْ، حادوا عن الجوابِ، ف {قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} [الشعراء: 74] ، وهذا ليس جوابًا لسؤالِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإِنَّمَا حَيِّدَةٌ وَانْقِطَاعٌ.⁽²⁸⁴⁾

(282) تفسير ابن كثير (686/1).

(283) الصواعق المرسله لابن القيم (490/2)، (تفسير ابن كثير) (686/1).

(284) الحيدة للكناني (ص: 44).

الباب الرابع: المعرّف بالإسلام (المحاورة المسلم)

ويشتمل على الفصول التالية:

- الفصل الأول: من الذي ينبغي عليه التصدر لدعوة الملاحدة؟
- الفصل الثاني: المعرف بالإسلام ومراحل كسب المهارات.
- الفصل الثالث: صفات المحاور المسلم.

الفصل الأول: مَنْ الذي يُبَغِي أن يتصدَّر لدَعْوَةِ الملاحدة؟ وَمَتَى؟

هناك بعض المهارات والنماذج الأساسية التي سنعرضها هنا، آمين في الله أن يكون لها أثرٌ وِنَفْعٌ كبير حتى لمن لم تكن لديه سابق خبرة في دعوة الملاحدة، والدَّبِّ عن حياض الإسلام، غير أنه من الضروري الإمام بالمبادئ الأساسية للإسلام قبل خوض غمار هذه الرحلة: (كالفهم الجيد لمبادئ التوحيد والشرك، وأركان الإسلام الخمسة، وأركان الإيمان الستة، إلخ).

وعموماً لا يليق بأي مسلم أو مسلمة ألا يجتهدوا في طلب العلم الشرعي، فكيف بمن يتصدر للدعوة؟! لذا عليكم أن تُحَصِّنُوا أنفسكم بمعرفة الشريعة، وأن تغرسوها في قلوبكم، مع سؤال الله الإخلاص بصدق؛ فدعوة الملاحدة تحتاجُ إلى قوَّةٍ في العقيدة، وإيمانٍ كبيرٍ بالله عز وجل، وثَقَّةٍ تامةٍ في أن كل أحكام الله كاملة لا نقص فيها. ومن الأمور التي تزيد في القلب الثبات واليقين، أنه مهما بلغ الشخص من رسوخٍ في العلمِ وذكاءٍ في العقلِ فإنه لا يستطيع أن يُثَبِّتَ شيئاً من النقص في حكمٍ من الأحكام الشرعية، حيث أن الدين الإسلامي، مُنَزَّهٌ عن كلِّ نقصٍ وعیبٍ، على عكس ما سيسمعه من الآخر، الذي سَيُلْقِي عليه الكثير من الشبهات الشيطانية، والحيل التي يمكن أن تؤثر على ضعف القلوب والعقيدة؛ ولذلك من كانت عقيدته هشة، فلا يُقْحَمَنَّ نفسه؛ لأنه ربما يتأثر بالباطل الذي قد يدخل قلبه فيفسده، ليبدأ بعدها رحلة شاقَّة من القلق والاضطراب، والصراع النفسي الذي يُفْقِدُهُ أمنهُ الرُّوحيُّ. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "القلب إذا كان فيه مرض آذاه أدنى شيء؛ من الشبهة أو الشهوة، حيث لا يقدر على دفعهما إذا وردا عليه، والقلب الصحيح القوي يطرقه أضعاف ذلك؛ وهو يدفعه بقوته وصحته".²⁸⁵

إن مرتبة الرد على المخالف مرتبة عليّة من مراتب العلم والديانة والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالتصدي للرد على أهل الباطل إنما هو وظيفة أهل العلم، ممن حقق مرتبة الرسوخ في العلم، فعرف مسائل مذهبه ووعاها - مذهب أهل الحق - ثم عرف أدلتها، ووجه دلالتها، فاطمأن قلبه إلى الحق بدليله، وفارق مرتبة أهل التقليد، وعرف أصول الاستدلال، وطرق الاستنباط وفهم الدليل، ثم تبين أقوال المذاهب المخالفة، وأثولها، وأدلتها الاعتمادية والاعتضادية، العقلية والعقلية، وعرف مداخلمهم، ثم عرف الأجوبة على تلك الأدلة من قبِلِ أهل العلم والتمكُّن، قبل أن يرجع إليهما من كتب المخالف.²⁸⁶

وأما من لم يحقق هذه الشروط، ممن ضعف علمه أو رَقَّ دينه، فالذي يجب عليه أن يفر بدينه من مواقف النزال، وميادين الجدال، وأن ينأى بنفسه عن الخوض في شبهات الخصم، فإنه لا يأمن أن تستهويه بعض مقالاتهم، وأن يزين له الشيطان بعض كلامهم، فيزيغ قلبه.

ويبقى من كان بين الحالين، فتلك مرتبة المجتهد المقيد، فمن حقق القدر الأدنى من التأصيل في العلوم الشرعية، ثم أتقن علماً من علومه، أو باباً من أبوابه، حتى عرف فيه ما عرفه المجتهد في سائر الأبواب والفنون، فهذه مرتبة الاجتهاد المقيد، فليصاحبها أن يرد على من كان مبطلاً في تلك الأبواب دون ما سواها.

وقد جاء في القرآن الكريم ذم من يجادل بغير علم، والجدل نوع من الرد، قال تعالى: {هَا أَنْتُمْ هُؤْلَاءِ حَاجَجْتُمْ

²⁸⁵ إغاثة اللهفان 1/18

²⁸⁶ انظر: شرح النووي على صحيح مسلم 300/2، مجموع الفتاوى لابن تيمية 137/28.

فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. { آل عمران: 66 وقال سبحانه: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ} الحج: 8. ولذا تتابع وصايا السلف في النهي عن تعرض غير المتمكن للرد على أهل الأهواء، ونقلت كتب العقيدة والتراجم أحوال أناس وثقوا بأنفسهم، وعلمهم فتعرضوا لجدال أهل الأهواء، فلم يلبثوا أن انساقوا إلى صفهم، وتلبسوا ببدعهم²⁸⁷، وما أكثر أمثالهم في هذه الأزمان.

بل إن تعرض هذا للرد قد يضعف جانب الحق، ويثير الشبهه على مذهب الرادّ الذي أراد أن ينافح عنه، وذلك حين يجابه الشبهه المستحكمة بردود هزيلة منتقضة، فيقوى صاحب الباطل بتلك المناظرة أو بذلك الرد الهزيل على أهل الحق.²⁸⁸

وبهذا أوصى العلماء، وبينوا أن ضعيف العلم لا يُحسن فهم دينه فأولى أن لا يقوى على الرد على غيره من أهل البدع والضلال والأهواء .

قال الشاطبي - رحمه الله - : عن ابن فروخ أنه كتب إلى مالك بن أنس: إن بلدنا كثير البدع وإنه أَلْفُ كَلَاماً في الرد عليهم فكتب إليه مالك يقول له: إن ظننت ذلك بنفسك، خفت أن تزل فتهلك، لا يرد عليهم إلا من كان ضابطاً عارفاً بما يقول لهم لا يقدرون أن يُعرجوا عليه، فهذا لا بأس به، وأما غير ذلك: فإني أخاف أن يكلمهم فيخطئ فيمضوا على خطئه، أو يظفروا منه بشيء فيطغوا ويزدادوا تمادياً على ذلك.²⁸⁹

وليس كل من كان قوي العلم، كان قادراً على دحض حجة زنديق أو ملحد أو مبتدع، ولذا لم يتصد لأولئك إلا الأذكياء الذين ينمون مهاراتهم في هذا المجال باستمرار، ومن لم يكن ذكياً قوي الحجّة ويهتم بتنمية مهاراته فإنه قد يفسد ولا يُصلح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : ليس كل من عرف الحق - إما بضرورة أو بنظر - أمكنه أن يحتج على من ينازعه بحجة تهديه أو تقطعه؛ فإن ما به يعرف الإنسان الحق نوع، وما به يعرفه به غيره نوع، وليس كل ما عرفه الإنسان أمكنه تعريف غيره به، فلهذا كان النظر أوسع من المناظرة، فكل ما يمكن المناظرة به يمكن النظر فيه، وليس كل ما يمكن النظر فيه يمكن مناظرة كل أحد به.²⁹⁰

بالإضافة إلى أن الحوار مع الملاحدة يحتاج إلى بعض الأنماط والمهارات الخاصة التي تساعد المحاور المسلم في تقوية حجته، مع سؤال الله عز وجل دائماً العون والتوفيق والسداد.

وليعلم كل من سيدخل في هذا المضمار، أنهم مقبلون على أهل شبهات، وعلى مرضى نفسيين وعبيد دنيا وشهوات، وأصحاب جفاء وجهل وعناد، ولكنهم سيجدون أيضاً أناساً أبرياء، بسطاء، منصفين يشاركون في حوار بناء يؤدي إلى هدايتهم بإذن الله.

²⁸⁷ انظر: الإبانة الكبرى ص 449، سير أعلام النبلاء 214/4.

²⁸⁸ صناعة التفكير العقدي، تكوين للدراسات والأبحاث، تحرير أ. د. سلطان العميري، صناعة الرد العقدي، أ. تميم القاضي، ص 277.

²⁸⁹ الاعتصام للشاطبي (1/ 12).

²⁹⁰ " درء تعارض العقل والنقل " (3/ 374).

ولا ريب أن الداعية المحاور كالمقاتل الذي يذهب إلى ساحة القتال، ولكن قبل أن يذهب، عليه أن يتدرب ويتعلم مهارات القتال، وأهمُّ تهيئةً له، هي التربية الإيمانية، فالله الله في أنفسكم، وعلاقتكم بالعبادة، وحرصكم الدائم على إصلاح وسلامة قلوبكم.

كما ينبغي عليكم أيضاً الاهتمام الكبير بالقرآن الكريم قراءةً وحفظاً وتدبراً حتى تتمكنوا من استحضار آياته عند الحاجة إلى الاستدلال بها في الوقت المناسب، فبآياته ستُحاجُّون أهل الباطل.

ومن كان مُتَتَرِّسًا بالعلوم الشرعية، ومُلمِّمًا بالعلوم الوضعية، وخاضعًا لأصول الحوار العلمي والمنطقي؛ فنأمل أن يكون حوارُه موفِّقًا، ذلك أنَّ الحوار السليم بين المسلمين والملاحدة لا يتأتَّى بالمجازفة دون علم، أو بإطلاق الأحكام وطرح التعميمات، وإنما بالوقوف عند مسائله، ومعرفة متطلِّباته وأصوله، وتحليل الشبه والقضايا.

متى لا نرد ومتى يكون إماتة الباطل بالسكوت عنه؟

عند النظر في مسألة الرد على الباطل أو السكوت عنه، ينبغي أن يُبنى القرار على مبدأ الموازنة بين المصلحة والمفسدة. ففي بعض الأحيان، قد يؤدي الرد إلى نشر الباطل أكثر مما كان معروفًا، مما يجعله موضوعًا للنقاش ويمنحه زخمًا إعلاميًا، في هذه الحالة يكون من الأفضل السكوت وترك الرد. بالتالي، ليس كل من يخالف الحق يستحق الرد، بل ينبغي التأنى والنظر في عواقب التصدي له.

أما إذا كان السكوت سيؤدي إلى مفسدة أكبر، كزيادة تأثير الباطل على المجتمع أو تضليل العقول، فهنا يكون الرد واجبًا، والتصدي للباطل ضروريًا لتوضيح الحق ودحض الشبهات. فالحكمة تكمن في اختيار الوقت المناسب للرد أو السكوت بما يحقق مصلحة الدين والمجتمع ويقلل من الأضرار المحتملة.

فإذا تعارضت مفسدة ومصلحة، فدفع المفسدة مقدم في الغالب، إلا أن تكون المفسدة مغلوبة؛ وذلك لأن اعتناء الشرع بترك المنهيات أشد من اعتنائه بفعل المأمورات، لما يترتب على المناهي من الضرر المنافي لحكمة الشارع في النهي.²⁹¹

حكم الرد على الباطل:

إذا كان الشخص على علمٍ ويملك القدرة على تفنيد شبهات الملاحدة أو الرد على مسائل قد انتشرت بين الناس وأساءت للإسلام، فإن الواجب عليه يصبح متعينًا للرد والتوضيح، خاصة إذا لم يتصد لهذا الواجب شخص آخر. فلا يجوز للمسلم الذي يمتلك الحجج والبرهان أن يقف مكتوف الأيدي ولا يرد على تلك الشبهات، لأن في ذلك تقصيرًا في إظهار الحق وتبيانه. فكل من يملك العلم والدليل عليه مسؤولية شرعية في مواجهة هذه التحديات، ما لم يقيم بها غيره بالقدر الكافي. وقرر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن الرد على أهل الباطل فرض كفاية على الأمة اتفاقًا فقال: "وَمِثْلُ أُنْمَةِ الْبِدْعِ مِنْ أَهْلِ الْمُخَالَاتِ الْمُخَالَفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ الْعِبَادَاتِ الْمُخَالَفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّ بَيَانَ حَالِهِمْ وَتَحْذِيرَ الْأُمَّةِ مِنْهُمْ وَاجِبٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى قِيلَ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَعْتَكِفُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَوْ يَتَكَلَّمُ فِي أَهْلِ الْبِدْعِ؟ فَقَالَ: إِذَا قَامَ وَصَلَّى وَاعْتَكَفَ فَإِنَّمَا هُوَ لِنَفْسِهِ

²⁹¹ انظر: كتاب الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية - القاعدة السادسة قاعدة درء المفسد أولى من جلب

وَإِذَا تَكَلَّمَ فِي أَهْلِ الْبِدْعِ فَإِنَّمَا هُوَ لِلْمُسْلِمِينَ هَذَا أَفْضَلُ. فَبَيَّنَ أَنَّ نَفْعَ هَذَا عَامٌّ لِلْمُسْلِمِينَ فِي دِينِهِمْ مِنْ جِنْسِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ إِذْ تَطْهَرُ سَبِيلُ اللَّهِ وَدِينُهُ وَمَنْهَاجُهُ وَشَرْعَتُهُ وَدَفْعُ بَغْيِ هَؤُلَاءِ وَعُدْوَانِهِمْ عَلَى ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَى الْكِفَايَةِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ وَلَوْلَا مَنْ يُقِيمُهُ اللَّهُ لِدَفْعِ ضَرَرِ هَؤُلَاءِ لَفَسَدَ الدِّينُ وَكَانَ فَسَادُهُ أَعْظَمَ مِنْ فَسَادِ اسْتِيْلَاءِ الْعَدُوِّ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ إِذَا اسْتَوْلَوْا لَمْ يُفْسِدُوا الْقُلُوبَ وَمَا فِيهَا مِنَ الدِّينِ إِلَّا تَبَعًا وَمَا أَوْلَيْكَ فَهُمْ يُفْسِدُونَ الْقُلُوبَ ابْتِدَاءً.

الفصل الثاني: المُعرِّفُ بالإسلام، وَمَراحِلُ كَسْبِ مَهَارَاتِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ

المعرِّف بالإسلام: هو، "كل من تتوفر فيه عوامل التأهيل والتكليف الشرعي، والقائم على إيصال دين الإسلام إلى الناس كافة، سواء كان شخصًا حقيقيًا أو اعتباريًا، وفق منهج الدعوة القويم".⁽²⁹²⁾

مراحل كسب مهارات الدعوة:

إنَّ الدعوة إلى الله تمر بمراحلٍ مهمةٍ، كُلُّ مرحلةٍ منها، فيها قضايا لا بد أن نسعى بكل الطرق إلى تفعيلها، وخصوصًا في هذا العصر الذي يحتاج الناس فيه إلى الإقناع، كما أن الدعاة أنفسهم يمرون أيضًا بمراحلٍ مهمةٍ؛ لكسب مهارات الدعوة إلى الله عز وجل، كُلُّ مرحلةٍ تحتاج إلى خبرة وممارسة ودرية، وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى: مرحلة الانتساب للإسلام.

المرحلة الثانية: مرحلة حمل الإسلام، أي تعلمها والعمل بها.

المرحلة الثالثة: مرحلة نقل الإسلام، أي التعريف به.

المرحلة الرابعة: مرحلة الإقناع بالإسلام.

المرحلة الخامسة: مرحلة رد الشبهات عن الإسلام والمشاركة في المناظرات.

فليس كل منتسب للإسلام يحمل علمًا وعملاً، وليس كل من يحمل علمًا وعملاً يستطيع الدعوة إليه، وليس كل داعية لديه قدرة على الإقناع بالإسلام، وليس كل من يقنع بالإسلام يستطيع أن يردَّ الشبهة التي تردُّ عن الإسلام أو يدخل في مناظرات.

فمرحلة الإقناع، ورد الشبهات لا يستطيع أن يقوم بها إلا المُعرِّفُ بالإسلام، وعلى ذلك فكل معرف داعية وليس كل داعية معرِّفًا.⁽²⁹³⁾

وعلى الدعاة أن يمروا في كل هذه المراحل والبعض منهم سيصلوا إلى مستوى المشاركة في المناظرات.

(292) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية أ.د. عبدالرحيم المغنوي 2 / 485.

(293) التعريف بالإسلام، الدكتور عبد الله الغامدي، ص 53، دار القبس 1439 هـ، بتصرف.

الفصل الثالث: صفات المحاور المسلم

تعلمنا في مادة "أخلاق وصفات الدعاة" كل ما يحتاجه الداعي والمُعَرِّفُ بالإسلام من آداب وسلوكيات وقيم. وهنا سنذكر باختصار أهم ما يستلزم الحوار؛ لأننا أحقُّ بالأسلوب الراقي من غيرنا وأولى باختيار كلماتنا بعناية؛ ولذلك يجب على الداعي إلى الله الذي يتصدى للدعوة، ويحمل لواء الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أن يحمل من الصفات ما يجعله نموذجًا عمليًا، وقدوة حسنة في دعوته، ومن هذه الصفات:

1- الإخلاص:

أن يكون القصد والإرادة في العمل هو وجه الله عز وجل وحده..
أما أن يكون القصد إرادة الدنيا بعمل الآخرة فهي ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض؛ لأن ذلك ينافي كمال التوحيد، ويحبط العمل؛ قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود: 15، 16].
ولن يكون الداعية مقبول النصيحة إلا إذا كان خالي الوفاض من الأغراض الدنيوية وإلا فلن يجد لدعوته أثرًا في قلوب الناس؛ وكان عند الله مذمومًا، قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} [الشورى: 20]، ولا شك أن الإخلاص في الدعوة وللدعوة من أقوى أسباب التفاف الناس حول الداعية، فمن يؤمن بقضية ويحاول إيصالها للناس بكل جوارحه، تشعر أن كلامه يخرج من قلبه ليصل مباشرة وبسلاسة إلى قلوب الناس.

وأكد على هذا المعنى الشيخ ابن باز - رحمه الله - قائلاً: "هو من أعظم الصفات التي تجب على الدعاة، فيريدوا بدعوتهم وجه الله والدار الآخرة، ويريدوا إصلاح الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور".⁽²⁹⁴⁾

2- الحذر من الرياء والتفاخر والمباهاة:

قد يوفقك الله في دعوتك، عندئذٍ تحتاج إلى مزيد من الإخلاص والحذر من الرياء، لهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ يُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وَجْهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ جَهَنَّمَ"²⁹⁵، أي: من تعلّمه من أجل المباهاة والمباهاة أمام العلماء، وهذا عكس المطلوب من المرء؛ بأن يعرف للعلماء حقهم وتقديرهم واحترامهم، "أو يُمارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ" المُمَارَاةُ: المُجَادَلَةُ والمُحَاجَّةُ، أي: لكي يُجَادِلَهُمْ وَيُخَاصِمَهُمْ، "أو يَصْرِفَ بِهِ وَجْهَ النَّاسِ إِلَيْهِ"، أي: لِيَلْفِتَ أَنْظَارَ النَّاسِ إِلَيْهِ بِقَصْدٍ أَنْ يُشَارَ إِلَيْهِ بِالْعِلْمِ، فَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ وَهُوَ يَقْصِدُ أَحَدَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، "أَدْخَلَهُ اللَّهُ جَهَنَّمَ"؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُخْلِصْ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ خَالِصًا لَوْجِهِ اللَّهُ تَعَالَى، وَهَذَا مِنَ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ-: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ"، فليكن قصد طالب العلم رفع الجهل عن نفسه، وتعليم الناس ودعوتهم إلى الله، وفي رواية أبي داود وابن ماجه: "لم يجد عرف الجنة يوم القيامة"، أي: لم يجد ريحها.

وفي الحديث: الحثُّ على إخلاص النية لله في طلب العلم وأنَّ التفاخرَ والمباهاةَ بالعلم في غير موضعه من أسباب دخول النار، والعيادُ بالله.

(294) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز 349/1، و4/229.

²⁹⁵ أخرجه أبو داود (3664)، وأحمد (8457) بمعناه، وابن ماجه (260) باختلاف يسير.

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ وَالذَّبَّ عَنِ حَيَاضِ الْإِسْلَامِ شَرَفٌ عَظِيمٌ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ إِقَامَةِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، إِلَّا أَنَّهُ يَنْبَغِي عَلَى مَنْ سَعَى فِي تَحْصِيلِهِ أَنْ يَتَّبِعِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْ يَبْتَعِدَ عَنِ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ وَمُبَاهَاةِ النَّاسِ.

3- الاستمرار في تعلم العلم الشرعي:

يعد مبدأ الثبات والمواظبة على طلب العلم، والتزود منه من صفات الداعية الكفاء الناجح؛ لأنَّ سَلَّمَ التعلُّم لا منتهى له، فلا يحد بمرحلة دراسية، ولا بشهادة علمية، ولا بسنوات عمرية. وأمد التعلُّم لا ينقطع ولا ينقضي، إنما هو من حصول الآلة من التمييز إلى الوفاة، قال تعال: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [سورة الحجر: 99].

والعلم الشرعي المورث للخشية، من أعظم ما يُتعبد به الرب جل وعلا، وهو من أعظم المقومات للداعية الناجح، وركن من أركان الحكمة، ولهذا أمر الله به، وأوجبه قبل القول والعمل، فقال تعال: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} [سورة محمد: 19]

قد بَوَّبَ الإمام البخاري رحمه الله تعالٍ لهذه الآية بقوله: "باب: العلم قبل القول والعمل".⁽²⁹⁶⁾

وذلك أن الله أمر نبيه بأمرين: بالعلم، ثم العمل، والمبدوء به العلم في قوله تعالٍ: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}، ثم أعقبه بالعمل في قوله: {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ}، فدلَّ ذلك على أن مرتبة العلم مُقدَّمة على مرتبة العمل، وأن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو مقدم عليهما؛ لأنه مصحح للنية المصححة للعمل.⁽²⁹⁷⁾

"والعلم هو ما قام عليه الدليل، والنافع منه: ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم".⁽²⁹⁸⁾

ولا يكون الداعية إلى الله مستقيمًا حكيماً إلا بالعلم الشرعي، وإن لم يصحب الداعية من أول قدم يضعه في الطريق إلى آخر قدم ينتهي إليه، فسلوكه على غير طريق، وهو مقطوع عليه طريق الوصول، ومسدود عليه سبيل الهدى والفلاح، وهذا إجماع من العارفين. ولا شك أنه لا ينهى عن العلم إلا قُطَّاع الطريق، ونوَاب إبليس وَشُرَطُه.⁽²⁹⁹⁾

4- الأمانة:

الأمانة كلمة تعجز الأقلام مهما كثرت عن أداء حقها كاملاً، وإنما تستطيع أن تقتبس من مشكاة معانيها أموراً لا تُحد ولا تُعد، فهي أحد الأعمدة الرئيسة للنظام الأخلاقي الإسلامي، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم خير من تحلَّى به قبل البعثة وبعدها، وحثَّ الناس عليه حتى أنه جعل اختلال هذه الصفة في المرء وتحوُّلها إلى خيانة خصلةً من النفاق، ولأهميتها ربط النبي صلى الله عليه وسلم بينها وبين الإيمان، وكان كثيراً ما يعلن عن ذلك في خطبه، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: "قَلَّمَا خَطَبْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَالَ: "لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ".⁽³⁰⁰⁾

ولا يقتصر مفهوم الأمانة على حفظ شيء ما استودعه صاحبه عند شخص آخر، بل هي أشمل من ذلك بكثير، وهي أوسع من أن تكون محصورة في معنى واحد بمدلوله اللغوي والذي هو ضد الخيانة...

(296) البخاري، كتاب العلم، باب: العلم قبل القول والعمل، قبل الحديث رقم 68

(297) انظر: فتح الباري 1/160، وحاشية ثلاثة الأصول لمحمد بن عبد الوهاب، جمع عبد الرحمن بن قاسم الحنبلي، ص 15

(298) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 13/136، 6/388

(299) انظر: مدارج السالكين للإمام ابن القيم، 2/464

(300) مسند أحمد وقال محققوه حديث حسن

والأمانة صفة واجبة على كل مسلم، وهي على الداعية أوجب، حيث "يشعر بأن كل شيء في يديه أمانةٌ سيحاسب عليها أمام الله - عز وجل - فالجسم والوقت والفرغ والكلمات والدعوة نفسها والناس الذين يعلمهم أو يدعوهم... كل ذلك أمانات لا بد من المحافظة عليها".⁽³⁰¹⁾

تصور لو تُعطى مهامًا وأنت لم تؤدّها بإتقان، وقد اتفقت مع صاحب العمل على ثماني ساعات يوميًا مقابل الراتب الذي تأخذه ثم تأتي وتنقض هذا الاتفاق ولا تعمل سوى أربع ساعات فقط، فأنت بهذا خائن، مضيع للأمانة، وتحتاج إلى وقفة محاسبة مع النفس قبل أن تحاسب أمام الله عز وجل، حتى وإن كنت تعمل تطوعًا بلا مقابل مادي، طالما اتفقت على شيء فالزّمه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "المسلمون على شروطهم"⁽³⁰²⁾، أي: ثابتون على الشروط الجائزة شرعًا التي تَقَعُ بينهم؛ فيؤفون بها ولا يرجعون عنها؛ لأنّ هذا من الوفاء بالعُقود الذي أمر الله به.

5- حسن ولين الكلام:

الداعية إلى الله عليه أن يرفق في دعوته، فيشفق على النَّاس ولا يشق عليهم، ولا ينفّرهم من الدين بأسلوبٍ غليظ، فأولى النَّاس بالتَّخَلُّق بخلق الرفق الدعاة إلى الله قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: 125].

فيدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، ويتلطّف مع العاصي بكلام لين وبرفق، ولا يعين الشيطان عليه، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إذا رأيتم أحاكم قارف ذنبًا، فلا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه، تقولوا: اللهم أخزه، اللهم العنه، ولكن سلوا الله العافية، فإننا- أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم- كُنَّا لا نقول في أحد شيئًا حتى نعلم علام يموت؟ فإن حُتم له بخير علمنا أن قد أصاب خيرًا، وإن حُتم بشرٍّ خفنا عليه).³⁰³

ككيف بأخيك المسلم؟!

وقد قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: 159].

وقال سبحانه: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} [العنكبوت: 46] - قال ابن فورك في تفسيره: "استثنى الذين ظلموا منهم - وجميعهم ظالم - لأن المراد إلا الذين ظلموكم في جدالهم، أو غيره مما يقتضي الإغلاظ لهم، وبهذا يسع الإنسان أن يغلظ على غيره، وإلا فالداعي إلى الحق يجب أن يستعمل الرفق في أمره".

6- الصدق: (كن صادقاً مع الناس وإياك والكذب).

أول ما يتبادر من كلمة الصدق، هو الصدق في اللسان، ولكن الواقع أن الصدق يكون في القلب قبل أن يكون في اللسان، ولذلك يقول الله جل وعلا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119] فحقيقة الصدق هي الإخلاص التام في القلب، ومنه يفيض الصدق على الجوارح كلها، فتكون أقوال الإنسان وأفعاله كلها

(301) الخلاصة في فقه الدعوة - المجلد 1- الصفحة 66

(302) الراوي: أبو هريرة. أخرجه أبو داود (3594)

³⁰³ رواه الطبراني في ((المعجم الكبير)) (٩ / ١١٠) (٨٥٧٤)، وابن المبارك في ((الزهد)) (١ / ٣١٣) (٨٩٦)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٤ / ٢٠٥)، والبعوي في ((شرح السنة)) (١٣ / ١٣٧). قال الهيثمي في ((المجمع)) (٦ / ٢٥٠): رجاله ثقات، إلا أن عبيدة لم يسمع من أبيه.

تنطق بالصدق.

أمر الإسلام بالصدقِ وَحَثَّ عليه في كُلِّ المعاملاتِ التي يقومُ بها المسلمُ، والأدلةُ كثيرةٌ من القرآنِ الكريمِ على هذا الخُلُقِ النَّبِيلِ:

قال اللهُ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119] أي: اصدُقوا والزموا الصدقَ تكونوا مع أهله، وتنجوا من المهالكِ، ويجعلُ لكم فرجًا من أموركم ومخرجًا.

ووصفَ اللهُ به نفسه فقال: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} [النساء: 87]، وقال: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} [النساء: 122] أي: لا أحدَ أصدقُ منه في حديثه وخبره، ووَعِدَهُ ووَعِيدَهُ سُبْحَانَهُ؛ فحديثه وأخباره وأقواله في أعلى مراتبِ الصدقِ، فليس في كلامِ اللهِ سُبْحَانَهُ وتعالى شيءٌ من الكذبِ إطلاقًا.

ولا شك أن للصدق أثره البالغ في مسيرة الداعية، فصدق كلامه وسمته وحرارة عاطفته يؤثر في المدعوين ويترك فيهم انطباعًا عميقًا بمصداقية الفكرة التي يدعو إليها ويؤمن بها، وللصدق أثره الحميد في التآلف وتقارب القلوب على عكس الكذب الذي يغرس الضغينة ويورث الريبة بفعل التلؤن الذي يتصف به الكاذب، ومتى تآلفت القلوب وتصافت واجتمعت على محبة الله سرت الدعوة في المجتمع سريان الماء في الزرع، فأمدته بالحياة ونما في المجتمع الإيمان واستوثقت عراه وارتفعت أعلامه.⁽³⁰⁴⁾

وللأسف كثير من الدعاة إلى الله عز وجل وطلاب العلم، توسعوا في مسألة التأويل في العبارات والأقوال، واتخاذ ما يسمونه بالمدارة والتورية وغيرها، حتى وقع الناس منهم في الإيهام والإيهام، وصار الناس لا يثقون لهم بقول ولا كلام.

أحيانًا الداعية لا يكذب كذبًا صريحًا يؤخذ عليه لكن يستخدم التورية والتأويل، لكن الناس من كثرة ما استخدم هذا الإنسان التورية والتأويل؛ صاروا لا يثقون فيه لأنهم اكتشفوا أنه لا يعطي الحقيقة.⁽³⁰⁵⁾ ولذلك فإن الصدق يزرع في النفوس الثقة والطمأنينة والراحة والأنس، ومتى وثق الناس في الدعي لصدقه فتحوا له القلوب فاستمعوا إليه إذا تحدث وقبلوا إرشاده وتوجيهه إذا وجه وأرشد وبين وتوجهوا إليه يسألون ويستفتون.. وحصل التواصل بينه وبينهم وهي نعمة لا تقدر بثمن ولا تحصل إلى بفضل الله ثم بفضل الصدق، ونقاء الصفحة، وخلو السيرة من مسيرة الأعمال والأخلاق.⁽³⁰⁶⁾

7- خلق الاعتذار:

"كُلُّ ابنِ آدمَ خَطَّاءٌ، وخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ"⁽³⁰⁷⁾.

حقيقة أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس عيبًا أن يُخْطِئَ الإنسانُ أو يُذنبَ فهو مجبول بطبعه على ذلك، ولا يمكن أن يسلم إنسان من الوقوع في الخطأ إلا الأنبياء والرسل لعصمتهم، ولكن المعضلة تكمن في الإصرار على الخطأ وعدم الاعتراف به أو التراجع عنه.

(304) مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة. الشيخ سعيد بن علي الفحطاني

(305) صفات الداعية، سلمان العودة.

(306) انظر أصول الدعوة وطرقها للدكتور عبد الرب بن نواب، 2/ 128

(307) حديث صحيح / أخرجه الترمذي (2499)، وأحمد (13049)

وحقيقة أن هذا الخلق النبيل هو خلق الأنبياء يوضحها لنا القرآن بمثال عملي حينما قص علينا قصة الأيوين آدم وحواء في الجنة لتتعلّم منهما فقه الاعتذار ومرامعة الشيطان حينما اعترف بما اقترفا من انجرائهم وراء إبليس، لم يتبجحا ولم يستكبرا {قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف 23]. لقد كان الاعتراف بالذنب صريحًا واضحًا، فحين شعر بنيران الذنب بين جنبيه، انبعثت إرادته للنهوض وتدارك رحمة الله؛ فاعترف به وندم عليه وطلب الصفح من الله، فكان الفرق بين أبينا آدم النبيل المتواضع، وإبليس المراوغ الصفيق المتكبر.

ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أخوف الناس لربه وأخشاهم له، وأحرصهم على أن يلقى الله عز وجل، وليس لأحد عنده مظلمة له وهذا أمر واضح وجلي لمن تأمل أحواله ومواقفه في سيرته صلى الله عليه وسلم، روى ابن هشام وابن كثير وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدلٌ صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح (سهم) يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار وهو مُسْتَتِلٌ (متقدم) من الصف، فطعن في بطنه بالقدح، وقال: استوي يا سواد، فقال: يا رسول الله! أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقذني (مكّي من القصاص لنفسي) ...

فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه فقال: "استقد" (أي: اقتص)، قال: فاعتنقه، فقبّل بطنه، فقال صلى الله عليه وسلم: "ما حملك على هذا يا سواد؟" قال: يا رسول الله! حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير، مع أنه صلوات الله وسلامه عليه لم يكن يقصد إيذاءه وإيجاعه، ليضرب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً رائعاً للعدل والقود من النفس.

ولا شك أن الفرد يحب احترام ذاته، وحين يخطئ يظن أن اعترافه بالذنب إهانة للذات، فيجادل بالباطل لإبعاد النقص عن نفسه وهذا من مخادعات النفس وحيلها وبالتالي فإن اعترافك بالخطأ يعد مؤشراً من مؤشرات تقديرك لذاتك وليس العكس، فالاعتراف بالاقتراف طبيعة الأشراف، وهي صفة كمال لا صفة نقص كما يظن البعض لأنها من صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن أي صفة يتسم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي صفة كمال. (308)

8- الثبات وسؤال الله الثبات: (309)

إن نعمة الإسلام والثبات عليها نعمة عظيمة؛ حيث إنها قضية مصيرية عليها المآل في الآخرة، وعليها الاطمئنان والسكينة في الدنيا، ولما كانت الفتن تموج موج البحر، والقلب يتقلب كالقدر إذا استجمعت غلياناً، وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، فإن الإنسان عندما يتأمل تلك الأحوال وأمثالها، فإنه يخاف من الزيع والضلال، ويسأل الله تبارك وتعالى الثبات ونقول ذلك لأن القضية ليست دنيوية فقط وتنتهي بموت الإنسان؛ وإنما هي مصيرية في الآخرة في جنة أو نار لا ثالث لهما، ففريق في الجنة وفريق في السعير.

(308) بتصرف من: مهارات كسب القلوب، جوتيار بامرني ص18

(309) المصدر/بتصرف: الثبات على الحق في ضوء القرآن والسنة / عبد العزيز بن عبد الله الخضير.

9- تحمل المسؤولية:

إن الناظر في حقيقة الدعوة والحضارة الإسلامية يجدها قائمة على أساس الشعور بالمسؤولية، فالإسلام هو دين تحمل المسؤولية، ودين التحدي وتفجير الطاقات، إنه الدين الذي يجعل الإنسان يعيش ويحيا في سبيل الله، ويدفعه إلى أن ينصر الدين بماله ونفسه وجهده ووقته ودمه.

إن الشعور بالمسؤولية والقيام بها وأدائها على أكمل وجه يجب أن يصبح في حياتنا خلقًا وسلوكًا وضرورة تُمارسُ في واقع الحياة حتى لا يحدث التساهل في الواجبات، وحتى لا تضيع الحقوق، وحتى تُنجَز الأعمال وتُنَجَّح المشروعات وتُسود الأخلاق وقيم الخير في المجتمع.

هذا الشعور هو مفتاح الأعمال الكبيرة التي تُغيِّر الواقع إلى ما يُرضي الله، والذي لا يكون إلا بتضافر جهود المسلمين وتعاونهم وتناصحهم وتواصيهم بالحق وأمرهم بالمعروف ونهيمهم عن المنكر، وحينئذ تسعد البشرية بشرع الله، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد:11].

10- الإيجابية والتفاؤل:

لماذا يجب أن يكون التفاؤل من صفات الداعية إلى الله؟

لأن المتفائل يرى النور في نهاية النفق حتى وإن كان النفق مُتَشَحُّ بالسواد، أما المتشائم فلا يرى ذلك النور البتة. إن إشاعة أجواء التشاؤم بين المسلمين ليس من الدين في شيء، يأتي أحدهم ويقول: "لا توجد أسباب تدعونا للتفاؤل! الواقع مظلم!".

إن مثل هذا الكلام مخالف لما جاء في نصوص القرآن والسنة والتي تثبت أن المستقبل للإسلام، الله عز وجل يقول في محكم آياته: {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۗ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [آل عمران:140].

ما يحدث للمسلمين الآن من ذل وهزائم لعله رحمة من الله عز وجل بهم حتى يعودوا إلى دينهم وإلا لو بقوا في انتصارات مع تراجعهم عن الإسلام كيف سيدركون أنهم على خطأ وأنهم بحاجة إلى توبة وأوبة إلى الله عز وجل؟ نحن إذا تطرقنا للأشياء السلبية باستمرار سيشتيع بين الناس اليأس والقنوط، قال الله عز في علاه على لسان إبراهيم عليه السلام {قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ} [سورة الحجر: 56]، "وهنا دفع إبراهيم عليه السلام عن نفسه رذيلة اليأس من رحمة الله، فقال على سبيل الإنكار والنفي {وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ} أي: أنا ليس بي قنوط أو يأس من رحمة الله، لأنه لا ييأس من رحمة الله تبارك وتعالى إلا القوم الضالون عن طريق الحق والصواب، الذين لا يعرفون سعة رحمته تبارك وتعالى ونفاذ قدرته، ولكن هذه البشارة العظيمة- مع تقدم سني وسن زوجي- هي التي جعلتني- من شدة الفرح والسرور- أعجب من كمال قدرة الله تبارك وتعالى، ومن جزيل عطائه، ومن سابغ مننه، حيث رزقني الولد في هذه السن التي جرت العادة بأن لا يكون معها إنجاب أو ولادة". (310)

وقال الله عز وجل في ذم من يشيع الخوف بين الناس: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّاعُوا بِهِ ۗ وَوَرَدُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا}، أي: "وإذا جاء هؤلاء الذين لم يستقر الإيمان في قلوبهم أمرٌ يجب كتمانته متعلقًا بالأمن الذي يعود خيره على

(310) التفسير الوسيط لأية 56 من سورة الحجر.

الإسلام والمسلمين، أو بالخوف الذي يلقي في قلوبهم عدم الاطمئنان، أفسوه وأذاعوا به في الناس، ولو ردَّ هؤلاء ما جاءهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أهل العلم والفقهِ لَعَلِمَ حقيقة معناه أهل الاستنباط منهم. ولولا أن تَفَضَّلَ اللهُ عليكم ورحمكم لاتبعتم الشيطان ووساوسه إلا قليلاً منكم" (311).

والأمر ينطبق على من يبث التشاؤم في نفوس المسلمين، ولا شك أن هذا من عمل الشيطان.

لذلك علينا أن نعود مرة أخرى ونرفع لواء الإيجابية والفأل، فإذا وجدت الناس متقاعسون عن الصدقة بث فيهم الروح التي تشجعهم على البذل، وإذا وجدت سنة ميتة عندهم اعمل على إحيائها في نفوسهم ولتكن البداية من عندك أنت ليقندي بك الآخرون.. ابدأ بمشروع دعوي وليكن موقعاً إسلامياً وستجد من يقندي بك.. قم بتفعيل نشاط في المسجد أو بتطوير حلقة من حلقات التحفيظ ستجد كم لهذا من أثرٍ ملموسٍ في النفوس.. ابحث عن مشروع يسد فاقة لدى المسلمين، هناك أناس عقولهم مُتَقَدَّةٌ وأذهانهم حادة تفتق عن أفكار لكنها بحاجة إلى من يبحث عنها ويجعلها واقعاً يتحقق، كن أنت من يأخذ ذمام المبادرة فتحوّل تلك الأفكار لنور يَشِعُّ بهاءً بين المسلمين.

11- الإتيان:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ" (312).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما إن هذا لا ينفع الميت ولا يضره، ولكن الله يحب من العامل إذا عمل أن يحسن". (313)

انظروا لهذا التوجيه النبوي الكريم بإتيان العمل حتى في تسوية القبر الذي لا ينفع الميت بشيء، ولكنه التوجيه التربوي الذي لا بد أن نجعله نصب أعيننا في كل عملٍ نقوم أو نكلف به.

- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا، وكذا، ولكن قل: قَدَّرَ اللهُ وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان". (314)

وهذا الحديث الشريف يؤكد على ارتباط القوة بالإيمان في كل ما ينفع، مع الأخذ بالأسباب المشروعة، وعدم التكاسل، وحسن التوكل، والاستعانة بالله تعالى، وهذه كلها من آليات، وأسس إتقان العمل.

ولذا حثنا النبي صلى الله عليه وسلم على الإتيان في جميع العبادات، فعلى سبيل المثال: رَغَبْنَا فِي إِتْقَانِ الْوُضُوءِ، حَتَّى فِي الْمَكَارِهِ، كَالْبُرْدِ الَّذِي تَوْجَدُ فِيهِ الْمَشَقَّةُ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلَا أَدْلِكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطِيَاةَ، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتَ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ". (315)

وحذّر صلى الله عليه وسلم من الإخلال ولو بركن واحد من أركان الوضوء، عن عبد الله بن عمرو قال: "رجعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، حتى إذا كنا بماءٍ بالطريق تعجّل قومٌ عند العصر، فتوضّؤوا وهم عجالٌ،

(311) التفسير الميسر.

(312) الراوي: عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها/ صحيح الجامع الصفحة أو الرقم: 1880.

(313) رواه البيهقي في السنن، وقال الألباني: حسن في صحيح الجامع الصغير.

(314) صحيح مسلم 79

(315) رواه مسلم 251.

فانتبهنا إليهم وأعقابهم تلوح لم يمسه الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ويلٌ للأعقاب من النار؛ أسبعوا الوضوء".⁽³¹⁶⁾

وهذا يلفت عناية المسلم إلى الحرص على الإتيان، وأنه في غاية الأهمية، وكذلك الأمر بالنسبة للصلاة، فنجد أنه يأمر ذلك الأعرابي أن يُعيد الصلاة ثلاث مرات؛ لأنه لم يتقن أداءها، فكان يقول له: "ارجع فصلّ، فإنك لم تُصلّ".⁽³¹⁷⁾

وكذلك قلّ في الحج، فلا بد أن يكون خاليًا من الرفث والجدال والفسوق؛ ليكون حجًا مبرورًا؛ قال سبحانه: {الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ مِّنْ فَرَضٍ فِيهِنَّ الْحُجُّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ} [البقرة: 197]، وقال صلى الله عليه وسلم: "من أتى هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كما ولدته أمه".⁽³¹⁸⁾ وهكذا نحن مطالبون بالإتيان في سائر العبادات، وكذلك في المعاملات الدنيوية، فحري بالمسلم أن يكون أكثر الناس حرصًا على الإتيان في وظيفته، أو مهنته وأن يكون قدوة لغيره في ذلك، وهذا في كل وقت؛ لأنه يعلم أن الله مطلع عليه ومجازيه على عمله.

ولا شك أن ترك الإتيان جر على الناس الويلات، وعرض حياتهم للخطر، انظر كم خسر العالم من أرواح بسبب الصناعات الرديئة أو بسبب الأبنية غير المتقنة والتي تهدمت على رؤوس قاطننها وأودت بحياتهم!

12- قوة العزيمة، وعلو الهمة:

من أقوى أسباب نجاح الداعية أن يكون من أولى صفاته: الهمة العالية، وعدم اليأس، وعدم الاستسلام، فتجده حريصًا أشد ما يكون الحرص على خدمة الدعوة وأهدافها فإن تحقق ما كان يندشُد إليه فهذه منة من الله عز وجل وإن غلبته الأمور وتعسرت عليه الأحوال - بعد أخذه بكافة الأسباب - استسلم لله ورضى بقضائه، فلا يقنط من رحمة الله ولا ييأس حتى لا يدع للشيطان عليه سبيلاً يدخل إليه منه فيضعف عزمته ويحط من همته وهو ما يريده هو وحزبه أعاذنا الله منهم، وبناء على ذلك من كانت همته متدنية، وعرف من نفسه أنه سريع اليأس والإحباط فعليه أن يتوارى عن طريق الدعوة لأنه لا يصلح لها؛ ولذلك انظر يا أخي يا من تعمل في مجال الدعوة: من أي الفريقين أنت؟

الفريق الأول: من يُصيبه يأسٌ وقنوطٌ وفتورٌ، فتنهار قواه ويحزن، فهذا النوع من أصحاب الهمم الضعيفة، وال فشل دائماً حليفهم.

والفريق الثاني: من إذا أصابه فشلٌ في بادئ الأمر أعاد الكرّة مرّةً بل مرات، وزاده هذا الفشل قوةً وإصراراً على مواصلة الطريق، يتجاوز كل العثرات، ويحطم كل العقبات بكل صبر وعزيمة؛ وهؤلاء أصحاب الهمم العالية التي تحتاج إليهم الدعوة.

- تأمل الآية الكريمة: {وَكَفَىٰ بَرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا} [الفرقان: 31]، الآية تقول لك: النصر حليفك مادام الله معك، فهو هاديك وناصرك، فليَم الحزن والضجر! ولم البرود والكسل! إياك وداء العجز فإنه مهلكة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز"، وكان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من العجز والكسل.

- وانظر كيف شَنَّع الله على الذين رغبوا في الدنيا وهَرَجَها وأعرضوا عن الآخرة ونعيمها، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا

(316) رواه البخاري 60، ومسلم 241.

(317) رواه البخاري 757، رواه مسلم 397.

(318) رواه البخاري 1521، رواه مسلم 1351.

لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ} [التوبة:38]

فعالي الهمة لا يقبل أن تموت حسناته بموته. (319)

13- النظافة وحسن المظهر:

إن عناية الداعية بمظهره الخارجي ولباسه ونظافته أمر مهم للغاية؛ لما لها من دور مهم في جذب الناس نحوه والتفافهم حوله وتأثيره فيهم، ولقد أمرنا الله عز وجل بهذا في محكم آياته: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف: 31]، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: 222]، فالإسلام أباح للمسلم أن يظهر أمام الناس بمظهر لائق كريم، والداعي إلى الله تعالى أولى بذلك؛ لأنه قدوة يعرف الناس من خلالها أن التدين والالتزام لا يتعارض البتة مع النظافة وأناقة المظهر.

والصحابه رضوان الله عليهم لما حدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قائلين: يا رسول الله، إن الرجل يحب أن يكون نعله حسنًا، وثوبه حسنًا؛ - هم قالوا ذلك مخافة أن يكون هذا من الكبر - فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ" (320)، أي: يحب التجميل، ولم ينكر عليهم أن يحبوا أن تكون ثيابهم حسنة، ونعالهم حسنة.

ولذلك لا ينبغي على الداعية أن يكون رمزًا للإهمال والفضوى في مظهره الخارجي؛ فليس كل الناس تستقي الدعوة من قوله فقط، هناك من يستقيها من هيئته ومظهره؛ وبناء على ذلك فإن حسن الهيئة والاهتمام بالأناقة الشخصية طريق إلى قبول قوله ودعوته، وهذا قد يجيبك على سؤال استشكل على البعض، ألا وهو: لماذا قد تجد بعض الدعاة المشهورين مؤثرين في فئة معينة من الناس- وهم المتدينون- ولا يصلون بسهولة لغيرهم من الشباب؟ وفي المقابل لماذا نجد غيرهم يصل للشباب بسهولة، ويؤثر فيهم تأثيرًا كبيرًا، رغم أن البعض منهم ليس لديه العلم الكافي أو المنهج الصحيح؟ قد تكون الإجابة في المقام الأول بسبب انجذابهم لأناقته وطريقة ملابسه والتي تشبه طريقتهم أيضًا، بالإضافة إلى اقتراب طريقة تفكيره وطرحه للموضوعات إلى طريقة تفكيرهم، فيتحدث معهم بلغة سهلة على أسماعهم وموضوعات تمس مشاكلهم وحياتهم، وبأسلوب يخاطب عقولهم فيقنعهم، ويحرك عواطفهم فيتأثرون به أيما تأثر.

وكما أن رب الثياب سيئ المظهر أشعث الشعر يُنْفَر -من حيث لا يشعر- عن هذا الدين؛ لأن من لا يعرف الدين يظن أن من مقتضياته التزام هذه الهيئة، فلا يقربه نفورًا من مظهره؛ فلا شك أن إحسان المظهر العام في الملابس والشعر والرائحة والنظافة عندما يحتسبها الداعية إلى الله تعالى ويريد بها رفعة هذا الدين، وتمثيل الإسلام التمثيل التام، وإغاظة الأعداء الذين لا يسرهم رؤية المسلمين إلا أذلة، وقد هانت عليهم أنفسهم، وهان عليهم مظهرهم، فإذا قصد هذا القصد فهو مثاب عند الله، داعٍ إلى الله بثوبه ورائحته وحسن شعره وحسن مظهره العام، والوسائل لها أحكام المقاصد، فكما أن القصد عالٍ شريف وهو الدعوة إلى الله فكذلك الوسيلة هنا ترتفع لتلحق بالقصد.

(319) فضل الدعوة إلى الله، جوتيار بامرني، ص 89

(320) رواه مسلم 91.

14- حسن اختياره لمعاونيه:

من صفات الداعية الناجح حسن الاختيار لمعاونيه ممن يثق بهم ويقدراتهم ويعتمد عليهم بعد الله في المهمات وممن يتوفر فيه حس المسؤولية ويكون هم العمل للدين ضمن أولوياتهم الحياتية، وقد أرشدنا نبينا صلى الله عليه وسلم إلى حسن اختيار الخليل، فقال: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخالل".⁽³²¹⁾

ومعنى الحديث: "أن الإنسان على عادة صاحبه وطريقته وسيرته، فليتأمل من يخال، فإن رضي دينه وخلقه فهو أخ له في الله، ومن لم يكن كذلك فليتنجبه؛ لأن الطباع سراقاة والصاحب ساحب، إما إلى الخير أو إلى الشر".
كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على تعليم أمته ما ينفعها في دينها ودنياها، وما يحفظ عليهم علاقاتهم الطيبة، وكان يحض على التواصل والتواد والتصاحب بين المسلمين، وهذا الحديث توجيه وإرشاد نبوي لمن أراد سلامة نفسه وبيته وعلاقته مع الناس.

وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الرجل على دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يُخالل"، أي: المرء يشابه صديقه وصاحبه في سيرته وعادته؛ فهو مؤثر في الأخلاق والسلوك والتصرفات، ونظرة الناس إلى كل منهما من خلال معرفتهم بأحوال الصاحب؛ ولهذا أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى حسن اختيار الصديق.
وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم: "لا تصاحب إلا مؤمناً"، أي: لا تتخذ صاحباً ولا صديقاً إلا من المؤمنين؛ لأن المؤمن يدل صديقه على الإيمان والهدى والخير، ويكون عوناً لصاحبه.
والحديث: فيه حث على انتقاء الأصدقاء والأصدقاء من الأتقياء المؤمنين.

15- الحرص على التعمق في النصوص:

إن عدم التعمق في فهم الأفكار والمعاني مرضٌ اشتكى منه علماءنا قديماً، حيث قال ابن الجوزي: «فأقل موجود في الناس؛ الفهم والغوص في دقائق المعاني».⁽³²²⁾
السطحية في التعامل مع الأفكار والآراء والمواقف والأحداث؛ تجعل العقل لا يستوعب بالطريقة الصحيحة، ومن ثم لا تكتمل الصورة لديه، فلا يتعمق ولا يدقق، فينتج عنها فهم غير سليم وسطحي وقاصر، فيبني عليه مواقف وأحكاماً تكون عواقبها وخيمة على الفرد والمجموع، لأن ضعف الفهم نتيجته ضعف كل ما يرتبط به ويبنى عليه.⁽³²³⁾

16- ترك الحقد والحسد:

من أهم وأعظم أدوات المسلمين عامة والدعاة خاصة، في سيرهم إلى الله عز وجل، هو تصفية قلوبهم وسلامة صدورهم من الآفات والغوائل والدخائل التي تعيق السير وتمهدر الجهد وتحبط العمل، فالقلب هو الملك والجوارح هي الأعضاء التي تعمل بأمر الملك، فهي جنوده التي تسير وفق ما يوجهها، فتسالم من يسالم، وتعادي من يعادي، وتقدم وتحجم حسب رأي القلب الملك؛ لذلك كانت عناية الإسلام بسلامة الصدور ونقاء القلوب عناية كبيرة تحتل أولوية قصوى في هذا الدين، فأقرب القلوب إلى الله عز وجل أنقاها وأصفاها وأسلمها من الأكدار والأخلاق والآفات.

(321) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، 4/259، حديث رقم (4833)

(322) صيد الخاطر ص 486.

(323) موسوعة دليل الداعية، الدعاة، العواجي ص 65

والسباق إلى مرضاة الله عز وجل هو في حقيقته سباق للقلوب، وتفاضل الناس عند الله عز وجل هو في الأساس بما وقر في قلوبهم من إيمان وتقوى، قال تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: 88-89]، قال تعالى: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ} [الحجر: 47-48]، وقال {قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي} [طه: 25]، وقال: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ} [الأنعام: 125].

فالدعاة أحوج الناس إلى سلامة الصدور وتنقية القلوب، لأنهم أكثر الناس احتكاكًا بالجماهير، والتعامل اليومي مع أنماط متباينة من البشر، منهم السوي ومنهم الغوي، ومنهم الجاهل ومنهم المتجاهل، ومنهم من يريد الإجابة التي توافق هواه، ومنهم من يريد الإجابة على تساؤلات لا إجابة عليها، ومنهم الغارق في معاصيه وشهواته، ومنهم المتلبس بشبهات ضالة، إلى آخر القائمة الطويلة من صفات وطبائع البشر ومستجداتهم التي تتغير كل يوم. التعامل اليومي مع كل هؤلاء يورث الداعية كثيرًا من الآفات والدخائل. كل هذه النماذج يقابلهم الداعية ويتعامل معهم ويحتك بهم، ويدخل معهم في صولات وجولات، وهذه المهمة الشاقة تحتاج من الداعية أن يكون سليم الصدر، نقي القلب، قوي الاحتمال، حافظًا لجناحه وجنانه من التلوث بكل هذه الأخطار، حتى لا تمتد إليه عدوى هذه الآفات والأمراض، فيكون مثل الطبيب الذي يصف الدواء ويكتب الدواء، وهو صريع نفس الأدوية. ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد وضع لنا تعريفًا فريدًا للقلب النقي، فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا عن أفضل الناس؟ فقال: "كل مخموم القلب، صدوق اللسان"، قالوا: "صدوق اللسان، نعرفه، فما مخموم القلب؟"، قال: "هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد".⁽³²⁴⁾، أي: أن القلب النقي التقي هو القلب الذي خلا من الغل والحسد وإرادة الشر من الحقد والضغائن.

17- الثقة بالله وعدم اليأس:

اليأس: من أخطر الأدوية والآفات والأمراض على طريق الدعوة إلى الله، اليأس والقنوط من رحمة الله، فمع اليأس يرى الداعية كل الأمور من حوله قاتمة لا نور فيها، ميتة لا حياة فيها، بانئسة لا أمل فيها، مع اليأس يتحول الداعية إلى رماد، وحطام إنسان، لا يفكر ولا يعمل ولا يحلم، حاله كحال الشاعر عندما قال:

يا قوم لا تتكلموا *** إن الكلام محرم

ناموا ولا تستيقظوا *** ما فاز إلا النُّومُ

وتأخروا عن كل ما *** يقضي بأن تتقدموا

ودعوا التفهم جانبًا *** فالخير أن لا تفهموا

وتثبتوا في جهلكم *** فالشر أن تتعلموا

أما السياسة فاتركوا *** أبدًا وإلا تندموا

ولأن المرء مع اليأس هو والعدم سواء، وحياته وموته سيان، لذلك كان من أهم أولويات الدعاة الحذر من مزلق هذا المرض الخطير وأثاره وتداعياته وظواهره وأسبابه.

18- الطاعة وترك الذنوب والمعاصي:

للطاعة وترك المعاصي والذنوب تأثير على الفهم واستيعاب العلم لا يختلف عليه اثنان في الميزان الإسلامي. وعلى النقيض فإن المعاصي تميت القلب، وإذا مات القلب اختل العقل واضطرب التفكير فينحرف بذلك التقدير والفهم.

قال الإمام ابن الجوزي: "رب شخص أطلق بصره فحرم اعتبار بصيرته، أو لسانه فحرم صفاء قلبه، أو أثر شبهة في مطعمه فأظلم سره وحرم قيام الليل وحلاوة المناجاة".⁽³²⁵⁾
وقال شاه الكرمانى: "من غض بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشبهات، وعمر باطنه بدوام المراقبة، وظاهره باتباع السنة، وعود نفسه أكل الحلال، لم تخطيء له فراسة".⁽³²⁶⁾

19- الوسطية وترك الغلو والتشدد:

"التشدد: هو الغلو والتنطع، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"، ويقول صلى الله عليه وسلم: "هلك المتنطعون! هلك المتنطعون! هلك المتنطعون"، قالها ثلاثاً -عليه الصلاة والسلام- معناه: الزيادة على ما شرعه الله، هذا التشدد يزيد على ما شرعه الله، ومن ذلك: البناء على القبور، واتخاذ المساجد عليها، والصلاة عندها، هذا زيادة على ما شرع الله، شرع الله زيارتها، والدعاء لأهلها بالمغفرة والرحمة، أما كونه يبني عليها مساجد، أو قباب هذا من وسائل الشرك ومحرم، والرسول صلى الله عليه وسلم أنكرك ذلك، ولعن اليهود والنصارى على فعل ذلك.

والصلاة عند القبور من وسائل الغلو فيها والشرك، هكذا الزيادة على ما شرعه الله، كأن يتوضأ أكثر من ثلاث، هذا زيادة على ما شرعه الله، وكذلك كونه يستعمل في صلاته ما لم يشرعه الله غير الزيادة على الوضوء، بل يستعمل أشياء ما شرعها الله في صلاته، بأن يركع ركوعاً يضره، أو يضر المأمومين، أو يسجد سجوداً يضره، أو يضر المأمومين، بل يقتصد ويتحرى الاقتصاد.

القصد في العبادة هو المطلوب، وعدم التشديد، لا على المأموم، ولا على نفسه، كذلك كونه يصوم دائماً، ولا يفطر، يصلي الليل كله، كل هذا من التشدد، والنبي نهى عن هذا -عليه الصلاة والسلام- قال: هلك المتنطعون ونهى عن التبتل، كل ذلك لما في التبتل والتشدد من المضرة العظيمة".⁽³²⁷⁾

وإنما يوفق المسلم بصفة عامة والداعية بصفة خاصة إلى الفهم الصائب والسليم بمقدار محافظته على الاعتدال والوسطية، فقد جاء في الحديث: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين".⁽³²⁸⁾

ولا شك أن الجنوح إلى الغلو والتشدد يعتبر من أكثر ما يؤثر على الفهم السليم، الذي يحول الغالي إلى تنطع في

(325) صيد الخاطر ص 52.

(326) الاعتصام ١/ ٧٢

(327) حقيقة التشدد والغلو المنهي عنه للشيخ ابن باز

(328) الشريعة للأجري 1/268، السنن الكبرى للبيهقي 10/353 (٢٠٩١١)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح 1/82 (248).

اختياراته العلمية والعملية وكذا في المواقف والمعاملات، وقد عد صلى الله عليه وسلم هذا المسلك من موجبات الهلاك في قوله صلى الله عليه وسلم: "هلك المتنطعون قالها ثلاثاً".⁽³²⁹⁾

والمتنطعون هم: «المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم».⁽³³⁰⁾

فالغالي يظهر سوء فهمه وانحرافه جلياً في سلوكه، بحيث تجده يريد ما لا يكون ويطلب ما لا يوجد، ويتخيل ما لا يقع، ويفهم الوقائع على غير حقيقتها. ولعل معظم مصائب الفرق المنحرفة التي ظهرت في التاريخ الإسلامي، نتجت عن خيارات الغلو والتشدد، إما بشكل عام أو في قضية محددة، فالفكر الخارجي على سبيل المثال لا الحصر، لم يؤت أصحابه من فساد ضمائرهم، وإنما أوتوا من فساد تفكيرهم وسوء فهمهم واعوجاج فقههم.⁽³³¹⁾

20- مُخَاطَبَةُ النَّاسِ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ:

إنَّ الداعية الحكيم هو الذي يدرس الواقع، وأحوال الناس، ومعتقداتهم، وَيُنزِلُ الناس منازلهم، ثم يدعوهم على قدر عقولهم وأفهامهم وطبائعهم وأخلاقهم ومستواهم العلمي والاجتماعي، والوسائل التي يؤتون من جهتها، ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتعجبون أن يكذب الله ورسوله".⁽³³²⁾ وذكر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم".⁽³³³⁾ وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ".⁽³³⁴⁾

وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك للدعاة إلى الله عز وجل، فقال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حينما بعثه إلى اليمن - داعياً ومعلماً وقاضياً - : "إنك تأتي قوماً أهل كتاب... الحديث".⁽³³⁵⁾ فبيّن صلى الله عليه وسلم لمعاذ عقيدة القوم الذين سوف يُقدّم عليهم حتى يعرف حالهم، ويستعد لهم، ويُقدّم لهم ما يناسبهم، وما يُصلح أحوالهم.

وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها: "يَا عَائِشَةُ لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثُ عَهْدُهُمْ - فَقَالَ ابْنُ الرُّبَيْرِ - بِكُفْرِ لَنَقَضْتُ الْكُعْبَةَ، فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ: بَابًا يَدْخُلُ مِنْهُ النَّاسُ، وَبَابًا يَخْرُجُونَ مِنْهُ".⁽³³⁶⁾ فترك صلى الله عليه وسلم هذه المصلحة؛ لأمن الوقوع في المفساد.⁽³³⁷⁾

فدراسة البيئة والمكان الذي تبلغ فيه الدعوة أمر مهم جداً، فإن الداعية يحتاج في دعوته إلى معرفة أحوال المدعوين: الاعتقادية، والنفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، ومعرفة مراكز الضلال ومواطن الانحراف معرفة جيدة، ويحتاج إلى معرفة لغتهم، ولهجتهم، وعاداتهم، والإحاطة بمشكلاتهم ونزعاتهم الخلقية، وثقافتهم،

(329) صحيح مسلم، كتاب العلم باب هلك المتنطعون (2670).

(330) شرح صحيح مسلم للنووي 16/220.

(331) لمزيد من التفاصيل -حول كل خلق، وغيرها من الصفات التي يجب أن يتحل بها المسلم والداعية إلى الله-، يمكنكم مطالعة كتاب صفات الداعية المسلم، للشيخ جوتيار بامرتي.

(332) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، 225/1، (رقم 127).

(333) مسلم، في المقدمة، مع شرح النووي، 55/1، وسنن أبي داود مع العون، 191/13.

(334) مسلم، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، 11/1.

(335) البخاري مع الفتح، باب الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، 322/3، (رقم 1458)، واللفظ له، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله وشرايع الإسلام، 50/1، (رقم 19).

(336) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه، 224/1، (126)، ومسلم، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، (رقم 1333)، (401، 402).

(337) قال ابن حجر: "يستفاد منه ترك المصلحة؛ لأمن الوقوع في المفسدة، وترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه". انظر: فتح الباري 225/1.

ومستواهم الجدلي، والشُّبُه التي انتشرت في مجتمعاتهم، ومذاهيبهم⁽³³⁸⁾.

والداعية الحكيم يكون مدرِّكًا لما حوله، مقدراً للظروف التي يدعو فيها، مراعيًا لحاجات الناس ومشاعرهم، وكل أحوالهم.

كما أنه لا ينجح في دعوته، ولا يكون موفقًا في تبليغه ولا مسددًا في قوله وفعله حتى يعرف من يدعوهم، وهل هذا المجتمع من المسلمين العُصاة، أو من المسلمين الذين انتشرت فيهم البدع والخرافات؟ هل هذا المجتمع من أهل الكتاب؟ فإذا كانوا منهم، فهل هم من اليهود أم من النصارى؟ هل هذا المجتمع من الملحدين الطبيعيين والماديين والدهريين؟ أم من الوثنيين المشركين؟

فإذا عرف الداعية هذا كله، فكيف يدعو كل فئة من هذه الفئات بالحكمة؟ وماذا يقدم معهم؟ وماذا يؤخر؟ وما القضايا التي يعطيها أهمية وألوية قبل غيرها؟ وما الأفكار الضرورية التي يطرحها ويبدأ بها؟

وهكذا، فالداعية الحكيم كالطبيب الحكيم الذي يشخص الداء ويحدده، ثم يعطي الدواء المناسب على حسب حال المريض، مراعيًا في ذلك: قوته وضعفه، ومدى تحمله للعلاج، فقد يحتاج إلى عملية جراحية؛ فَيَشُقُّ بطنه، أو يَقَطِّع شيئًا من أعضائه، من أجل استئصال المرض طلبًا لصحته، وهكذا الداعية الحكيم يعرف أمراض المجتمع، ويحدد الداء، ويعرف الدواء، وينظر ما هي الشبه والعوائق فيزيلها، ثم يقدم المادة المناسبة بدءًا بأمور العقيدة الإسلامية الصحيحة الصافية، مع تشويق المدعو إلى القبول والإجابة⁽³³⁹⁾.

والمحاور المسلم الذي لا ينتبه لهذه الحقيقة في الحوار، ولا يعرف سيكولوجية الملاحدة، وكيفية الوصول إلى عمق التأثير فيهم، وليس على دراية بحيلهم في التناظر، فإنه حريٌّ بالفشل في حوارهم؛ وذلك لأنَّ أغلب الملاحدة مظموسي البصيرة، فكثير منهم لو رأى الحق معك ساطعًا سطوع الشمس، فلن يعترف لك به، إذا لم يكن ثمة قبول بينه وبين نفسه في المقام الأول، وهنا يأتي قول الله تعالى: {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ} [الأنفال: 23]

ومع أننا مطالبون بأن نكون متفائلين في دعوتنا، ولكن علينا أيضًا أن نكون واقعيين؛ لأنَّ الهداية بيد الله وحده، فلا تكن مثاليًا، وتظن أن دعوتك ستؤتي ثمارها في اللحظة نفسها، وذلك لأن الذي يستمع إلى ما معك من الحق، في الغالب لن يقتنع به في نفس الجلسة.

وليس كل كافر أو ملحد يجادل عنادًا، فهناك من يسأل وينتظر الإجابة ويعطيك المجال للرد، مثل هذا أعطه وقتك، وهناك من لا ينتظر وقبل أن تجيبه يأتي بشبهة أخرى، فهذا معاند، لا يريد الحق، وصدق القائل في حقه: "طالب الحق يكفيه دليل، وصاحب الهوى ليس لنا عليه سبيل، ولن يكفيه ألف دليل".

تنبيه: ثمة فرق بين الحوار مع ملاحدة الغرب وملاحدة البلدان العربية الذين لا يعرفون إلا العريضة وسلاطة اللسان وسوء الأدب، والتعدي الفج الغوغائي -دون أدنى خلق أو لياقة- على مشاعر الرأي العام وشعائره ومعتقداته وهؤلاء بالطبع مرضى وغير أسوياء.

(338) انظر: شرح الإمام النووي على مسلم، 1/76، 197، وفتح الباري، 1/225، وكيف يدعو الداعية لعبد الله ناصح العلوان، ص 7، 37، 47، 155، وزاد الداعية إلى الله للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص 7.

(339) بتصرف: كيفية دعوة الملحدين إلى الله تعالى، في ضوء الكتاب والسنة، أ. د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني رحمه الله، ص 6-7.

الباب الخامس: دلائل وجود الله العقلية والحسية والشرعية

ويتكون من الفصول التالية:

الفصل الأول: الاستدلال بالأدلة في دعوة الملحدين إلى الإيمان بالربوبية:

ويشتمل على المباحث التالية:

- المبحث الأول: الاستدلال بدليل الفطرة على وجود الله.
 - المبحث الثاني: الاستدلال بدليل الخلق والإيجاد على وجود الله.
 - المبحث الثالث: الاستدلال بدليل الأحكام والإتقان على وجود الله.
 - المبحث الرابع: الاستدلال بدليل التخصص على وجود الله.
 - المبحث الخامس: الاستدلال بدليل التسوية على وجود الله.
 - المبحث السادس: الاستدلال بدليل التقدير على وجود الله.
 - المبحث السابع: الاستدلال بدليل دلائل النبوة على وجود الله.
 - المبحث الثامن: الاستدلال بدليل مكارم الأخلاق على وجود الله.
- الفصل الثاني: توحيد الربوبية، حقيقته، وأدلته.

ويشتمل على المباحث التالية:

- المبحث الأول: تعريف توحيد الربوبية.
- المبحث الثاني: أصول توحيد الربوبية.
- المبحث الثالث: أدلة توحيد الربوبية.

الفصل الثالث: بيان البراهين والأدلة العقلية على وجود الله.

الفصل الرابع: بيان الأدلة الحسية على وجود الله.

الفصل الخامس: بيان الأدلة الشرعية على وجود الله.

الفصل السادس: شبهات الملحدين وإجاباتها.

ويشتمل على المباحث التالية:

- المبحث الأول: لماذا لا يكون هناك أكثر من إله أزي؟
- المبحث الثاني: سقوط فرضية تعدد الآلهة.
- المبحث الثاني: موقف المسلم من قضية الإلحاد.

- الفصل الأول: الاستدلال بالأدلة في دعوة الملحدّين إلى الإيمان بالربوبية
- يمكن بيان معالم دعوة الملحدّين إلى الإيمان بالربوبية أولاً من خلال المعالم التالية:
- 1- دليل الفطرة.
 - 2- دليل الخلق والإيجاد.
 - 3- دليل الإحكام والإتقان.
 - 4- دليل التخصيص.
 - 5- دليل التسوية.
 - 6- دليل التقدير.
 - 7- دليل دلائل نبوة الأنبياء.
 - 8- دليل مكارم الأخلاق.

المبحث الأول: الاستدلال بدليل الفطرة على وجود الله

المطلب الأول: حقيقة الفطرة في اللغة والاصطلاح:

أولاً: حقيقة الفطرة في اللغة:

"جاء في المعجم الوسيط: أن الفِطْرَةَ، هي: الخِلقَةُ التي يكون عليها كل موجود أَوَّلَ خَلْقِهِ. والفِطْرَةُ: الطبيعة السليمة لم تُشَبَّ بعَيْبٍ، وفي التنزيل العزيز: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} [الروم: 30]. والفِطْرَةُ السليمة: استعداد لإصابة الحكم والتمييز بين الحق والباطل. والجمع: فِطْرٌ." (340)

- وجاء في لسان العرب: فَطَرَ الشَّيْءَ يَفْطُرُهُ فَطْرًا فَانْفَطَرَ، إِذَا شَقَّهُ، فَشَقَّ الشَّيْءَ مَعْنَاهُ فَطَرَهُ، وَتَفَطَّرَ الشَّيْءُ: تَشَقَّقَ، وَالْفَطْرُ هُوَ الشَّقُّ، وَجَمَعَهُ فُطُورٌ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: {هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ} [الملئك: 3]. وَأَصْلُ الْفَطْرِ: الشَّقُّ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} [الانفطار: 1]: أَي: انشقت، وَفِي الْحَدِيثِ: "قَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى تَفَطَّرَتْ قَدَمَاهُ" (341)، أَي انشقتا.

وقالوا: سيف فطار: أي، فيه صدوع وشقوق.

وقال عنتره: وَسَيْفِي كَالْعَقِيقَةِ وَهُوَ كِمَعِي.. سِلَاحِي لَا أَفَلَّ وَلَا فُطَارًا (342)

- وَالْفَطْرُ هُوَ الْإِبْتِدَاءُ وَالْإِخْتِرَاعُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} [فاطر: 1]، يَعْنِي: خَالِقَهُمَا وَمَبْتَدِئَهُمَا.

- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كُنْتُ لَا أَدْرِي مَا (فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) حَتَّى أَتَانِي أَعْرَابِيَانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بَيْتٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فَطَرْتُ الْبَيْتَ، فِيهِ بَيْتِي، يَعْنِي: أَنَا بَدَأْتُهَا. فَفَهْمُ مَعْنَى الْفَطْرِ مِنْ قَوْلِ الْأَعْرَابِيِّ، فَهَذَا مِنْ حَيْثُ اللَّغَةُ.

ثانياً: حقيقة الفطرة في الاصطلاح:

"هي الطَّبَعُ السَّوِيُّ، وَالْجِبَلَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ الَّتِي خُلِقَ النَّاسُ عَلَيْهَا." (343)

المطلب الثاني: النصوص الشرعية الدالة على فطرية معرفة الله وتوحيده:

أ/ قَالَ تَعَالَى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم: 30].

- (قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: أَي: "سَدَدَ وَجْهَكَ وَاسْتَمَرَّ وَاتَّبَعْتَ عَلَى هَذَا الدِّينِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ لَكَ مِنَ الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ، مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّتِي هَدَاكَ اللَّهُ لَهَا، وَكَمَلَهَا لَكَ غَايَةَ الْإِكْمَالِ، وَأَنْتَ مَعَ ذَلِكَ لَازِمٌ فَطَرْتَهُ السَّلِيمَةَ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَيْهَا، فَقَدْ فَطَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَةَ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ".

(340) انظر: المعجم الوسيط، 6942، والقاموس المحيط ص 587، والمعجم الوسيط 694/2.

(341) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ". صحيح البخاري 4837.

(342) اللسان: 55/5.

(343) قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: (قَالَ أَبُو شَامَةَ: أَسْلُفُ الْفِطْرَةِ الْخَلْقَةُ الْمَبْتَدَأَةُ، وَمِنْهُ: فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أَي: الْمُبْتَدِئُ خَلْقَهُنَّ، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ)): أَي: عَلَى مَا ابْتَدَأَ اللَّهُ خَلْقَهُ عَلَيْهِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: فَطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، وَالْمَعْنَى: أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ لَوْ تَرَكَ مِنْ وَقْتِ وِلَادَتِهِ وَمَا يُؤَدِّبُهُ إِلَيْهِ تَطْرَهُ، لِأَدَاةِ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ، وَيُؤَدِّبُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى قَبْلَهَا: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ، وَإِلَيْهِ يُشِيرُ فِي بَقِيَّةِ الْحَدِيثِ: حَيْثُ عَقَّبَهُ بِقَوْلِهِ: ((فَأَبَاؤَهُمْ يُؤَدِّبُونَهُ وَبَنَاتُهُنَّ))، وَالْمَرَادُ بِالْفِطْرَةِ فِي حَدِيثِ الْبَابِ: أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ إِذَا فُعِلَتْ أَنْصَفَ فَاعِلُهَا بِالْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ الْعِبَادَةَ عَلَيْهَا، وَحَثَّمَهَا عَلَيْهَا، وَاسْتَحْتَمَهَا لَهَا، لِيَكُونُوا عَلَى أَكْمَلِ الصِّفَاتِ وَأَشْرَفِهَا صُورَةً. (اه) (فتح الباري) ((339/10)). وينظر: (فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى) ((143/5))، ((مجموع فتاوى ورسائل العثيمين)) ((130/11-131)).

- وقوله: (لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)، قال بعضهم: "معناه لا تبدلوا خلق الله، فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها، فيكون خبرا بمعنى الطلب"، وقال آخرون: "هو خبر على بابه، ومعناه: أنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة، لا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك".⁽³⁴⁴⁾

- والمقصود بقوله تعالى: {فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}، هي فطرة الإسلام⁽³⁴⁵⁾، وحققتها هو الاستسلام لله وحده، وقبول العقيدة الصحيحة، والسلامة من الاعتقادات الباطلة.

ب/ قال تعالى: {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلِيَّ اللَّهِ شَكُّ فَأَطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخَّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَثُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ} [إبراهيم:10].

(أَفِي اللَّهِ شَكُّ) يُحْتَمَلُ فِيهَا مَعْنَيَانِ:

- أحدهما: أفي وجوده شك!؛ فإن الفطرَ شاهدة بوجوده، ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده؛ ولهذا قالت لهم الرسل ترشدكم إلى طريق معرفته بأنه (فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سابق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لها من صانع، وهو الله لا إله إلا هو، خالق كل شيء وإلهه ومليكه.

- والمعنى الثاني: أفي ألوهيته وتفرد به العبادة له شك!، وهو الخالق لجميع الموجودات، فلا يستحق العبادة إلا هو، وحده لا شريك له؛ فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقرهم من الله زلفى.⁽³⁴⁶⁾

ج/ في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} [الأعراف:172].

"هذه الآية بيّنة في إقرارهم وشهادتهم على أنفسهم بالمعرفة التي فطروا عليها أن الله ربهم. وطائفة من العلماء جعلوا هذا الإقرار، لما استخرجوا من صلب آدم، وأنه أنطقهم وأشهدهم. وسواء كان هذا الإقرار مقالي في عالم الذر، أو كان الإقرار حالي وهو المعرفة بالله وتوحيده التي خلقهم عليها، فكلاهما دال على فطرية المعرفة والتوحيد".⁽³⁴⁷⁾

د/ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ".⁽³⁴⁸⁾

ومعنى أن (كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ): أي أن الله سبحانه ربك فيه نوعاً من الجبلة يكون معها متهيئاً لقبول الحق طبعاً وطوعاً واختياراً، لو تركته شياطين الإنس والجن.

وفي رواية: "ما من مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا عَلَى هَذِهِ الْمِلَّةِ (أي على ملة الإسلام)، حتى يُبَيِّنَ عَنْهُ لِسَانُهُ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ".⁽³⁴⁹⁾

¹ انظر: تفسير ابن كثير، (320/6) ط، الشعب، وتيسر الكريم الرحمن، للسعدي (640).

(345) قال البخاري: والفطرة الإسلام. انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب لا تبدل لخلق الله.

¹ انظر: تفسير ابن كثير، (320/6) ط، الشعب، وتيسر الكريم الرحمن، للسعدي (640).

² انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (487/8)، ومعارج القبول، للحكي (85/1).

³ رواه البخاري 1385، ورواه مسلم 2658، لفظة "الملة" للترمذي 2138، ولفظة "على هذه الملة" عند أحمد 7443.

(349) أخرجه البخاري 6599، 6600، ومسلم 2658.

قال ابن كثير رحمه الله: "فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره".⁽³⁵⁰⁾
 ذلك أن الفطر السليمة توجب أن يكون لهذا العالم العجيب العظيم ربُّ خلقه وأوجهه، مالك له ومدبر له
 ومتصرف فيه، وأن هذا الربُّ هو المستحقُّ وحده أن يُعبد ويُوحَّد، وأن تصرف إليه جميعُ صنوفِ العبادةِ قال
 تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 21].
 ثم ينبغي أن يكون هو الذي يأمرُ فيطاع، وينهى فلا يعصى {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف:
 54].

وقال ابن القيم: "ليس المراد بقوله صلى الله عليه وسلم: "يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ" أنه خرج من بطن أمه يعلم الدين
 ويعتقد الإسلام بالفعل؛ لأنَّ الله يقول: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
 وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [سورة النحل: 78].
 ولكنَّ المراد أن فطرته مقتضية لمعرفة دين الإسلام ومحبته، وقبوله وإرادته للحق، وإقراره بالربوبية، فلو خُلِّي
 من غير معارض ومن غير مغيرٍ لما كان إلا مسلمًا، ولم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبةٍ ما يلائمُ
 بدنه من ارتضاع اللبن حتى يصرفه عنه صارف، وَمِنْ ثَمَّ شَبَّهتِ الفطرة باللبن، فهي تستلزم معرفة الله ومحبته
 وتوحيده".⁽³⁵¹⁾

ومعنى هذا أن الإنسان إذا تُرك بدون مؤثر خارجي فالمفروض أنه يقر بوجود الله وأحقيته بالعبودية وحده.
 ودلَّ قوله صلى الله عليه وسلم: (يَهُودَانِهِ أَوْ يَنْصَرَانِهِ أَوْ يَمَجَّسَانِهِ) ولم يقل: وَيُسَلِمَانِهِ، على أن المراد بالفطرة:
 معرفة الله وتوحيده.

أول واجب على المكلف:

هو النطق بالشهادتين؛ لكون الإقرار بوجود الله فطري في النفوس؛ ولذا لم تأتِ الأنبياء بالتدليل عليه، وإنما
 كانت تستخدمه وسيلة تذكيرية بما هو مستقر في نفوسهم؛ لِأَمْرِ النَّاسِ بِالْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وحده.
 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ:
 "إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ
 بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ... الحديث".⁽³⁵²⁾

وليس في الرسل من قال حينما دعا قومه ابتداءً: إنكم مأمورون بطلب معرفة الخالق، فانظروا واستدلوا حتى
 تعرفوه، فلم يُكَلِّفُوا أولاً بنفس المعرفة، ولا بالأدلة الموصلة إلى المعرفة، إذ كانت قلوبهم تُعْرِفُهُ وَتُفَرِّقُ بِهِ، فكلُّ
 مولود يولد على الفطرة؛ والإنسان إذا ذُكِرَ ذَكَرَ ما في فطرته، ولهذا قال الله في خطابه لموسى: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيًّا
 لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه: 44] (لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ) ما في فطرته من العلم الذي به يَعْرِفُ رَبَّهُ، وَيَعْرِفُ إِنْعَامَهُ عَلَيْهِ،
 وإِحْسَانَهُ إِلَيْهِ، وافتقاره إليه، فذلك يدعو إلى الإيمان، (أَوْ يَخْشَى) ما يُنذِرُهُ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ، فذلك أيضا يدعو
 إلى الإيمان.

(350) تفسير تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير (ت 774هـ).

(351) انظر: شرح النووي على مسلم، 208/16، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 247/4، 344/16، 249/4، وفتح الباري، 250-248/3.

¹ رواه البخاري 1496، ورواه مسلم 29.

² انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، (8/10-6).

المطلب الثالث: كيفية الاستدلال بدليل الفطرة

إنَّ "دليل الفطرة" والذي يُعَدُّ من الأدلة على وجود الله عز وجل، ووحدانيته، هو تصور ضروري مفروض على الذهن فرضاً، فلا نحتاج فيه إلى استدلال، فبمجرد النظر في المخلوقات، نعلم يقيناً بأنَّ لها خالقاً. "ولقد خلقنا الله عز وجل وزودنا بقوى علمية وإرادية تُوجِبُ الإقرار بوجوده ووحدانيته، فالاعتقاد بأن الكون لا بد له من خالق، وهذا الخالق محبوب، وهذا المحبوب لا بُدَّ من عبادته وحده، هذه القضايا جعلها الله في قلوبنا منذ أن خلقنا".⁽³⁵³⁾

وقد قيل لأعرابي من البادية:

بم عرفت ربك؟ فقال: الأثرُ يدلُّ على المسيرِ، والبَعْرَةُ تدلُّ على البعيرِ، فسَمَاءُ ذاتُ أبراجٍ، وأرضُ ذاتُ فِجَاجٍ، وَبِحَارُ ذاتُ أمواجٍ، ألا تدلُّ على اللطيفِ الخبيرِ؟

وقال أبو حنيفة رحمه الله:

"أخبروني عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها، وتعود بنفسها، فتوسي بنفسها، وتفرغ وترجع كل ذلك من غير أن يدبرها أحد؟ فقالوا: هذا محال لا يمكن أبداً!

فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله!"⁽³⁵⁴⁾

الفطرة الكامنة للعبودية في نفوس الناس:

تلك الفطرة، والتي تشهد عليها دراسات علوم النفس والاجتماع اليوم تؤكد بأن ثمة نزعة نفسية تقود الإنسان نحو خالق يعبده، ولو قُدِّرَ بأن أشخاصاً ولدوا في جزيرة بعيدة دون أن يدخل عليهم أي مؤثر خارجي يحرف فطرتهم، لتوجهت فطرتهم إلى عبادة الخالق دون تكلف منهم أو تأثير من غيرهم، ففي فطرة الإنسان افتقار ذاتي إلى قوة غيبية كاملة غنيّة يرجو منها النفع، ويستدفع بها الضرر، ويتذلل لها، وخاصة عند الشدائد؛ ولذلك تجد أنّ الأمم كلها من قديم الزمان، وفي مختلف البلدان لها أماكن للعبادة، حتى عبدوا الشمس والكواكب والنّار والأحجار ملتمسين بذلك جلب النفع ودفع الضرر، وما ذاك إلا لافتقار الإنسان بطبيعته إلى الإله الذي يملأ تطلعات روحه وحاجاته، غير أن البيئة التي ينشأ فيها الإنسان قد تسهم في تشويش الغاية الصحيحة، فبدل أن يتوجه للإله الحق يتوجه إلى آلهة باطلة يُعَلِّمُ بالعقل قبل الشرع بطلانها.

الفطرة مَيْلٌ طبيعي يحمله جميع البشر:

إذ جعلهم الله عز وجل مفطورين على محبة الخير وإيثاره، وكرهية الشر ودفعه، حنفاءً مستعدين لقبول الخير والإخلاص لله والتقرب إليه".⁽³⁵⁵⁾

و(الحقيقة التي نستنبطها من القرآن في هذه القضية: "هي أنّ كل مولود يولد على فطرة التوحيد"، فقد دلتنا قصة آدم عليه السلام على أنه كان على عقيدة التوحيد، ودل القرآن الكريم والسنة النبوية على أن هذا لم يكن

² انظر: المعرفة في الإسلام، د. عبدالله القرني (213-242).

(354) انظر: دلائل الإسلام، د. أحمد سعد حمدان (15)، والعقيدة في الله، للأشقر (68).

(355) بتصرف: كتاب القول السديد 1/62.

خاصًا بالإنسان الأول وهو آدم عليه السلام، وإنما هو عام في كل مولود).⁽³⁵⁶⁾

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدعوة ليست مهمة صعبة؛ فكل شخص يحمل في داخله ميلاً طبيعياً يُرغِّبُهُ في عبادة الله سبحانه وتعالى، ولكنها تتغير بسبب تأثير الوالدين، والتنشئة الاجتماعية، وغيرها من العوامل، "ولو تُرِكَ عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، وإنما يعدل عنها من يعدل؛ لأفة من آفات البشر والتقليد... وكل مولود يولد على معرفة الله والإقرار به، فلا تجد أحداً إلا وهو يقرّ بأن له صانعاً وإن سَمَّاه بغير اسمه، أو عَبَدَ معه غيره".⁽³⁵⁷⁾

قال صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى: "إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلُّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمُ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا".⁽³⁵⁸⁾

ولذلك، فإن ما يجعل من الدعوة مهمة سهلة، هو دعوتنا الناس للعودة إلى أصل حالتهم الطبيعية، ذاك الأمر الذي يعرفونه في قرارة أنفسهم، وهو أن الله هو الرب، والإله المعبود.

ملحد يستغيث بالله:

من أقوى الأدلة الفطرية أيضاً على وحدانية الله عز وجل، عندما تنظر إلى حال الناس إذا كربتهم الشدائد، ووقعوا في المهالك، وأشرفوا على المخاطر، لَتَجِدَ قلوبهم معلقة بالله، وأصواتهم مرتفعة بسؤاله، وأفئدتهم تنظر إلى إغاثته، لا تلتفت يمنة ولا يسرة إلا إليه.⁽³⁵⁹⁾

ولقد حدثنا بعض الملحدين أنه عندما أصابه شيءٌ مُهِلِّكٌ بغتةً، وجد نفسه يستغيث بالله تلقائياً دون أن يشعر، ولسانه يجأر: (يا الله!).

وما ذلك إلا لأن فطرة الإنسان تدله على وجود الرب عز وجل، والعاقل إذا رجع إلى نفسه وَعَقَلَهُ أدنى رجوع، عرف افتقاره إلى خالقه تعالى، فهو مفتقر إليه في تكوينه وبقائه وتقلبه في أحواله⁽³⁶⁰⁾، وكذلك إذا نظر إلى الخلائق، عَلِمَ فقرهم جميعاً إليه، فهم فقراء إلى الله عز وجل في الخلق والإيجاد، وفي البقاء والرزق والإمداد، وفقراء إليه في جلب المنافع ودفع المضار.

ومما يزيد ذلك وضوحاً أن الخلق متى شاهدوا شيئاً من الحوادث المتجددة كالرعد والصواعق، والزلازل، والبراكين المتفجرة الثائرة، والريح الشديدة، وانهمار الأمطار الغزيرة، وفيضانات الأنهار، واضطراب الأمواج في البحار والمحيطات، متى شاهدوا ذلك دعوا الله وسألوه وافتقروا إليه؛ لأنهم يعلمون أن هذه الحوادث المتجددة لم تتجدد بنفسها، بل لها مُحدث أحدثها، وإن كانوا يعلمون هذا في سائر المُحدثات؛ لكن ما اعتادوا حدوثه؛ لأنه صار مألوفاً لهم، بخلاف المتجدد، ولو لم يكن إلا خلق الإنسان، فإنه من أعظم الآيات، فكلُّ يعلم أنه لم يُحدث نفسه، ولا أبواه أحدثاه، ولا أحد من البشر أحدثه، ويعلم أنه لا بد له من خالق خلقه، وأن هذا الخالق موجود، حي، عليم، قدير، سميع، بصير، حكيم، حفيظ⁽³⁶¹⁾، يقول الله تعالى: {سَرَّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ

(356) دروس الشيخ محمد إسماعيل المقدم | مجلد 100 | صفحة 22

(357) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، 3/ 457، وفتح الباري، 3/ 248-250.

(358) صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (2865).

(359) بتصرف/ انظر: الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، ص 251، 252.

(360) بتصرف: كتاب الداعي إلى الإسلام لعبد الرحمن الأنباري، ص 211، ودرء التعارض بين العقل والنقل، 3/113.

(361) انظر: درء تعارض العقل والنقل، 3/ 122، 129، 131، 137.

لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْلَمَ يَكْفِرُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت: 53].

لا يوجد ملاحظة في الخنادق:

يقول أحد رؤساء أمريكا -أيزنهاور- وكان قائداً للقوات الأمريكية في الحرب العالمية الثانية بعد أن شاهد كيف أن القوات تعود للفطرة وقت الخطر الشديد: "لا يوجد ملاحظة في الخنادق" (362).

ففي الخندق وقت الحرب لا يوجد مُنكِرٌ لله، الكل يعود إليه، فهذه حقيقة الفطرة التي يعترف بها كل البشر وخاصة في الأوقات العصيبة، ولا يستطيع أن ينكرها حتى أشد الناس كفراً. ويقول الله عز وجل تذكيراً لهذا الإنسان الجاحد: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُم إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا} [سورة الإسراء: 67].

ويقول تعالى: {وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} [سورة النحل: 53].

فبيّن هنا أنّ الناس إذا غفلوا عن هذه الفطرة في حال السراء، فلا شك أنهم يلوذون إليها في حال الضراء؛ لعلمهم الفطري أن الله هو الذي يكشف الشدائد، ولا ملجأ منه إلا إليه، فيسألونه بلسان المقال ولسان الحال. فهل هذه الأمور تحصل إلا لأن الخليفة مفطورة على الاعتراف بربوبية الله ووحدانيته، وأن بيده النفع والضرر، وله ملكوت كل شيء، إلا من فسدت فطرته بالعقائد الفاسدة! (363)

الأوثان والطبيعة بحاجة إلى خالقها:

فكلاهما لا تملكان القدرة على خلق الكون من الذرة إلى المجرة بتلك الدقة، وهذا الإتقان المدهش؛ إنّه: {صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} (364)؛ فالأوثان التي يعبدها الكفار، والطبيعة التي يؤمن بها الملحد، كلاهما مفتقرٌ إلى خالقه؛ فلا الأوثان ولا الطبيعة تملكان من أمرهما شيئاً، ولا لديهما القدرة على ضبط الهرمونات بداخلك بهذا الإحكام، ولا على ضبط وظائف جسمك بتلك البراعة، وليس لديهما القدرة على وضع الشفرة الوراثية، والتي هي ملايين المعلومات داخل كل خلية حية، ولا لديهما القدرة على إيجاد أي شيء، ولا حتى إيجاد أنفسهما.

المبحث الثاني: الاستدلال بدليل الخلق والإيجاد على وجود الله

المطلب الأول: توطئة وتقديم:

إنّ لهذا الدليل أسماء متعددة في الفضاء الديني عموماً، والفضاء الإسلامي بشكل خاص، تدور جميعاً حول فكرة مركزية بأنّ ما وُجدَ بعد عدمٍ فلا بُدُّ له من سببٍ رُجِحَ وجودُه على عدمه، وأنّ ما كان ممكناً فهو مفتقر حتماً إلى وجود واجب أحدثه، وذلك السبب هو الله تعالى.

- ومن الأسماء التي اصطلح على تسمية هذه الدليل به:

دليل الخلق، والإيجاد، والحدوث، والاختراع، والمحرك الأول، والدليل الكلامي، والدليل الكوني، والدليل

(362) https://en.wikipedia.org/wiki/There_are_no_atheists_in_foxholes

(363) بتصرف/ انظر: الرياض الناضرة، ص252، وعقيدة المسلمين للبيهقي، 70/1، وشرح أصول الإيمان للشيخ محمد بن عثيمين، ص15.

(364) النمل: 88

الكوزمولوجي (الكوني)، وغيرها من الأسماء.⁽³⁶⁵⁾

ومن تأمل في هذا الدليل، وجده من أيسر الأدلة على وجود الله تعالى، وأقربها مأخذًا، وهو ما يفسر شيوع هذا النمط الاستدلالي في جميع الحضارات والثقافات والأمم، إذ بواعثه سؤال فطري يُفتش عن أسباب ما يُرى ويحس به من الحوادث، والمراد به أن الله سبحانه وتعالى جعل وجود كل مخلوق من مخلوقاته دليلًا على وجوده؛ إذ ما من شيء إلا وهو أثر من آثار قدرته سبحانه، وما ثمَّ إلا خالق ومخلوق، والمخلوق يدل على خالقه فطرةً وبداهةً، فما من أثر إلا وله مؤثر، كما اشتهر في قول الأعرابي الذي سئل: كيف عرفت ربك؟ فقال بفطرته السليمة: "سبحان الله إن البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ليل داج، ونهار ساج، ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير".⁽³⁶⁶⁾

وقال ابن تيمية: "العالم - بفتح اللام - مثل [الخاتم]⁽³⁶⁷⁾، ما يُعَلَّمُ به، كما أن الخاتم ما يُخْتَمُ به، ويسمى كل صنف من المخلوقات عالمًا؛ لأنه عَلَّمَ وَبَرَّهَانًا على الخالق تعالى".⁽³⁶⁸⁾

المطلب الثاني: كيفية الاستدلال بدليل الخلق والإيجاد:

تتحصل حقيقة هذا الدليل في الاستدلال على ضرورة وجود الله بحدوث الكون بجميع مكوناته وأحداثه، فالكون حَدَثٌ من الأحداث، وفعلٌ من الأفعال، وكلُّ شيء يحدث بعد أن لم يكن، فإنه يجب أن يكون له فاعل؛ لاستحالة أن يكون وجودها وانتقالها من العدم إلى الوجود ذاتيًا من غير سبب. وهذا الدليل مبني على مقدمتين ونتيجة:

المقدمة الأولى: المخلوقات وُجِدَت بعد أن لم تكن موجودة.

المقدمة الثانية: كل ما وُجِد بعد أن لم يكن موجودًا فلا بد له من خالق.

النتيجة: إذن، المخلوقات لها خالق.

الاستدلال على المقدمة الأولى:

الدليل على هذه المقدمة: الحسّ والمشاهدة؛ قال شيخ الإسلام: "الطريقة المذكورة في القرآن هي الاستدلال بحدوث الإنسان وغيره من المحدثات المعلوم حدوثها بالمشاهدة، ونحوها على وجود الخالق سبحانه وتعالى، فحدوث الإنسان يستدل به على المحدث ... فنفس حدوث الحيوان والنبات والمعدن والمطر والسحاب ونحو ذلك معلوم بالضرورة، بل مشهود لا يحتاج إلى دليل، وإنما يُعَلَّمُ بالدليل ما لم يُعَلَّمُ بالحس وبالضرورة.

والعلم بحدوث هذه المحدثات علم ضروري لا يحتاج إلى دليل، وذلك معلوم بالحس أو بالضرورة: إما بإخبار يُفِيدُ العلم الضروري، أو غير ذلك من العلوم الضرورية؛ فحدوث الإنسان من المني كحدوث الثمار من الأشجار، وحدوث النبات من الأرض، وغيرها من الأمثال.

(365) شموع النهار، عبد الله العجيري، ص 95.

(366) انظر: الرياض الناضرة ص 258، ومتهاج الجدل في القرآن ص 139، وهي من خطبة لقس بن ساعدة، انظر البيان والتبيين للجاحظ 1/ 254 وبنحوه عن الأصمعي برويه عن بعض الأعراب. المجالس الوعظية 1/ 461.

(367) مثل الخاتم: أي على وزنه.

³ انظر: النبوات، لابن تيمية (268).

ومن المعلوم بالحس أن نفس الثمرة حادثة كائنة بعد أن لم تكن، وكذلك الإنسان وغيره، كما قال تعالى: {أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلم يَكُ شَيْئًا} [مريم: 67]، {قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا} [مريم: 9]" (369).

الاستدلال على المقدمة الثانية:

المقدمة الثانية مبنية على ما يسمّى: مبدأ السببية، وقد قال وليام لاين كرايغ – بروفيسور الفلسفة الأمريكي – عن أدلة هذا المبدأ: "أولاً وقبل كل شيء، إن من لبّ الواقع الحتمي أنه لا يمكن لشيء أن يوجد من لا شيء، وإن اقتراح ظهور الأشياء إلى الوجود ببساطة وبدون أيّ سبب هو إلغاء للتباحث الفلسفي الجدّي والتجاء للسحر. ثانياً: إذا كانت الأشياء تستطيع فعلاً أن تأتي إلى الوجود بلا سبب ومن لا شيء، فيصبح من المتعدّر تفسير كيف يمكن حقاً لأيّ شيء وكل شيء ألا يأتي إلى الوجود بلا سبب ومن لا شيء.

أخيراً: إن المقدمة الأولى مُصدّق عليها بشكل مستمرّ في خبراتنا. فلدينا بالتالي أقوى الدوافع لقبولها" (370).

فَبَنَى هذه المقدمة على ثلاثة أدلة:

1/ عدم قبول مبدأ السببية، يؤدي إلى إلغاء التباحث الفلسفي الجدّي وللتجاء للسحر.

2/ عدم قبوله، يؤدي إلى استحالة تفسير كون الأشياء لا تأتي إلى الوجود بلا سبب، والواقع أن الأشياء لا تأتي للوجود بلا سبب.

3/ مبدأ السببية مُصدّق بشكل مستمرّ في خبراتنا.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن هذا المبدأ مركوز في فطرة الإنسان إذ قال: "حُدُوثِ الْحَادِثِ بِلَا مُخْدِثٍ أَحَدُهُ، مَعْلُومُ الْبَطْلَانِ بِضُرُورَةِ الْعَقْلِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَرْكُوزٌ فِي بَنِي آدَمَ حَتَّى الصَّبِيَّانِ، لَوْ ضُرِبَ الصَّبِيُّ ضَرْبَةً، فَقَالَ: مَنْ ضَرَبَنِي؟ فَقِيلَ: مَا ضَرَبَكَ أَحَدٌ، لَمْ يُصَدِّقْ عَقْلُهُ أَنَّ الضَّرْبَةَ حَدِثَتْ مِنْ غَيْرِ فَاعِلٍ؛ وَلِهَذَا لَوْ جَوَّزَ مُجَوِّزٌ أَنْ يَخْدُثُ كِتَابَةٌ أَوْ بِنَاءٌ أَوْ غَرَسٌ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ مُخْدِثٍ لِذَلِكَ، لَكَانَ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ إِمَّا مَجْنُونًا وَإِمَّا مُسْفِسِطًا، كَالْمُنْكَرِ لِلْعُلُومِ الْبَدِيهِيَّةِ وَالْمَعَارِفِ الضَّرُورِيَّةِ، وَكَذَلِكَ مَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يُخْدِثْ نَفْسَهُ، فَإِنْ كَانَ مَعْدُومًا قَبْلَ حَدُوثِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا، فَيُمْتَنَعُ أَنْ يُخْدِثَ غَيْرَهُ فَضْلًا عَنْ أَنْ يُخْدِثَ نَفْسَهُ" (371).

النتيجة: المخلوقات لها خالق خلقها.

المطلب الثالث: النصوص الشرعية الدالة على الخلق والإيجاد:

مع أن دليل الخلق والإيجاد دليل عقلي في أصله، إلا أن النصوص الشرعية في الإسلام اهتمت به كثيراً، وكررت التنبيه عليه مراراً، وأشارت إلى مسلماته التي يقوم عليها، وإلى مقتضياته التي ينتهي إليها في مواطن متعددة.

(369) درء تعارض العقل والنقل: (7/ 209–210).

(370) Richard Dawkins of Arguments for God, in God is Great God is Good (14)

(371) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (3/ 203).

1/ قال تعالى: {قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ رَبِّيَ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام: 164].

ووجه الدلالة من الآية في لفظ الربوبية، أنه يتضمن السيادة والملك والتدبير، والخلق من لوازم ذلك.⁽³⁷²⁾ وكما ذكرنا سابقاً أن دليل الإيجاد، يعني: "أن كل شيء مُحدث، أي: وُجد بعد أن لم يكن موجوداً، لا بد له من مُحدث، أي: مُوجد"، فهذا يدلُّ على أنه لدينا ما لا حصر له من الأدلة على وجود الخالق سبحانه، فكل ذرة في الكون هي دليل على الخلق، إذ كل شيء مُحدث قد ظهر إلى الوجود هو: دليل على الخالق المُوجد. وأنت إذا نظرت إلى الوجود تبين لك أنه عارض ومتغير وليس دائماً أو أزلياً، وبالتالي فهو غير مكتفٍ بذاته، وهذا يجعلك تقطع بعقلك بأن له خالقاً، وبالتالي ينصرف نظرك إلى مُوجد العالم بمجرد النظر في العالم.

ولذلك ما أكثر آيات القرآن في لفت النظر إلى العالم والموجودات من حولنا:

- قال الله تعالى: {قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} [يونس: 101].

- وقال تعالى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} [الروم: 8].

- وقال تعالى: {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} [الأعراف: 185].

إذن؛ فكلُّ شيء مُحدث هو دليلٌ مباشر على المُوجد!، وإذا كان هذا باتفاق العقلاء، فكيف يُستثنى من هذه القاعدة هذا الكون البديع بكل هذه التفاصيل الدقيقة التي لا يمكن بحال أن تتكون بسبب صدفة، أو انفجار عابر، أو انتخاب أو تطور؟

ولو سئل منكر لذلك: هل يمكن أن يكون هذا الكتاب الذي يقرأه الآن قد ظهر فجأة بين يديه؟ أو هل هناك احتمال أن تكون قد انتظمت كل هذه الكلمات بهذه الصورة على سبيل الصدفة؟ أو أن كل أحرف هذا الكتاب قد تشكَّلت بسبب انتخاب طبيعي أو تطوّر معين حتى خرجت بهذه الصورة مفهومة المعنى؟ لكان جواب العاقل قطعاً: لا، لا يمكن ذلك، فلا بُدَّ من أن هناك مُحدثاً لهذا الكتاب ومُؤلفاً له!

وإذا كان هذا الجواب على مستوى شيء واحد صغير جداً في هذا الكون، فكيف بخلق السماوات والأرض والجبال والأنهار والأشجار والبحار والكائنات الحية باختلاف أحجامها وأشكالها وكذلك الفطريات والفيروسات والميكروبات، والذرة ومكوناتها، والخلية وأجزائها، والبصمة الوراثية والحمض النووي، وتعاقب الليل والنهار وطلوع الشمس والقمر ومغيبيهما؟! وهذه الأجرام السماوية تملأ أعيننا كل ليل، وغير ذلك من المخلوقات التي في الكون، هل يمكن أن تكون قد وُجدت هكذا صدفة من غير مُوجد لها؟ لا شك أن العقل البشري السوي يأبى ذلك تماماً.

"فإذا آمننا بوجود الكون؛ فلا بد أن نؤمن بإله هذا الكون منطقياً؛ إذ لا معنى لأن نؤمن بالمخلوق ونرفض وجود خالقه، ونحن لا نعلم شيئاً جاء إلى الوجود من العدم، دون أن يُخلق، فكل شيء مهما بلغ حجمه، عَظُمَ أو صَغُرَ، جَلَّ أو دَقَّ، وراءه علة، فكيف بنا نؤمن بأن كوناً عظيماً مثل كوننا جاء إلى الوجود ذاتياً، دون خالق؟!"⁽³⁷³⁾.

¹ شرح العقيدة الطحاوية (1/136).

(373) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان 53.

2/ يقول الله تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَّا يُوقِنُونَ} [الطور:-36-37].

يقول تعالى هؤلاء مخلوقون بعد أن لم يكونوا، فهل خلقوا من غير خالق خلقهم فهذا من المحال الممتنع عند كل من له فهم وعقل أن يكون مصنوعاً من غير صانع ومخلوق من غير خالق، ولو مر رجل بأرض قفر لا بناء فيها ثم مر بها فرأى فيها بنياناً وقصوراً وعمارات محكمة لم يخالجه شك ولا ريب أن صانعاً صنعها وبانيّاً بناها. ثم قال: (أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) وهذا أيضاً من المستحيل أن يكون العبد موجداً خالقاً لنفسه، فإن من لا يقدر أن يزيد في حياته بعد وجوده، وتعاطيه أسباب الحياة ساعة واحدة، ولا أصبعاً ولا ظفرًا ولا شعرة كيف يكون خالقاً لنفسه في حال عدمه؟.

وإذا بطل القسمان، تعين أن لهم خالقاً خلقهم، وفاطراً فطرهم، فهو الإله الحق الذي يستحق عليهم العبادة والشكر، فكيف يشركون به إلهاً غيره وهو وحده الخالق لهم.⁽³⁷⁴⁾

وقال شيخ الإسلام مفسراً هذه الآية الكريمة: "هذا تقسيم حاصر، يقول: أخلقوا من غير خالقٍ خلقهم؟ فهذا ممتنع في بداءة العقول، أَمْ هُمْ خَلَقُوا أَنْفُسَهُمْ؟ فهذا أشدُّ امتناعاً، فعلم أن لهم خالقاً خلقهم. وهو سبحانه وتعالى ذكر الدليل بصيغة استفهام الإنكار: ليبين أن هذه القضية التي استدلل بها، فطريةٌ بديهيةٌ مستقرّةٌ في النفوس لا يمكن أحداً إنكارها، فلا يمكن صحيح الفطرة أن يدعي وجودَ حادثٍ بدون مُحدثٍ أحدثه، ولا يمكنه أن يقول هو أحدث نفسه".⁽³⁷⁵⁾

ثانياً: في نصوص السنة النبوية المطهرة:

ومن أوضح النصوص الشرعية، التي تضمنت الإشارة إلى دليل الخلق والإيجاد:

1- قول النبي صلى الله عليه وسلم: "يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ، فَلَيْسَتْ عِندَ اللَّهِ وَلِيَّتَهُ".⁽³⁷⁶⁾

في هذا الحديث: يُبَيِّنُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِلَاجَ النَّاجِعَ لِمِثْلِ هَذِهِ التَّسْأَلَاتِ، فَقَالَ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ»، فَيَبْعَثُ فِي نَفْسِهِ وَعَقْلِهِ الشُّكُوكَ، وَيُثِيرُ التَّسْأَلَاتِ الْعَدِيدَةَ عَنْ حُدُوثِ الْأَشْيَاءِ وَمَنْ أَحَدَثَهَا وَأَوْجَدَهَا، «فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟»، كَأَن يَتَسَاءَلُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ وَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ وَمَنْ خَلَقَ الْجِبَالَ؟ وَمَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ؟ فَيُجِيبُهُ ابْنُ آدَمَ دِينًا وَفِطْرَةً وَعَقْلًا بِقَوْلِهِ: «اللَّهُ»، وَهَذَا جَوَابٌ بَدِهيٌّ صَحِيحٌ وَحَقٌّ وَإِيمَانٌ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَقِفُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ مِنَ الْأَسْئَلَةِ وَالْوَسَاوِسِ، بَلْ يَنْتَقِلُ مِنْ سُؤَالٍ إِلَى سُؤَالٍ «حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟» وَهَذَا مِنَ التَّشْكِيكِ فِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَكَأَنَّهُ أَرَادَ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يُجْرِيَ عَلَى الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ خَالِقٍ وَمُوجِدٍ أَعْلَى مِنْهُ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُوسُوسُ بِهِ الشَّيْطَانُ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَهَذَا وَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّوَاءَ النَّافِعَ وَالْجَوَابَ السَّرِيعَ لِمِثْلِ ذَلِكَ، بَأَنَّهُ إِذَا وَصَلَ الشَّيْطَانُ مَعَ الْإِنْسَانِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ مِنَ الْوَسْوَسَةِ، فَلَيْسَتْ عِندَ اللَّهِ مِنْهُ، وَلْيُكْفَ عَنْ الاستجابة له، وَلْيَنْتَهَ عَنِ الاسترسالِ مَعَهُ فِي ذَلِكَ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ يُرِيدُ إِفْسَادَ دِينِهِ، وَفِي رِوَايَةٍ مُسَلِّمٍ: «فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ»، فَأَرْشَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

1 انظر: الصواعق المرسله (2/ 493). (هذه الحاشية لم أجد لها مريضة مع أي متن فيرجى مراجعتها)

(375) الرد على المنطقيين (253).

(376) أخرجه البخاري (3276)، ومسلم (134) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وسلّم إلى دفع هذا السؤال بأموّر ثلاثة: بالانتهاء عن الاسترسال، والتعوّذ من الشيطان، وبالإيمان. وفي الحديث: أنّ الشيطان يتربّصُ بآدمَ حتّى يُوقعه في الشرِّ والكفر. وفيه: تحذيرٌ من الاسترسال مع الأسئلة الوجودية التي تُؤدّي إلى الكفر. وفيه: بيانٌ أنّ تسليم الأمر لله وإرجاع القدرة إليه، مع الإيمان التام؛ فيه مخرجٌ من الوقوع في الكفر بالله سبحانه. (377)

وفي هذا الحديث أيضاً يقول ابن تيمية رحمه الله:

"إنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بالاستعاذة بالله وحده - مع أهمية ذلك وضرورته - وإنما أمر العبد أن ينتهي عن الخوض في ذلك السؤال مع الاستعاذة بالله؛ إعلاماً منه بأن ذلك السؤال متضمن لخطأ منطقي، وغلط عقلي ظاهر، فإن النفس تطلب سبب كل حادث، وأول كل شيء حتى تنتهي إلى الغاية والمنتهى... فإذا وصل العبد إلى غاية الغايات، ونهاية النهايات، وجب وقوفه، فإذا طلب بعد ذلك شيئاً آخر وجب أن ينتهي، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم العبد أن ينتهي مع استجارته بالله من وسواس التسلسل، وإنما وجب انتهاؤه؛ لأنه يمتنع أن يكون لخالق كل مخلوق خالق، فإنه لو كان له خالق لكان مخلوقاً، ولم يكن خالقاً لكل مخلوق، بل كان يكون من جملة المخلوقات، والمخلوقات كلها لا بُدَّ لها من خالق، وهذا معلوم بالضرورة والفطرة". (378)

ولا يزال الشيطان يدفع إلى قلوب من ليست لهم بصيرة بإيراد الباطل فيها؛ إمّا وسوسةً محضّةً، أو على لسان شياطين الإنس وملائحتهم.

2- وقال جبير بن مطعم: "سمعتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: {أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصْطَفُونَ} [الطور: 35-37]، قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ. (379)

في هذا الحديث: يحكي جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِسُورَةِ الطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَاتِ: {أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصْطَفُونَ} [الطور: 35-37]، قَالَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ»، يَعْنِي: قَارِبَ قَلْبِي أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مَكَانِهِ؛ لِمَا تَضَمَّنَتْهُ الْآيَاتُ مِنْ بَلِيغِ الْحُجَّةِ. وقد كان جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ فِي فِدَاءِ الْأَسَارِيِّ، فِي الْعَامِ الثَّانِي مِنَ الْهَجْرَةِ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ مُشْرِكًا، وَكَانَ سَمَاعُهُ هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ جَمَلَةٍ مَا حَمَلَهُ عَلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدُ. (380)

المطلب الرابع: من طرق معرفة الله، النظر والتفكير في مخلوقاته:

إنّ التفكير في مخلوقات الله يُعَرِّفُنَا بِعِظَمَةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ حَمَقًا وَجَهْلًا وَضَلَالًا مَنْ يَرَى هَذَا

(377) الموسوعة الحديثية. الدرر السنية.

(378) درة تعارض العقل والنقل ص: 315. الجزء الثالث.

(379) أخرجه البخاري (4854)، أخرجه مسلم (463) باختلاف يسير دون قوله: "فلما بلغ هذه الآية..."

(380) الموسوعة الحديثية. الدرر السنية

الخلق البديع العظيم المتناسق، الدال على الحكمة الباهرة والقدرة المطلقة، ثم لا يؤمن بالخالق الذي أوجدها من العدم.

فتلك الخلية التي يتشكل منها جسدك، والتي وصفها أحدهم بأنها أكثر تعقيدا من مدينة نيويورك، تحوي الكثير من المعلومات فيما يسمى: الحمض النووي، وبما أن ثمة معلومات؛ إذن فلا بد من وجود ذكاء، حيث أن الحمض النووي يحتوي على معلومات أكثر من كل الكتب التي توجد على سطح الأرض.

إذا تأملت أكثر في خلق الله لك، تجد عجباً من الأجهزة الدقيقة والأنظمة المحكمة:

- فهذا جهاز متكامل لهضم الطعام، يبدأ بالفم يقطع الطعام إلى قطع صغيرة؛ ليسهل هضمه، ثم البلعوم، ثم ترمى اللقمة إلى الحنجرة، فيفتح لها لسان المزمار (اللهاة) باب المريء، ويسد عليها باب القصبة الهوائية، ثم تنزل اللقمة إلى المعدة بواسطة المريء المتحرك حركات دودية، وفي المعدة تستمر عملية الهضم حيث يتحول الطعام إلى سائل تفتح له فتحة البواب في المعدة، ويتجه إلى الإثني عشر، حيث تستمر عملية الهضم التي هي تحويل المادة الخام من الطعام إلى مادة مناسبة صالحة؛ لتغذية خلايا الجسم، ثم منها إلى الأمعاء الدقيقة حيث تستكمل عمليات الهضم النهائية، ويصبح الطعام بهذه الصورة صالحاً لأن يُمتصَّ بواسطة الخملات الموجودة في الأمعاء ليجري مع تيار الدم.

- وذلك جهاز متكامل لدورة الدم الممتد في شرايين معقدة، لو فردتها؛ لزاد طولها على آلاف الكيلو مترات، متصلة بمحطة ضخ مركزية تسمى القلب، لا تكل ولا تمل في نقل الدماء خلال تلك الشرايين.

- وهناك جهاز آخر للتنفس، ورابع للأعصاب، وخامس لاستخراج الفضلات، وسادس وسابع وعاشر مما نزداد كل يوم معرفة بها، وما نجهله فيها أكثر مما نعرفه، فمن خلق هذا الإنسان بهذا الإتقان إلا الله؟! لذلك فإن أعظم خطيئة في الوجود، أن تجعل لله ندًا وهو خالقك.

وإذا تأملت فيمن حولك أيضاً، فسترى ما يدهشك؛ فهذا الهواء الذي تستنشقه ويتسرب إليك في كل مكان، بلا لون يكدر الأبصار، ولو انقطع عنك دقائق معدودات؛ لفارقت الحياة، وهذا الماء الذي تشربه، وذلك الطعام الذي تأكله، وهذا الإنسان الذي تحبه، وهذه الأرض التي تمشي عليها، وتلك السماء التي تنظر إليها، كل ما تراه عينك وما لا تراه من المخلوقات مما كبير أو صغر، كل ذلك من خلق الله الخلاق العليم.

إنَّ التفكير في خلق الله يجعلنا ندرك عظمة الخالق سبحانه، وبديع قدرته، وعجيب صنعه، فلا فلتة ولا مصادفة ولا خلل ولا نقص.

وبالتفكير أيضاً يَسْتَدِلُّ المرء على ما لله من صفات الكمال والجلال، ويعلم أنه لا يخلق أحد كخلق الله، ولا يدبر كتدبيره سبحانه وتعالى، وكلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة، علم بذلك أنها خُلِقَتْ للحق وبالحق، وأنها صحائف آياتٍ، وكتبٌ دلالاتٍ على ما أخبر الله به عن نفسه ووحدانيته.

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: " أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى بِالنَّظَرِ فِي آيَاتِهِ، وَالْإِعْتِبَارِ بِمَخْلُوقَاتِهِ فِي أَعْدَادِ كَثِيرَةٍ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ، أَرَادَ بِذَلِكَ زِيَادَةَ فِي الْيَقِينِ، وَقَوْلًا فِي الْإِيمَانِ، وَتَثْبِيثًا لِلْقُلُوبِ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَقَدْ رَوَى ابْنُ الْقَاسِمِ عَنْ مَالِكٍ؛ قَالَ: قِيلَ لِأَمِّ الدَّرْدَاءِ: مَا كَانَ أَكْثَرَ شَأْنِ أَبِي الدَّرْدَاءِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرَ شَأْنِهِ التَّفَكُّرَ. وَقِيلَ لَهُ -أَيُّ أَبِي الدَّرْدَاءِ-: أَفْتَرَى الْفِكْرَ

عَمَلًا مِنَ الْأَعْمَالِ؟ قَالَ: نَعَمْ. هُوَ الْيَقِينُ" (381)

إذن؛ فالتفكير طريق العبد إلى اليقين، كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ} [الأنعام:75]، ويقول الله عز وجل: {إِنَّ فِي آخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ} [يونس:10].

قال خليفة العبدي: "فوالله ما زال المؤمنون يتفكرون فيما خلق ربهم تبارك وتعالى حتى أيقنت قلوبهم بربهم عز وجل، وكأنما عبدوا الله عن رؤية"⁽³⁸²⁾، فكلما نظرنا إلى خلق الله، وعظيم إحكامه؛ ازددنا معرفةً و يقيناً به جل وعلا؛ فخالق هذا العالم الممهر الأنيق، هو خالقٌ عظيمٌ عليمٌ قديرٌ حكيمٌ سبحانه؛ ولذلك من يُنكر وجوده سبحانه وتعالى، هو المطالبُ بالدليل وليس المؤمن!

(381) أحكام القرآن لابن العربي - ابن العربي (543هـ).

(382) تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور/ السيوطي (ت 911هـ).

المبحث الثالث: الاستدلال بدليل الإحكام والإتقان على وجود الله:

المطلب الأول: الإحكام والإتقان لغة واصطلاحًا:

أولاً: الإحكام في اللغة:

قال ابن فارس: "الحاء والكاف والميم أصلٌ واحد، وهو المنع، وأول ذلك الحُكْمُ، وهو المنع من الظلم، وسُمِّيَتْ حَكْمَةُ الدابة؛ لأنها تمنعها، يقال: حَكَمْتُ الدابة وأَحَكَمْتُهَا، ويقال: حَكَمْتُ السَّفِيهَةَ، وَأَحَكَمْتُهُ: إذا أَخَذْتُ عَلَى يَدَيْهِ". (383)

وقال الخليل: "الحِكْمَةُ مرجعها إلى العدل والعلم والحلم، ويقال: أَحَكَمْتَهُ التجارب، إذا كان حَكِيمًا، وَأَحَكَمَ فلان عني كذا؛ أي: منعه... وكل شيء منعه من الفساد فقد حَكَمْتَهُ، وحَكَمْتَهُ وَأَحَكَمْتَهُ". (384)

وقال الجوهري: "والحكيم المتقن للأمور". (385)

ثانيًا: الإتقان في اللغة:

الإحكام⁽³⁸⁶⁾، وفي اللسان: "وأَتَقَنَ الشيءَ أَحَكَمَهُ، وإِتْقَانُهُ إِحْكَامُهُ، وإِتْقَانُ الإِحْكَامِ للأشياء". (387)
فالإحكام والإتقان معناهما واحد، وهو ضبط الشيء ومنع وقوع الفساد والخلل فيه.

ثالثًا: الإحكام والإتقان اصطلاحًا:

يُطَلَّقُ على خلق السماوات والأرض، وما فيها، وخلق الإنسان، وغيره من المخلوقات، والذي يدل على وجود خالق عليم حكيم.

رابعًا: أسماء أخرى لدليل الإحكام والإتقان:

يسمي الكثيرون هذا الدليل: دليل العناية، والبعض يرى أن دليل العناية زائد على الإتقان⁽³⁸⁸⁾، كما يسمى: دليل النظام أو التناسق.⁽³⁸⁹⁾

المطلب الثاني: أقوال أهل العلم في دليل الإتقان والإحكام:

- قال ابن تيمية: "أفعاله المحكمة المتقنة دلّت على علمه، وهذا مما وقع الاتفاق عليه من هؤلاء، فإنهم يسلمون أن الإحكام والإتقان يدل على علم الفاعل، وهذا أمر ضروري عندهم وعند غيرهم، وهو من أعظم الأدلة العقلية التي يجب ثبوت مدلولها، والإحكام والإتقان إنما هو أن يضع كل شيء في محله المناسب، لتحصل به

(383) مقاييس اللغة (91/2) [دار الجيل، ط1، 1411هـ].

(384) العين (67/3) [دار مكتبة الهلال].

(385) الصحاح (1901/5) [دار العلم للملايين، ط3].

(386) انظر: العين. (5/129).

(387) لسان العرب (73/13) [دار صادر].

(388) انظر: العقيدة الإسلامية لعبد الرحمن حبنكة (130) [دار القلم، ط6، 1412هـ].

(389) انظر: عقيدة التوحيد للمكاوي (147) [دار ابن تيمية، ط1، 1405هـ].

- وقال ابن القيم: "ومن نظر في هذا العالم وتأمل أمره حق التأمل، علم قطعاً أن خالقه أتقنه وأحكمه غاية الإتيان والإحكام" (391).

المطلب الثالث: كيفية الاستدلال بدليل الإحكام والإتيان

يُستدل بهذا الدليل على ضرورة وجود الله سبحانه بما في العالم من الإتيان في الخلق، والإحكام في تفاصيله الدقيقة المذهلة، ولتحقق ذلك لا بُدَّ من فاعل يتصف بالقدرة والحكمة وسعة العلم. وهذا الدليل دليل يقيني، ومسلكه الاستدلالي يستعمله عامة العقلاء في تعاملاتهم الحياتية، لا يحتاج إلى دراسة ولا مراجعة.

ويقوم دليل الإحكام والإتيان على مقدمتين أساسيتين:

- أن الكون متقن ومحكم في خلقته.

- أن الإتيان والإحكام لا بد له من فاعل حكيم عليم.

المقدمة الأولى: الكون متقن ومحكم في خلقته:

المراد بها أن الكون رُكّب بصورة معقدة جداً لا يمكن اختزالها إلى أسباب راجعة إلى الكون نفسه أو إلى الصدفة، وأن أحداثه وأجزائه شُكِّلت في مسارات دقيقة بحيث أن كل جزء منه يؤدي وظيفة دقيقة خاصة به، وفُيِّرت مكوناته بمقادير دقيقة بحيث أن أي زيادة أو نقصان يؤدي إلى اختلافات كبيرة تؤول إلى فساد الكون كله.

والأدلة والشواهد الدالة على صحة هذه المقدمة تنقسم إلى نوعين أساسيين:

1- الدليل الحسي المباشر: فكل عاقل يشاهد أصنافاً متنوعة من الإتيان في الوجود، يَعْلَمُ وَيُسَلِّمُ بالضرورة وجود متقن لها.

وقد كان هذا النوع من الاستدلال منتشراً عند الأقدمين قبل ظهور العلم التجريبي، وفي بيانه والاعتماد عليه، يقول ابن تيمية رحمه الله: "إذا تأملت هيئة هذا العالم ببصرك، واعتبرتها بفكرك، وجدته كالبيت المبني المعدّ فيه جميع ما يحتاج إليه ساكنه من آلة وعتاد، فالسما مرفوعة كالسقف، والأرض مبسوطة كاللبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وضروب النبات مهياًة للمطاعم والملابس والمأرب، وصنوف الحيوان مسخرة للمراكب، مستعملة في المرافق، والإنسان كالمُملِك البيت، المخول ما فيه. وفي هذا كله دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام وأن له صانعاً حكيمًا تام القدرة بالغ الحكمة" (392).

2- الدليل العلمي التجريبي: فقد كشف العلماء مع التطورات العلمية الحديثة أصنافاً وأشكالاً مبهرة من الإتيان والدقة والتقدير في الكون، ودبجوا مقطوعات مطولة في وصف ذلك الإتيان، وتفننوا في توضيح الإحكام

(390) النبوات (376).

(391) الصواعق المرسله (4/1567).

(392) ابن تيمية، بيان تلبس الجهمية، (1/506).

والإقرار بإتقان صنعة الكون وإحكامه ليس خاصًا بالعلماء المؤمنين، بل أقر به أكثر العلماء الملاحدة، يقول العالم الفيزيائي المعاصر بول ديفيز (Paul Davies): "حتى العلماء الملحدون الذين يشكلون جزءًا صغيرًا جدًا وهشًا من الكون يدبجون قصائد المديح في ضخامته وعظمته وتناغمه وأناقته وعبقريته".⁽³⁹³⁾

ولقد قال بول ديفيز أيضًا بعد أن شرح شروط إمكان الحياة في الكون وامتلاك كوننا لها: "ولو أن أية خاصية أساسية للكون من خصائص الذرات اختلفت لكان من المحتمل جدًا أن تصبح الحياة مستحيلة...".⁽³⁹⁴⁾

ومن الملاحدة الذين توسعوا في شرح الإتقان والإحكام في الكون، العالم الفيزيائي المعاصر ستيفن هوكنج (Stephen Hawking)، فإنه أولى هذه القضية اهتمامًا بالغًا، وكرر مرارًا بأن الكون مُتَّصِفٌ بالضبط الدقيق المهر، ويقول: "معظم الثوابت الأساسية في نظرياتنا تبدو مضبوطة بدقة، بمعنى أنها لو عدلت بمقادير بسيطة، فإن الكون سيختلف كيفيًا، سيكون في حالات عديدة غير ملائم لتطورات الحياة".⁽³⁹⁵⁾

ويقول عالم الفلك آلن سانديج (Allan Sandage): "إني مقتنع أن وجود الحياة بكل ما فيها من تنظيم في كل كائن من كائناتها الحية مركب بمنتهى البراعة".⁽³⁹⁶⁾

وأما أنتوني فلو (Antony Flew) الفيلسوف الإنجليزي المشهور، أحد أكبر ملاحدة العصر الحديث عن سبب رجوعه عن الالحاد وإقراره بالخالق، يقول: "لا شك أن ما كشفه العلم الحديث من معلومات هائلة في مجال قوانين الطبيعة... وكذلك نشأة الحياة وتنوع الكائنات الحية، قد أمد هذا البرهان -دليل الإتقان- بالكثير من الأدلة التي أعانتني كثيرًا في الوصول إلى هذا الاستنتاج"⁽³⁹⁷⁾، وذكر أن الكون أُعِدَّ وَصِّمَ؛ لاستقبال الحياة عليه بدقة باهرة، ثم بين ذلك بمثال، فقال: "تصور أنك نزلت في إحدى رحلاتك بأحد الفنادق، وعندما دخلت غرفتك وجدت أن الصورة المعلقة فوق السرير نسخة مطابقة للصورة التي علقها منذ سنوات فوق فراشك في بيتك، كذلك السجادة التي تغطي أرضية الغرفة، بل إنهم يضعون في المزهريّة نوع الزهور نفسه التي تفضله، وعلى المنضدة في ركن الغرفة وجدت الطبعة الأخيرة من ديوان الشعر الذي تفضل القراءة فيه من حين لآخر، كما وجدت الصحيفة التي اعتدت قراءتها يوميًا وداخل الثلجة وجدت أنواع المشروبات والشيكولاتة التي تحبها، كما أن زجاجة المياه المعدنية من نفس النوع الذي تستخدمه في وطنك، وعندما شغلت جهاز التليفزيون وجدت أنّ الإرسال الداخل للفندق يعرض باستمرار الأفلام المفضلة عندك، كما تذيع الإذاعة الداخلية المقطوعات الموسيقية التي تحبها، وفي الحمام وجدت الحوائط قد غطت بالقيشاني من نفس درجة اللون الفيروزي التي تفضله، كما وجدت على أحد الأرفف نفس الشامبو والصابون اللذين اعتدت على استخدامهما، وكلما جلست ببصرك وجدت حولك تطابقًا بين ما تحبه واعتدت عليه، وبين ما وقّرت له لك إدارة الفندق، لا شك أن احتمال المصادفة يتناقض تدريجيًا حتى يثبت في يقينك أن أحدًا قد أطلع إدارة الفندق على تفاصيل حياتك ودقائق

(393) الجائزة الكبرى، لماذا الكون مناسب للحياة، بول ديفيز (31).

(394) الجائزة الكبرى لماذا الكون مناسبًا للحياة، بول ديفيز (15).

(395) التصميم العظيم، ستيفن هوكنج (192).

(396) العلم ووجود الله ل(جون لينكس) (ص328).

(397) ضمن كتاب رحلة عقل، عمرو شريف (83).

المقدمة الثانية: الإتيان والإحكام لا بد له من فاعل:

أي أن مشاهد الإتيان في الوجود يتعذر أن تقع بغير فاعلٍ عالمٍ مريدٍ مختارٍ حكيمٍ قادرٍ، يقوم بتصميمها وتقديرها؛ لاحتوائها على تفاصيل معقدة ومتداخلة ومذهلة.

وهذه المقدمة من أجلي المقدمات وأظهرها في العقول، ويدل على صحتها وضرورتها أمران:

1- **الضرورة العقلية:** فالعقل بفطرته السليمة يدل على أن الفعل لا بد له من فاعل، بل الإتيان ليس مجرد فعل وإنما هو فعل مخصوص بحالة تركيبية خاصة تتطلب أن يكون فاعله متصف بصفات كمالية عالية متناسبة مع حالة ذلك الفعل.

2- **الضرورة الرياضية:** ففضلاً عن أن الضرورة العقلية تدل على استحالة وجود الإتيان بغير فاعل حكيم عليم قادر مريد، فإن الحسابات الرياضية تدل على ذلك أيضاً وتؤكدده، بل وتثبت أيضاً بطلان الاحتمالات الأخرى كالحادث بالصدفة المفاجئة أو التطور طويل الأمد، ومن أظهر الأمثلة على ذلك تكوّن البروتين:

فقد أثبت العالم السويسري تشارلز يوجين من خلال حسابه للعوامل التي يمكن من خلالها تكوّن بروتين واحد بالصدفة أنه يتطلب نسبة 1 إلى 10¹⁶⁰ أس، وهذا رقم لا يمكن النطق به أو التعبير عنه، وهو عند علماء الرياضيات يساوي صفرًا، لأن أعلى نسبة للاحتمال عندهم هو 1 إلى 10¹⁵⁰ أس، واكتشف أن كمية المادة التي تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة أكثر مما يتسع له هذا الكون بملايين المرات ويتطلب بلايين السنين لتكوّنه. (399)

إذن دليل الإتيان لا يتضمن فقط الإقرار بوجود خالق، بل يتضمن كذلك اتصافه بصفات العلم والإرادة والحكمة.

الفرق بين دليل الخلق والإيجاد ودليل الإحكام والإتيان

والفرق بين هذا الدليل ودليل الخلق والإيجاد:

- أن دليل الإحكام والإتيان: يستند إلى حالة الكون بعد وجوده.

- أما دليل الخلق: فيستند إلى نشأة الكون في أول حدوثه.

فكما أن المخلوقات يدل حدوثها من العدم على ضرورة وجود الخالق، فإن الحالة التي هي عليها بعد حدوثها من الدقة في الخلقة، والبراعة في الإتيان، والإبهار في التصميم والإحكام، تدل على ضرورة وجود الخالق سبحانه أيضاً.

دليل الإتيان عُرفَ عند العامة قبل العلماء

وإضافة إلى كون هذا الدليل عقلياً شرعياً، مؤثراً، يمتاز أيضاً بكونه سهل المقدمات قريب الفهم؛ ولذلك كان حاضراً عند العامة قبل العلماء، ومنها: ما اشتهر من استدلال الأعرابي ببديع صنع السماوات، وأبراجها

(398) ضمن كتاب رحلة عقل ، عمرو شريف (94).

(399) انظر: كتاب هداية الملحددين د. سلطان العميري.

والأرضين وفجاجها على الله العليم الخبير.

- واحتجاجُ الإمامِ أبي حنيفة رحمه الله في مناظرته الشهيرة والتي أشرنا إليه سابقاً.⁽⁴⁰⁰⁾

- وكذلك الإمام مالك رحمه الله: استدل باختلاف اللغات والأصوات والنعومات على خالقها.

- والإمام الشافعي رحمه الله: استدل بورق التوت ذات الطعم الواحد، الذي تأكله الدواب ثم كل واحدة تخرجه شيئاً مختلفاً، فبينما تخرجه بعضها بريساً، تخرجه أخرى عسلاً، وثالثة مسكاً، ورابعة تلقية بعراً، وأصله شيء واحد!

- وأما الإمام أحمد رحمه الله: فقد استدل بخروج الحي من الميت، حيث قال: "هاهنا حصن حصين أملس، ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز، فبينما هو كذلك إذ انصدع جداره، فخرج منه حيوان سميع بصير، ذو شكل حسن وصوت مليح."⁽⁴⁰¹⁾

(400) وخلصته أن أبا حنيفة سُئِلَ عن وجود الله، فقال: دعوني، فإني أفكر في سفينة لا قبطان لها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتخرق الأمواج العظام، حتى تتخلص منها بنفسها. فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل، فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع؟! (401) ينظر: تفسير ابن كثير (1/197)، وقد ذكر هذا الدليل طائفة من علماء السلف في كتبهم؛ كالخطابي والبيهقي وابن رشد وابن حزم والرازي وابن تيمية وابن القيم وغيرهم من العلماء. ينظر: شموع النهار للشيخ عبد الله العجيري (ص167)، وظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث لد. سلطان العميري. (2/185)

المطلب الرابع: الإتقان والتعقيد الوظيفي من أدلة وجود الله

تبين لنا أن مجرد وجود الشيء بعد أن لم يكن موجودًا، هو دليل حتمي على وجود الخالق؛ وفي هذا الدليل سنتناول دليلاً آخر يزيد يقيننا بذلك؛ وهو التعقيد والإتقان الموجودان في المخلوقات، كما أن هذا الإتقان الموجود في المخلوقات يحمل معه شيئاً عظيماً آخر لإيماننا، وهو الدلالة على كمال الخالق... وفي خلال السطور التالية، سوف نعرض مجموعة من الأمثلة، تُوضِّحُ لنا التعقيد الوظيفي في المخلوقات:

- طفل يرسم بإتقان:

لو وجدتَ نفسك ذات يومٍ أمامَ طفلٍ صغيرٍ جدًّا، يغلب على ظنك أنه لا يُحسن الرسم، ثم رأيتَه وقد أتاك بصورةٍ رَسَمَ فيها سهلاً أخضرَ جميلاً، يلعبُ فيه الأطفالُ بألعابٍ مختلفة، ماذا سوف تستنتج من هذا الموقف؟ من البدهي استنتاج أن هذا الطفل قد تعلَّم الرسم، وأنه قصد رسم هذه اللوحة بما فيها من تفاصيل، ومن ثمَّ لن يخطر ببالك أن هذه اللوحة كانت نتيجة لتميره القلم على الورقة بشكل عشوائي، وبدون قصد ليرسم ما رسمه. (402)

- محرك معقد:

وكذلك إذا رأينا محركًا معقدًا، يحرق الوقود، ثم يحول الطاقة من شكل إلى آخر، فإننا سوف نكون على يقين قوي جدًّا من وجود صانع لهذا المحرك، لكن هل يمكن أن يكون صانعه جاهلاً بهذه الصناعة؟! قطعًا، لا، إن مجرد رؤيتك للمحرك تعني لك أن صانعه عنده علم بالميكانيكا، والكهرباء، والتصميم، ولديه كل ما يلزم لصناعة هذا المحرك، وإلا لما استطاع صناعته، أو لصنعه على نحو غير متقن.

وإذًا كان يقيننا قويًا جدًّا بوجود رسام للصورة، وصانع ماهر للمحرك، فإننا إذا تأملنا في بعض المخلوقات، وتأملنا ما فيها من تعقيد وإتقان شديد جدًّا، فإنَّ عقولنا سوف تضطر اضطرارًا لإثبات خالق عليم حكيم ذي إرادة.

- كاميرا فوتوغرافية:

هل حدثتَ نفسك، أن تتفكَّر في العمليات المعقدة التي تُؤدِّبها وأنت تقرأ هذه السطور؟ دعنا أولاً نتباحث حول احتياجات محاكاة هذه العملية بالتقنيات الحديثة، بادئ ذي بدءٍ نحتاج إلى (كاميرا) عالية المواصفات؛ يمكنها التمييز بين الألوان؛ لإدخال صورة الحرف، ولا بد من اختيار المكان المناسب للكاميرا؛ لتكون واضحة مقروءة.

ولعلنا نتنبَّه إلى أن عملية التصوير بالكاميرا ليست مجرد ضغطة زر كما يبدو، بل هي الأخرى تحتاج إلى خبرة وعمليات معقدة (403).

(402) بتصرف: محاضرة الداروينة عرض ونقد، عبد الله العجيري.

(403) يقصد بها عمليات إعداد الكاميرا للتصوير التي يعرفها خبراء التصوير؛ مثل: تحديد المجال SCOPE، وتحديد بؤرة التركيز FOCUS، وتركيز العدسة على المشهد أو ما يسمى عمق المشهد DEPTH OF FIELD، وتباين الألوان CONTRAST، والإضاءة LIGHT وغيرها، وكل هذه تحتاج إلى وقت وجهد وخبرة لتعلمها، ولكن كل ذلك بالنسبة لعين الإنسان يتم تلقائيًا بتدبير الله وفضله سبحانه في أجزاء من الثانية دون أي أعداد مسبق!

ثم نحتاج إلى (آلة للتعرف على الحروف المكتوبة)؛ ليترجم لنا المقصود بها، وكذلك آلة إرسال دقيقة؛ لنقل هذه الصورة من الكاميرا إلى (جهاز التعرف على الحروف المكتوبة).

وفي كل تلك المراحل نحتاج إلى جهاز التخزين المؤقت لهذه المعلومات، ثم جهاز التخزين الدائم الذي به تحفظ العمل النهائي، ولا تنس أيضًا الطاقة التي ستفعل لنا كل هذه الأجهزة.

كل تلك العمليات تحدث في ثانية، بل في قدر لا يُذكر من الثانية من حيث لا تشعر وأنت تقرأ.

أمثلة أكثر تعقيدًا:

- العين البشرية:

لعلك دُهِشت مما سبق مع بساطة الأمر، ولكنني أدعوك لإبقاء الدهشة لما سيأتي، فالمسألة عميقة الغور وليست بهذه السذاجة، ولنقترب قليلاً من أحد الأجهزة البشرية التي نستخدمها وهي العين حتى نعرف عجائبها ومكنوناتها.

تبدو العين وكأنها عضو صغير سهل التركيب، إلا أنها في الحقيقة من أعجب الأجهزة وأعقدها في الإنسان، فهي في غاية الدقة والبراعة؛ فإن مكوناتها تصل إلى 40 مكون، لو تغير مكان واحد منها فضلاً عن فقدانه؛ لتعطلت العين!

فمثلاً المكونات الموضوعية لحمايتها؛ بدءاً من تجويفه الغائر في الجمجمة والوسائد الدهنية التي تحميها، ثم الستائر الذكية (الأجفان) التي تظل مفتوحة دون إرهاق، وتغلق تلقائياً عند المخاطر، وفي أثناء ذلك تعمل الفلاتر آلياً (الرموش) على منع دخول الأتربة! بينما تقوم الدموع بتنظيف شامل وتُنقّيها من الميكروبات بشكل دوري!

ولا يحتاج الإنسان إلى البحث عن مكان مناسب للنظر، فقد وضعت العينين في أفضل مكان؛ لتعطينا أكمل رؤية⁽⁴⁰⁴⁾!

ثم إن أردت أن تعجب؛ فانظر إلى الشبكية التي تحوي مليارات العصي والمخاريط؛ وبها تُميّز العين بين كل لون وآخر مهما كان دقيقاً⁽⁴⁰⁵⁾.

هذه العجائب التي لا تُضاهى ولا تُجَارَى، أريكت كبار الملحدّين ودعاة نظرية التطور، (داروين) نفسه، اعترف بمنافاة كون هذا التصميم المذهل لمكونات العين صدفة أو من خلق الطبيعة.

يقول داروين: "لكي يُفترض أنه من الممكن أن تكون العين بكل ما فيها من أجهزة فذّة من أجل ضبط الطول البُوري للمسافات المختلفة، ومن أجل السماح بدخول كميات مختلفة من الضوء، ومن أجل تعديل الزيغ الكروي واللوني، قد تكونت عن طريق الانتخاب الطبيعي، فإن ذلك يبدو -وأنا أعترف بذلك- كشيء مناف للعقل إلى أعلى درجة"⁽⁴⁰⁶⁾.

(404) تلك التقنية والتي تسمى (3D)، هي ما يحاول أصحاب شركات الكاميرا محاكاتها!

(405) ينظر: مقالة مؤسس نظرية التطور حائر أمام تركيبية العين.

http://antishobhat.blogspot.com/2012/09/blog-post_26.html

(406) أصل الأنواع ل(داروين)، ترجمة مجدي المليحي (ص293).

- أُصْبِعُ بَشْرِي:

إِنَّ أُصْبِعًا وَاحِدًا مِنْ أَصْبَاعِ الْإِنْسَانِ، فِيهِ مِائَاتُ الْمِلايينِ مِنَ الْخَلَايَا، فِي كُلِّ خَلِيَّةٍ عَجَائِبُ وَأَسْرَارٌ لَنْ يَتَسَعَّ الْمَقَامُ لِلْوُقُوفِ إِلَّا عَلَى نَزْرٍ يَسِيرٍ مِنْهَا، وَلَكِ أَنْ تَتَأَمَّلَ مَا قَالَهُ لِينوسُ بَاولِنج (Pauling Linus) الْحَائِزُ عَلَى جَائِزَةِ نوبَلٍ فِي الْكِيمِيَاءِ: "إِنَّ خَلِيَّةَ حَيَّةٍ وَاحِدَةً مِنْ بَدَنِ الْإِنْسَانِ هِيَ أَشَدُّ تَعْقِيدًا مِنْ مَدِينَةِ نِيُويُورِكِ"⁽⁴⁰⁷⁾!

وَإِذَا انْتَقَلْنَا إِلَى دَاخِلِ خَلِيَّةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ خَلَايَا جِسْمِكَ الْبَالِغِ عَدَدُهَا 37.2 تريليون خلية تقريبًا، هُنَاكَ تَقْرِبًا 10 تريليون مِنْهَا تَحْمَلُ نَوَاةَ (جِزءٍ صَغِيرٍ دَاخِلِ الْخَلِيَّةِ)، فِي دَاخِلِ نَوَاةِ هَذِهِ الْخَلَايَا الْجِسْمِيَّةِ، يَوْجَدُ 23 زَوْجًا مِنَ الْكروموسومات، بِدَاخِلِ هَذِهِ الْكروموسومات خَيْطٌ رَفِيعٌ جَدًّا يَسْمَى DNA شَفْرَتِكَ الْوَرَاثِيَّةِ، يَحْمَلُ هَذَا الْخَيْطُ مَعْلُومَاتٍ عَنْ صِفَاتِكَ وَوُضَائِفِ أَعْضَائِكَ بِشَكْلِ كَامِلٍ، طُولُ هَذَا الْخَيْطِ: إِذَا فَرَدْنَا الْكروموسوماتِ الْمَوْجُودَةَ فِي خَلِيَّةٍ وَاحِدَةٍ وَوَصَلْنَاهَا بِبَعْضِهَا، سَيَبْلُغُ طُولُهَا تَقْرِبًا 2 مِترًا فِي الْمَتَوَسِّطِ... تَخَيَّلْ! خَيْطُ طُولِهِ 2 مِترًا يَوْجَدُ فِي كُلِّ خَلِيَّةٍ مِنْ خَلَايَا جِسْمِكَ، تَرَى كَيْفَ سَيَكُونُ مَلْفُوفًا وَمُرْتَبًا لِكَيْ تَسَعَّهُ خَلِيَّةٌ لَا تَسْتَطِيعُ حَتَّى أَنْ تَرَاهَا بِعَيْنِكَ الْمَجْرَدَةِ؟! إِذَا وَصَلْنَا خَيْطَ الْمَادَّةِ الْوَرَاثِيَّةِ DNA فِي خَلَايَا جِسْمِكَ كُلِّهَا، (أَي: 2 مِترًا * 10 تريليون خلية)، سَيَكُونُ الطُّولُ تَقْرِبًا 20 مِليَارَ كِيلُومِترٍ، هَذَا مَا يَتَعَلَّقُ بِطُولِهَا فَقَطْ، أَمَّا طَرِيقَةُ عَمَلِهَا، وَكَيْفِيَّةُ قِرَاءَتِهَا وَاسْتِخْرَاجِ الْمَعْلُومَاتِ مِنْهَا فَعَالَمٌ آخَرٌ! هَذِهِ الـ 37.2 تريليون خلية، بِبَعْضِهَا مَسْتُوَّلٌ عَنِ الْعِظَامِ، وَبَعْضِهَا مَسْتُوَّلٌ عَنِ الْأَعْصَابِ، أُخْرَى مَسْتُوَّلَةٌ عَنِ الدَّمِ ... وَهَكَذَا، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا تَهْتَدِي لِمَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَهُ! {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات: 20-21].

- الزرافة!

الزرافة تحمل دماغها فوق عنق طويلة، وقد تصل المسافة بين قلبها وبين دماغها إلى 3 أمتار، وحتى يتمكن قلبها من إيصال الدم إلى دماغها، فإنه لا بد أن يكون قويًا؛ ولذلك فقد يصل وزنه إلى 11 كغم، بطول 60 سم، وطول جدرانه 5.7 سم⁽⁴⁰⁸⁾، إذاً فهو يضخ الدم بقوة شديدة نحو الدماغ.

ولكن ماذا سيحدث لو خفضت الزرافة رأسها لتشرب مثلاً، هل ستنفجر عروقها ودماغها بسبب هذه القوة؟! لا، فإن الشرايين التي توصل الدم إلى الدماغ تحتوي على صمامات تخفف من الضغط عند انحناء رأس الزرافة. كما أن هناك شبكة من الأوعية الدموية أسفل الدماغ تعمل كالإسفنج، فتمتص تلك القوة ثم تغذي الدم، كما أن الشريان الذي ينزل الدم من الدماغ إلى القلب فيه صمامات تمنع الدم من الرجوع إلى الدماغ عندما تخفض الزرافة رأسها⁽⁴⁰⁹⁾، فسبحان من {أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلْقَهُ} [السجدة: 7].

إِنَّهُ اللَّهُ جَلالُهُ⁽⁴¹⁰⁾:

والآن، وبعد هذه النماذج التي لا نستطيع وصفها إلا بأنها غِيْضٌ مِنْ فَيْضِ مَا عَلِمَهُ عِلْمَاءُ الطَّبِيعَةِ مِنْ عَجَائِبِ الْخَلْقِ، لَا يُمْكِنُ لِإِنْسَانٍ يَحْتَرِمُ عَقْلَهُ وَفَطْرَتَهُ إِلَّا أَنْ يَقْرَأَ بِأَمْرَيْنِ:

(407) Dave Hunt, In Defense of the Faith (Eugene: Harvest House Publishers, 1996), p.22

(408) Prothero, D. R.; Schoch, R. M. (2003). Horns, Tusks, and Flippers: The Evolution of Hoofed Mammals. Johns Hopkins University Press. pp. 67–72

(409) Mitchell, G.; Skinner, J. D. (1993). "How giraffe adapt to their extraordinary shape". Transactions of the Royal Society of South Africa. 48 (2): 207–

1- بوجود خالق لهذه المخلوقات.

2- وأن هذا الخالق متصف بصفات الكمال المطلق، الذي لا يدخله نقص بوجه من الوجوه.

فمن تأمل في هذا الخلق المتقن، علم يقيناً أن خالقه لا بد أن يكون:

1- متصفا بالحياة الكاملة؛ فلو لم يكن حيا لما خَلَق، قال الله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [البقرة: 255]، ويقول جل في علاه: {هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [غافر: 65].

2- ولا يمكن أن يتم الخلق بدون إرادة؛ فغير المريد لا يقدر على أن يقوم بشيء له معنى، فضلاً على أن يخلق مخلوقات متقنة يجعل لكل منها مهمة ووظيفة.

3- ولا بد أن يكون متصفاً بكمال العلم؛ فالخلق، والخلق المتقن، لا يمكن أن يتم بدون علم كامل، فالجاهل لا يمكنه أن يصنع أبسط الأشياء، فإذا لاحظنا دقة خلق الخالق علمنا دقة علمه، وأنه لا تخفى عليه خافية، قال تعالى: {وَأَسِيرُوا قَوْلَكُمْ وَأَوَّجَهُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ* أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: 13-14].

4- كما أن الخالق لهذا الإتقان لا بد أن يتصف بالقدرة التامة؛ فهذا الكون يسير على سنن وقوانين دقيقة، غير فوضوية، يقول تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الطلاق: 12]، ويقول تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} [الروم: 54].

5- ولا يمكن للخلق المتقن أن يتم بدون حكمة تامة بالغة؛ فغير الحكيم لا يمكنه وضع الشيء في موضعه المناسب، يقول تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} [سبأ: 1].

6- وإذا تأملت في تسخير الأرض وتذليلها لمعيشتنا، وتأملت كيف أن الرزق والطعام يصل إلى أضعف المخلوقات، وإذا تأملت في إغاثة الله تعالى لعباده بإنزال المطر، علمت أن هذا الخالق رحيم رحمة وسعت كل شيء، كريم عظيم الكرم والجود، يقول الله تعالى: {فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} [الروم: 50]، {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ* يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ} [سبأ: 2].

7- ومن لوزام ذلك الخلق المتقن أن يكون الخالق سميعاً بصيراً؛ يقول تعالى: {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11].

إن آثار الكمال الموجودة في الخلق، تدل على كمال الخالق؛ لأن معطي الكمال أولى به، فخالق الأسماع والأبصار والنطق، ونحو ذلك من الصفات الكاملة، هو أحق بهذا الكمال على وجه لا يماثله فيه أحد من خلقه؛ فالفطرة والبدئية تقتضي أن يكون الخالق المستغني عن الخلق أولى بالكمال من المخلوق المحتاج الفقير إلى خالقه، يقول الله تعالى: {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الروم: 27]، ويقول تعالى: {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [الروم: 27].

المطلب الخامس: النصوص الشرعية الدالة على الإحكام والإتقان

وحرري دليل كهذا، يُناقش مسألة من أهم مسائل الوجود، أن تناله العناية الفائقة من القرآن الكريم؛ فإن المسألة كلما كانت أعظم، كان دليلها أوضح وعناية القرآن بها أكبر.

فالقرآن قد تناول هذا الدليل بأساليب متنوعة، تتضمن استثارة المكون الفطري في الإنسان، والذي يحثه على نسبة مظاهر الإتقان إلى رب حكيم عليم، فعَالٌ لما يريد، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، حيث تدعوه الآيات إلى:

1- التأمل في نفسه:

يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ} [الانفطار: 6-8].

2- والتأمل في وسائل المعرفة الموهوبة له:

يقول تعالى: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: 78].

3- والتفكير في إتقانه سبحانه لخلق هذا الكون، وتسخيره للإنسان:

يقول تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ} [يس: 71-73].

- ويقول تعالى: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَيْنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ} [عبس: 24-32].

- وقوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: 190-191].

ومن ذلك قوله تعالى: {أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا إِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [النمل: 60-61].

فانظر كيف لفت النظر إلى بعض الظواهر التي نراها بكثرة، ولكن غفلت قلوبنا عما فيها من إبداع كما قال تعالى: {وَكَايِنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ} [يوسف: 105].

إن مجرد التأمل في خلق السماوات والأرض، وإنزال المطر، وإنبات النباتات وتنوعها؛ كفيل بعمارة القلب

بالإيمان.

فكيف إذا وجهت النظر، وتأملت في الظواهر الكونية بالغة الإتقان، والتي قد يغفل عنها كثير منا!

- يقول الله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأُمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} [الرعد: 2].

- ويقول تعالى: {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 185].

- ويقول تعالى: {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ} [ق: 6].

- ويقول تعالى: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ} [الملك: 3].

- ويقول تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ * وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [الأنبياء: 30-33].

4- كما أن الله عز وجل تحدى البشر أن يجدوا في صنعه خللاً:

يقول تعالى: {مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} [الملك: 3-4].

بل أنه عز وجل تحدى جميع البشر أن يخلقوا ذباباً؛ يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} [الحج: 73]، فلو اجتمع البشر بكل إمكانياتهم؛ ليخلقوا ذبابة، ما استطاعوا، فكيف تخلقها الصدفة؟

ماذا لو كان ثمة بيت مصنوع من الخشب بطريقة فنية جميلة؟ هل سيخطر على بال أحد من الناس بأن هذا الخشب المنتظم قد انتخبته الطبيعة وطوّرتة حتى أصبح بهذا الشكل؟ لا أظن منصفاً سيقول نعم، إذاً فكيف نقول مع خلق الإنسان الذي خلق الله له قلباً، ورنه، وشرايين وأوردة، ونظاماً عصبياً وعقلياً وعضلياً لم يصل الطب إلى كثيرٍ من فهم حقيقتها في جسم الإنسان؟

وكذا تناسق أعضاء الجسد البشري في ردّات الفعل والشعور بالجوع والعطش والشبع والريّ والحاجة إلى الراحة والنوم؟ وكذلك التفكير الذهني والذكاء والابتكار والمشاعر المختلفة عند الإنسان من فرح وحزن وخوف وغير ذلك؟ وكذا خلق الإنسان على أطوار متعددة منذ أن كان في رحم أمّه في مراحلٍ عجيبةٍ ذكرها الخالق جل جلاله في كتابه الكريم قبل 1400 سنة، إذ يقول الله عز وجل: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: 12-14].

فهل يعرف العلم الحديث من ذكر هذا التفصيل الدقيق لمراحل نمو الإنسان في بطن أمه قبل 1400 عام؟ لا شك أن الذي علّم الإنسان هذا البيان في ذلك الوقت خالقٌ عليمٌ حكيمٌ، أرسل رسوله بالحق؛ ليدلّ الناس إلى

الطريق الصحيح، وأيّده بما يُثبِتُ صدق نبوته.

وكم في القرآن من ذكر لهذه المخلوقات التي نراها حولنا، وهي من أعظم الأدلة على وجوده وكماله سبحانه واستحقاقه للألوهية وحده لا شريك له، فذكر الشمس والقمر، والليل والنهار، وإنزال المطر وإخراج النبات بسببه، وذكر الرعد والبرق، والسحاب والنجوم، وتسخير الرياح لذلك، وتسخيرها لسير السفن في البحر، وذكر خلق الإنسان بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً، وحثنا على التفكر في الزواج، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم، وجعل الليل سكوناً لنا، وذكر المراحل التي يمر الإنسان بها في حياته، وتفضيل بعض الناس على بعضهم في الرزق، وذكر النحل والإبل والجبال، وغير ذلك، يقول عز وجل: {وَحَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: 2].

المبحث الرابع: الاستدلال بدليل التخصيص على وجود الله⁽⁴¹²⁾

المطلب الأول: المراد بدليل التخصيص:

بالنظر إلى أي مخلوق من مخلوقات الله - سواء في المخلوق نفسه، أو مقارنة بغيره - فإننا نجد مظاهر تخصيص له بهيئة معينة، أو مقدار معين؛ ليتحقق بها مصالحه، ولولا هذا التخصيص؛ لفسدت حياته، وهذا يدل على وجود مخصص له؛ وهو الله سبحانه وتعالى.

"وتنص هذه الدلالة على أنه يجوز عقلاً أن يكون كل جزء من العالم على خلاف صورته وصفته وحالته التي هو عليها الآن، فكونه على هذه الصورة التي هو عليها الآن يحتاج إلى مخصص يخصصها بالوجود، دون غيرها من الصفات والأحوال الممكنة الأخرى".⁽⁴¹³⁾

"وحاصل هذا الوجه في الدلالة على وجود الله تعالى: أنه لا يمكن أن تتحقق الهداية للمخلوقات دون أن يقتضي ذلك إثبات العلم والحكمة لمن جعلها كذلك، فلا بد أن يكون الله هو الذي خَلَقَهَا وَهَدَاهَا تلك الهداية، إذ لا يمكن أن تكون تلك الهداية، هي مقتضى طبائع الأشياء في ذاتها؛ لما عُلِمَ بالضرورة من أن ما عليه المخلوق من الهداية يقتضي أن يكون مخلوقاً لغاية محددة، وذلك لا يمكن أن يكون ذاتياً.

فلزم مما سبق أن إثبات وجود الله تعالى، هو حقيقة ضرورية يدركها الإنسان بمجرد إدراكه لشيء من مظاهر هداية المخلوقات لما خُلِقَتْ له".⁽⁴¹⁴⁾

"ويراد بالعناية: ما نشهده، ونحس به من الاعتناء المقصود بهذه المخلوقات عمومًا، وبالإنسان على وجه الخصوص، والذي يتجلى فيما نراه وندركه من موافقة هذه الموجودات بعضها لبعض، وذلك لا يكون قطعاً إلا من قِبَلِ فاعلٍ، قاصدٍ لذلك، مريدٍ.

فهذه الدلالة إذن تنبني على أصلين:

الأول: العلم بهذه الموافقة.

الثاني: أن هذه الموافقة هي ضرورة من قِبَلِ فاعلٍ قاصدٍ مريدٍ".⁽⁴¹⁵⁾

المطلب الثاني: كيفية الاستدلال بدليل التخصيص:

يمكن الاستدلال بدليل التخصيص على وجود الله تعالى من خلال المقدمتين التاليتين:

المقدمة الأولى: وجود خواص مميزة لكل مخلوق من المخلوقات، وله هيئة مخصوصة؛ بحيث لو لم يكن بهذه الخواص؛ لفسد.

والدليل: المشاهدة.

المقدمة الثانية: هذا التخصيص المدرك حساً، لا يمكن أن يكون:

1- من غير سبب.

(412) مادة العقيدة الإسلامية، د. أبو زيد بن محمد مكي، عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى بكلية الدعوة وأصول الدين - قسم العقيدة، ص 43-56 دار الأوراق

(413) الأدلة النقلية على أصول الاعتقاد، د. سعود العريفي (ص: 241).

(414) تُنسب لدكتور عبد الله القرني - المصدر: كتاب الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، لسعود العريفي (ص 226-227).

(415) الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، لسعود العريفي: ص 226-227.

2- أو يوجد لها لذاتها.

النتيجة: وجود خالق عليكم حكيم، خلق المخلوقات بهذه الخواص؛ ليتحقق في الكون النظام، وينتفي عنه الاضطراب والتناقض، هذا الخالق هو الله سبحانه وتعالى.

صياغة أخرى لدليل التخصيص:

أ - نشاهد أن: كل مخلوق قد خُصَّ بشكل وهيئة، ومقادير محددة؛ بها يظهر التفاوت بينه وبين مخلوق آخر، كذلك أعضاء المخلوق الواحد؛ قد خُصَّ كل منها بوظيفة وهيئة مختلفة عن بقية الأعضاء.

ب - يجوز عقلاً أن يكون ذلك المخلوق أو العضو على خلاف الصورة التي هو عليها الآن؛ ولو كان على خلاف الصورة التي عليها الآن؛ لفسد.

النتيجة: من (أ)، و (ب): تخصيص المخلوق أو العضو بصورته التي هو عليها الآن يحتاج إلى مُخصِّصٍ.

هذا المُخصِّص لا يمكن أن يكون جامداً لا حياة فيه، أو جاهلاً لا يعلم ويعقل، فلا بد أن يكون المخصص عليماً حكيماً؛ عِلْمَ خصوصيات الأشياء وما يصلح لكل منها، فَصَوَّرَهَا وَفَقَّ علمه وحكمته على هذه الأوجه المخصوصة المُثَقَّنَة، وهذا هو الله سبحانه وتعالى.

المطلب الثالث: المستند الشرعي لدليل التخصيص:

المستند الشرعي لهذه الدلالة يكمن في الآيات القرآنية التي تدل على: إمكان تحوُّل المخلوقات إلى مقادير وصفات مضادة تماماً لما هي عليه الآن، وفي تلك الحالة، لن تكون صالحة؛ فتخصيصها بصفاتهما التي هي عليها الآن لتكون نافعة؛ دالٌّ على مشيئة مُخصِّصٍ مُتَّصِفٍ بالعلم والحكمة⁽⁴¹⁶⁾، يقول الله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُعْرِمُونَ * بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ * أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذِكْرَةً وَمَتَعًا لِلْمُؤْمِنِينَ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: 63-

[74

يقول ابن تيمية رحمه الله: "العين، والضم، والأذن فيها مياه ورطوبة؛ فماء العين مالح، وماء الفم عذب، وماء الأذن مُرٌّ؛ فَإِنَّ العَيْنَ شحمة، والملوحة تحفظها أن تذوب.

وهذه أيضاً حكمة تملح ماء البحر؛ فَإِنَّ له سبباً وحكمة؛ فسببه: سبوخة أرضه وملوحتهما، فهي توجب ملوحة مائه، وحكمتها: أنها تمنع نَتْنِ الماء بما يموت فيه من الحيتان العظيمة؛ فَإِنَّه لولا ملوحة مائه؛ لَأَنْتَنَ، ولو أَنْتَنَ؛ لَفَسَدَ الهواء؛ لملاقاته له، فهلك الناس بفساده، وإذا وقع أحياناً قتلُ خلقٍ كثير، فَإِنَّه يفسدُ الهواء حتى يموت بسبب ذلك خلقٌ كثير.

وماء الأذن مُرٌّ؛ ليمنع دخول الهوام إلى الأذن.

وماء الفم عذب؛ لطيب به ما يأكله، فلو جعل الله ماء الفم مرّاً؛ لفسد الطعام على آكله، ولو جعل ماء الأذن عذباً؛ لدخل الذباب في الدماغ، ونظائر هذا كثيرة.

(416) انظر: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد. لسعود العريفي: (ص 242).

فلا يجوز أن يُفعلَ بخلاف ذلك؛ مثل أن يُجعلَ العينين في القدمين، ويُجعلَ الوجه خَشِنًا غَلِيظًا، كالقدمين؛ فإنه كان يُفسدَ مصلحة النظر والمشى؛ بل من الحكمة أنه جعلَ العينين في أعلى البدن، في مُقَدِّمِهِ؛ ليرى بها ما أمامه، فيدري أين يمشي، وجعلَ الرَّجْلَ خَشِنَةً تصبر على ما تلاقيه من التراب وغيره. والعين لطيفة يُفسدُها أدنى شيء، فجعل لها أجفانًا تغطيها، وأهدابًا...

هذا ومثله من مخلوقات الرَّبِّ، دلَّ على أنه قد أحكم ما خلقه، وأتقنه، ووضع كل شيء بالموضع المناسب له، وهذا يُوجب العلم الضروري أنه عالمٌ؛ فيميز بين هذا وبين هذا، حتى خصَّ هذا بهذان وهذا بهذا. وهو أيضًا يُوجبُ العلم الضروري بأنه أراد تخصيص هذا بهذا، وهذا بهذا؛ فدل على علمه وإرادته.⁽⁴¹⁷⁾

المبحث الخامس: الاستدلال بدليل التسوية على وجود⁽⁴¹⁸⁾

المطلب الأول: معنى تسوية الشيء:

إحسان خلقه، وإكمال صنعته، وإمداده بأسباب صلاحه، وبقائه، وجعله مستويًا معتدلًا، متناسب الأجزاء دون تفاوت أو خلل بحيث يكون مهيبًا لأداء وظيفته على أكمل وجه.

المطلب الثاني: دليل التسوية أبلغ في الدلالة

وإذا كان دليل الخلق يدل على الله سبحانه، فإن التسوية أبلغ في الدلالة وأخص منها؛ لأن الشيء يمكن أن يخلق دون أن يكون مسويًا على الوجه الأكمل والأتم، وتسوية المخلوقات أمر ظاهر للعيان في كل ما ذراه الله وبراه، سواء في السماوات أو في الأرض، وفي الحيوان أو النبات، وأما الإنسان فهو نسيج وحده في هذا الباب، ويكفي أن نمثل بأي عضو من أعضائه كالعين أو القلب؛ لنرى عجب صنع الله، وإحسان خلقه جل وعلا.

(417) النبوات: 2/922-923

(418) مقرر الثقافة الإسلامية، إعداد اللجنة العلمية بكلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ص 89.

المطلب الثالث: النصوص الشرعية في دليل التسوية

وقد تكررت الإشارة إلى دليل التسوية في القرآن الكريم بعبارات متنوعة وإن كانت متقاربة في الدلالة، ومنها:

1- التسوية:

كما في قوله تعالى: {ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى} [القيامة: 38]، وقوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى} [الأعلى: 2].

2- الإتقان:

كما قال تعالى: {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} [النمل: 88].

3- الإحسان:

كما في قوله تعالى: {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَدْنَانَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: 14].

وقوله تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} [السجدة: 7].

وقوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين: 4].

4- نفي التفاوت:

كما في قوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ} [الملك: 3].

المبحث السادس: الاستدلال بدليل التقدير على وجود الله⁽⁴¹⁹⁾

المطلب الأول: المراد بدليل التقدير:

الاستدلال بما نراه في النفس، وفي الآفاق؛ من التقدير المشاهد فيها على وجود الله. "ومن أوجه هذه الدلالة: أن الله تعالى قد خلق كل شيء بتقدير محدد وهيئة مخصوصة، بحيث يتحقق فيها الانتظام وينتفي الاضطراب والتناقض، فلكل شيء من المخلوقات على كثرتها خواص ذاتية تميزه عن جميع المخلوقات، وكما أن تلك الخواص هي أساس تمييز الأشياء؛ فإنها كذلك أساس ما بين الأشياء من السببية، فمن أنكر تلك الخواص فقد ألغى السببية، ومن أنكر السببية لم يمكنه إثبات ما للأشياء من خواص. فتقدير الله للمخلوقات يقتضي أن تنتظم أمورها وفق سببية مطردة وقوانين محكمة، لا تختلف إلا بإرادة الله تعالى، كما في المعجزات الخارقة للسنن، وأما الأصل في المخلوقات فهو جريانها على تقدير الله تعالى وتسويته لها"⁽⁴²⁰⁾.

"وجميع هذه الآيات تدل على أن الانتظام في المخلوقات هو مقتضى تقدير الله لها، وأنه لا يمكن أن يتحقق الانتظام في المخلوقات من غير مدبر، كما لا يمكن أن يكون هو مقتضى طبائع الأشياء في ذاتها دون أن يكون لها خالق، وهذا يقتضي بالضرورة وجود الخالق سبحانه وتعالى"⁽⁴²¹⁾.

(419) دلائل الربوبية، د. أبو زيد بن محمد مكي، ص 60.

(420) المعرفة في الإسلام للدكتور عبد الله القرني (ص 518-519).

(421) المعرفة في الإسلام: للدكتور عبد الله القرني (ص: 520).

المطلب الثاني: كيفية الاستدلال بدليل التقدير:

يمكن الاستدلال بدليل التقدير على وجود الله تعالى من خلال المقدمتين التاليتين:

المقدمة الأولى: وجود مظاهر التقدير بدون زيادة أو نقصان في أي مخلوق من المخلوقات:

- قال تعالى: {وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} [الرعد: 8].

- وقال تعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: 2].

- وقال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ} [المؤمنون: 18].

- وقال تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: 49].

- وقال تعالى: {مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُظْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ} [عبس: 18-19].

- وقال تعالى: {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ} [الحجر: 19].

وظاهرة التقدير تبدو في كل ما خلق الله عز وجل في الأرض والسماء والإنسان والنبات والحيوان، فقد نظم الله

أجزاء هذا الوجود على أحسن نظام، وأدله على كمال قدرة خالقه، وكمال عمله، وكمال حكمته، وكمال لطفه.

الدليل: المشاهدة (الإدراك الحسي).

المقدمة الثانية: التقدير المتقن المحكم المدرك حسا، لا يمكن أن يكون:

1- من غير سبب.

2- أو يوجد لها لذاتها.

الدليل: ضرورة عقلية.

النتيجة: وجود خالق عليم حكيم، خلق المخلوقات بهذا التقدير المحكم المتقن؛ وهو الله سبحانه وتعالى.

المبحث السابع: الاستدلال بدلائل النبوة على وجود الله:

المطلب الأول: حقيقة الاستدلال بدلائل النبوة على وجود الله:

يُراد به: كل دليل دلَّ على صدق الأنبياء والرسل، فهو دالٌّ على وجود الله، مثل:

1- الآيات والبراهين؛ الدالة على صدق الرسل.

2- إجابة دعوات الأنبياء.

3- النصر على الأعداء.

4- الدين الذي جاؤا به.

5- أخلاقهم التي ميزهم الله بها.

"دلائل النبوة تشمل عدة أمور؛ أهمها: آيات الأنبياء التي يظهرها الله تعالى على أيديهم، تصديقًا لهم في دعوى الرسالة، ويتبع ذلك حصول العقاب والنصر للرسل وأتباعهم باطراد، مع قلة العدد والعدد، كما تشمل أيضًا كرامات الأولياء، التي يظهرها الله تعالى على أيدي أتباع الرسل إكرامًا لهم، وهي من جنس آيات الرسل، وتعتبر امتدادًا لها، إذ هي شاهدة بصدقهم، حيث أكرم بها أتباعهم، ويدخل فيها ما يحصل لعباد الله المؤمنين من إجابة الدعوات، وكشف الكربات، وإعاقه اللهفات، وغير ذلك من أنواع الكرامات.

ومع أن دلائل النبوة موجهة أصلاً لإثبات دعوى النبوة والرسالة، إلا أن لها دلالة - دون شك - على وجود مُحْدِثِهَا وَمُوجِدِهَا، وذلك من وجهين:

أولاهما: أن منها ما هو خارق للعادة، لا يقدر عليه إلا خالق السماوات والأرض، ومُسيِّرُ نظام العالم على تلك العادة المخروقة، فدل اقتران خرق تلك العادة مع دعوى الرسالة؛ على وجود رب قادر على كل شيء، هو الذي أرسل هذا الرسول، وصدقته بهذه الآيات، هذا فضلًا عن دلالتها على صدق الرسول نفسه.

ثانيهما: أن ما سوى الخوارق من دلائل النبوة، قد ثبت به صدق الرسول، الذي قد أخبر عن الرب الخالق العظيم، وعن صفات جلاله وكماله، بما لا يدع مجالاً للشك في كمال ربوبيته وعظمته، فضلًا عن وجوده أصلاً". (422)

المطلب الثاني: نماذج من دلائل النبوة:

سوف نطرح ثلاثة نماذج من دلائل النبوة، والتي بدورها تدل على وجود الله سبحانه وتعالى، إذ أن كل نبي مؤيد بأدلة وبراهين تُثبت أنه مرسل من عنده سبحانه وتعالى، وهذه النماذج، كالتالي:

أولاً: من دلائل نبوة موسى عليه السلام:

مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام؛ دليله على أنه نبيٌّ مرسل من عند الله: (العصا)، حيث تعد عصاه من المعجزات الباهرة التي أيده الله تعالى بها دليلاً على صدق نبوته ورسالته، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ

(422) الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، لسعود العريفي (ص 296-297).

سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى { [طه: 17-21]، فالعصا التي صارت بقدره الله تعالى حية عظيمة، ابتلعت جميع ما جاء به سحرة فرعون من السحر، فقال تعالى مخاطبًا موسى عليه السلام: {وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} [طه: 69]، وفي آية أخرى، يقول عز في علاه: {قَالَ لَقَدْ مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ} [الشعراء: 45].

ثانياً: من دلائل نبوة عيسى عليه السلام:

"لقد أيد الله عيسى عليه السلام بمعجزات منذ ولادته، إذ أن ولادته نفسها معجزة، كما جاء في الملل والنحل للشهرستاني، فقد قال رحمه الله في ذلك: "كانت له آيات ظاهرة، وبينات زاهرة، مثل إحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص، ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه، وذلك حصوله من غير نطفة سابقة، ونطقه البين من غير تعليم سابق".

ومعجزاته التي ذكرها القرآن الكريم تتلخص في خمسة أمور، جاء ذكر أربعة منها في سورة المائدة في قوله تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي} [المائدة: 110] ... إلى قوله تعالت كلماته: {إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللَّهُ إِنَّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ} [المائدة: 112-114].

ويستبين من هذه الآيات الكريمة أربع معجزات:

الأولى: إنه يصور من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرًا بإذن الله، أي أن الله سبحانه وتعالى خلق على يديه طيرًا من الطين، فالخالق هو الله سبحانه وتعالى، ولكن جرى الخلق على يد عيسى، وينفخ من روحه عليه السلام بإذن الله تعالى.

الثانية: إحياءه عليه السلام الموتى بإذن الله جلّت قدرته، والمحيي في الحقيقة هو الله العلي القدير، ولكن أجرى الأحياء على يد المسيح عليه السلام، ليكون ذلك برهان نبوته، ودليل رسالته.

الثالثة: إبراؤه عليه السلام الأكمة والأبرص، وهما مرضان تعذر على العالم قديمه وحديثه العثور على دواء لهما، والتمكن من أسباب الشفاء منهما، ولكن عيسى بقدره الله شفاهما، وبرئ المريضان برقيته، فكان ذلك دليلًا قائمًا على رسالته عليه السلام.

الرابعة: إنزال المائدة من السماء بطلب الحواريين، لتطمئن قلوبهم، وليعلموا أن قد صدقهم.

والخامسة: خمسة ذكرت في سورة آل عمران، وهي: أنباؤه عليه السلام بأمور غائبة عن حسه، ولم يعاينها، فقد كان ينبئ صحابته وتلاميذه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم. وقد ذكر الله تعالى في قوله في قوله تعالى حاكياً عنه: {وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 49].⁽⁴²³⁾

ثالثاً: من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم⁽⁴²⁴⁾:

وهذا رسولنا صلى الله عليه وسلم -وهو خاتم النبيين- دلائل نبوته كثيرة جداً، سواءً بالنظر إلى أخلاقه، أو بالنظر إلى نوع ما جاء به، أو بالنظر للآيات والبراهين.

ويمكن الاستدلال بهذا الدليل على وجود الله وفق مقدمتين:

المقدمة الأولى: وجود دليل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم.

المقدمة الثانية: الصادق المصدوق؛ يقول إن الذي أرسله هو الله فقوله بأنه رسول الله صدق وحق، فهذا دليل على وجود الله تعالى.

ولنأخذ مثالين على ذلك:

- المثال الأول: قصة أبي هريرة رضي الله عنه ومشاهدته دلائل النبوة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: روى البخاري بسنده عن مجاهد؛ أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يقول: "والله الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحرج على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر رضي الله عنه، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليُشبعني، فمر ولم يفعل، ثم مر بي عمر رضي الله عنه، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليُشبعني، فمر فلم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فتبسم حين رأيته وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال صلى الله عليه وسلم: يا أبا هريرة، قلت: لبيك يا رسول الله، قال صلى الله عليه وسلم: الحق، ومضى فتبعته، فدخل، فاستأذن، فأذن لي، فدخل، فوجد لبناً في قدح، فقال صلى الله عليه وسلم: من أين هذا اللبن؟ قالوا: أهده لك فلان، قال صلى الله عليه وسلم: أبا هريرة، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فسأني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة، كنت أحتق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاء أمرني صلى الله عليه وسلم، فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبُلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بئد، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا، فاستأذنوا فأذن لهم صلى الله عليه وسلم، وأخذوا مجالسهم من البيت، قال صلى الله عليه وسلم: يا أبا هريرة، قلت: لبيك يا رسول الله، قال صلى الله عليه وسلم: خذ فأعطيهم، قال: فأخذت القدح، فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح، فأعطي الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح، حتى

(423) كتاب محاضرات في النصرانية [محمد أبو زهرة]. المكتبة الشاملة: ص 19، و ص 20.

(424) دلائل الربوبية، د. أبو زيد بن محمد مكي، عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى بكلية الدعوة وأصول الدين - قسم العقيدة.

انتهيت إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد روي القومُ كُلُّهُمْ، فأخذَ القَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أبا هِرٍّ، قُلْتُ: لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: بَقِيْتُ أَنَا وَأَنْتَ، قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: افْعُدْ فَأَشْرَبْ، فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اشْرَبْ، فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: اشْرَبْ، حَتَّى قُلْتُ: لا والذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسَلَكًا، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَرِنِي، فَأَعْطَيْتُهُ القَدَحَ، فَحَمِدَ اللهُ وَسَمَّى وَشَرِبَ الفَضْلَةَ". (425)

وتوجد في هذه الرواية عدة دلائل، سنوردها كالتالي:

أ- دلائل في شخصيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

- رأى أبو هريرة رضي الله عنه في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخلاقًا لا تكون إلا في الأنبياء، مثل:
- 1- تبسمه حين رآه، وحين سقاه؛ فهذا استدلال على صدقه بالنظر في سلوكه الشخصي.
 - 2- كرمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلبنٍ مُهْدَى له، وهو ليس عنده شيء سواه.
 - 3- استضافته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي هريرة رضي الله عنه وهو من الفقراء.
 - 4- يشرب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخر القوم.
 - 5- يشرب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الإناء نفسه الذي سبقه في الشرب منه الفقراء.
 - 6- لم يحتفظ لنفسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشيء من اللبن.
 - 7- يسقى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا هريرة بنفسه.
 - 8- يتلطف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معه، فيأمره بالشرب حتى يتضلع.

ب- دلائل في دعوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

رأى في دعوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأمر بالتوحيد، وحسن الخلق، وإطعام الطعام، وإكرام الضيف، فيها هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكرمها، ويضيف أهل الصفة، ونحو ذلك من مكارم الأخلاق.

ج- مبشرات في الكتب السابقة:

ففي الكتب السابقة مذکور في صفاته أنه: يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة؛ فلذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه: "إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم، وأصاب منها، وأشركهم فيه".

قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف: 157].

د- آيات أجراها الله تعالى على يديه:

فهذا القدر فيه لبن لا يكفي شخصا، يُكثِّره الله على يديه حتى يشرب الجميع، ويشرب أبا هريرة رضي الله عنه حتى لا يجد له مسلِّكًا، فما يملك نفسه، وهو يرى هذه الدلائل حتى يقسم بالله، ويشهد للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالة، ويشهد لدينه بأنه حق وصدق.

فهذه الأدلة كلها تدل على صدق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي تدل على وجود الله تعالى الذي أرسله وأيده.

- المثل الثاني على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه مؤيد من ربه جل وعلا:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "أصاب النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ عَلَى الْمَنبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَ الْمَالُ وَجَاعَ الْعِيَالُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَرْعَةً وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَهَا حَتَّى تَارَ سَحَابٌ أَمْثَالُ الْجِبَالِ ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَن مَنبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ فَمُطِرْنَا يَوْمَ ذَلِكَ وَمَنْ الْغَدِ وَالَّذِي يَلِيهِ حَتَّى الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى فَقَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ أَوْ قَالَ غَيْرُهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَهْدَمُ الْبِنَاءُ وَغَرِقَ الْمَالُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِّنَ السَّحَابِ إِلَّا أَنْفَرَجَتْ حَتَّى صَارَتْ الْمَدِينَةُ مِثْلَ الْجَوْبَةِ وَسَالَ الْوَادِي وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِّنَ نَاحِيَةٍ إِلَّا أَخْبَرَ بِالْجُودِ". (426)

فإجابة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم دليل على صدقه، وهو يخبر بأن الله عز وجل أرسله، فهو دليل عظيم على وجود الله تعالى.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "وهذه طريقة السلف من أئمة المسلمين في الاستدلال على معرفة الصانع، وحدوث العالم؛ لأنه إذا ثبت نبوته بقيام المعجز؛ وجب تصديقه على ما أنبأهم عنه من الغيوب، ودعاهم إليه من أمر وحدانية الله تعالى وصفاته وكلامه..." (427)

(426) أخرجه النسائي (1528) واللفظ له، وأخرجه البخاري (933)، ومسلم (897) باختلاف يسير.

(427) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (352/8).

المطلب الأول: المراد بدليل مكارم الأخلاق:

يراد به: الاستدلال بانتظام حياة الناس بالأخلاق الاجتماعية على وجود الخالق الذي يثبت عليها، ويعاقب من أساء فيها.

"إنَّ القيمَ كالصدق والأمانة والوفاء وغيرها، هي قيمٌ ضرورية لوجود المجتمعات البشرية، ولا يستقيم بدونها مجتمع؛ ولذلك قال بعضهم: إنها ملاط المجتمع الذي يمسك أفراد، كما يمسك الملاط اللبنة التي يتكوّن منها البناء، فبغيرها لا يكون هناك علم حتى بأمور الدنيا، ولا وُجِدَ اقتصاد، ولا تَكُونَتْ علاقات اجتماعية". (429)

المطلب الثاني: كيفية الاستدلال بمكارم الأخلاق:

يمكن الاستدلال بدليل مكارم الأخلاق على وجود الله تعالى في الخطوات التالية:

- 1- مكارم الأخلاق من الخير الواجب التزامه؛ الدليل: الفطرة.
- 2- صاحب مكارم الأخلاق من الواجب ثوابه، وسيء الأخلاق من الواجب عقابه؛ الدليل: ضرورة عقلية.
- 3- أحياناً نجد صاحب مكارم الأخلاق يخسر ويهان، وصاحب الأخلاق السيئة يكرم ويكسب؛ وهذا مخالف للعقلانية.

النتيجة: إما ترك مكارم الأخلاق، فيخالف الفطرة، وإما التمسك بالأخلاق؛ فيخالف العقلانية، وكلاهما مذموم.

الصواب: لا بد من دار أخرى فيها الثواب والعقاب، وهذا يتطلب وجود إله سميع عليم.

"فإذا لم يكن هنالك من خالق يرى ويسمع ما يفعل البشر، وإذا لم تكن هنالك من دار أخرى يثيب الله فيها المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته، وكان الكسب المادي في هذه الحياة الدنيوية هو وحده الكسب المعترف؛ لكان الصادقون الأمانة الموفون بعهودهم هم المغفلين الذين لا عقل لهم، ولكان الكذابون الخونة هم العقلاء.

لكن العقل يقول: إن الأمر لا يمكن أن يكون كذلك، لا يمكن أن يكون العقلاء هم الذين يقوضون المجتمع، والمغفلون هم الذين يبقونه متماسكاً؛ لو كان الأمر كذلك لكانت اللاعقلانية أصلاً أصيلاً في بنية هذه الحياة الدنيوية، ولكانت هذه الحياة – لذلك – كلها عبثاً، لكن ما من عقل يمكن أن يقبل نتيجة كهذه؛ لأن فيها – من بين ما فيها – تفويضاً لهم مبدأ تقوم عليه علومنا الكونية كلها، إن هذه العلوم كلها تقوم على افتراض المبدأ المسى بتناسق الطبيعية، المبدأ الذي يقول: إن قوانين الطبيعة لا تتخلف، وإنه لذلك يمكن أن تدرس دراسة علمية بل رياضية؛ فكيف يكون هذا الكون في جانبه المادي عقلانياً، وفي جانبه البشري متناقضاً مع المبادئ العقلية؟!". (430)

"وهنالك تناقض آخر يؤدي إليه الإلحاد بالنسبة للقيم الخلقية؛ إن الناس مفطورون على أن هذه القيم قيم يحسن بهم أن يلتزموا بها، فهي جزء من تكوينهم العقلي، وهم يشعرون لذلك – وما داموا محتفظين بفطرتهم –

(428) دلائل الربوبية د. أبو زيد بن محمد مكي.

(429) بتصرف: الفيزياء ووجود الخالق، أ.د. جعفر شيخ إدريس (ص: 57).

(430) الفيزياء ووجود الخالق. أ.د. جعفر شيخ إدريس (ص: 59).

بالسعادة حين يصدقون الحديث، ويؤدون الأمانة، ويوفون بالعهد، ويشعرون بالشقاء حين يكذبون أو يخونون وينكثون.

فالملحد الذي يريد أن يتصرف وفق ما يقتضيه إلحاده؛ يمر بحالات يشعر فيها بالتمزق بين وازعه الداخلي، وتفكيره العقلاني؛ فبينما يقول له الوازع الداخلي: "أصدُقُ فهذا أريح لنفسك وأسعد لقلبك"، يقول له فكره: "لكنك تعتقد أنه ليس وراء هذه الحياة من حياة، والصدق في هذه الحال يفوت عليك لذة عاجلة، فقيم التضحية بها وأنت لا تنتظر أخرى بعدها آجلة".

يقول بعض من يسمع مثل هذه الحجة؛ لكن الواقع أنه ما كل الملحد كذابون، ولا كل المؤمنين صادقون؛ فقد يصدق الملحد وقد يكذب المؤمن، وأقول: أجل إن هذا ليحدث؛ لكن الملحد حين يصدق يتناقض مع مقتضيات مبدئه؛ أي: إنه لا يصدق صدقًا يفوت عليه مصلحة إلا حين يتخلى - مؤقتًا - عن مبدئه أو عن عقله. أما المؤمن فالأمر بالنسبة له عكس ذلك تمامًا، فهو حين يكذب يكون قد سلك سلوكًا يتناقض مع مبدئه ومع عقله، وحين يصدق يكون موافقًا لهما ولفطرته.

وعليه؛ فإنه كلما كثر عدد الملحدين، واشتد اقتراهم من مقتضيات مذهبهم؛ فإن الكذب عندهم سيزداد لا محالة، وكلما كثر عدد المؤمنين واشتد استمسكهم بدينهم؛ ازداد عدد الصادقين منهم لا محالة".⁽⁴³¹⁾

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: "كيف نوفق بين هذه الوازع الداخلي الذي يدعونا إلى مكارم الأخلاق، والعقل الذي إلى تحصيل ما ينفعنا ودرء ما يضرنا؟ إنه لا حل عند الملحد؛ إن إلحاده يوجب عليه إما أن يكون داعيًا إلى نبذ الأخلاق، أو يكون داعيًا إلى نبذ العقل؛ وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

كيف يحل الدين هذا الإشكال؟ يقول الدين الحق: نعم إن الأخلاق من باب الخير الذي فطر الله عليه عباده، ولكن هذه الأخلاق نفسها تقتضي أن يثاب المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته، ولكن هذا لا يتأتى في دار الدنيا هذه كما هو مشاهد، ولا يمكن إذن أن يتأتى إلا في حياة أخرى بعد هذه الحياة، ولا يتأتى في تلك الحياة الثانية إلا إذا كان هنالك إله عليم عادل حكيم، يعلم ما يعمل الناس الآن؛ ليجازيه عليه غدًا".⁽⁴³²⁾

"إنَّ إحكام الخلق وما فيه من تناسق وعناية - من بينها وجود قيم خلقية لا تصلح مجتمعات الناس إلا بها - يتنافى مع وجود دار آخرة.

ولكن إذا كانت هنالك دار آخرة ولم يكن هنالك إله شهيد على الناس في هذه الحياة الدنيا، كي يجازيهم عليها في تلك الدار؛ لم يكن لها من فائدة، بل صار الأمر فيها كالأمر في هذه الحياة الدنيا".⁽⁴³³⁾

(431) الفيزياء ووجود الخالق. أ.د. جعفر شيخ إدريس (ص59-60).

(432) الفيزياء ووجود الخالق، أ.د. جعفر شيخ إدريس (ص60-61).

(433) المصدر السابق ص64.

الفصل الثاني: توحيد الربوبية، حقيقته وأدلته.

المبحث الأول: تعريف توحيد الربوبية:

هو إفراد الله بربوبيته للمخلوقات، فلا رب لها سواه، أي: نعتقد أن الله هو المنفرد بالخلق والملك والأمر (التدبير)، ويدخل في الأمر: الأمر الكوني، والأمر الشرعي.

إذن؛ معنى (الرب): يدور حول صفات ثلاث، لا يُعْني واحدٌ منها عن الآخر، وهي صفة: الخالق، والمالك، والمدبر، فهو الخالق؛ الذي أوجد الأشياء من عدم، قال الله تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [البقرة: 117]، وقال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [فاطر: 1].

وهو المالك؛ الذي خلق الخلق وانفرد بملكه له كما انفرد بخلقه له، وتأمل قول الله تعالى في سورة الفاتحة: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، وفي قراءة أخرى سبعية: {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة: 4]، وهي قراءة سبعية متواترة، وإذا جَمَعَتْ بين القراءتين ظهر معنى بديع، فالمملك أبلغ من المالك في السلطة والسيطرة، لكن الملك أحياناً يكون ملكاً بالاسم لا بالتصرف، وحينئذ يكون ملكاً غير مالك، فإذا اجتمع أن الله تعالى: ملك ومالك تم بذلك الأمر: الملك، والتدبير.

- يقول ابن تيمية: "إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (434)" (435).

- ويقول السعدي: "فَهُوَ سُبْحَانَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِكُهُ، لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، فَكُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ فَبِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَخَلْقِهِ" (436).

- ولهذا نقول: إن الله عز وجل منفرد بالملك، كما انفرد بالخلق، كذلك أيضاً منفرد بالتدبير، فهو المدبر لجميع الأمور وهذا بإقرار المشركين أنفسهم، فإنهم إذا سُئِلُوا من يدبر الأمور؟ فسيقولون: الله؛ فهو المنفرد بالتدبير: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} [السجدة: 5].
فإذا أقروا بالربوبية ننتقل معهم لإثبات المعرفة بالألوهية والأسماء والصفات الحسنى كما سبق في دعوة المشركين، فيكون الانتقال بهم من الإلحاد إلى الربوبية ثم إلى الألوهية مع تعليمهم ذلك وترسيخه في نفوسهم ليستقيم حالهم.

المبحث الثاني: أصول توحيد الربوبية:

وتوحيد الربوبية يقوم على أصلين عظيمين:

1- عموم خلقه وربوبيته.

2- عموم إحسانه وحكمته.

قال تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} [السجدة: 7]، وقال تعالى: {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ} [طه: 50].

(434) الأعراف: 54.

(435) مجموع الفتاوى لابن تيمية (251/11).

(436) تيسر الكريم الرحمن، للسعدي (ص954).

فنعتقد: "أن الله رب العالمين، وأنه رب السموات والأرضين وما بينهما، ورب العرش العظيم، وهو خالق كل شيء، وهو على كل شيء وكيل، وهو رب كل شيء ومليكه، وهو مالك الملك؛ يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويُعزُّ من يشاء ويُذلُّ من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، له ما في السماوات، وما في الأرض، وما بينهما، وما تحت الثرى، قلوب العباد ونواصيهم بيده وما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابعه، إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاعه، وهو الذي أضحك وأبكى، وأغنى وأقنى، وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته، وينزل من السماء ماء؛ فيحيي به الأرض بعد موتها، ويبث فيها من كل دابة، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا به، ولا ملجأ ولا منجأ منه إلا إليه.

ونعتقد كذلك: أنه قد أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وأحسن كل شيء خلقه، وأتقن كل شيء صنعه، والخير كله بيديه، وهو أرحم الراحمين، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، إلى نحو هذه المعاني التي تقتضي شمول حكمته وإتقانه، وإحسانه خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وسعة رحمته وعظمتها، وأنها سبقت غضبه، كل هذا حق". (437)

وربوبية الله تعالى لخلقه نوعان:

ربوبية عامة، وربوبية خاصة:

- يقول السعدي:

"فالعامة: لجميع المخلوقات، وهي خلقهم وملكهم وتديبيرهم...

والخاصة: يضاف للربوبية العامة: التوفيق للخير والإعانة عليه، وهذه للمؤمنين خاصة". (438)

المبحث الثالث: أدلة توحيد الربوبية:

ولتوحيد الربوبية أدلة، منها:

1- قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف:54].

2- وقال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَلَىٰ تُوْفُقُونَ} [فاطر:1-3].

3- وقال تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ} [يونس:3-6]

(437) مجموع الفتاوى لابن تيمية (400/2).

(438) انظر: تفسير السعدي (945).

4- وقال تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} [يونس: 31-32].

دليل التمانع من أدلة توحيد الربوبية:

قال الله تعالى في محكم التنزيل: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [المؤمنون: 91-92].
لَا رَيْبَ أَنَّ الْإِلَهَ الْحَقَّ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِقًا فَاعِلًا، يُوصِلُ إِلَى عَابِدِهِ النَّفْعَ وَيَدْفَعُ عَنْهُ الضَّرَّ، فَلَوْ كَانَ مَعَهُ سُبْحَانَهُ إِلَهٌ آخَرٌ يُشْرِكُهُ فِي مُلْكِهِ، لَكَانَ لَهُ خَلْقٌ وَفِعْلٌ، وَحِينَئِذٍ فَلَا يَرْضَى تِلْكَ الشَّرِكَةَ، بَلْ إِنْ قَدَرَ عَلَى قَهْرِ ذَلِكَ الشَّرِيكِ وَتَفَرُّدِهِ بِالْمُلْكِ وَالْإِلَهِيَّةِ دُونَهُ فَعَلَّ، وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ انْفَرَدَ بِخَلْقِهِ وَذَهَبَ بِذَلِكَ الْخَلْقِ، كَمَا يَنْفَرِدُ مُلُوكُ الدُّنْيَا بَعْضُهُمْ عَنِ بَعْضٍ بِمُلْكِهِ، إِذَا لَمْ يَقْدِرِ الْمُنْفَرِدُ مِنْهُمْ عَلَى قَهْرِ الْآخَرِ وَالْعُلُوِّ عَلَيْهِ.

إِذَنْ: لَا بُدَّ مِنْ حَدُوثِ أَحَدٍ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ:

- 1- إِمَّا أَنْ يَذْهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِخَلْقِهِ وَسُلْطَانِهِ.
 - 2- وَإِمَّا أَنْ يَعْلُوَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ.
 - 3- وَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا تَحْتَ قَهْرِ مَلِكٍ وَاحِدٍ يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ كَيْفَ يَشَاءُ، وَلَا يَتَصَرَّفُونَ فِيهِ، بَلْ يَكُونُ وَحْدَهُ هُوَ الْإِلَهَ، وَهُمْ الْعَبِيدُ الْمَرْبُوبُونَ الْمُقَهَّرُونَ مِنْ كُلِّ وَجْهِ.
- وَلِذَلِكَ فَإِنَّ انْتِظَامَ أَمْرِ الْعَالَمِ كُلِّهِ وَإِحْكَامَ أَمْرِهِ، مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ مُدَبِّرَهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَمَلِكٌ وَاحِدٌ، وَرَبٌّ وَاحِدٌ، لَا إِلَهَ لِلْخَلْقِ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ لَهُمْ سِوَاهُ.
- فَالْعِلْمُ بِأَنَّ وُجُودَ الْعَالَمِ عَنْ صَانِعِينَ مُتَمَثِّلِينَ مُمْتَنِعٍ لِدَاتِهِ، مُسْتَقَرٌّ فِي الْفِطْرِ مَعْلُومٌ بِصَرِيحِ الْعَقْلِ بَطْلَانُهُ، فَكَذَا تَبَطُّلُ الْإِلَهِيَّةِ اثْنَيْنِ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ مُوَافِقَةً لِمَا ثَبَتَ وَاسْتَقَرَّ فِي الْفِطْرِ مِنْ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، دَالَّةٌ مُثَبِّتَةٌ مُسْتَلْزِمَةٌ لِتَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ.

الفصل الثالث: بيان البراهين والأدلة العقلية على وجود الله تعالى

إذا كان الماديون والطبيعيون والدهريون يتظاهرون بإنكار وجود الله تعالى؛ فإنه لا بد من دعوتهم بتقديم البراهين، والأدلة العقلية القطعية، وذلك من خلال النقاط التالية:

المبحث الأول: التقسيم العقلي الحكيم:

يستدل على كل من أنكر وجود الله تعالى وربوبيته بأمر لا يمكنهم إلا التسليم للحق والانقياد له، أو الخروج عن موجب العقل إلى الجنون والفطر المنحرفة، فيقال لكل من أنكر ذلك:

الأمر الممكن تقسيمها في العقل ثلاثة لا رابع لها:

القسم الأول: إما أن تُوجد هذه المخلوقات بنفسها صُدفة من غير مُحدث، ولا خالق خَلَقَهَا، وهذا مُحالٌ ممتنعٌ، تجزم العقول ببطلانه ضرورةً، ويُعلم يقينًا أن من ظن ذلك، لهُوَ إلى الجنون أقرب منه إلى العقل؛ لأن كل من له عقل يعرف أنه لا يمكن أن يوجد شيء من غير مُوجدٍ ولا مُحدثٍ، إذ لا بد لكل حادث من مُحدث، ولا سبيل إلى إنكار ذلك؛ فإن وجود الشيء من غير مُوجدٍ مُحالٌ وباطلٌ بالمشاهدة والحسّ والفطرة السليمة.

القسم الثاني: وإما أن تكون هذه المخلوقات الباهرة هي المحدثّة الخالقة لنفسها، فهذا أيضًا مُحالٌ ممتنعٌ بضرورة العقل، وكل عاقل يجزم أن الشيء لا يُحدثُ نفسه ولا يخلقه؛ لأنه قبل وجوده معدوم، فكيف يكون خالقًا؟!

- فإذا بطلَ هذان الاحتمالان عقلاً وفطرةً، وبان استحالتهما، تعين القسم الثالث:

القسم الثالث: وهو أن هذه المخلوقات بأجمعها: علويها وسفليها، وهذه الحوادث لا بد لها من مُحدث ينتهي إليه الخلق والملك والتدبير، وهو الله العظيم الخالق لكل شيء، المتصرف في كل شيء، المدبر للأُمور كلها⁽⁴³⁹⁾، ولهذا ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي، فقال: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} [الطور: 35]. فالمخلوق لا بُدَّ له من خالق، والمصنوع لا بُدَّ له من صانع، والمفعول لا بُدَّ له من فاعل، وهذه قضايا بديهية جلية واضحة، يشترك في العلم بها جميع العقلاء، وهي أعظم القضايا العقلية، فمن ارتاب فيها أو شكَّ في دلالتها؛ فقد برهن على ضلاله، واختلال عقله.⁽⁴⁴⁰⁾

المبحث الثاني: العدم لا يخلق شيئًا:

فالعدم الذي لا وجود له لا يستطيع أن يصنع شيئًا؛ لأنه غير موجود.

وإذا تأمَّلَ العاقل في المخلوقات التي تولد في كل يوم، من إنسان وحيوان، وتَفَكَّرَ في كل ما يحدث في الوجود من رياح وأمطار وليل ونهار، وما يجري في كل حين من حركات منتظمة للشمس والقمر والنجوم والكواكب، إذا تأمل في هذا وذاك من التغيرات المحكمة التي تجري في الوجود في كل لحظة، فإنَّ العقل يجزمُ بأنَّ هذا كله ليس من صنع العدم، وإنما هو من صنع الخالق الموجود سبحانه وتعالى.⁽⁴⁴¹⁾

(439) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل 1/66، ودرء التعارض بين العقل والنقل 3/113، والرياض الناضرة للسعدي، ص 247، وأضواء البيان للشنقيطي، 4/368، وشرح أصول الإيمان لابن عثيمين، ص 15.

(440) انظر: الرياض الناضرة للسعدي، ص 247، ومنهاج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر الأملعي، ص 128.

(441) انظر: حاشية ثلاثة الأصول لمحمد بن عبد الوهاب، بقلم عبدالرحمن بن قاسم، ص 29، والإيمان للزنداني مع مجموعة من العلماء، ص 21، وكتاب التوحيد للزنداني

المبحث الثالث: الطبيعة الصماء لا تملك قدرة، وفاقد الشيء لا يعطيه:

من المعلوم عند جميع العقلاء أن الذي لا يملك مالا لا يسأل الناس منه المال، والجاهل لا يأتي منه العلم؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

فمن زعم أن الطبيعة خلقتة أو خلقت شيئاً، فقد خالف العقل، وحارب الحق؛ لأن الكون يشهد أن خالقه حكيم عليم خبير هاد رزاق، حافظ رحيم، واحد أحد، والطبيعة الجامدة لا تملك مثقال ذرة من ذلك. ومن العجيب أن كل من زعم أن الطبيعة تخلق شيئاً، فقد خالف مقتضى العقول؛ لأن الطبيعة لا تملك خبرة، ولهم خبرة، ولا تملك إرادة، ولهم إرادة، ولا تملك علماً، ولهم علم! أما علموا أن فاقد الشيء لا يعطيه؟ قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَعْمُوا لَهُ * إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ * وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ * ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} [الحج: 73].

فلا بد أن يكون الخالق كاملاً كماً مطلقاً، بحيث يكون: مستغنياً عن غيره، ويكون أولاً ليس له بداية، وآخرًا ليس له نهاية، لا يحده زمان، ولا يحده مكان، قادرًا على كل شيء، عالمًا بكل شيء، ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

وهذه الخصائص لا يمكن أن تكون إلا لله الكامل من كل الوجوه، وبذلك يسقط - بحمد الله تعالى قول الماديين؛ لأن المادة لا تتصف بشيء من ذلك.⁽⁴⁴²⁾

المبحث الرابع: الصدفة العمياء لا تملك حياة:

ومن أشهر سفسطاتهم القول بـ"صدفة ظهور الكون"، وهذا لعدم فهمهم أو لتجاهلهم أصول الاحتمالات؛ لأن الصدفة لها شرطان لا ينفكان عنها، وهما: الزمان والمكان. فالصدفة تشترط زمانًا تقوم فيه بإحداث أثرها. وتشترط وجودًا ماديًا مكانيًا تقوم فيه بإنتاج مفعولها.

فكيف نقول بدور الصدفة في إيجاد الكون، مع أن كوننا جاء من اللازمان واللامكان، وبالتالي من اللاصدفة! يعتقد الملحدون بالصدفة⁽⁴⁴³⁾، وهي أن جميع الأشياء والمخلوقات تم تكوينها على ما هي عليه بطريق الصدفة، والمقابلة، وليس ذلك بطريق القصد والإرادة والتدبير.

ومن حكمة القول مع هؤلاء أن يُقال لهم: من أين حصل لهذا العالم هذا النظام العجيب، والترتيب الحكيم الذي حارت فيه العقول؟ كيف ينسب ذلك إلى الاتفاق والمصادفة ومجرد البخت؟ وكيف اجتمعت تلك الأجزاء على اختلاف أشكالها، وتباين مواردها وقواعدها، وكيف حُفظت وبقيت على تألفها، وكيف تجددت المرة بعد المرة؟!

وهذا فيه دلالة عقلية قاطعة على أن الله هو الخالق لكل شيء، وأن الصدفة لا وجود لها ولا تصرف في مخلوقات الله تعالى.⁽⁴⁴⁴⁾

(442) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس للعوايشة، ص 125.

(443) الصدفة في اللغة: يقال: مصادفة: لقيه ووجده من غير موعد ولا توقع. انظر: المعجم الوسيط، 2/510.

(444) انظر: شرح العقيدة الطحاوية 1/35، درء التعارض بين العقل والنقل، 3/129، والإسلام يتحدى، لوحي الدين خان ص 65، وعقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري، ص

فحتى يُلحد أحدهم، عليك أن تتخيل الآتي:

أ- اللاشيء انضاف إلى اللاشيء فصار شيئاً عظيماً... صار كوناً مدهشاً من أروع ما يكون وبمنتهى المعايير الدقيقة والحدود الحرجة.

ب- الصدفة أنتجت الحدود الحرجة والثوابت الفيزيائية التي جاء بها الكون؛ في حين أن شرطي الصدفة هما المكان والزمان، والكون جاء من اللامكان واللازمان وبالتالي من اللاصدفة!

ج- العشوائية وبيئة الأرض الأولى أنتجت الحياة وأنشأت البكتريا والإنسان، في حين أن العقل البشري في قمة جبروته الآن لا يستطيع أن يُنتج أبسط صور الحياة.

د- كل القيم الأخلاقية التي نُسلم بصحتها والتي يسير أغلبها في اتجاه مضاد للمادة تماماً –فالأخلاق الأصلية تمثل عبئاً مادياً وخسارة على مستوى المصلحة الدنيوية- هي من معطيات المادة ومنتوجاتها.

هذه المحالات العقلية عليك أن تؤمن بها حتى تبدأ في الإلحاد.

هـ- لا يوجد مستند عقلي ولا مادي في الإلحاد يمنع من إبادة أهل الأرض جميعاً.

فالعالم المادي لا يعرف الخطأ ولا الصواب؟

إذن تستوي إبادة أهل الأرض جميعاً بإحيائهم إلهادياً.

فالإلحاد مبناه على الإيمان أيضاً، لكن إيمان بلا أثارٍ من علمٍ أو نقلٍ أو عقلٍ أو خلقٍ.

المبحث الخامس: المناظرات العقلية الحكيمة:

من الحكمة في دعوة الملحدين والطبيعيين الماديين أن يُناظروا بالمناظرات العقلية الحكيمة التي تُوضح لهم الحق، وتجعلهم يسلمون ويقرون بأن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل.

ومن المناظرات التي أفحم بها المسلمون الملحدين ما ذُكر عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى: "أن قومًا من أهل الكلام أرادوا البحث معه في تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم: أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة، تذهب، فتمتلئ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها، وتعود بنفسها، فترسي بنفسها، وتتفرغ وترجع، كل ذلك من غير أن يدبرها أحد؟! فقالوا: هذا محال لا يمكن أبداً! فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سفينة، فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله!! وتحكى هذه الحكاية عن غير أبي حنيفة أيضاً".⁽⁴⁴⁵⁾

المبحث السادس: مبدأ السببية:

إن الواقع والعقول السليمة تشهد أن الإنسان منذ فتح عينيه لم يُشاهد أن حادثاً حدث من غير سبب، أو أن شيئاً وُجد من غير موجد، حتى أصبح هذا المعنى بحكم الواقع لا يتصور العقل خلافه، ولا يأبى الإقرار به إلا عقل مفقود أو مريض كشأن المعتوهين، أو عقل قاصر كشأن الطفل الذي يكسر الإناء، ثم يقول: إنه انكسر بنفسه.⁽⁴⁴⁶⁾

ويذكر عن أبي حنيفة رحمه الله وكان معروفاً بالذكاء أنه جاءه قوم دهريون يقولون له: أثبت لنا وجود الله فقال: دعوني أفكر، ثم قال لهم: إني أفكر في سفينة أرسيت في ميناء دجلة وعليها حمل فتزل الحمل بدون حمال،

34، ومناهج الجدل في القرآن الكريم د. زاهر بن عواض الألمي، ص 142.

(445) وانظر: درء التعارض بين العقل والنقل، 3/ 127، والرياض الناضرة للسعدي، ص 258، وعقيدة المسلمين للبليهي، 1/ 123، ومناهج الجدل، ص 139.

(446) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس ص 284-288.

وانصرفت السفينة بدون قائد، فقالوا: كيف تقول مثل ذلك الكلام فإن ذلك لا يعقل ولا يمكن أن نصدقه؟ فقال: إذا كنتم لا تصدقون بها فكيف تصدقون بهذه الشمس، والقمر، والنجوم، والسماء، والأرض، كيف يمكن أن تصدقوا أنها وجدت بدون موجد؟!.

وقد أشار الله تعالى إلى هذا الدليل العقلي بقوله: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} [الطور: 35]. ولذلك أدرك الأعرابي هذه السببية عندما سُئِلَ: ما الدليل على وجود الرب؟ فقال: "سبحان الله إن البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ليل داج، ونهار ساج، ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير".⁽⁴⁴⁷⁾

فكل مخلوق لا بد له من خالق، وكل أثر لا بد له من مؤثر، وكل مُحدث لا بد له من مُحدثٍ، وهذا هو قياس الشمول.

أما قياس التمثيل فكقول: هذا مُحدث فيحتاج إلى مُحدثٍ.⁽⁴⁴⁸⁾

وبناء على هذه القاعدة فعالمنا هذا، من أرض وسموات، وإنسان وحيوان، وليل ونهار، وشمس وقمر، لا بد له من مُحدث، ثم إن هذا العالم لا يبقى إلا بسبب يحفظه ويبقيه، كما أنه لم يحدث إلا بسبب أحدثه، وهذا لا يقدر عليه إلا الله الواحد القهار.⁽⁴⁴⁹⁾

المبحث السابع: التفكير في المصنوع يدل على بعض صفات الصانع:

فالتفكير في المصنوع يدل على بعض صفات الصانع؛ لأن كل شيء يُوجد في المصنوع يدل على قدرة أو علم أو خبرة، أو حكمة عند الصانع.

وإذا علم هذا فإنه يقال لمن أنكر وجود الله تعالى وربوبيته: تفكر في خلقك ونفسك، وانظر مبدأ خلقك من نطفة، ثم علقه، ثم مُضغته، ثم عظامًا، فكسيت العظام لحمًا، حتى صرت بشرًا كامل الأعضاء الظاهرة والباطنة، أما يضطرك هذا التفكير والنظر إلى الاعتراف بالرب القادر على كل شيء، وأحاط علمه بكل شيء، الحكيم في كل ما خلقه وصنعه وأتقنه؟ فلو اجتمع الخلق كلهم على النطفة التي جعلها الله مبدأ خلق الإنسان على أن ينقلوها في تلك الأطوار المتنوعة، أو يحفظوها في ذلك القرار المكين، ويجعلوا لها سمعًا وبصرًا وعقلًا وقوى باطنة وظاهرة، وينموها هذه التنمية العجيبة، ويركبوها هذا التركيب المنظم، ويرتبوا الأعضاء هذا الترتيب المحكم، فهل في استطاعتهم وعلومهم أن يصلوا إلى ذلك؟⁽⁴⁵⁰⁾، قال تعالى: {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ * فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: 12-14].

(447) انظر: الرياض الناضرة ص258، ومنهاج الجدل في القرآن ص 139، وهي من خطبة لقس بن ساعدة، انظر البيان والتبيين للجاحظ 1/ 254 وبنحوه عن الأصمعي يرويه عن بعض الأعراب. المجالس الوعظية 1/ 461.

(448) انظر درء التعارض بين العقل والنقل 3/ 73، 121 - 127.

(449) انظر: درء التعارض بين العقل والنقل 3/ 121.

(450) انظر: درء التعارض 7/305، 306، 73-70/ 8، 333/ 3، 259/ 1، والرياض الناضرة، ص 248-257، والإيمان لعبد المجيد الزنداني مع مجموعة من العلماء، ص

22، وعقيدة المسلمين، 1/109.

الفصل الرابع: بيان الأدلة الحسية المشاهدة على وجود الله تعالى

لا ريب أنّ الأدلة الحسية المشاهدة تدل على وجود الله تعالى وتدل على ربوبيته، وعلى أنه الخالق لكل شيء المستحق للعبادة، وهذه الأدلة التي يسمعها الناس ويشاهدونها ويلمسونها، على نوعين:

النوع الأول: إجابة الله تعالى للدعوات في جميع الأوقات، فلا يُحصي الخلق ما يُعطيه الله للسائلين، وما يُجيب به أدعية الداعين ويرفع به كرب المكروبين، فتحصل المطالب الكثيرة بأسباب دعاء بعض العباد لربهم، والطمع في فضله والرجاء لرحمته، وهذا برهان مُشاهد محسوس، لا ينكره إلا مكابر.⁽⁴⁵¹⁾

والحقيقة أن ذلك كله شاهد يتحدث إلى العقول البشرية أن لها ربًّا حكيماً قادراً سميعاً بصيراً مجيباً.⁽⁴⁵²⁾
إذن الدليل الحسي: هو ما نشاهده من إجابة الدعاء.

وما أكثر ما نقرأ في كتاب الله تعالى أنه استجاب لأنبيائه عليهم السلام، قال الله تعالى: {وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ} [الأنبياء: 76]، وقال تعالى: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَلْيَسَ الْضُرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَابِدِينَ} [الأنبياء: 84]، والآيات في هذا كثيرة والواقع يشهد بهذا.

النوع الثاني: معجزات الأنبياء الحسية وهي آيات يُشاهدها الناس أو يسمعون بها، وهي من أعظم البراهين القاطعة على وجود مرسلهم؛ لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى تأييداً لرسوله، ونصراً لهم، وهذه الآيات المحسوسة تدل دلالة قاطعة على وجود الله تعالى.⁽⁴⁵³⁾

ولقد ذكرنا بعض هذه المعجزات التي أيد الله بها رسوله عليهم السلام سابقاً في مبحث: دلائل النبوة.

(451) انظر: الرياض الناضرة، ص 253، وشرح أصول الإيمان للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص 17.

(452) انظر: كتاب التوحيد لعبد المجيد الزنداني، 1/43.

(453) انظر: شرح أصول الإيمان للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص 18.

الفصل الخامس: بيان الأدلة الشرعية على وجود الله تعالى

وأما الأدلة الشرعية إذا تأملها الإنسان، عَلِمَ أَنَّ الذي أنزله وشرعه هو الرب عز وجل، قال الله تعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: 82]، فائتلاف القرآن وعدم تناقضه وتصديق بعضه بعضاً، كل ذلك يدل على أن القرآن نزل من عند الله عز وجل، وكون هذا الدين، بل كون جميع الشرائع التي أنزلها الله عز وجل موافقة تماماً لمصالح العباد، دليل على أنها من عند الله عز وجل، وتشهد بوجوده وحكمته وعلمه.

قطعاً: "إنَّ طريق الهداية الكاملة، هو ما جاء عن الله تعالى أو عن رسله عليهم السلام، والتي تجمع بين الأدلة النقلية والعقلية، وهي من أعظم الأدلة التي تهدي لمعرفة الله تعالى والإيمان به عز وجل، وتبعث المهتدي بها إلى العمل المزيّ للنفس، والمهيّ له إلى سعادة الدارين، بخلاف الهداية العقلية وحدها، فإنها وإن أنقذت صاحبها من القلق النفسي والحيرة الفكرية لا تُزكّي نفسه، ولا تُقوِّم أخلاقه، ولا تهيبته لسعادة الدارين، ولا تُخرجه من دائرة الكفر حتى يؤمن بالأدلة الشرعية ويعمل بمقتضاها".⁽⁴⁵⁴⁾

"والكتب السماوية كلها تنطق بأن الله هو الخالق لكل شيء، المستحق للعبادة، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح العباد، دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها، دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به".⁽⁴⁵⁵⁾

ودلالة القرآن الكريم نوعان:

1- خبر الله الصادق:

فما أخبر الله تعالى به، أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم، فهو حق وصدق، ولا يمكن أن يكون في ذلك شيء مناقض لدليل عقلي ولا سمعي؛ لأن ما أثبتته السمع الصحيح لم ينفه العقل الصريح، والمعقول الصريح يوافق ما جاءت به الرسل ولا يناقضه، وكل ما عارض الشرع من العقلية فليس دليلاً صحيحاً.⁽⁴⁵⁶⁾

2- ضرب الأمثال:

إن ضرب الأمثال يُعدُّ دلالة شرعية عقلية، فهي شرعية؛ لأن الشرع دل عليها وأرشد إليها وأثبتها، وعقلية؛ لأنها تُعلِّمُ صحتها بالعقل.⁽⁴⁵⁷⁾

ويمكن أن نقتصر في الأدلة الشرعية التي تثبت وجود الله تعالى وأنه رب كل شيء ومليكه ومدبره، ويستلزم ذلك أنه المستحق للعبادة وحده على ذكر طريقتين⁽⁴⁵⁸⁾:

الطريق الأول: توجيه الله تعالى الأنظار والقلوب إلى ما في هذا الكون من مخلوقات عجيبة تبهر العقول، كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 21-21]

(454) انظر: عقيدة المؤمن، لأبي بكر جابر الجزائري، ص 39، 49، 63.

(455) انظر: شرح أصول الإيمان لمحمد بن صالح العثيمين، ص 17.

(456) مجموع الفتاوى 6/71. وانظر: درء التعارض بين العقل والنقل، 1/172-180، 5/6، 7/39، 5/279.

(457) انظر: مجموع الفتاوى 6/71، 72.

(458) انظر: درء التعارض بين العقل والنقل، 8/354، 7/302، 307، 9/40، ومجموع الفتاوى 11/377-380، وعقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري، ص 63، والرياض الناضرة

للسعدي، ص 253-267.

[22] . وقوله: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [البقرة: 164]. والقرآن الكريم يزخر بالأدلة على هذا النوع.

الطريق الثاني: معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد أيد الله الرسل عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات الباهرة للعقول، والخارقة لسنن الكون وقوانين الحياة؛ ليستدلوا بها على صدق نبوتهم، وإثبات رسالتهم، فإذا ثبتت نبوة الرسل بقيام المعجزات علم أن هناك مُرسلاً أرسلهم؛ لأن ثبوت الرسالة يستلزم ثبوت المرسل.⁽⁴⁵⁹⁾

وخلاصة ما ذكر ابن تيمية في إثبات وجود الله تعالى كالتالي:

- 1- الاستدلال بآيات الله في الكون.
- 2- أدلة الفطرة، فإنَّ الخلقَ مفلطرون على الإقرار بالخالق.
- 3- الاستدلال على الله بالله، فإنَّه سبحانه وتعالى عرفنا نفسه؛ فعرفناه.
- 4- الاستدلال بمعجزات الرسل.
- 5- إجماع الأمم وأصحاب العقول والفطر السليمة.
- 6- المقاييس العقلية.⁽⁴⁶⁰⁾

(459) انظر: درء التعارض بين العقل والنقل 9/ 40- 43، 7/302، ومجموع الفتاوى 11/377.

(460) انظر: فتاوى شيخ الإسلام، 21/36-23، وستجد جميع الإحالات إلى المواضع التي ذكرها ابن تيمية في فتاواه.

الفصل السادس: شهادات الملحدين وإجاباتها

المبحث الأول: لماذا لا يكون هناك أكثر من خالق أزي؟

الجواب في قوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء: 22]، فوجود إله مع الله يقتضي التعدد، والتعدد يَسْتَلْزِمُ الافتقار، والافتقار على الخالق -حاشاه سبحانه- يَسْتَلْزِمُ عدم أمان الكون، وأنه قد ينهار، وهذا يَسْتَلْزِمُ فساد الكون.

إذن؛ لا ضمان لبقاء الكون مع إله مفتقر!

وباستكمال الآية الكريمة: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنبياء: 22]، نجد أنها تنزه الباري عن الحاجة والافتقار؛ فهو الغني القيوم سبحانه.

أضف إلى ما سبق: أنه لو كان فيهما إلهين أو أكثر، فإمكان التعارض أقرب عقلاً من التوافق؛ لأن وجود أكثر من إله يعني وجود أكثر من مشيئة وأكثر من إرادة، ولا شك أن تعدد الإرادات يعني إفتقار كل أحد، وهذا يستلزم فساد السماوات والأرض.

وفطرة الإنسان تقطع بأن الله واحد، ولو نظر فيزيائي أو غير فيزيائي في هذا الكون فلن يتصوّر له إلا خالقاً واحداً؛ لأنها فطرة الله التي فطر الناس عليها.

المبحث الثاني: سقوط فرضية تعدد الآلهة

ومما يدل على وجود إله واحد لا شريك له أنه لو فرض تعدد الآلهة؛ لترتب على ذلك ما يلي:

- 1- اختلال نظام الكون حيث سينفرد كل منهم بما خلق، والكون منتظم كما هو مشاهد.
- 2- لكان كل واحد منهم يطلب القهر والغلبة على الآخر؛ فيعلو بعضهم على بعض، قال الإمام ابن كثير في تفسيره: "قال الله تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ} [المؤمنون: 91]؛ أي لو قُدِّرَ تعدد الآلهة؛ لانفرد كل منهم بما خلق، فما كان ينتظم الوجود، والمُشَاهِدُ أَنَّ الوجودَ منتظمٌ متسقٌ، كلٌّ من العالم العلوي والسفلي مرتبطٌ ببعضه ببعض في غاية الكمال، {مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ} (461)".

وقال الإمام القرطبي عند تفسيره لقول الله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء: 22]؛ "والمعنى لو كان فيهما آلهة سوى الله؛ لفسد أهلها"، وقال غيره: "أي لو كان فيهما إلهان؛ لفسد التدبير؛ لأن أحدهما إن أراد شيئاً، والآخر ضده كان أحدهما عاجزاً"، وقيل: "إن معنى لفسدتا، أي: خربتا وهلك من فيهما بوقوع التنازع بالاختلاف الواقع بين الشركاء"، فسبحان الله رب العرش عما يصفون، نَزَّهَ نفسه، وَأَمَرَ العباد أن ينزهوه عن أن يكون له شريك أو ولد.

المبحث الثالث: موقف المسلم من قضية الإلحاد

إِنَّ قِضِيَةَ الْإِلْحَادِ مَرْفُوضَةٌ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ فَطَرَةً وَعَقْلاً وَشَرْعًا، وَلَا مَبْرِرَ لَهَا، فَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِنِعْمٍ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَمِنْ نِعْمِهِ فِي هَذَا الْمَجَالِ:

- 1- أنه عز وجل تكفل بحفظ كتابه، فقال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر:9].
ومن تمام هذه النعمة أن سخر العلماء؛ لحفظ سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فتم بيان ما أُجِيقَ بها من الأحاديث الموضوعية؛ فمصادر تلقي الدين محفوظة، ومعانيها مبينة، وهذا من فضل الله تعالى.
- 2- ليس في خبر الله ما يعارضه العقل السليم، ولا العلم الحديث، بل قد يأتي العلم الحديث بتفصيلات قد أشار الوحي إليها في الجملة، وفي الوحي الإلهي الدعوة الواضحة للعلم والتفكير والتدبر.
- 3- ليس فيما طلبه الله منا فِعْلاً أو تَرْكًا، ما يخالف مصالح الناس في دنياهم، ولا ما يفقدهم السعادة في أبدانهم، بل فيه ضمان لسعادة الروح والبدن، وصلاح الدنيا والآخرة، وصلاح الفرد والمجتمع.
- 4- الشرك نقيض الإسلام، ولقد حرم الله كل وسيلة تفضي إليه، ومنها: الغلو في الصالحين، وفي قبورهم، وحرَمَ تصوير التماثيل، فلا يوجد في الإسلام وسائط بينك وبين الله في التعبد أو التوبة، ولا هناك رجال دين يمارسون التسلط على الناس في أرزاقهم أو علومهم أو حياتهم الشخصية، وإنما هناك علماء بالدين الإسلامي أوجب الله عليهم بيانه للناس.
- 5- ليس في الإسلام رهبانية ولا تحريم للطيبات، وإنما ضبط للغرائز، واعتبار الدنيا مزرعة للآخرة، وذلك بجعلها صالحة لعبادة الله، محكومة بشرعه، وَأَنْ تُعَمَّرَ الْأَرْضَ بِمَا هُوَ نَافِعٌ لِلْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا، قَالَ تَعَالَى: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود:61].

الباب السادس: النفسيات الإلحادية، وكيفية التعامل معها:

ويضم الفصول التالية:

- الشخصية القلقة.
- الشخصية الهوسية.
- الشخصية النرجسية.
- الشخصية المكبوتة.
- الشخصية الاستذهانية.
- الشخصية البارانورامية الموسوسة.
- الشخصية الإسقاطية.
- الشخصية الحدودية.
- الشخصية التابعة.
- الشخصية الفصامية المنعزلة.
- الشخصية المعتلة.

ومن صور الحوار مع الملاحدة معرفة نفسياتهم

كما أن غير المسلمين أصناف كثيرة جداً، وأديانهم متفرعة، وفي كل دين إنقسامات وفرق كثيرة، فإن بين الملاحدة نفسيات مختلفة وكثيرة ومعرفة الداعية نفسيات هؤلاء سيسهل عليه مراعات مشاعرهم واختيار كل واحد منهم الأسلوب الأمثل ثم كيفية الرد على شبهاتهم حتى لا تكون فتنة للمدعو.. حيث إن هذا الأمر يحتاج إلى علم وخبرة ودربة وشخصية مميزة في الإقناع والتأثير وحسن الحوار والجدال.

النموذج الأمثل

من خلال البحث والاستقصاء وجدت ندرة أن يكون المحاورون المسلمون يدرسون ويبحثون عن سايكولوجية الملحد فيطور مهاراته بناءً على معطيات سيجعله أكثر إقناعاً ووصولاً إلى عقلية وخلفية الملحد، وممن سينفعنا عرضه لهذه النفسيات طرح الأخ أمين بن عبد الهادي خربوعي في كتابه "كيف تحاور ملحدًا، دليلك المنهجي لمهارات الحوار" ذلك أنه راجع تقسيمات علماء النفس في الشخصيات النفسية فلخصها بمنهجية ستنتفع المحاور المسلم أكثر من غيره.

عرض النفسيات الإلحادية (462)

لا شك أن الملحد مثله مثل أي إنسان عادي، له مشاعرٌ وأحاسيس، وثقافة، والتي تكون مستمدة بالدرجة الأولى من الشخصية النفسية من جهة، وعوامل خارجية متعلقة بمجموع التجارب الحياتية له من جهة أخرى، لكن الفرق بينه وبين المسلم المتدين، أن عقيدته الإلحادية تكون سبباً في تطور عقد نفسية تؤثر على شخصيته السيكلوجية، فكان لزاماً على المحاور المسلم أن يكون خبيراً بالانفسيات الإلحادية حتى يتمكن من التعامل مع كل شخصيّة تعاملًا مميّزًا حسب ما يقتضيه الحال؛ وذلك لضمان نجاعة الحوار، والتأثير على تلك الدوافع، وإذابة جبل الجليد الذي كونه الملحد تجاه الدين!

وثمة فرقاً آخر بين المسلم وبين الملحد، يكمنُ في تلك الطمأنينة القلبية النابعة من ثقة المسلم في عون الله ورعايته وحمايته، فهو دائم التوجه إليه سبحانه، يأنس به في وحشته، حتى وإن جال في خاطره سؤالٌ عن أسوأ شيء يمكن أن يحدث له، وكان جواب سؤاله، (الموت)، فإنّه في عقيدة المسلم هو انتقالٌ إلى الرفيق الأعلى، حيث الجنة التي لطالما كان يطمح إليها ويرجوها؛ ولذلك فإنّ نظرة المؤمن إلى المصيبة تختلف اختلافاً جذرياً عن نظرة الملحد، فالأول يعلم يقيناً أنها جوهر الحياة القائم على الامتحان والابتلاء الذي يؤجّر عليه حين صبره، في حين أن الثاني يجزع ويغتم؛ لاعتقاده بأنه لا حياة غير التي يعيشها الآن، فإن هو ضيعها ولم يعيشها في سعةٍ ورغد، فقد ضاعت منه كل الفرص، وكان مصيره إلى زوال.

يقول الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأحقاف: 13]، ويقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء: 48].

فالمسلم يكفيه الاستقامة على صراط الله المستقيم؛ كي ينجو من النيران، ويفوز بالجنان؛ قال تعالى: {فَمَنْ زُجِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ} (463)، وقد جاء في الحديث: أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أَنْ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحَلَلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا، أَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا." (464)؛ وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "جعل الله الرحمة مائة جزءٍ، فأمسك عنده تسعةً وتسعين جزءًا، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرًا عن ولدها خشيةً أن تُصيبه" (465)، فتنتاب المسلم ثقةً في الله تعالى تريح قلبه ووجدانه، أما الملحد فيفتقد لذلك كله، فيجزع عند المصائب، ويقلق من الغد، ويُرهبه الموت، ويخشى القضاء والقدر، ويخطئ النظرة التي ينبغي أن يراها في الحياة، فتتراكم عليه العقد النفسية، والرهابات الفكرية، كل ذلك نتيجة إحداه المُرِّ، فيعيش في عدمية مهلكة قد تؤدي به إلى إنفاق أموال طائلة على الأخصائيين النفسيين، وقد تؤدي به إلى فقدان الرغبة في العيش ثم الانتحار!

إن عددًا من أرقى علماء النفس المعاصرين، يتفوقون على أن أفضل علاج للأمراض النفسية المختلفة، هو الإيمان، يقول عالم النفس ويليام جيمس **Wiliam James**: "إن أمواج المحيط المصطخبة المتقلبة لا تُعكّر قط، هدوء القاع العميق، ولا تقلق أمنه، وكذلك المرء الذي عمق إيمانه بالله خليقٌ بألا تعكر طمأنينته التقلبات السطحية المؤقتة، فالرجل المتدين حقًا عصي القلق، محتفظٌ بآثرانه النفسي، مستعدٌ دائمًا لمواجهة ما عسى أن تأتي به الأيام من صروف" (466).

ويقول عالم النفس كارل غوستاف يونغ **Carl Gustav Jung**: "استشارني خلال الأعوام الثلاثين الماضية أشخاصٌ من مختلف شعوب العالم (المتحضر).. فلم أجد مريضًا واحدًا من مرضاي الذين كانوا في المنتصف الثاني من عمرهم - أي تجاوزا سن 35- من لم تكن مشكلته أساسًا هي افتقاره إلى وجهة نظر دينية في الحياة.. ولم يتم شفاء أحدٍ منهم حقيقة إلا بعد أن استعاد نظرتَه الدينية في الحياة" (467).

ولهذا أريد منك أيها المحاور - رعاك الله - أن تتنبه إلى هذه التفاصيل لكي تكون أكثر إقناعًا، وأقوى حجاجًا مع الملاحدة، وسوف تجد شخصيات سيكولوجية ملحدة لا تخرج عن نطاق ما سأخبرك، ذلك أننا راجعنا تقسيمات علماء النفس في الشخصيات النفسية، فوجدنا منهم مَنْ أكثر، ومنهم مَنْ أوجز، فوجدنا من خلال تجربتنا واحتكاكنا المباشر مع الملاحدة، أن تقسيم عالمة النفس (مارتين ماساكربي) هو الأشمل والأدق، وهي كالآتي:

الفصل الأول: الشخصية القلقة:

المبحث الأول: حقيقة الشخصية القلقة:

وهي شخصيةٌ يلازمها القلق من جهة المعتقد الذي تعتنقه، حيث أن الملحد بالرغم من اعتناقه للإلحاد يبقى قلقًا وغير متأكدٍ من صحة اختياراته، تُقضى مضجعه تلك الأسئلة الوجودية، التي لم يستطع أن يجد أجوبةً مقنعةً عليها: هل فعلاً يوجد خالق؟ وإن وُجدَ فمن هو؟ وهل الإلحاد هو الصواب؟ ما هو دوري في هذه الحياة؟ هل هي

(463) آل عمران: 185

(464) رواه مسلم 15.

(465) رواه البخاري 6000.

(466) كتاب دع القلق وأبدأ الحياة، للدليل كارنجي (ص: 301).

(467) الإنسان المعاصر في بحثه عن الروح، - انجليزي - (ص: 254).

فعلًا أرحام تدفع وأرضُ تبلع؟ ماذا لو كان أهل الدين على حق؟ ماذا لو مت ووجدت الإله؟ ماذا سيكون مصيري؟

فيعيش صاحب هذه الشخصية حالة من تَوَثُّرٍ عَصَبِيٍّ دائم، تنعكس على صحته النفسية والجسدية، وقد يعيش يقظةً مفرطةً مستمرةً، تصاحبها اضطرابات في النوم؛ نتيجة إحساسه بعدم التحكم في محيطه ولو بشكلٍ رمزيٍّ، وتناقض بين عقيدته وبين واقعه المُعاش، حيث أن العقيدة الحقة هي التي تسيّرُ متناغمةً مع ما يعيشه الفرد في حياته سواء في حالة الستاتيكا الاجتماعية (حالة المعافاة وعدم المشاكل) أو في حالة الديناميكا الاجتماعية (نزول الابتلاءات).

ولكي تعرف أيها المحاور - رعاك الله - صاحب هذه الشخصية، فعليك أن تركز على طريقته في الحوار، حيث سيتميّز في حوارهِ بنوع من العبثية المنهجية، حيث يريد معرفة كل شيء، مرّة يسأل حول الأصول العقديّة، ومرّة حول الفروع! وقد يصرّح بحالته ويبين لمحاوَره ذلك القلق الذي يعيشه، وأنه غير متأكد من معتقده الإلحادي.

المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:

طبعاً لكل شخصيّة طريقة للتعامل معها، وكيفية حوارها، فلا يسوغ أن يوضع الكل في سلةٍ واحدةٍ وطريقةٍ معينةٍ؛ إنما لكل مقام مقال، فمن الشخصيات مَنْ لا يليق لها إلا الإفحام والإلزام، ومن الشخصيات ما لا يليق لها إلا الاحتواء والضم، على حسب مرتبة كل شخصيّة وأهدافها، والمتبصر بطريقة القرآن والسنة في الحجاج والجدل سوف يجد أن الطريقة ليست على قدمٍ واحدة، بل تختلف باختلاف الشخوص.

ولذلك ينبغي على المحاور المسلم الذي يصادف هذه الشخصية أن يهوّنَ من قلقها، ويطلب منها الاسترخاء، فنحن لسنا في حَلَبَةِ مصارعةٍ حرّةٍ بل مجرد حوارٍ عاديٍّ غير إلزاميّ، حتى يضمن عدم نزوع الملحد إلى العناد الذي يبطل الرؤية الصحيحة للأشياء.

وعلى المحاور المسلم أيضاً أن يطلب من الطرف الآخر أن يلتزم بالأصول المنهجية التي سنراها فيما بعد، وأن يبحث معه عن مصادر قلقه، فيبدأ بالأولويات العقديّة، ويعيّن مكان الخلل في نظرتة لنفسه وللكون، فيعمل على شرحها حسب منظور الإسلام لها.

المبحث الثالث: آليات حوار الشخصية القلقة:

ويشجع الملحد على الحوار، وذلك عبر ثلاث آليات يُرْفَقُهَا خلال الحوار:

الأولى: آلية التجنب:

فيطلب من محاوره تجنّب التفكير بالمخاطر التخيلية الراسخة في شخصيته، وأن تلك التخوفات لن تعمل إلا على سجنه والزيادة من قلقه، فلا يوجد هناك ما يخشاه طالما هو على قيد الحياة ولم تقم ساعته بعد، فالله عز وجل قد فتح باب التوبة والأوبة إليه.

فغالبية الأشخاص الذين يعانون من القلق في حياتهم يعرفون تماماً الفرق بين المخاطر الحقيقية والمتخيّلة، والعمل على مواجهة المخاطر التي تسبب له ذلك القلق، والاجتهاد في إيجاد حلٍ لها.

الثانية: آلية تغيير مركز الانتباه:

إنَّ من أعراض القلق الحادِّ، الخوف من النوم، حتى إن كان المريض مرهقاً ويريد النوم، فإن الدماغ قد يرسل إشارات إلى الجسم حتى يحرمه من هذه النعمة، وبالتالي تنتابُ المرءَ نوباتٌ هلعٍ قد ينتفض لا إرادياً فيها، فيحسب أن الموتَ قادمٌ لا محالة.

وعلى المحاور أن يشرح له حالته، ويطمئنه أن تلك الانتفاضات اللاشعورية التي قد تأتيه، هي نتيجة عدم إرادة الدماغ للدخول في حالة السكون النَّوميِّ مخافة الموت، وأن يصحح عقيدته، فما الموت إلا لقاءً جميلاً مع رب جميلٍ.

الثالثة: آلية تغيير النظرة في فقدان السيطرة العقديّة:

فالشخصية القلقة تحس بفقدان الرمز العقدي، حيث أنها تؤمن بمعتقدٍ متناقضٍ، لا يحقق أدنى تناغمٍ نفسيٍّ، فمهلح دوماً حين الابتلاءات، ومن هنا على المحاور أن يبين له بعض الحكم في الابتلاء، وأن الحياة الدنيا ما هي إلا امتحانٌ مؤقتٌ، يرفع من درجات حسناته إن صبر وسلّم، فكل ما سيصيبه خيرٌ وإن لم يدرك حكمته وكنهه إلا بعد حين، فيقلب نظرتَه في الابتلاءات من خوفٍ إلى أمنٍ، وشجاعةٍ في الصبر عليها ومواجهتها. وعليك أيها المحاور أن تبسِّطَ له الرؤية الإسلامية قدر الإمكان، فإن أحسنتَ المزجَ بين سلامة الطرح العقدي على ضوء أحاسيسه النَّفسيَّة؛ فزتَ بقناعتِهِ وتَسليمِهِ.

الفصل الثاني: الشخصية الهوسية:

المبحث الأول: حقيقة الشخصية الهوسية:

وهي شخصيةٌ تعاني من ارتفاعٍ مَرَضِيٍّ في المزاج، مبالغٍ فيه، مع مشاركةٍ من البهجة والسعادة، وفرط الثقة والتقدير، تنشغل فيها الشخصية بأفكارٍ معينةٍ ومتكررةٍ بشكلٍ هَوَسِيٍّ، تتميز بإرادة الكمال الكلي، تُغَلِّبُ الفروعَ على الأصول، وأن يكون معتقدها صائبًا 100%، يرى فيها الملحد أن طريقته المنهجية هي وحدها الصحيحة، وغيرها يقود إلى الضلال والخطأ، وعلى الكل أن يتبع طريقته تلك، حيث يتكون عنده شعورٌ بأنه وكيلٌ على معتقدات الناس من حوله!

ولهذه الشخصية بعض السمات التي تدلّ عليها، ومنها: الجفاء، حيث تتسم بنوع من البرودة في علاقاتها، فتتعامل بطريقة رسمية، تفتقد لتلك الحرارة في التعامل، يكره التقرب إلى الأفراد ومن يحاوره! ويجد صعوبةً في التعبير عن مشاعره، إضافةً إلى افتقاده للحماس في معرفة معتقدات الغير! كما أنه عنيدٌ، لا يسلم بسهولةٍ لرجاحة الرأي الآخر.

المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:

هذه الشخصية كما أسلفنا شخصيةً باردةً اجتماعيًا وتميل إلى الرسميات، وتحسب أن نظرتها "المنطقية" للأشياء هي التي ينبغي أن تسود في المجتمع!

فإن صادفت أيها المحاور مثل هذه الشخصية فينبغي عليك أولاً أن تسيرَ أغواره، وتُقَلِّبَ معه في ماضيه، وتطرح عليه أسئلةً، تبين لك أسباب وصوله إلى هذه الحالة، وغالبًا لن تجد الأسباب تخرج عن سببٍ هي:

1- إما أن يكون هذا نتيجة عوامل بيولوجية: مرضٌ عضالٌ، إعاقةٌ دائمةٌ نتيجة حادث، إدمانٌ على خمور أو مخدرات؛ أثرت على سلامة رؤيته للأشياء.

2- تجربةٌ عائليةٌ يكون قد نشأ عليها من طرف والديه، أو معاييرٍ رُبِّيَّ عليها.

3- صراعاتٌ قديمةٌ أيام الطفولة أو الشباب.

4- طريقةٌ في التفكير غير عقلانية أدت إلى أن يظن بأنه ليس من حقه أن يخطئ، وأن يعيش حالة كمالٍ إنسانيٍّ.

5- نقصٌ في التوجيه من طرف أصدقائه ومقربيه، حيث تركوه يبني قناعاته دون تقويم.

6- عوامل عاشها أدت إلى أن يعتنق هذا الخلل في الشخصية.

وكيفما كان الحال من أسباب، فعلى المحاور خلال حوارهِ أن يضع أهدافًا دون تصريح تكون كالآتي:

- أن يُحَسِّنَ من قدرته على حل مشاكله.

- أن يُحَسِّنَ من قدرته العلائقية، ويُشَجِّعَهُ على التخاطب مع الغير.

- أن يدفعه إلى التَّحْسِينِ من جودة حالته لما لها من ترابط عقدي مباشر.

ولذلك ينبغي على المحاور أن يبني علاقةً وديةً معه، ويبين له أنَّ توطيد العلاقات الإنسانية لها نفعٌ على شخصيته، ثم يعمل على نقض منهجه المنطقي في التفكير، فيبين له عَوَارِهُ بشكلٍ مبسطٍ، ويوضح له مكامن الخلل عبر ضرب أمثلة عليها من الواقع الملموس، وأن ما يحسبه الطريق الوحيد في فهم الأشياء هو مجرد شيء شاذ بإجماع عقلاء المنطق.

وعليه أيضاً أن يكثر من الاستشهاد بأئمة الحجاج والمنطق، ويبين للملحد أنه ليس على شيء، وأن يتجنب الكلمات التي تفضي إلى تعكير صفو المناظرة، كأن يستهزئ به، أو يصفه بالغباء أو البلادة، فكل ذلك من الصَّوارِفِ عن الحق؛ فيقذف بخصمه إلى غياهب التَّعَنُّتِ والتكبر، ويقطع مادة الفهم والخاطر.

الفصل الثالث: الشخصية النرجسية:

المبحث الأول: حقيقة الشخصية النرجسية:

وهي الشخصية التي تبحث عن الإعجاب وستجدها أيها المحاور في غالبية الملاحدة العرب، وهي شخصية مغرورة جداً، نتيجة تصوراتٍ قَبْلِيَّةٍ رسخت في ذهن الملحد حول الدين والمتدينين، باعتبارهم مجموعةً من المتخلفين يعتقدون في دينٍ "أسطوري" في نظره، أي شعورٍ بالدونية، يُسْقِطُهُ على مخالفه، بالرغم من أن هذا المتدين أو ذاك قد يصل إلى مراكز علمية مرموقة، وقد يجمع بين تخصصاتٍ عدة لم يبلغها الملحد نفسه! فيعتبر الملحد نفسه إنساناً فوق البشر، يؤمنُ بمُعتقِدٍ لا يعتنقه إلا الخاصة؛ وذلك عبر تمجيد "الأنا"، وتحقير المجتمع ككلٍ بدينه وتقاليدِه وثقافته، وليس هذا مرهوناً بالمجتمع الإسلامي، بل حتى المجتمعات الغربية التي تدين بدين معين يخالفه المعني، حتى لو كان في الصين أو اليابان أو الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها! فيدخل الملحد حوارَه ظاناً منه أنه يستطيع إفحام مخالفه بسهولة تامة، ولا يدري أنه مرتكز على فكر هش الأركان، ضعيف الأسس، لكن الانغلاق على الذات والاكتفاء بمطالعة فكر وحيد هو السبب الرئيس في هذا الظن القبلي اللاشعوري؛ حتى إن أُفْحِمَ من كلِّ الجهات ردَّ السبب في عدم استطاعة ذلك المتدين فهم ما يقوله هو، وليس إلى هشاشة الطرح!، فكيف له وهو المثقف في أن يعتقد برسالة نبي أمِّي، ودين انتشر بين البدو قبل ألف عام ويزيد؟ حتى وإن كان هذا الدين له قوة حجاجية كبرى، ويحمل أفكاراً تقدمية كثيرة! فهو لا ينظر إلى أصل الرسالة على أساس أنها آتية من خالق الكون، بل آتية عن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم! في حين أنه يتناسى أن مجمل أفكاره "المعاصرة" هي آتية عن ما هو أقدم من العصر الرسالي، بل هي أفكارٌ ظهرت عند اليونان قبل الميلاد وتم تجميلها ما بين القرنين 18 و20!

والملحد من هذا النوع تستطيع معرفته حينما يصرح بأنه "قرأ القرآن كاملاً، وكُتِبَ التفاسير كلها، والحديث والعقيدة والفقهاء!" ممهّداً بذلك لمحاورة، أنه ملحدٌ متمكّنٌ من الإسلام، يُنَزِلُ نفسه منزلة عالمٍ شرعيٍّ، كَفَرَ عن علمٍ وليس عن جهلٍ، يحاول فيها بذلك التدليس على الطرف الآخر؛ لكي يضيف نوعاً من المصداقية والمشروعية لتساؤلاته تلك؛ فيتسامى بوهيمٍ إما للتلبيس على مسلمٍ له حظٌ قليلٌ في العلم، أو لكي يستعرض عضلاته على أهل الحق، أو لكسبٍ منزلة اجتماعية داخل طائفته الإلحادية! تجده دائماً مُتَّصِفاً بسلوكٍ تحكّميٍّ؛ يريدُ أن يُشعرَ الطرف الآخر بمشاعرٍ بعينها؛ كي يجبره على التسليم بأهدافه! يتهم الآخر، ينتقده، يحتقره، يسخر منه.

المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:

الشخصية النرجسية من خلال التجربة، شخصيةٌ لا يليق الرفق معها؛ لأنها غالباً ما تتصف بقلّة الأدب والسخرية، وإرادة التلبيس على معتقدات الناس، وإبراز العضلات داخل المناظرة! فهدفه الأسمى ليس هو إقناع المحاور المسلم، بل إضلال العامة ممن يحضر إلى المناظرة.

تلك الشخصية ينبغي أولاً أن تُحَالِ إلى أخصائيٍّ نفسيٍّ، يعقد معها حصصاً فرديةً أو داخل مجموعاتٍ. فإن صادفت مثل هذه الشخصية، فعليك أيها المحاور ألا تترك ما قدرت عليه من المضايقة، ولا تتقّ شُنعَةً تجد إليها سبيلاً إلا وألحقها به، ولا تتساهل معه في شيءٍ وألزمه قدر المستطاع وأفحمه من شتى البقاع، حتى لا يُشَنِّعَ عليك بما يصعبُ عليك تقصّي أمره، وَرَدَّ كيدِه وإِزَالَةَ إِهَامَهُ، فإن ضايقته وضيقته عليه؛ ضعف في نظر الناس،

- وَتَبَيَّنَ لَهُمْ جَهْلُهُ وَادِّعَاءَاتُهُ الْكَاذِبَةُ، - فهو غالبًا ما يلجأ إلى الكذب، ويزعم أنه ضليعٌ بالإسلام واصلٌ فيه إلى مرتبة الاجتهاد-؛ فتكون بذلك قد كتمت باطله وضررت به؛ فلا يروج له شيء.
- ولذلك عليك أيها المحاور أن تنتبه، فكل من تجد فيه هذه الصفات، اعلم أنه شخصية نرجسية:
- يشعر بأنه فوق كل من يحيط به.
 - يغير رأيه في وقتٍ قصير جدًا قصد الهروب من الإلزام.
 - يظن بأن الناس معجبة به.
 - يستعمل الكذب والتدليس للوصول إلى غياته.
 - يُغَيِّرُ من نجاحات المحاورين الآخرين.
 - لا يقبل النقد.
 - له شخصية تحكيميَّة ويحاول إدارة الحوار حسب مزاجه.
 - يتميز بالكبر والعناد.
 - يرفض الاستماع إلى النصائح.
 - يظن بأن الناس محظوظون بمعرفته.
 - لا يتأدب بآداب الحوار والطرح.

الفصل الرابع: الشخصية المكبوتة:

المبحث الأول: حقيقة الشخصية المكبوتة:

الكَبْتُ هو مجموعةٌ من المشاعر والغرائز والدوافع والمعتقدات غير مقبولةٍ في وعي الإنسان المعنيّ، فيلقي بها في اللاوعي، أو الأنا الأعلى.

فآلية الكبت تعمل بصفةٍ اختيارية، بمعنى أن تختار ما يتعارض مع ما يريده الإنسان، وفي حالة صدام بين أحاسيس يشتاق إليها الشخص وبين واقعٍ بناه المعني كشخصيةٍ، ولكي أُقَرَّبَ لكم أمثلةً من ذلك، أقول: ثابتٌ في علم النفس الاجتماعي أن الإنسان كائنٌ متدين بالفطرة، يتشوق للدين، وللاعتقاد في وجود إله للكون، فهذه مجموعةٌ من الأحاسيس والغرائز المركوزة في النفس البشرية التي يكتبها هذا الملحد! يقمعها قمعاً ولا يبالي بندايات فطرته، لأنه ببساطةٍ بنى ذاك الصرح الإلحادي وارتضاه لنفسه، فهو يريد أن يكون ملحدًا، يعيش في كنفِ هذا المعتقد، يرى من خلال منظاره، يحبّ، يعشق، يعيش يصادق، يعمل، يتكلّم، يبني آراءه كملحد! فيظهر الكبت ليلقي بتلك المشاعر والأحاسيس والأفكار في اللاوعي، ينساها لِبُرْهاتٍ، أو لفتراتٍ، ثم تعود لتقضّ مضجعه من جديد! وهكذا، وكأنه يدور في حلقةٍ مفرغةٍ عُمره كلّهُ، كشقاءٍ حيّاتيّ اختاره لنفسه، وارتضاه شعاعاً له في الحياة!

ولأن المكبوت دائماً ما يكون حركياً، ودائماً ما يُنقَبُ عن وسيلةٍ لكي يتحرّر من هذا الكبت والقمع، فتراه يبحث دون كللٍ أو مللٍ لكي يتسرب إلى الوعي، هذه المحاولات تكون إما عن طريق أحلامٍ، فلتات لسان، أو سبق أقلام، وغيرها.

ولهذا حسب علم النفس فهذا الكبت يقود إلى أمراضٍ كثيرةٍ نفسيةٍ منها العصاب، نظراً لِكَمِّ المجهود النفسي الذي يبذله الشخص لكي يكتب تلك الاشتياقات والغرائز! فعودة المكبوت هو الذي يجعل الملحد دائماً يبحث عن الحوارات الدينية، ويدخل إلى المواقع الإسلامية، وعدد منهم يصارحوننا بأنهم قد أصبحوا يعيشون شقاءً نفسياً، وإعياًءً روحياً، وتعباً دائماً، ولم يستطيعوا التحمل أكثر فيطلبون يد العون من داعيةٍ أو متخصصٍ! والشخصية المكبوتة يتكون عندها خوفٌ من صحة المعتقد الآخر.

المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:

على المحاور المسلم أن يكون ذكياً في تعامله مع صاحب هذه الشخصية، وأن يُخرِجَ مخالفه من حالة كبت التساؤلات ومقاومة غريزة التدين، وذلك عبر تشجيعه على إبراز تساؤلاته وطرحها، وعدم الخوف من التفكير فيها بشكلٍ منطقي منصف.

حيث أن صاحب الشخصية المكبوتة يظن توهماً أن التدين بدين الإسلام سيقرب حياته رأساً على عقب، وسيحطم روتينه الذي ألفه، وغالباً صاحب هذه الشخصية يكون خائفاً ليس من المعتقد بل من الفرعيات الفقهية، فقد تجده مثلاً لا يستطيع الاستغناء عن سماع المعازف، أو لا يحب إطلاقاً لحيته، أو إن كانت ملحدة تخاف من فكرة ارتداء النقاب، وعدم كشف الوجه، وغيرها من الفرعيات الفقهية.

وهنا المحاور عليه بعدما ينتهي من إقناع المخالف بالأصول، أن يسلك طريقين:

1- إما أن يبرز للمخالف الحكمة من هذه الأشياء، وأنَّ على الإنسان التسليم لأوامر ربه، فالفرعي يكون تابعًا للعقدي، ثم يعمل على إزالة تلك الحواجز التي تجعل الملحد يجبُّ عن الإتيان بها.

2- وإما أن يبين له أن مسائل الفرعيات يسوغ الخلاف الفقهي فيها، وأن يأتي بالأمور تدريجيًا معه، فأَنْ يعتنق الإسلام ويأتي بأركانه الكبرى مع تفريط في بعض الفرعيات، خيرٌ من أن يبقى على كفره.

ثم إنه حينما يتشرب العقيدة ويرتقي في مسالك التزكية، سيكون على أهبة الاستعداد للنظر في مثل هذه الأمور الفرعية على حسب الراجح من الدليل والمعتمد في الفقه.

وهنا نصيحة للإخوة المحاورين، بالألَّا يُغَلَّبُوا الفرعيَّ على العقديِّ، فالأمور لا تُؤخَذُ جملةً واحدةً، بل ينبغي أن يترتَّبوا مع الملحد القريب من الإسلام، أو المسلم الجديد، وأن يتناولوا معه أمور الفرعيات خطوةً خطوةً، ولنا في الأسلوب الدعوي الرسوليَّ أسوةً حسنة.

الفصل الخامس: الشخصية الاستذهانية:

المبحث الأول: حقيقة الشخصية الاستذهانية:

هي شخصية تستعمل الاستذهان؛ لِعَقْلَنَةِ أساطيرها التأسيسية؛ حتى تكون لها وجهةٌ منطقيّةٌ لقبولها نفسيًا! بمعنى آخر هو محاولة بناء منطقي للمشاعر والصراعات المنبثقة عن الأفكار من أجل التحكم بها، وتبريرها نفسيًا.

وليس شرطاً أن يكون البناء فعلاً منطقيًا لا غبار عليه عند العقلاء، بل يكفي توهم تلك المنطقية نفسيًا وتصديقها، وإن كانت في حقيقة أمرها أبعد عن المنطق السوي والعقل السليم!

ويُعرِّفُ الاستذهانَ عالم النَّفس سربان إيونيسكو Serban IONESCU فيقول: "استخدام التجريد والتعميم أمام حالةٍ صداميّةٍ تُورِّقُ كثيرًا الإنسان..." (468)

فتكون للشخصية الاستذهانية حالتين معينتين تتمظهر فيهما بشكل ظاهر: محاولة إعطاء الصبغة العقلانية لمجموعة من المعتقدات والمشاعر والأحاسيس، والثانية كتعميمٍ لمعالجة حالةٍ صداميّةٍ، وكذا حوارية! هذه الشخصية لا تظهر إلا حينما تكون معتقدات الملحد هذه مهددة من طرف عقله الشاك من جهة، أو من طرف شخص آخر خارجي، وبالتالي حينما يبدأ الملحد بالتساؤل والنظر في معتقداته تكون هذه المعتقدات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً مع مختلف مشاعره التي يشعرها، فلا شك أنه ما اعتنق معتقده إلا وقد شغف به حباً، وقلب حياته رأساً على عقبٍ من أجله، وبدأ ينظر إلى الكون والحياة ومختلف الملذات والأديان بمنظار هذا الفكر الإلحادي.

فحينما سيكون هذا المنظار - الذي عاش ولا زال يعيش من خلاله - محطّ خلخلةٍ تهدد ذلك التكيف النفسي، وأن النظرة الدينية قد تكون هي الحق الذي لا غبار عليه، يأتي الاستذهان كميكانزمٍ دفاعيٍّ لا شعوري تتلبس به الشخصية.

والميكانيزمات الدفاعية والتي تُسمّى أيضا آليات الدفاع النفسية أو آليات التكيف النفسي، هي مجموع العمليات اللاشعورية التي يستعملها الإنسان (الأنا) والتي يهدف من خلالها الوعي النفسي إنقاص، أو إزالة، أو تغيير كل ما من شأنه أن يمسّ الصحة النفسية للإنسان؛ لتجنب القلق والحيرة والشك.

هذه الميكانيزمات، كما تُستعملُ في الخير، تُستعملُ في الشر، وغالبًا ما تكون في حالات معينة تمس وضعيات مختلفة في حياة الإنسان، خاصةً في مجال النقاش الفكري والمناظرة الثقافية التي تكون بين شخصين فيهدّ أو يعدل من بنيان معتقده بشكل - منطقي - بالنسبة له؛ لكي يضمن استمرار ذلك الروتين الحياتي الذي أُلِفَهُ وشبّ عليه!

فالشخصية الاستذهانية ليست شخصيةً منطقيّةً بل هي تعيش توهم التمنطق.

المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:

في هذه الحالة على المحاور المسلم أن يركز في حوارهم مع هذه الشخصية على الأساسات التي يتوهمها الملحد أنها عقلية؛ لتبرير معتقده المتناقض، وأن ينقض أساسات الإلحاد نقضاً عقلياً صريحاً؛ حتى يخلل زخرفات الباطل التي تصرف الملحد عن اعتناق الإسلام!

فمثلاً حينما نسأل أهل الإلحاد: ما الأدلة على عدم وجود الله تعالى؟ يبادرونك بالجواب: لأنه لا توجد أدلة على وجوده! فجوابهم هذا هو جوابٌ استذهائيٌّ بالدرجة الأولى، فمنطقيًا لا يمكنك أن تؤمن بشيءٍ دون وجود شيءٍ دالٍّ عليه، ولا يمكنك اعتناق نقيضه لغياب دليلٍ في الطرف الآخر، فالموقف المنطقي العاقل حينها: أن يكون الملحد (لا أدريًا) بمعنى مُتَوَقِّفٍ لا إلى هؤلاء ولا إلى أولئك، لكنه في الحقيقة أغمض عينيه إلى النظر - مجرد حتى النظر - في أدلة أهل الإيمان الكثيرة والقوية في إثبات وجود الله، واعتنق معتقده كنعامةٍ تضع رأسها في التراب وتحسب أن الشمس قد غربت! فالملحد يرى جوابه منطقيًا في حين أن لا وعيه النفسي هو الذي تقبل هذا التبرير، لكي يحصن نفسه مما يتوهمه باطلاً، أي نحن أمام توهم التمنطق، وليس أمام بناءٍ منطقيٍّ حقيقيٍّ لا غبار عليه.

ويمكننا في هذا الصدد أن نعطي أمثلةً كثيرةً، كيف أن كثيراً من الأفكار الإلحادية اللامنطقية؛ تخضع لآلية الاستذهان، حتى تصطبغ بهذه الصبغة، ومثاله؛ آخر صيحات الإلحاد في الغرب؛ وهو ادعاءً أن هناك كائنات فضائيةً متطورةً جداً وعالية الذكاء قد تكون سبباً في وجود الحياة على الأرض!

هذا الموقف جاء حينما بدأت الأنساق العلمية المُغَلِّفَة للباطل الإلحادي في التهاوي، وتعمّس النظريات العلمية لتبرير المعتقد الإلحادي، وأصبح العلماء يثبتون يوماً بعد يوم وجود إحكامٍ في الخلق وليست فوضى عبثية، وأنه من الاستحالة أن تؤدي تلك العبثية إلى هذا الإحكام الكوني والتعقيد الخُلقي، فكان أن كبيرهم **Richard Dawkins** لم يستح في أن يعلنها للملأ من قومه، فَبِضْرِبَةِ نَفْسِيَةِ استذهانيةٍ خرج من المأزق الذي سَيُسْقِطُ الإلحاد جملةً وتفصيلاً، بالقول بذكاءٍ فضائيٍّ أسمى!

وغالبًا ما يكون أصحاب هذه الشخصية، هم أتباع "الإلحاد العلمي"؛ ولذلك على المحاور المسلم أن يكون متخصصًا في العلم الوضعي، قادرًا على نقض النظريات التي تبرر الإلحاد وتسوّغه في نفس هذه الشخصية، وأولُّ شيءٍ يجب عليه أن ينقضه، هو رَفْعُ العلم الوضعي إلى منزلةٍ فوق منزلته، وأيضًا رَفْعُ النظريات إلى مراتب الحقائق؛ وذلك بأن يُثَبِّتَ من تاريخ العلم نفسه كَمِّ النَّظَرِيَّاتِ التي كانوا يعتبرونها حقائق، ثم ما لبثت أن سُحِقَتْ بنظريات أخرى، لاحقةً لها.

وعليه أيضًا أن يبين للملحد أن العلم ليس متخصصًا بالجزم في الغيبيات، فهو لا يبحث إلا في نطاق المحسوس التجريبي، وإجابة سؤال (الكيف) أما سؤال (لماذا)، فلن يجد في العلم ما يحقق له بغيته.

الفصل السادس: الشخصية البارانورامية الموسوسة:

المبحث الأول: حقيقة الشخصية البارانورامية الموسوسة:

هي شخصية تتميز بالحيلة والحذر الشديدين بشكل مبالغ فيه، يستحيل أن يضع ثقته في أيِّ أحدٍ كان؛ لأن لديه اعتقاداً بأنَّ الآخر يريد به شرّاً، فيفترض فيه سوء نيةٍ قَبْلِيٍّ، ولذلك أهل الإسلام من الدعاة عنده، مجرد دجالين يريدون أن يضحكوا عليه في معتقده؛ لكي يحققوا منافع من ذلك، بل قد تصل به الوقاحة لأن يتهمهم بأنهم يعرفون بطلان معتقدهم!

أصحاب هذه الشخصية يتَّصِفُونَ بنوعٍ من العدوانية وقلّة الأدب في طرح أفكارهم، يُظهِرُونَ صفاتٍ سلبية أمام محاورهم، وَيَشْكُونَ في كل الأفكار التي تُعرضُ أمامهم، كما أنهم يتميزون بإصدار أحكام خاطئة، وعدم تَكْيُفٍ مُجْتَمَعِيٍّ.

المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:

على المحاور هنا أن يقيس درجة وَسُوسَةِ الملحد، وهل يتطلب الأمر بأن يوجهه أولاً إلى أخصائي نفسي حتى يخفف من حدة مرضه، أم أن تلبّسه آتٍ عبر اعتناق مذهبٍ فلسفيٍّ إلهاديٍّ فقط! ولذلك أول خطوةٍ على المحاور المسلم هو بأن يُعرِّفَ مخالفه بحالته، وأنه يعاني من خللٍ في رؤية المجتمع من حوله، وفي النظر بشكل عقدي إلى الكون والحياة؛ فغالبُ الملاحدة انتقدوا عقيدة الرهبنة في المسيحية، حيث أن الرهبان كانوا يستغلون الأتباع من أجل الاغتناء المادي والمنفعة الشخصية، ومن هنا فقدوا الثقة في رجال الدين.

ومن ثمَّ على المحاور أن يعيدَ تلك الثقة الضائعة التي أدت بالملحد إلى أن يعتنق هذه الشخصية، ويبينُ له الفرق بين الدعاة في الإسلام والمنصّرين والرهبان في المسيحية؛ فمعتقد أهل السنة والجماعة ينفي العصمة عن الشيوخ وعلماء الدين، بل يعتبر المجتهد إنساناً يحتمل رأيه الصواب والخطأ في المسائل الاجتهادية، وأن العمدة ما قاله الله ورسوله، فإنَّ خالف عالِمٌ ذلك؛ يُضْرَبُ كلامُهُ بعرض الحائط مع الاعتذار له بحكم الطبيعة الإنسانية، كما لا توجد عندنا واسطة بين الله وعباده، ولا جلسات اعترافٍ، بل كل المتصدرين لحوار الملاحدة يقتطعون مجاناً من أوقاتهم؛ لتبصير الضالّين بمنهج الحق، وليس عندنا أجرٌ ماليٌّ نتقاضاه إن أسلم فلانٌ أو علانٌ! ولا نطلب من المسلم الجديد أجراً أو مالاً أو أي منفعة ماديّة! فكيف سيستقيم شكُّ الملحد في نوايا محاوره وثابتٌ أن لا منفعة دنيويّة وراء حوارهِ؟

وعلى المحاور المسلم أن يشترط شروطاً، تكفّلُ له أدبَ المخالفِ أثناء الطرح، إذ أن أي سبٍّ وشتيمٍ وعدوانيّة، ستكون نهاية لذلك النقاش؛ فمن حقنا كدعاة إنهاء الحوار، إن خرج المخالف عن حدود الأدب واللياقة المتفق عليها.

الفصل السابع: الشخصية الإسقاطية:

المبحث الأول: حقيقة الشخصية الإسقاطية:

يقوم فيها الفرد بإسقاط حالته النفسية، ودوافعه، عيوبه، أخطائه، على الغير، بحيث يدركها فيهم توهماً وَيَسْمُهُمْ بها بدلاً من أن يدركها في نفسه!

فمثلاً الشخص الذي يظمر في نفسه العدا لجاره، قد يُسْقِطُ شعوره العدائي على جاره فيدرك - توهماً - أن ذلك الجار يعامله بعداءٍ، والملحد دائماً ما يتوهم العدا والحقد والكراهية من طرف أهل الإسلام، فلو سألت ملحدًا يعيش في بلد غربي بعيد، لماذا تخفي إلحادك عن معارفك وجيرانك؟ لأجابك بالقول إنَّه يخاف على حياته من القتل! وكأنَّ المسلمين يحملون السيوف في الشوارع ليبحثوا عن ملحد ليقطعوا عنقه!

فهذا في حقيقته خلل عند الملحد؛ لأنه يرى في الإسلام، مصدرًا للحقد والكراهية، فألصقت هذه الصورة النمطية في لا وعيه، فلكي يُحصِّن نفسه فيما يتوهمه هو كباطل، يلجأ لآلية الإسقاط؛ لكي يدفع عن نفسه فكرة أن الإسلام دين رحمة للعالمين، وهدايةٍ وخيرٍ للبشرية!

وقد ذكر لنا القرآن الكريم صنفًا من الكفار يستعملون هذه الآلية الدفاعية أيام النبي صلى الله عليه وسلم، فقال الله تعالى في محكم تنزيله: {إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مَّسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْى يُؤْفَكُونَ} [المنافقون: 4].

فالمنافقون الذين يُبْطِنُونَ الكفر ويعلمون الإسلام، ويتآمرون عليه ليل نهار، يَظُنُّونَ أَنَّ المسلمين يريدون أن يبطشوا بهم؛ وذلك نتيجة شعورهم العدائي نحو المسلمين، فيقومون بإسقاط هذا الشعور عليهم.

أو حينما مثلاً يتهم أحد المخالفين محاوره المسلم، بالتعالي، وأنه متخلف، لا يفهم، وإن قرأ لا يفقه، وغيرها من تلك التهم المعلبة، فكلها تُهمُّ تكون وراءها آلية الإسقاط تلك.

وباتفاق علماء النفس فصاحب هذه الشخصية، لا يمكن أن يتقدم ذاتيًا، ويُحصِّنَ مواقفه ومعتقداته ومعارفه وشخصيته، ولا أن يعمل على تجاوز عيوبه تلك؛ لأنه ببساطة ليس واعيًا بها، ويحسب أنه غير متصفٍ بها جملةً وتفصيلاً، وهي حالةٌ من رفض رؤية الحقيقة أمامه، وبالتالي يَقَعُ فِي أخطاءٍ كبيرةٍ في التأويل، فيكون ذلك صارفًا له عن الحق!

وهذه الشخصية لا يكون سببها الوحيد شعور ذاتي لا يعي الشخص وجوده، بل قد يكون نتيجة تجارب حياتية سابقة! فحينما يقول الملحد لداعية أنت (تحتقري)، (تستهزئ بي)، (تخنقني بتفكيرك)، (لا تهتم بأسئلتني) فليس ذلك بالضرورة وصفًا لواقع! وإنما أساسه حقيقة قديمة، وواقعة سابقة: أَلَمْ ننتيجة عدم اهتمام، استهزاء قديم في المدرسة، احتقار في موقف في الماضي، معاناة لم يتم التعامل معها ومع تكررها قديمًا، وبالتالي لم يتحرر ذلك الشخص منها في تلك الحقبة؛ لذلك دائماً ما تَظْهَرُ شخصيته عن طريق الإسقاط.

المبحث الثاني: كيفية التعامل مع الشخصية الإسقاطية:

هنا على المسلم المتبصر أثناء مواجهته لمخالفٍ متصف بهذه الشخصية، أن يبني جسر تواصلٍ سليم، ويؤكد للمخالف أن ما يحسسه ليس واقعًا وإنما توهماً دفاعيةً لما يظنّه مُهَدِّدًا لأسلوب تفكيره واعتقاده، لكن ذلك ينبغي أن يكون مسنودًا بإرادة حقيقية للملحد، لكي يتجاوز هذا الحائل الكبير أمام التفكير السليم، والخلاصات المستقيمة، والتأويل الحكيم، بأن يفكر في تلك الاتهامات وتلك المشاعر، ويعيد النظر في تلك المعتقدات المترتبة

عنها انطلاقًا من وضعيته كإنسان عاقل بالغ راشد؛ لأن أغلب الملاحدة العرب ممن حَاوَرْنَا، اعتنقوا مذاهبهم الفكرية في مرحلة المراهقة والمراحل الأولى الشبابية، فكانت نظرتهم لما يواجههم من منطلق أعمارهم تلك، فبنوا عليها خلاصات واستنتاجات وعایشوها، وانشرح صدرهم بها، حتى استطاع الوعي النفسي أن يقيم مجموعة من الحواجز الدفاعية اللاشعورية لكل محاولة تهدف إلى خلخلة هذا النسق الفكري الاعتقادي!

إنه لمن المهم أن تُبَيَّنَ أيها المحاور لمخالفك حالته؛ لكي يستطيع تمييزها في محيطه، وأن تُخْلَجَ فكره بأسئلة، مثل: اسأل نفسك لعلك أنت مصدر أحكام القيمة القبلية التي تلصقها بأهل الإسلام؟ لعل تلك التهم جاءت نتيجة صدماتٍ سابقةٍ أثرت عليك؟

وهنا على المحاور المسلم أن يدفع كل تلك الاعتقادات التي يظنها الملحد في أهل الإسلام، وأن يبيِّن له المنهج السليم والحق بعيدًا عما يُلصِّقُهُ المُنصِّرون والمستشرقون زورًا وبهتانًا بأهل المحجة البيضاء.

الفصل الثامن: الشخصية الحدودية:

المبحث الأول: حقيقة الشخصية الحدودية:

وهي الشخصية التي وصلت إلى الحد الأقصى من التَحَمُّل، وتتميز بمزاج غير مستقر ولا تتحكم بمشاعرها، خاصة في حالة الغضب، وحقده يهوي بها إلى الاكتئاب، يبحثون عن احتضنهم ويشعرهم بالاهتمام والحب وغالبًا ما يتجهون إلى معاقررة الخمر والمخدرات؛ للهروب من أزمة المعنى التي تقض مضجعهم، يقاومون دومًا تلك العدمية العقيدية والاكتئاب النرجسي، والرغبة في الانتحار!

وهذه الشخصية من أصعب الشخصيات التي يجب أن تلقى اهتمامًا خاصًا من طرف المحاور المسلم، حيث أن لجوء الملحد الذي يتصف بهذه الشخصية إلى حوار أهل الإسلام، قد يكون آخر أمل بالنسبة إليه؛ لتغيير فكره والخروج من حالته هذه، وقد يقود به فشل الحوار وعدم الاقتناع إلى الانتحار؛ كوسيلة للهروب من الضنك الذي يترسخ في غياهب نفسه.

وغالبًا أصحاب تلك الشخصية، يعتنقون الإلحاد النيتشاوي نسبة إلى فريدريك نتشه، أو المذهب الوجودي لجون بول سارتر...!

المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:

أن تعمل على مكافحة الخَوَاء العقدي للملحد هو الهدف الأسى في حوارك معه، حيث أن حالته هذه لم تأت إلا عبر اعتناق معتقدٍ يَغْتَبِرُ أنه لا يوجد معنى للحياة، وللكون، وأن البشر مجرد كائنات حيوانية مثل غيرهم! فهنا عليك أن تُرجِعَ إلى الملحد المعنى المفقود في حياته، وتعمل على المستوى الفكري والنفسي، فأما الفكري: بأن تَنْقُضَ له أولاً نظرتَه الصُّدْقَوِيَّةَ العبثية للحياة، ثم توضح له المعنى العام، وتعيد إليه (الترميز) للأشياء. "إن الإنسان لا يستطيع أن يعيش إلا إذا عرف أن لحياته معنى، فنحن لا نتعامل مع الأشياء المختلفة باعتبار ما هي عليه، لكننا نتعامل معها من خلال ما تعنيه بالنسبة إلينا، أي أننا لا نتعامل مع أشياء مجردة.. بل نعرفها ونتعامل معها من خلال ذواتنا".⁽⁴⁶⁹⁾

فتلك أولى الكلمات التي كتبها عالم النفس الشهير: ألفريد أدلر Alfred Adler مؤسس علم النفس الفردي، والتي تلخص لنا أن الإنسان كائنٌ رامزٌ، بمعنى أنه يعطي رموزاتٍ للأشياء، فالصحن غايته وضع الأكل فيه، والكوب هو للشرب، وهكذا إلى أن تصل الترميزات إلى غاية الإنسان وحقيقة الكون، وهو لا يستطيع العيش في صحةٍ نفسيةٍ متوازنةٍ، إلا إذا كانت له معانٍ للأشياء، فإذا فُقدت سلسلة الترميزات تلك؛ سقط الفرد فيما يسمى في العلوم الإنسانية، بأزمة المعنى.⁽⁴⁷⁰⁾

وأما المستوى النفسي: بأن تجعله يتحدث عما يشعر به؛ بغية أن تضع أصبعك على تلك المشاعر السلبية وأسبابها، فتغير له نظرتَه للحياة وتبدلها بمشاعرٍ إيجابية!، فصاحب الشخصية الحدودية مثل قطارٍ خرج عن سَكَّتِهِ، فبدأت تتلاطمه الصخور والشعب، لا يدري إلى أين هو سائر!، ولماذا هو أصلاً سائر!، وعليك أيها المحاور أن تبين له سعادتك التي وجدتها في دينك، وكيف أن الإسلام يمتّعك بذاك الأمن الروحي، وكيف تصل به إلى مرتبة الإيمان والأنس بالله.

(469) معنى الحياة، ألفريد أدلر، ص: 18.

(470) بمعنى فقدان المعنى الوجودي في الحياة والأشياء.

وهنا عليك أن تركز أيضاً على كتب الرقائق والتزكية، وتُظهِرُ له الآثار النفسية للإسلام على المستوى العقدي والعبادي والسلوكي، ومن الأفضل أن توطّد علاقتك به، وأن تشعره بنوعٍ من الاحتواء والترحيب، وأن تشجّع إخوانك على الترحيب به، والتعرف عليه وتشجيعه على التغيير الإيجابي.

الفصل التاسع: الشخصية التابعة:

المبحث الأول: حقيقة الشخصية التابعة:

وهي شخصية ليس لها أي حس نقدي، بل تتشرب أول ما يلقيه إليها محاورها مُسَلِّمًا كان أو ملحدًا، فتَقَلِّدُ متبوعها في كل شيء بل في أي شيء، وتَتَّصِفُ بالرغبة في اتباع أي شخص حتى لو كان يعيش ضلالًا في ضلال، وهذه الشخصية غالبًا ما تكون ودودة، لا تحب أن تجرح مشاعر الغير، مُؤَدَّبَةٌ في الطرح، تَحْتَاجُ مَنْ يَأْخُذُ بِبِيَدِهَا إلى الحق.

المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:

الشخصية التابعة كما أسلفنا هي شخصية انهرت بملحد من الملاحدة؛ فتشربت كل أفكاره ومعتقداته عبر تقليدٍ أعمى، ولربما كان ذلك نتيجة انهاره بحضارة الغرب جملةً وتفصيلاً، فعندما رأى تقدمهم التقني، ربطها لا شعوريًا بمعتقدهم!

وهنا على المحاور المسلم أن يبين له الانفصال ما بين التقدم التقني الذي له أسبابه المعلومة، وبين التقدم العقدي، عبر ضرب أمثلة من التاريخ، كالرومان الوثنيين، فقد حكى التاريخ ازدهارهم الحضاري، ومع ذلك كانوا عبدةً للأصنام وللطواغيت المُتَخَيَّلَةِ!

ثم بعد ذلك عليه أن يُنْقِضَ له رأي مَنْ يَتَّبِعُهُ نقضًا محكمًا وصریحًا، ولا يستحي المسلم من إبراز علو ثقافته، وعلمه بمقالات ذاك المتبوع، وأن يهونَ من حجیة أفكار المخالف، ويبين له عوراتها، فالهدف هنا هو إسقاط ذاك الرمز من نفس المخالف، وأن يعيد إليه الحس النقدي الذي افتقده خلال مسيرته، حتى إن سقط المتبوع من نفس التابع، سَهِّلَ عليك تحليلته بالحق، وَضَمِّنَ المحاورُ المسلم انسياقه إليه بالحجة السليمة، والمنطق السوي.

الفصل العاشر: الشخصية الفصامية المنعزلة:

المبحث الأول: حقيقة الشخصية الفصامية المنعزلة:

وهي الشخصية المنطوية على نفسها، حيث تعتنق الإلحاد، وتؤسس لنفسها أساطير تعيش في كنفها ولا تحيد عنها، وغالبًا ما تختار أعمالًا حياتية تميل إلى العزلة (كالكتابة والبحث)، وتهرب دومًا من الحوارات المباشرة، وتفرض التخاطب عبر المنتديات ومواقع التواصل بشكل غير مباشر، ولا تُكوّن غالبًا إلا صداقات نادرة وقليلة، حيث يصعب عليها الاندماج داخل المجتمع، ودائمًا ما تميل إلى التخيل وإنشاء عالم خاص بأفكار ومعتقدات حاملة؛ تُفرغ فيه مشاعرها وأحاسيسها ومتطلباتها.

المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:

ينبغي على المحاور المتبصر أن يتعامل مع هذه الشخصية عن طريق تعريف المخالف بمشكلته أولاً، فصاحب هذه الشخصية لا يعي مشكلته، ويحسب نفسه شخصًا طبيعيًا!

ولذلك على المحاور أن تكون أولى خطواته هو خلق مناخ جيد للمخالف، يشجعه فيه على التكلم والتعبير عن رأيه بكل أريحية؛ ثم يبدأ بعدها ببيان أن الإنسان كائن اجتماعي بامتياز، أي لا يستطيع العيش وحده دونما أواصر وعلاقات اجتماعية، والهدف من ذلك قطعًا هو إخراج هذا الملحد من ذلك الروتين الانعزالي الحالم الذي بناه وألفه.

ثم يعتمد بعد ذلك على آلية الهدم والبناء، فهدم أولاً ذلك العالم التخيلي من القنوات التي بناها الملحد لا على أدلة، وإنما على أشياء مُتخيلة يتمناها هو في نفسه، ولا يوجد لها ترجمة واقعية ملموسة!

هذه الآلية التي يقع فيها المخالف يسميها بعض علماء النفس بالتمني التخيلي، ويسمّيها آخرون باللجوء التخيلي، وهي آلية كثيرة الاستعمال أيضاً عند الملاحدة، واللادينيين الربوبيين من أصحاب هذه الشخصية، حينما يتحوّل الخوف من ذلك المجهول، الغامض بالنسبة لهؤلاء، والذي يدشنه الموت برهبتة وآلامه وسكراته، إلى قلق وقضية تشغل باله صباحًا ومساءً، حتى إن انشغل عنها في غمرة مسيرته الحياتية بقيت في لاوعيه، قازةً راسخة! ثم تنطلق هذه الآلية الدفاعية كمنقذ من هذا القلق، وحينها يصبح الإنسان ملحدًا، أو ربوبيًا، يشيد عالمًا من الأفكار والمعتقدات التي لا أساس لها في الواقع، منطلقًا من رغباته هو، وأحاسيسه ومشاعره، وكأن معتقده يكيّفه تكييفًا مع ما يريد هو!

ولكي نقرب هذا المفهوم أكثر في أذهانكم، نضرب أمثلة معينة بسيطة تبين طريقة اشتغال هذه الآلية ونتيجتها: فمثلاً: حينما يبني اللاديني الربوبي مجموعة من المعتقدات حول الإله الخالق ليست عليها براهين وأدلة، ولا كتاب فيه يدرسون، مُنزّل من خالقهم، فيدّعون مثلاً أن الله تعالى لا دخل له في تسيير الكون، ولن يعاقب مسيئًا، ولن يجازي صالحًا، فيبني صرحًا من الخيال وفق هذا الأساس، وكلما واجهه أحد أهل الأديان بتهافت منطقته، ازداد تعلقًا بهذا العالم المتوهم الذي شيّد في نفسه!

أو كمثل ذلك اللاديني الآخر، والذي يؤمن بوجود إله خالق، وبعث بعد الموت، لكنه يمتي نفسه بأن كل البشرية ستدخل الجنة! صالحها وطالحها، مؤمنها وكافرها، موحدتها ومشركها! كما الملحد حينما يدعي أنه لو كان هناك إله فسيدخله الجنة، أو أنه يستطيع إفحام الإله الخالق ببضع كلمات فينجو من العقاب!

مثل هذه الأمانى توقع الإنسان في المحذور وتؤدي به إلى التهلكة، إذ ينقلب الواقع إلى خيال، والتي يسميها علماء النفس الانطواء على الذات، فيصبح أصل المعتقد ليس ما أنزله الله تعالى وما تَبَتَّتْ بالدليل صَحَّتُهُ، بل الأصل في هذه الحالة هي الذات، أي حينما تصبح النفس منبعاً لذلك المعتقد أو ذلك، حيث تصبح الأمانى أفكاراً، وتصبح التخيلات في درجة الواقع بالنسبة لهؤلاء! ومن هنا يأتي التضارب في المعتقد اللائني، فترى هذا يتصور الإله رحيماً، وذلك يتصوره جباراً، والآخر يصفه بالوداعة وأنه لن يحاسب أحداً، والآخر يرى فيه العدل والمجازاة، وذلك يقول بوجود حياة بعد الموت، والآخر ينفي، حتى أصبحت اللائنية متعددة المذاهب بتعدد الخلائق القائلين بها، وكذلك الإلحاد بمختلف تناقضاته بين مدارسها، وهلم جراً في القضايا التابعة، كنظرة الإنسان للكون، وأسئلته الوجودية، ومصدر أخلاقه، وكيفية عيشه.

فيكون هذا اللجوء التخيلي من أسباب الإعراض عن الحق؛ لأنَّ الإله في صفاته هو ما شاء هو، لا ما شاء البشر، ويفعل سبحانه ما يريد هو، لا ما يريد البشر! ويفرض عليهم ما فرض هو، لا ما يفرضه البشر!؛ لهذا كان المعتقد اللائني كما الإلحادي هو مجرد ترجمة لتلك الأحاسيس والأهواء والمشاعر والغرائز والانكفاء عن الذات، وجعلها مصدراً للحقيقة زوراً وبهتاناً، حتى إن أعيتهم حجج أهل الإيمان لجؤوا لاشعورياً إلى التخيل وأضغاث الأحلام، كآلية ناصرة لباطلهم، مسوغة لتهافتاتهم، لا يُرجى منها الفكاك إلا بإرادة صلبة قوية. فعليك أيها المحاور أن تهدم له عالمه، وتبين له عدم واقعيتها وخطورتها على الفرد، ثم تعيد بناء أفكاره بكل الأساليب الحجاجية والإقناعية المتاحة.

الفصل الحادي عشر: الشخصية المعتلة:

المبحث الأول: حقيقة الشخصية المعتلة:

وهي أصعب شخصية سيحاورها المسلم، ومرد ذلك إلى اعتلالها النفسي، وجَلْفِها وغلظتها، لا يوجد عندها أدنى احترام لمعتقدات الآخر ولا إلى قوانين وأخلاق مجتمعتها، شخصية غير مستقرةً تمامًا، ولا تشعر بأدنى ذنب من تصرفاتها، وغالبًا ما تميل إلى الانحراف، عندها الآخر هو الجحيم، وتشعر أنها في منزلة تفوق البشر، وأنها تتميز بذلكِ خارقٍ حاد!

المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:

هذه الشخصية صعبةٌ في النقاش لما أسلفناه حين التعريف بها، ومرد ذلك ليس لضعف حجّة المحاور المسلم، بل لأنها شخصية معتلة، وغالب علماء النفس لا يفرقونها عن الشخصية السيكوباتية التي تجنح للانحراف. الفرق فقط أن الشخصية السيكوباتية قد تولد باختلالات عقلية في حين أن هذه تدفعها العوامل الخارجية إليها!

وهنا يُرجى أن يكون المحاور المسلم أولاً متخصصًا في علم النفس، حيث يبدأ معه حصصًا حوارية يعتمد فيها على أساليب العلاج كما هي مسطرة في علم النفس المرضي، أو يحيله إلى أخصائي نفسي حتى تخف حدة الحالة، ويصبح قابلاً للحوار العقدي.

ومن تلك السطور، أدعو الأخصائيين النفسيين من أهل الإسلام أن يتخصصوا في حوار المذاهب الفكرية، وأن يتعمقوا في العلم الشرعي إن هم أرادوا أن يحققوا نتائج إيجابية مع أمثال هذه الشخصية وغيرها.

فهذا جماع ما ستجده من شخصياتٍ ملحدّةٍ على مواقع التواصل الاجتماعي خاصة، والمرافق العمومية عامة، وإنما بصَرْتُك بها وبأساليب حوارها؛ من أجل ألا تقع في خطأ اتباع وسيلة واحدة في حوار كل الشخصيات، والتي نص عليها بعض علماء النفس والاجتماع، وقابلناها خلال مسيرتنا المتواضعة في هذا البحث!

الباب السابع: ظاهرة الانتحار في صفوف الملاحدة.

ويشتمل على المباحث التالية:

- علاقة الانتحار بالفلسفة العدمية.
- التلازم بين الإلحاد والانتحار.
- ما الفرق بين الإلحاد: العبثي، والعدمي، والوجودي؟
- أكثر البلدان رُقيًا ماديًا، أكثرها انتحارًا.
- أشهر المنتحرين.
- الاضطهاد والانتحار بين المؤمنين والملحدين.
- الملاحدة أكثر انتحارًا وعدوانية.
- قائمة المنتحرين.. طويلة ومستمرة.
- قائمة البلدان الأكثر انتحارًا.
- ما قاله مشاهير الملاحدة لحظة موتهم.
- هل الملاحدة أكثر سعادة؟ إذن فلماذا ينتحر الشباب في اليابان وهي من أكثر الدول ازدهارًا؟

الباب السابع

ظاهرة الانتحار في صفوف الملاحدة

إن العالم يتخبط اليوم روحياً وأخلاقياً، فهو بحاجة إلى نور التوحيد والإسلام؛ لينجو من أزماته، وما الإلحاد والشذوذ وانهيار الأسرة والقيم إلا شواهد!

ولذلك نجد أنّ الحضارة الغربية تعاني بحقٍ من أزمة عميقة؛ فمحاولة الإقناع المستمرة من قبل أصحاب القرار، ووسائل الإعلام منذ سنوات أنه لا إله، توقع مواطنيها في مشاكل عديدة على رأسها المشاكل النفسية والأخلاقية التي لا يمكن التغافل عنها، والتي بدورها سياترب عليها أزمات أشد وأعنف على المستوى الفردي والمجتمعي سيدوق الجميع ويلاتها ولا بد، ولعل نهاية البعض - ممن أطلقوا على أنفسهم علماء، والذين كانوا ملء السمع والبصر- أكبر دليل.

ومن الحكمة أن يسلط المحاور المسلم الضوء على هذه الظاهرة الخطيرة، وذلك بذكر أسماء عدد من مشاهير الملاحدة الذين انتحروا، بعدما كانوا يدعون أنهم سعداء.

ووددتُ هنا لو طرحت سؤالاً، يطوي بداخله الجواب، ألا وهو: ما سر الوتيرة المتسارعة في معدلات انتحار الملحدين الذين قضوا حياتهم في إنكار وجود الله، وناضلوا في سبيل هذه الفكرة نضالاً عظيماً، وارتقوا من ورائها إلى منصات التتويج في البلاد الكارهة للإسلام بالسليقة، وحصلوا على أرفع الجوائز المادية والمعنوية؟ لا غرو أنّ الإلحاد وهُمٌّ كبير، فلا غرابة أن نهاية أصحابها الانتحار النفسي ثم الجسدي، كيف لا وأنّ كل ما يعلمه أنّه وُلد ليموت؟!

وبعنوان "كآبة الإلحاد، دراسة عقديّة نقدية لعلاقة الانتحار بالإلحاد"، وجدت هذا البحث القيم الذي كتبه أ.د. سعود بن عبد العزيز العريفي بجامعة أم القرى - مكة المكرمة، قسم العقيدة - كلية الدعوة وأصول الدين.

ولقد تواصلت مع دكتور سعود؛ لاستئذانه في الاستفادة من بحثه في تلخيص ما له علاقة ببحثنا محل الدراسة...

ولقد تناول هذا البحث الاستقرائي والنقد التحليلي علاقة الانتحار بالإلحاد من الناحيتين: المنطقيّة والواقعيّة، وذلك بإلزام الملحدين القائلين بخرافيّة الدين، وماديّة الحياة، وأنها مجرد مصادفة كونية محضة، ترتب عليها معاناة وشقاء وعبث لا معنى له ولا غاية ولا هدف، بأن يصححوا هذا الخطأ الكوني، فينوها حياتهم ويرتاحوا من همّها ونكدّها، وهذا ما التزمه بعضهم في الواقع، فدعا للانتحار وطبّقه، ولا سيما عند اشتداد صعوبات الحياة، وقد عرض البحث نماذج من أشهر المنتحرين الملحدين أو المتأثرين بمثل هذه الأفكار الإلحادية.

ولا يهدف البحث إلى تشجيع الملحدين على الانتحار، وإنما يبين خطورة الإلحاد على الحياة، وأنه يمهد الطريق أمام الانتحار، ما يستدعي اتخاذ موقف صارم من الدعوات الإلحادية، واعتبارها خطراً على الإنسان.

وفي هذا البحث أيضاً مناقشة لدعوى بعض المدافعين عن الإلحاد بأنّ سبب فشوّ الانتحار بين الملحدين إنما هو الاضطهاد والتنمر الواقع عليهم من جهة المؤمنين، حيث يأتي البحث ليبيّن هذه الدعوى، كاشفاً عن السبب الحقيقي لهذه الظاهرة، ألا وهو معاندة الفطرة الإلهية، ومكابرة العقل لبراهين الربوبية، ووَحْشَةُ الكفر في عالم يُسَبِّحُ كله للخالق جل وعلا.

ثم يعرض البحث لقائمة طويلة من مشاهير المنتحرين المتأثرين بوساوس الفلسفات الإلحادية؛ وذلك لبيان خطورة الإلحاد على الفرد والمجتمع، ولا سيما أن هذه القائمة لا تمثل سوى نماذج قليلة من المنتحرين المشاهير، الذين لم يُبالوا بإشهار انتحارهم، فما بالك بمن انتحروا سرًا؟، ثم ما بالك بغير المشاهير ممن لا يؤبه لموته؟! ووراء ذلك أضعاف مضاعفة من المكتئبين الحزاني الأشقياء، ممن جُبِنوا عن الانتحار الحسي، لكنهم انتحروا معنويًا بفقد لذة الحياة وبهجتها، التي لا تكون إلا مع الإيمان والرضا؛ فأَيُّ جريمة ارتكبتها دعاة الإلحاد ومرؤجوه بحق البشرية؟! وأيُّ خطر أعظم من الإلحاد يجب على العقلاء أن يقاوموه ويحذروا منه؟!

ولقد جمع الدكتور سعود العريفي في بحثه أوثق المقالات والصفحات والأخبار، والتي تُثبِتُ أن تخلّصهم من الحياة بالانتحار قرينة على غياب الإيمان بهدف إلهي للحياة، وغياب الإيمان بما تقرره النبوات من أنّ الدنيا دار ابتلاء، وأنّ الحياة الآخوية هي الحياة الكاملة الحقيقية.

ولا يدخل في البحث المنتحرون الفدائيون، ولا المنتحرون بسبب خلل عقلي.

المبحث الأول: علاقة الانتحار بالفلسفة العدمية

الفلسفة العدمية تعني الإنكار المطلق، ورفض أية أفكار إيجابية، وتُسمّى "العدمية الفوضوية"، كما في (فلسفة نيتشه، الذي أعلن إعادة تقييم القيم، أي: إنكار كل قواعد الأخلاق والعدالة التي وضعتها الحضارة الإنسانية)⁽⁴⁷¹⁾، ولذلك تُسمّى أيضًا: "العدمية الأخلاقية"⁽⁴⁷²⁾، فهي مذهب نظري إلحادي يُنكرُ القيم الأخلاقية تبعًا لإنكار مستندها الإيماني، ويتضمن ذلك إنكار وجود معنى للحياة خُلِقَتْ لأجله، ويتحمل الإنسان صعوبات الحياة في سبيل تحصيله.

وترتبط العدمية بالتشاؤم والشك المنافيين للوجود، فالعدمي لا يؤمن بشيء، ولا رغبة لديه إلا بتدمير القناعات الأخلاقية والدينية؛ باعتبار مناقضتها للحرية، ويعد فريدريك نيتشه (1844-1900م) الممثل الرئيسي لهذا الاتجاه التشاؤمي، وإن كان سبقه شوبنهاور (1788-1860م) القائل: "لا بد أن الوجود البشري نوع من الخطأ، قد يقال عنه إنه سيئ اليوم، وسيزداد سوءه يوميًا، إلى أن يحدث الأسوأ على الإطلاق"⁽⁴⁷³⁾، ثم تلاه مارتين هيدجر (1889-1976م) وغيره، وتلتقي العدمية بالوجودية في نفي الجدوى عن الحياة، لذلك كان الإلحاد الوجودي عَرَابًا للعدمية في أوروبا⁽⁴⁷⁴⁾.

ومن أكثر الملاحدة تناوُلًا لمعضلة الانتحار وارتباطها المنطقي بإفلاس الملحد من معنى الحياة، الروائي الفرنسي العبثي، والفيلسوف العدمي ألبيير كامو (1913-1960م)، الفائز بجائزة نوبل للأدب عام 1957م، وتدور فلسفته حول العبثية والتمرد، وهو صاحب الكتاب الشهير: (أسطورة سيزيف)، وموضوعه كما يقول: (العلاقة بين اللاجدوى والانتحار)، وقد هدف فيه؛ لبيان عدم مشروعية الانتحار حتى مع عدم الإيمان بالله تعالى، وأن العدمية لا تنافي استمرار العيش والتأقلم مع الشقاء⁽⁴⁷⁵⁾، ورمز بعنوان كتابه للشقاء الإنساني؛ لأن سيزيف حسب الأسطورة اليونانية شخص عاقبته الآلهة بأن يحمل صخرة ويصعد بها إلى قمة جبل، ثم تسقط منه وتتدحرج لأسفل، فيعود فيحملها ويصعد، وهكذا أبدًا.

فالإنسان في هذه الحياة كحال سيزيف؛ يكابد مشاق الحياة ويعاني آلامها وأحزانها باستمرار، من غير معنى

(471) لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة/ سمير كرم، (بيروت: دار الطليعة، ط7، 1997م)، ص26.

(472) انظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982م)، ج1، ص66.

(473) انظر: آلان دو بوتون، عزاءات الفلسفة، ترجمة يزن الحاج، (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2016م)، ص213.

(474) انظر مقالا بعنوان: كل ما يجب أن تعرفه عن العدمية، موقع "أنا أصدق العلم"، عبر الرابط: <https://www.ibelieveinsci.com/?p=86848> تاريخ الاطلاع 2022/1/25م.

(475) انظر: ألبيير كامو، أسطورة سيزيف، نقله إلى العربية/ أنيس زكي، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1983م)، ص7، 15.

للحياة أو هدف أو غاية، سوى ما يدعيه أتباع الوهم والخرافة من المتدينين، وهو ما يباه العقل والفكر المستنير بزعمه، فلا مخرج عنده إذن إلا بالتأقلم البراغماتي مع عبث الحياة وسخريتها!

فكأمو يحاول في هذا الكتاب -عبثًا- الخروج من هذا المأزق، وإيجاد حل يواسي الملحدين أمام هذا التناقض، ولكن هيهات؛ فهو يرى التعلق بالحياة رغم شقائها نوعًا من الانتحار، ومع ذلك يُصبر الملحدون ويمنعهم من الانتحار، ويدعوهم للتأقلم مع الشقاء! بأي تناقض أعجب من هذا؟!

ولذلك تُسمّى هذه الفلسفة أيضًا بالعبثية؛ لأنها ترى عبثية محاولات الإنسان في إيجاد معنى إيجابي لحياته، فالفشل لهذه المحاولات محتوم⁽⁴⁷⁶⁾، ومن رواد هذا الاتجاه: الكاتب المسرحي والشاعر الإيرلندي صمويل بيكيت (1906-1984م)، والمسرحي الفرنسي يوجين يونسكو (1909-1994م).⁽⁴⁷⁷⁾

وبسبب هذه الفلسفة الإلحادية ظهرت فلسفة اللانجباب، وهي فلسفة تدعو إلى عدم إنجاب الأولاد؛ لئلا يتذوقوا الشقاء الإنساني كأبائهم، وتعتبر الإنجاب مع غياب المعنى الإيجابي للحياة جريمة يرتكبها الآباء في حق الأبناء؛ لأنهم جلبوا شقاء الحياة لأولادهم لأجل لذة الجماع!

ومن أشهر دعاة هذه الفلسفة في عصرنا الفيلسوف الروماني إيميل سيوران (1911-1995م)، والفيلسوف الجنوب الأفريقي ديفيد بيناتار (ولد 1955م ولا يزال حيا).

وأشار الفخر الرازي (ت: 606هـ) إلى أن بعض المتسمين بالحكمة زعم أن والديه أولى بالعقوق من البر؛ لأنهما من أجل لذة الجماع ورطاه في شقاء الدنيا ونكدها! وقد رد الرازي على هذا الرأي بأن لذة جماع الوالدين لا تلغي إحسانهما للولد الذي لأجله استحقا بره.⁽⁴⁷⁸⁾

ويجاب أيضًا على القدح في الإنجاب بشقاء الحياة بأن ذلك ملازم للقدح في الربوبية والحكمة الإلهية؛ فإن الحياة بدون إيمان وعبودية لله لا معنى لها، ويتحقق فيها ما زعمه هؤلاء الملاحدة، وكل ما يثبت الربوبية وينقض الإلحاد يرد هذه الفلسفة ويبطلها.

فسيوران وبيناتار وأشباههما من دعاة اللانجباب مسبقون في هذه الفلسفة الإلحادية، وهم كما وصف الله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [التوبة: 30].

المبحث الثاني: التلازم بين الإلحاد والانتحار

الواقع يشهد بعلاقة التلازم بين الانتحار والإلحاد؛ فنسب الانتحار بين الملحدون لا تقارن بالمؤمنين، ولا سيما انتحار العقلاء الذين يقررون الانتحار عن وعي كامل، فهؤلاء لا يكونون مؤمنين في الغالب، بل تكون شبهات الإلحاد قد أكلت قلوبهم، وأخوت نفوسهم من المعاني التي تحمل على التشبث بحب الحياة رغم المعاناة والألم، وعلى رأس هذه المعاني رجاء ثواب الله تعالى وفرجه في الدنيا والآخرة، وهذا ما أكده القرآن الكريم في قوله تعالى: {يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف: 87]، وقوله تعالى: {قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ} [الحجر: 56].

(476) انظر: توماس ناجل، مقال بعنوان: العبثية، ترجمة/ مروان محمود، منشور في مجلة الفلسفة، ص7، 13. أرونسون، رونالد، مقال بعنوان: أليبر كامو، ترجمة/ سارة اللحيان، ضمن "موسوعة ستانفورد للفلسفة" مجلة "حكمة"، ص9-11، ويمكن الاطلاع عليه من خلال الرابط: <https://2u.pw/Ka0s2>، تاريخ المطالعة 2022/1/26م.

(477) انظر موسوعة ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/3sMdi>، تاريخ الاطلاع 2022/1/26م.

(478) انظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج20، ص322.

والمؤمن في الأصل لا يصل إلى هذه المرحلة وهو سليم الإيمان، بل تكون وساوس شياطين الإنس والجن قد استولت عليه، فأوقعته في سوء الظن بالله، فهو لا ينتحر حين ينتحر وهو مؤمن، بل يكون ناقص الإيمان إلى حد الخطر، ومقاربة الكفر، وإن كان مجرد الانتحار لا يُعد من نواقض الإيمان، لكن ما يلابسه من الشك واليأس والتسخط وسوء الظن بالله، هو من سمات الكافرين.

وليس المقصود بالتلازم هنا ضرورة أن يكون مصير كل ملحد الانتحار، وإنما المراد أن الانتحار هو الخيار المنطقي للملحد إذا حُرِم من سعادة الدنيا وبُلي بشقائها، ولا يعني هذا إنكار التَّدَاذِ الملحدين بالماديات، واستمتاعهم بالشهوات في كثير من الأحوال والأوقات؛ فهذا أمر مشاهد محسوس لا يمكن تجاهله، بل إن القرآن الكريم قد وصف بدقة هذا الاستمتاع المهيبي الدنيوي بعيداً عن الإيمان، وضرب له المثل البليغ، كما في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ} [محمد:12]، واعتبر الالتئام بمتع الحياة الدنيا القاصرة القصيرة المؤقتة عن الحياة الدائمة الحقيقية لهم ولعبا وعبثا، كما قال سبحانه وتعالى: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت:64]، وقال تعالى: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [الأنعام:32]، وقال تعالى: {إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ} [محمد:36]، وقال تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [الحديد:20].

فالحرص على الاستمتاع باللذائذ الحسنية والنهم بشهواتها من سمات الكافرين بشهادة القرآن، لكن فقدان معنى الحياة لدى الملحد يجعل سعادته وراحته الدنيوية وفقاً على حضور هذه اللذائذ المادية، مع السلامة من الآفات النفسية والجسدية المنغصة لها، فمتى ما أدركته طبيعة الحياة بشوائبها المحزنة، وصعوباتها المقلقة، ونكدها وضحكها، انكشف موقفه عند أدنى ابتلاء، وتهاوى ثباته عند أقل شقاء، فإذا به لا يجد متمسكاً بهذه الحياة سوى الأمل في معاودة العافية والسلامة المادية، واستدراك ما فقد من متعه ولذائذه، ولكن هذا مضاد لطبيعة الحياة الدنيا، التي طبعت على النقص والنكد.

وهيات أن تكون الراحة والسلامة من الآفات متاحة في كل الأوقات والمرات، ولو لم يكن إلا تذكُّر ما يفسد البال ويكدر خاطر، ورأس ذلك تذكُّر انقطاع هذه اللذائذ بهادم اللذات: الموت، وهكذا إدراك الهرم، وما فيه من الضعف والأمراض، وتراكم الهموم والغموم، وأليم الذكريات، ثم ماذا؟ ليس لدى الملحد معنى يستحق لأجله تحمّل كل هذا، فليكن الحل إذاً بإنهاء هذه المعاناة، وقطع هذا الحبل الخانق؛ فليس عنده إله يُرجى، ولا آخرة تُرتجى، ولا ثواب يُنتظر، ولا حساب يُرتقب.

هذا مع أن واقع الانتحار بين الملحدين لا يقتصر على حالة الإفلاس من تحصيل أسباب اللذائذ الحسية والمتع المادية، فكثير من منتحري الملحدين تتوفر لديهم هذه الأسباب أكثر ما يكون، ولكنهم مع ذلك لا يجدون فيها منجى من الهم المكدر، والغم المقلق، وإنما هو ضياع المعنى والهدف والغاية من الحياة، الذي عبرت عنه الآية الكريمة أبلغ تعبير: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه:124].

فالإلحاد يمهد للانتحار، ويجعله نتيجة منطقية وخياراً مقبولاً بل مفضلاً في بعض الأحوال، بل على منطلق الملحدين يكون استبقاء الحياة رغم مصاعبها ونكدها هو المستغرب المستنكر، وهذا غاية ما يكون من انتكاس

ومع هذا التلازم المنطقي بين إلحاد الأشقياء والمحرومين وإرادتهم الانتحار، فإن عُتاة الملحدِين يسخرون من هذا المنطق، ومهزأون بهذه اللغة؛ لزعمهم أن قضية الإلحاد قضية عقل لا عاطفة فيها، ومسألة منطق عقلي لا يتأثر بالمصالح والمفاسد، وحسن الآثار أو سوءها، فإذا لم يكن ثَمَّتَ غياب أو إله أو إيمان، وإذا كانت الحياة مجرد صدفة كونية طائشة، لا معنى لها ولا قيمة سوى لذاتها وامتعتها المادية، فليكن بعد ذلك ما يكون من شقاء الحياة النفسي للمحرومين من هذه اللذات، أو الهلاك لمن آثر الانتحار، وذلك كله بمعزل عن مسألة البرهنة على بطلان الإلحاد أو صحته.

ولا يتسع هذا البحث الموجز لنقض هذه الدعوى الفجّة، وبيان براهين الإيمان الدالة على بطلان الإلحاد، فطرةً وعقلاً وحسّاً، ونُحَيْلُ القارئ في ذلك على المصنفات الكثيرة التي بسطت هذه البراهين، ونقضت شبهات الإلحاد. (480)

المبحث الثالث: ما الفرق بين الإلحاد: العبي، والعدمي، والوجودي؟

وقد تجسّد هذا الموقف الإلحادي الساخر في المذاهب الإلحادية المتطرفة، كالوجودية والعبيّة والعدمية؛ فهي تتفق على خرافية الدين، وأن الحياة بلا معنى أو غاية، لكن الوجودي يوجد لنفسه معنى وغاية يعيش لأجلها، أما العبي فسواء عنده وجود معنى للحياة وعدمه فهي عبث، ولا بد من التأقلم مع هذا العبث، وجعل مواجهة العبث بذاتها معنى يصرفنا عن الانتحار، أما العدمي فالمعنى عنده معدوم تمامًا، والطريق مسدود، فهو أقرب هؤلاء للانتحار.

ومن هنا رأينا كثرة الانتحار بين عقلاء الملحدِين -إن كان بينهم عقلاء- الذين يتخذون قرارهم غالبًا بعد طول تأمل في سلبيات الحياة وبؤسها، وانقطاع أملهم في حياة مثالية كالتّي يعتقدونها المؤمنون في الآخرة، وبذلك يكون انتحار العاقل علامة على إلحاده.

فالانتحار أبدًا لا يكون إلا ممن تلوث بأفكار المذاهب الإلحادية ووساوسها، سواء كان من معتنقها أو رَضَعَ من حيث رضعت، وأما المؤمن فلا يكون منه الانتحار إلا بنوع مرض نفسي أو عارض من جزع يُذْهِلُهُ عن لُبِّه، وَيُعْطِلُ تفكيره، ويحجب عنه مقتضيات الإيمان فتزل قدمه، ولا سيما مع ضعف الفقه في الدين، والجهل بحكم الانتحار، وكونه من كبائر الذنوب.

المبحث الرابع: أكثر البلدان رُقيًا ماديًا، أكثرها انتحارًا (481)

نلاحظ أن أكثر بلدان الغرب رُقيًا، أكثرها انتحارًا، وما يثير الدهشة أن عددا كبيرا من المنتحرون فيها من فئة المثقفين، بينما تنخفض بالمقابل أعداد المنتحرين في البلاد البائسة ذات التدين القوي، ويكون المنتحرون فيها

(479) انظر: عبد الدايم الكحيل، الإلحاد والانتحار وقوة تعاليم الإسلام، مقال منشور في صفحة المؤلف على الشبكة العالمية، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/wvt6r> 2021/12/21م.

(480) ومن أمثلتها: لسامي عامري، براهين وجود الله، (السعودية: مركز تكوين، 1440هـ=2018م)، وعبد الله العجيري، شموع النهار، (السعودية: مركز تكوين، ط1، 1437هـ=2016م)، وله أيضا، ميليشيا الإلحاد، (السعودية: مركز تكوين، ط1، 1435هـ=2014م)، وللباحث أ.د. سعود بن عبد العزيز العريفي، الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، (السعودية: مركز تكوين، ط1، 1435هـ=2014م)، وغيرها كثير.

(481) انظر: العفاني، سيد بن حسين، وامحمداه، (مصر: دار العفاني، ط1، 1427هـ=2006م)، ج1، ص157.

غالبًا من المرضى النفسيين والسفهاء والمراهقين.

وبالتأمل في أسماء مشاهير المنتحرين قديمًا وحديثًا يتبين دور الثقافات الإلحادية في تدعيم مبدأ الانتحار والتشجيع عليه، وإن خان بعض زوّادها ذلك المبدأ كما فعل شوبنهاور ونيتشه، وكما عبر صمويل بيكيت⁽⁴⁸²⁾: "كيف نمرر الزمن عندما يحاصرنا اللامعنى، اللاتاريخ، وعندما نكون عاجزين حتى عن الانتحار... قبول الحياة هو قبول فحواها، وقبول عجزنا ووحدتنا العميقة وخلصنا المفقود، ولكن من ينقذ من؟ لا أحد قادر على إنقاذ أحد، ومِمَّ ننقذ بعضنا، من الموت؟ من العدم؟ من المفارقة؟ من القدرية؟ من العجز؟ كلنا محكومون بشروط (لازبية)⁽⁴⁸³⁾، وعلينا أن نتدبر أمورنا"⁽⁴⁸⁴⁾.

أو كما عبر إيميل سيوران⁽⁴⁸⁵⁾ بقوله: (لا أحيًا إلّا لأنّ في وسعي الموت متى شئت، لولا فكرة الانتحار؛ لقتلت نفسي منذ البداية)، (الرغبة في الموت كانت هي الأوحى والوحيد، في سبيله ضحيت بكل شيء حتى بالموت)، (إن كل كتاب هو انتحار مرّجأ)، (اليأس موثق، الأمل وهم وتخيل)، (فقط المتفائلون ينتحرون.. المتفائلون الذين ما عادوا ينجحون في أن يكونوا متفائلين.. أما الباقون الذين ليس عندهم سبب يدفعهم إلى الحياة، فلماذا يكون عندهم أي سبب يدفعهم إلى الموت؟)، (سر تكيفي مع الحياة؟ أنى أغيّر اليأس كما أغيّر القميص)، وقد بين قصده بهذا في قوله: (على المتشائم أن يخترع كل يوم أسبابًا أخرى للاستمرار في الوجود؛ إنه ضحية من ضحايا معنى الحياة)، وأقر بأزمة الملحدين بقوله: (يا لتعاسة اللامؤمن، الذي لا يملك في مواجهة أرقه غير ذخيرة ضئيلة من الصلوات)⁽⁴⁸⁶⁾، وهكذا توماس برنهارد⁽⁴⁸⁷⁾ الذي اشتهر قوله: (بدل الانتحار يذهب الناس إلى العمل!)، فهؤلاء الملاحدة يشيعون ثقافة اليأس والانتحار ثم ينكصون جبنًا، ويغتر بوساوسهم أشباه المثقفين، فينتحرون، بينما هؤلاء الموسوسون في متعهم يتلهّون، ولا أقول ينعمون؛ لأنّ جحيم الحيرة والقلق لا يغادر قلوبهم، وصدق الله: {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} [الحشر:16].

ولا يعني هذا أن المتأثرين بوساوس الفلسفة العدمية يكونون من السُدّج دائما أو من المغفلين؛ فإن الإنسان مهما بلغ من العبقرية والذكاء يرتد بالإلحاد إلى أسفل سافلين، فيرتكب من الحماقات ما لا يقدم عليه حتى الهائم سليمة الفطرة، التي تتشبث بالحياة لآخر رمق، بل تشير بعض الدراسات إلى ارتباط بين الإبداع والذكاء، وبين القلق والاكتئاب.⁽⁴⁸⁸⁾

(482) كاتب مسرحي عبثي سوداوي، وأديب إيرلندي عديمي، حياته ما بين (1906-1989م)، حاز على جائزة نوبل للأدب سنة 1969م.

(483) لازب: أي ضروري.

(484) صمويل بيكيت، في انتظار جودو، ترجمة وتقديم/ بول شاول، (بيروت: منشورات الجمل، ط1، 2009م)، ص19، من مقدمة المترجم.

(485) فيلسوف عديمي روماني، حياته ما بين (1911-1995م)، ابتلي بالأرق حتى كاد ينتحر، لكنه أشغل نفسه بالتأليف، من مؤلفاته: "على ذرى اليأس"، "المياه كلها بلون الغرق"، "لو كان آدم سعيدا"، "مثالب الولادة".

(486) انظر: مقالا بعنوان: أقوال إميل سيوران: 160 اقتباس من كلام إميل سيوران، منشور على موقع "حكم نت"، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/wJOav>، تاريخ الاقتباس 2021/12/30م.

(487) كاتب مسرحي تشاومي، وروائي نمساوي عديمي، حياته ما بين (1931-1989م)، تدور كتاباته حول المرض والموت والانتحار وكراهية الذات والضيق والجريمة، انظر مقالا عنه بعنوان: صداقة توماس برنهارد، لإبراهيم حاج عبدي، نشر بصحيفة الحياة بتاريخ 2006/10/11م، ويمكن الاطلاع عليه من خلال الرابط: <https://www.sauress.com/alhayat/31239152> تاريخ الاطلاع 2022/1/5م.

(488) انظر: سعاد جروس، مقال بعنوان: أمراض المبدعين: خفيفها مطلوب، وشديدها يدفع إلى الانتحار أو الجنون، منشور في صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ 2006/6/20م، العدد 10431، ورابط المقال: <https://2u.pw/huKah> تاريخ الاطلاع 2022/1/20م.

المبحث الخامس: أشهر المنتحرين من الملحدين أو المتأثرين بلوثات الإلحاد

لتأكيد ما قرّرناه سابقاً من التلازم بين الانتحار والإلحاد، وأن ذلك ليس من باب التلازم المنطقي فقط، بل هو واقع ملموس، سنشير فيما يلي إلى أسماء أشهر من وقفنا على خبره من المنتحرين في القرنين الأخيرين من العلماء والمفكرين والأدباء والكتّاب، تحت وطأة غياب الإيمان، والتأثر بالأفكار الإلحادية العدمية، وخصصنا العصر الحديث والمعاصر؛ لأجل التزامن مع موجة الإلحاد الكبرى التي ضربت العالم جرّاء شيوع الفلسفات الإلحادية المادية، وتراجع دور الدين على مستوى العالم، وبالأخص الغرب والمتأثرين به، ولا يعني هذا عدم وجود ظاهرة الانتحار في العصور السابقة، لكنها كانت محدودة تبعاً لمحدودية ظاهرة الإلحاد، ولم يصاحبها تأصيل فلسفي؛ لكره الحياة وغياب معناها وعدم جدواها كما طرأ في الفلسفات العدمية الحديثة والمعاصرة:

1- توماس أديسون (1793-1860م):

من أعلام الطب الإنجليزي، ومكتشف لعدد من الأمراض، عانى من نوبات متكررة من الاكتئاب، ما أدى إلى انتحاره بإلقاء نفسه من مبنى مرتفع.⁽⁴⁸⁹⁾

فهذا المنتحر ينتمي إلى فئة الأطباء التي تُعد نخبةً عقلاء بني آدم وأذكياهم، وقد حاز المجد والشهرة والكفاية المادية، فلولا غيبة معاني الإيمان عن قلبه، من العبودية لله، وتقبُّل الابتلاء، واعتبار الدنيا مجرد معبر للآخرة، والصبر في سبيل ذلك، ما كان يُقَدِّم على الانتحار، أو حتى ليتمكن منه الاكتئاب، فضلاً أن يخطر له الانتحار على بال.

والأعجب أن بعض الدراسات ذكّرت أن معدلات الانتحار بين الأطباء في الولايات المتحدة الأمريكية تفوق معدلات الانتحار بين العسكريين، وأن طبيباً واحداً ينتحر كل يوم تقريباً!⁽⁴⁹⁰⁾ وما قلناه عن هذا المنتحر من علاقة انتحاره بغياب معاني الإيمان ينطبق على مَنْ بعده من المنتمين إلى النُخب الأخرى من العلماء والمكتشفين والمخترعين والأدباء والفنانين وسائر المبدعين والناجحين في الحياة بالمعايير الدنيوية المادية، فلا نطيل بتكرار ذلك.

2- الكاتب والشاعر الرومانسي الفرنسي المشهور جيرارد دونرفال⁽⁴⁹¹⁾ (1808-1855م):

الذي وُصف بأنه الممهد للحداثة الأدبية، وأنه تمكن في إنتاجه من تثبيت مصادر قلقه الوجودي الفوّار في صيغ إبداعية باقية)، قد عانى (مصاعب وجودية حادة لم يكن مهياً لها، وتكبّد رضّات عديدة)، وتعرض لخيبات عاطفية متكررة، حتى أحاطت الاضطرابات العصبية بحياته، ما أدى إلى انتحاره شنقاً في أحد أزقة باريس، وهو دون الخمسين من عمره.⁽⁴⁹²⁾

(489) انظر مقالا عنه في موسوعة "ويكيبيديا" تحت عنوان: أطباء قاموا بالانتحار، عبر الرابط: <https://2u.pw/JSOKy>، تاريخ الاطلاع 2021/12/30م.
(490) انظر: بيتر إبراهيم، مقال بعنوان: الجمعية الأمريكية للطب النفسي: معدلات انتحار الأطباء أعلى من المهن الأخرى، منشور في موقع "اليوم السابع" بتاريخ 2018/6/3م، وقد أحال على صحيفة دبي ميل البريطانية، ولمطالعة المقال يمكن الدخول عبر الرابط: <https://2u.pw/YnFbN>، تاريخ الاطلاع 2021/12/30م.
(491) كان إلحاد جيرارد دونرفال من نوع آخر؛ فقد كان أقرب إلى وحدة الوجود والأديان؛ حيث يقول في كتابه الشهير "رحلة إلى الشرق": (لقد أحسست بأني ملحد في اليونان، مسلم في مصر، حلولي وسط الدروز، ومتشيع فوق البحار للنجوم-الآلهة في بلاد الكلدان، لكن في إسطنبول استوعبت عظمة هذا التسامح الكوني الذي يمارسه الأتراك) ج2، ص381، (بالنسبة لي: الله في كل مكان، أيّاً كان الاسم الذي نطلقه عليه!) ج2، ص191، نقلا عن أحمد رباح، مقال بعنوان: قراءة في كتاب "رحلة إلى الشرق" لجيرارد نرفال، منشور بتاريخ 2018/6/28م في موقع "أنفاس"، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/dNROZ> تاريخ الاطلاع 2022/1/8م.
(492) انظر: كاظم جهاد، من مقدمته لكتاب بنيات اللهب لجيرارد دونرفال، ترجمه عن الفرنسية/ ماري طوق، (الإمارات: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، 2017م)، ص7 وما بعدها. ربيعي أرسيميسبير، مقال بعنوان: جيرارد دي نيرفال، منشور على موقع "مكتبات الشرق" على الشبكة العالمية، انظر الرابط: <https://heritage.bnf.fr/bibliothequesorient/ar/nerval-art-ara> تاريخ الاطلاع 2022/1/8م.

3- الفيزيائي والفيلسوف النمساوي (1844-1906م):

شقق نفسه احتجاجاً فيما يقال على عدم قبول المجتمع العلمي لبعض أعماله!⁽⁴⁹³⁾.

4- لورا ماركس (1845-1911م):

الابنة الثانية لفيلسوف الشيوعية كارل ماركس، انتحرت مع زوجها بول لافارج⁽⁴⁹⁴⁾، وكانت أختها الصغرى إليانور ماركس (1855-1898م) قد سبقتها بالانتحار بالسم، وهي في الثالثة والأربعين⁽⁴⁹⁵⁾.

5- المخترع والمكتشف الكيميائي الألماني فكتور ماير (1848-1897م) : قرر الانتحار بالسيانيد، وهو في الثامنة والأربعين من العمر؛ بعد معاناة مع الإرهاق والإجهاد والانهيارات العصبية⁽⁴⁹⁶⁾.

6- الرسام الهولندي الشهير فنسنت فان جوخ (1853-1890م):

انتحر بإطلاق النار على نفسه، بعد حياة مأساوية ومعاناة نفسية، ورغم دراسته اللاهوت واشتغاله بـرُهة بوعظ عمال المناجم وتذكير العمال اليائسين برحمة السماء، إلا أنّ وعظه لم يرقُ للكنيسة؛ لعدم التزامه الموضوعات التقليدية، ما أدى إلى فصله من هذه المهنة، وكان مما قاله في مراسلاته لأخيه: (بالرغم من أن الأفكار الدينية تقدّم لي عزاءً كبيراً، إلا أن الصور لم تكن تتداعى إليّ من رمزية الكهنوت والمعبودات، ولكن تأتيني من الشعور بالطبيعة والناس البسطاء الذين هم جزء من الطبيعة)⁽⁴⁹⁷⁾.

7- رجل الأعمال الأمريكي جورج إيستمان (1854-1932م): مؤسس شركة كوداك، ومخترع الفيلم الملفوف الذي أدى إلى انتشار التصوير الفوتوغرافي، ثم اختراع الفيلم السينمائي، اشتهر بالأعمال الخيرية والتبرعات السخيّة، والمشاركة في تأسيس المعاهد العلمية، عانى في آخر حياته من آلام بسبب مرض في العمود الفقري، أثر معه الانتحار بإطلاق النار على نفسه وهو في السابعة والسبعين من عمره، تاركاً رسالة نصّها: (لأصدقائي: تم عملي، فلم أنتظر؟!)⁽⁴⁹⁸⁾.

8- الطبيب النفسي الألماني هانز برجر (1873-1941م):

انتحر بشقق نفسه في عيادته، جرّاء الاكتئاب من مرض جلدي ألم به!⁽⁴⁹⁹⁾

9- الروائية الإنجليزية النسوية الشهيرة فرجينيا وولف (1882-1941م):

والتي نشأت في منزل متحرر فكرياً، وتعرضت في بدايات حياتها لصدمات متكررة تركت في نفسها أثراً سلبيّة، وصبغت حياتها بالاضطراب النفسي، ثم نَبَغَتْ بعدُ في الكتابة، وأسست دار نشر، ونشرت بعض أعمالها وأعمال فرويد، وكان لها عناية في بعض أعمالها بقضايا النسوية والمثلية الجنسية والتحول الجنسي، ما عرّضها للنقد، بل دُكِرَ أنها رغم ارتباطها الزوجي وكونها من عائلة مسيحية إنجيلية، ارتبطت عاطفياً وجنسياً بالكاتبة البريطانية فيتا ساكفيل ويست!⁽⁵⁰⁰⁾، ما يرحّج نزعتهما التحررية الإلحادية، ولم تلبث أن عاودتها الانتكاسات النفسية،

(493) انظر عنه موقع "الباحثون السوريون" عبر هذا الرابط: <https://2u.pw/raf9> تاريخ الاطلاع 2022/1/21م.

(494) انظر خبر انتحارهما في موسوعة ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/Ys7y> تاريخ الاطلاع 2022/1/20م.

(495) انظر ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/AEQY> تاريخ الاطلاع 2022/1/20م.

(496) انظر عنه موسوعة "ويكيبيديا" عبر الرابط: <https://2u.pw/XiVVe> تاريخ الاطلاع 2022/1/21م.

(497) انظر مقالا طويلا عنه، مترجم في موقع "معرفة"، بتحرير/ إبراهيم العريس، ورابطه: <https://2u.pw/T85a1> تاريخ الاطلاع 2022/1/11م. ومن الرسامين المنحرفين

قبل جوخ: الهندي داسوانت (1560-1584م)، والإيطالي بوروميني (1599-1667م)، والبريطاني فاغان (1721-1816م)، والفرنسية كونستانس ماييه (1775-1821م)،

والياباني واتانابي (1793-1841م). انظر: ياسر ثابت، شهقة اليانسين، (بيروت: دار التنوير، ط1، 2012م)، ص67.

(498) انظر مقالا موثقا عنه في موسوعة ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/HOIE> تاريخ الاطلاع 2022/1/30م.

(499) انظر عنه موسوعة ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/SruFj> تاريخ الاطلاع 2022/1/21م.

(500) انظر مقالا بعنوان: من هي فرجينيا وولف، منشور في موقع "أراجيك" بتاريخ 2021/10/27م، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط:

ومعاناة مع العزلة والاكئاب، ما حملها على محاولة الانتحار أكثر من مرة؛ حتى تم مرادها بإغراق نفسها في نهر ببلدتها عن عمر ناهز التاسعة والخمسين عاماً⁽⁵⁰¹⁾.

10- الشاعر النمساوي التعبيري جورج تراكل (1887-1914م):

قرأ مبكراً لنيتشه وغيره من رواد الحداثة، ودرس الصيدلة وخدم مسعفاً في الجيش، وشارك في بعض المعارك، ما عرّضه لنوبات اكتئاب متكررة تخللها محاولة انتحار، وانتحر أخيراً بجرعة زائدة من الكوكايين، وهو في السابعة والعشرين من عمره⁽⁵⁰²⁾.

11- ديل كارنيجي صاحب كتاب "دع القلق وابدأ الحياة" (1888-1955م):

يقال: إنه مات منتحراً بعد معاناة مع القلق والاكئاب⁽⁵⁰³⁾، فإن صح هذا فهو من أعجب العجب، وأشدّ التناقض؛ مع شهرة كتابه المشار إليه! لكن تجدر الإشارة إلى رأي آخر يؤكد وفاة كارنيجي وفاة طبيعية بمرض السرطان، وأن خبر انتحاره مجرد إشاعة لا دليل عليها⁽⁵⁰⁴⁾.

12- المهندس المخترع الكهربائي الأمريكي إدوين أرمسترونغ (1890-1954م):

له مساهمة في تطوير الراديو، نُوزع في حقوق اختراعها، فأصيب باكتئاب انتحر على إثره بإلقاء نفسه من شقته في الدور الثالث عشر!⁽⁵⁰⁵⁾

13- الشاعر الحدائي الروسي الماركسي فلاديمير ماياكوفسكي (1893-1930م):

هو شاعر الثورة البلشفية، سخّر شعره للنقد اللاذع للبيروقراطيين؛ ما جَلَب له خصومتهم ومحاصرتهم، ثم صُدِم بخذلان حبيبته له وزواجها من غيره، فانتحر بإطلاق النار على نفسه، وهو في السابعة والثلاثين من عمره، تاركاً رسالة يقول فيها: (إلى الجميع، لا تهتموا أحداً في موتي، وأرجو أن لا تَنَمُّوا؛ فالراحل لم يكن يطيق ذلك.. ماما، أخواتي ورفاقي، سامحوني؛ هذه ليست الطريقة الصحيحة، ولا أنصح غيري بها، ولكن لم يبق باليد حيلة..)⁽⁵⁰⁶⁾.

14- الروائي الأمريكي إرنست همنغوي (1899-1961م):

الحائز على جائزة نوبل للأدب عام 1954م، تأثر في باريس بمجتمع الكتّاب والفنانين الحدائين، أو ما اصطلح على تسميته بـ"الجيل الضائع"⁽⁵⁰⁷⁾، وقد اشتهر همنغوي بروايته "لمن تقرع الأجراس"، التي يُبرَزُ فيها الانتحار حلاً للمعاناة، ومهرباً للجنود من الأسر، ما يفسر انتحار إرنست بعد هذه الرواية بإحدى وعشرين سنة، تبعاً لوالده

<https://www.arageek.com/bio/virginia-woolf> تاريخ الاقتباس 2022/1/9م.

(501) انظر عن انتحارها: كويتين بيل، فرجينيا وولف، سيرة حياة، ترجمة/ عطا عبد الوهاب، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1993م)، ج1، ص692-

693. مكرم شاعر، أدباء منتحرون، دراسة نفسية من خلال الأعمال الإبداعية لبعض الأدباء المنتحرين، (بيروت: دار الراتب الجامعية، 1992م)، ص63، 66، 67، 184،

187، وأصل الكتاب رسالة دكتوراه في علم النفس حصل عليها المؤلف من جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم علم النفس عام 1985م.

(502) انظر مقالا عنه من ترجمة/ سعيد بوكرامي منشور في جريدة "نزوى" الإلكترونية بتاريخ 1999/4/1م، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط: <https://2u.pw/lqDhA> تاريخ الاطلاع 2022/1/11م.

(503) انظر مقالا عنه بعنوان: ديل كارنيجي مات منتحراً، منشور على موقع "معلومة" بتاريخ 2020/12/24م، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط: <https://2u.pw/Gx8Zy> تاريخ الاطلاع 2022/1/21م.

(504) انظر مقالا بعنوان: هل انتحر فعلاً ديل كارنيجي؟ للكاتبة إسراء سيف، عبر الرابط: <https://2u.pw/RN630> تاريخ الاطلاع 2022/1/21م.

(505) انظر عنه موسوعة ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/6cYVp> تاريخ الاطلاع 2022/1/21م.

(506) انظر مقالا طويلاً عنه في موقع ويكيبيديا عبر الرابط: <https://tinyurl.com/hdjh9fma> تاريخ الاطلاع 2022/1/15م.

(507) انظر: مكرم شاعر، أدباء منتحرون، ص102، 188. وانظر عنه أيضاً مقالا مطولاً في موسوعة ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/FVH2F> تاريخ الاطلاع

2022/1/8م. وانظر أيضاً مقالا مترجماً بعنوان: إرنست همنغوي: الكاتب الذي انتحر بعد أن نجا من تحطم طائرتين، منشور بتاريخ 2021/7/21م في موقع "أوهايو

بالعربي"، ورابطه: <https://2u.pw/bvTeU> تاريخ الاطلاع 2022/1/8م، ورابط أصل المقال باللغة الإنجليزية: <https://bit.ly/36PsoOa>

الطبيب الذي مات منتحرا أيضًا، بل إن الانتحار يُعد موضوعًا مشتركًا بين أعماله⁽⁵⁰⁸⁾. وقد كان انتحاره في منزله ببندقية صيد وهو في الثانية والستين من عمره؛ إثر الألام التي لازمته بعد إصابته المتكررة في حادثي تحطم طائرتين.

15- الشاعر والروائي الإيطالي تشيزاري بافيزي (1908-1950م):

الحائز على جائزة ستريغا، وهي أهم جائزة أدبية في إيطاليا على الإطلاق⁽⁵⁰⁹⁾، انتحر في الثانية والأربعين من عمره بجرعة زائدة من حبوب منومة، بعد أن عانى من حياة كئيبة واجه فيها فشلين عاطفيين، وصدمة قاسية بزواج عشيقته من غيره، وقد اتسمت كتاباته بالتشاؤم، والصراع مع الحياة، وتوقع الموت المومع، والهوس بالانتحار، ومن عباراته: (أعرف أنني محكوم إلى الأبد بالتفكير بالانتحار حين أواجه كربًا ومصاعب أيًا كانت... مبدئي الأساسي هو انتحار لم يُرتكب أبدًا، لن يُرتكب أبدًا، لكن التفكير فيه يداعب حواشي)، (انتحار تفاؤلي سيعود ثانية)، (لا أحد أبدًا يفتقر إلى سبب معقول للانتحار)، (سوف لن تكون لك أبدًا الشجاعة لقتل نفسك)، وقد وُصف بافيزي بأنه شكاك أودي، ينقب حول المسائل المسيحية⁽⁵¹⁰⁾.

14- الأديب الياباني ياسوناري كاواباتا (1899-1972م):

الحائز على جائزة نوبل للآداب سنة 1968م، يُعد الروائي الأعظم في اليابان، تدور رواياته حول الوحدة والموت والحب والجنس، في تأثر واضح بالحدثة الغربية، والمدرسة الرمزية الفرنسية، خنق نفسه بالغاز مُنهيًا حياته عن اثنين وسبعين عامًا؛ احتجاجًا على مآسي اليابان، ومتأثرًا فيما يقال بانتحار تلميذه يوكيو ميشيما الآتي ذكره.⁽⁵¹¹⁾

15- الكاتب المصري إسماعيل أدهم (1901-1940م):

نشر رسالة صغيرة بعنوان "لماذا أنا ملحد؟"، ادّعى فيها أنه سعيد بإلحاده مطمئن له⁽⁵¹²⁾، ومع ذلك فقد انتحر بعد هذه الرسالة بسنّياتٍ غرقًا، واضعًا في معطفه رسالة يذكر فيها انتحاره كرهًا للحياة وزهدًا فيها، وأن تُحرق جثته ولا تُدفن مع المسلمين!⁽⁵¹³⁾، ويُذكر أنه عانى من الاكتئاب إثر مطالعته مؤلفات فيلسوف التشاؤم شوبنهاور⁽⁵¹⁴⁾.

16- الشاعر المصري أحمد العاصي (1903-1930م):

كان شاعرًا مبدعًا، وصدّر له أحمد شوقي ديوانه بقصيدة يمدح فيه شعره، اشتغل بالدراسات الفلسفية، وتأثر بالفيلسوف الروماني شيشرون، وقُتن بالقراءة عن الموت، وبفكرة الانتحار، حتى أنه ترك رسالة انتحار قال فيها:

(508) انظر مقالًا جيدًا عن رواية "من تفرغ الأجراس" في موسوعة ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/iyRw2> تاريخ الاطلاع 2022/1/8م.

(509) انظر تعريفًا بها في موقع ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/3WWJB> تاريخ الاطلاع 2022/1/10م.

(510) انظر تقديم الناقد الأمريكي جون تايلور لكتاب مهنة العيش، يوميات تشيزاري بافيزي، ترجمة/ عباس المرعي، (بغداد: دار المدى، ط1، 2016م)، ص 13-9. وانظر أيضًا: أحمد إبراهيم الشريف، مقال بعنوان: لماذا انتحر الإيطالي تشيزاري بافيزي بعد تسعة أيام من كتابة مذكراته، منشور بتاريخ 2020/11/13م، على موقع صحيفة اليوم السابع، ورابطه: <https://2u.pw/vf1At> تاريخ الاطلاع 2022/1/10م. نبيل علال، مقال بعنوان بافيزي من الحب إلى الانتحار، منشور بتاريخ 2020/2/25م، على موقع المحطة الإلكترونية، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/M2YIb> تاريخ الاطلاع 2022/1/10م.

(511) انظر: ماري طوق، تقديمها لترجمة رواية الجميلات النائمات، لكواباتا، (بيروت: دار الآداب، ط2، 2006م) ص6. صبيح حديدي، مقدمة ترجمته لرواية ضجيج الجبل، لكواباتا، (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 1983م)، ص6.

(512) انظر: إسماعيل أدهم، لماذا أنا ملحد، (الإسكندرية: مطبعة التعاون، 1937م)، ص6، 7.

(513) انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، (دار العلم للملايين، ط15، 2002م)، ج1، ص310. سليمان الخراشي، انتحار إسماعيل أدهم، (من نشر المؤلف، بدون تاريخ)، ص9، ياسر ثابت، شهقة اليائسين، ص80-82.

(514) انظر موقع "معرفة" عبر الرابط: <https://2u.pw/i5rsT> تاريخ الاطلاع 2022/1/13م.

جبان من يكره الموت، جبان من لا يرحب بهذا الملاك الطاهر، إنني أستعذب الموت الذي هو كالأرائحة الزكية عندي!)، وكان ذا شخصية قلقة مضطربة متناقضة، وتكررت منه محاولة الانتحار، حتى انتحر بصب مادة كاوية على جسده، وفارق الحياة ولم يُكْمَلْ سنته السابعة والعشرين⁽⁵¹⁵⁾.

17- الكاتب الشيوعي الياباني أوسامو دازاي (1909-1948م): كان متعاطياً للمخدرات، زير نساء، مُتَهَيِّجًا، متمردًا على التيار الأدبي السائد، ومع ذلك كان ذا شعبية شبابية! وبعد حياة مضطربة قلقة، شابتها محاولتا انتحار، ذهبت ضحيتها إحدى عشيقاته، انتحر دازاي في المحاولة الثالثة مع عشيقته أخرى غرقًا في مستنقع، وهو في عامه التاسع والثلاثين، مُخَلِّقًا وراءه زوجة وثلاثة أطفال، ورابعًا لم يره قط من عشيقته الثالثة⁽⁵¹⁶⁾.

18- الشاعر اللبناني خليل حاوي (1919-1982م):

بعد ست محاولات انتحار فاشلة، انتحر بإطلاق النار على نفسه، احتجاجًا فيما يقال على اجتياح لبنان⁽⁵¹⁷⁾.

19- الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز (1925-1995م):

شيّد فلسفة لا مكان فيها للمقولات العليا، مثل: الواحد، الخير، الله، العقل، الذات الفاعلة... انتحر عن سبعين عامًا، جرّاء اشتداد المرض عليه، بعد أن ألّف أكثر من ثلاثين كتابًا في الفلسفة⁽⁵¹⁸⁾.

20- الكاتب الياباني كيميتاكي هيراوكا:

تلميذ كاواباتا السابق ذكره، ورائده إلى الانتحار! الشهير أدبيًا باسم "يوكيو ميشيما" (1925-1970م)، الذي استلهم في أهم أعماله فكرة تناسخ الأرواح من سابقه⁽⁵¹⁹⁾، وكان انتحاره ببقر البطن على طريقة فرسان الساموراي اليابانية، وذلك إثر فشله في محاولة انقلابية بائسة؛ لإعادة الحكم الإمبراطوري لليابان، وقد تأثر في كتاباته بالفلسفة الأوروبية، واتسم بالتمرد والتحرر وعشق المتع الجسدية والتهتك بالمحرمات كالمثلية والسادية⁽⁵²⁰⁾ والمازوخية⁽⁵²¹⁾.⁽⁵²²⁾

وإزاء انتحار اليابانيين الثلاثة السابق ذكرهم نشير إلى تعليق الروائي الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز (1927-2014م) بقوله: (كل ما كنت أعرفه بطريقة أكيدة عن الكتّاب اليابانيين أنهم انتهوا كلهم إلى الانتحار!... كان أول شيء رجعت إلى ذاكرتي هو عبادة الموت عند الكتّاب اليابانيين)⁽⁵²³⁾.

21- الكاتب اليساري ورسام الكاريكاتير المصري صلاح جاهين (1930-1986م):

(515) انظر: محمد زيتون، مقال في مجلة الرسالة، ج 19، ص 871 وما بعدها.

(516) انظر: محمد عُضَيْمَة، مقدمته لترجمة رواية ولم يُعَد رجلاً، لدازاي، (دمشق: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط 1، 2016م)، ص 5 وما بعدها.

(517) انظر: خليل حاوي، رسائل الحب والحياة، (بيروت: دار النضال، 1987م). ياسر ثابت، شهقة اليائسين، ص 69-71..

(518) انظر: وفاء شعبان، مقدمة ترجمتها لكتاب الاختلاف والتكرار، لجيل دولوز، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط 1، 2009م)، ص 11، 16-18.

(519) انظر: كامل يوسف حسين، مقدمة ترجمته لرواية ثلج الربيع، ليوكيو ميشيما (بيروت: دار الآداب، ط 1، 1990م)، ص 15، 16. وتناسخ الأرواح معناه: (رجوع الروح بعد خروجها من الجسم إلى العالم الأرضي في جسم آخر)؛ وذلك لتستوفي رغباتها وتتوّدّي ما علمها في حياة جديدة مع جسم جديد. انظر: أحمد شلي، أديان الهند الكبرى، (القاهرة: مكتبة النهضة، ط 11، 2000م)، ص 61. محمد سهيل مشتاق، التناسخ جذوره وتأثيره في غلاة الشيعة، (مكة المكرمة: رسالة ماجستير نُوقِشت وأُجيزت بقسم العقيدة بجامعة أم القرى، 1418هـ)، ص 14-16. محمد العلي، عقيدة الحلول والتناسخ عرضاً ونقداً، (الرياض: دار الصمعي، ط 1، 1430هـ)، ص 310-315.

(520) السادية هي اضطرابٌ نفسيٌّ جنسيٌّ في نفس الوقت psychosexual، تجعل من الشخص السادي (المصاب بالسادية) سعيداً ومنتهشياً؛ بسبب إلحاق الألم بشخصي آخر.

(521) هي اضطراب نفسي جنسي يتسم بتخيلات أو سلوكيات جنسية تنطوي على التلذذ والرغبة الجامحة في التعرض للألم والعنف والإذلال، قد يصل إلى حد الأذى، لتحقيق الإثارة والنشوة الجنسية.

(522) انظر: ياسر ثابت، شهقة اليائسين، ص 68، وانظر أيضاً مقالا عنه بعنوان: قصة انتحار أشهر روائي مثير للجدل في اليابان، في موقع "bbc عربي" بتاريخ 2020/12/3م، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط <https://2u.pw/5vjv8> تاريخ الاطلاع 2022/1/10م.

(523) من مقدمته لرواية الجميلات النائمات، لكاواباتا، ص 12.

كان ناصريًا، ثم أُصيب بانتكاسة نفسية جراء هزيمة 1967م، وقيل: إنه انتحر إثر اكتئاب تملكه آخر حياته⁽⁵²⁴⁾.
22- الشاعر السوري الوجودي عبد الباسط الصوفي (1931-1960م): من المتأثرين بفلسفة كامو العبثية، مات منتحرًا ولم يكمل ثلاثين عامًا⁽⁵²⁵⁾.

23- الشيوعي الاشتراكي الأمريكي جيم جونز (1931-1978م):

قرأ في طفولته لماركس وغاندي وستالين وهتلر، ثم انضم للحزب الشيوعي، وأنشأ معبد الشعوب في ولاية إنديانا دامجًا فيه بين الشيوعية والكنيسة، ومتبنيًا مفهومًا شيعويًا للإنجيل! ثم انتقل به إلى كاليفورنيا متبنيًا بحرب نووية تعقبها جنة اشتراكية في الأرض لأتباع الاشتراكية الرسولية! وأخيرًا قام جونز بعملية انتحار جماعي في غيانا بأمريكا الجنوبية في 18 نوفمبر سنة 1978م، وذلك بحقن مادة السيانيد السامة الممزوجة بعصير العنب، وذهب ضحيتها 900 قتيل بينهم 200 طفل⁽⁵²⁶⁾.

24- الشاعرة والروائية الأمريكية سيلفيا بلاث (1932-1963م):

الحاصلة بعد وفاتها على جائزة بوليتزر⁽⁵²⁷⁾، شكَّلت الموت عَصَبًا أساسيًا في أعمالها الشعرية، ومن كلماتها: (الموت فن ككل شيء آخر، وهو فن أتقنه بشكل استثنائي)، وقد عبرت في بعض أعمالها عن تَوَقُّفها للانتحار، بل تكررت منها محاولات الانتحار، مع أنها نشأت في أسرة مسيحية، إلا أنها فقدت إيمانها إثر وفاة والدها، وظلت مناقضة للدين سائر حياتها، ثم لازمها الاكتئاب إثر خيانة زوجها وانفصالهما، حتى انتحرت في الثلاثين من عمرها باستنشاق الغاز في فرن مطبخ منزلها، تاركة وراءها طفلها بعد أن وضعت المناشف المبللة تحت الأبواب لئلا يصل إليهما الغاز، وقد كان دور زوجها في مأساتها مادة دسمة للحركات النسوية في صراعها ضد ظلم المجتمع الذكوري، معتبرةً انتحارها شهادة مقدسة وانعتاقًا من هذا الظلم⁽⁵²⁸⁾.

25- المغنية العالمية متعددة اللغات داليدا (1933-1987م):

ملكة جمال مصر لعام 1954م، وهي من أصول إيطالية، انتحرت بجرعة زائدة من الأقراص المهدئة، عن أربعة وخمسين عامًا، تاركة رسالة نصها: (سامحوني؛ الحياة لم تعد تُحْتَمَل)⁽⁵²⁹⁾.

26- الفيلسوفة الفرنسية سارة كوفمان (1934-1994م):

تركزت مؤلفاتها حول نيتشه وفرويد، واختارت يوم ميلاد نيتشه موعدًا لانتحارها عن ستين عامًا؛ وعُدَّ ذلك تعبيرًا عن فرط تعلقها بفلسفته العدمية⁽⁵³⁰⁾!

(524) انظر: نهي الخشاب، مقال بعنوان: هل انتحر صلاح جاهين، منشور بتاريخ 2015/4/21م في موقع صحيفة "مبتدأ" الإلكترونية، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/KPnFc> تاريخ الاطلاع 2022/1/20م.

(525) انظر: ياسر ثابت، شهقة اليانسين، ص76، 77. وانظر عنه مقالين في موقع "القصة السورية"، الأول بعنوان: عبد الباسط الصوفي والتجربة الوجودية"، لسلمان حرفوش، والثاني بعنوان: عبد الباسط الصوفي وسطوة الانتحار، لمحمد غازي التدمري، عبر الرابط:

<http://www.syrianstory.com/a.b.soufi.htm> تاريخ الاطلاع 2022/1/20م.

(526) انظر: صادق الركابي، الانتحار الجماعي، أكبر عمليات الانتحار الجماعي في التاريخ، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط1، 2014هـ)، ص185 وما بعدها. وانظر أيضا عن هذه الحادثة موسوعة "ويكيبيديا" عبر الرابط: <https://2u.pw/qUOZO> تاريخ الاطلاع 2022/1/28م.

(527) هي جائزة سنوية تقدمها جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية في مجالات متعددة، منها: الآداب، وقد بدأت الجائزة منذ عام 1917م بمنحة من رائد الصحافة الأمريكي جوزيف بوليتزر. انظر عنها موقع ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/7LXs2> تاريخ الاطلاع 2022/1/10م.

(528) انظر: سامر أبو هوش، مقدمة ترجمته لديوان سيلفيا بلاث: أكثر من طريقة لانتقة للغرق، (بيروت: منشورات الجمل، 2009م)، ص5، 6، 10. فاطمة نعيبي، تقديمها لترجمة رسائل سيلفيا بلاث، (الكويت: منشورات تكوين، ط1، 2019م)، ص10، 11. وانظر أيضا مقالا عنها في موسوعة ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/czo0w> تاريخ الاطلاع 2022/1/10م.

(529) انظر عنها ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/mZyrT> تاريخ الاطلاع 2022/1/21م.

(530) انظر مقالا موثقا عنها في موسوعة "ويكيبيديا" عبر الرابط: <https://tinyurl.com/2p949yhs> تاريخ الاطلاع 2022/1/15م.

27- الروائي والصحفي الأمريكي هنترطومسون (1937-2005م):

نشأ نشأة إجرامية، وكان مدمناً على الكحول والمخدرات، ثم امتن الكتابة والصحافة، واشتهر بروايته: "ملائكة الجحيم"! عن عصابات الدراجات النارية، وكان قد صَحَّيَّمُ عامًا، انتحر بإطلاق النار على نفسه، بعد معاناة مع المرض وهو في السابعة والستين من عمره.⁽⁵³¹⁾

28- الشاعر الحدائي والكاتب الروائي الأردني تيسير سبول (1939-1973م):

كان معجبًا بثقافات الشعراء والكتّاب المنتحرين، وتأثر بالفلاسفة الوجوديين والعدميين مثل نيتشه وسارتر وهيدجر وكامو، أطلق النار على نفسه وهو في الرابعة والثلاثين من عمره؛ احتجاجًا على هزائم العرب وواقعهم البائس، تاركًا وراءه زوجته وطفليه⁽⁵³²⁾.

29- الأديب النوبي المصري إدريس علي (1940-2010م):

حائز على جائزة الدولة التشجيعية، وجائزة أفضل رواية⁽⁵³³⁾، لم يمت منتحرًا، لكنه قال: (أرى أن مسألة الانتحار أشرف وأنبى وسيلة للانسحاب من واقعٍ مهين؛ فأنا لم أحب الحياة بما فيها من تفاهات وصراعات وتفاوت طبقي، وروايتي "تحت خط الفقر" تُعَرِّى هذا الواقع، وتفضح المستور، وتكشف المسكوت عنه.. وقد مات ابني منتحرًا، واكتشفتُ أنه لا فائدة من الكتابة.. لقد حاولتُ الانتحار بإلقاء نفسي في النيل أكثر من مرة، ولكن النيل أبى أن يبتلع جثتي)⁽⁵³⁴⁾.

30- خبير الأسلحة الجرثومية البريطاني ديفيد كيلى (1944-2003م):

كان موظفًا في وزارة الدفاع البريطانية وأحد مفتشي الأمم المتحدة، انتحر بقطع عروق معصمه إثر ضغوط تعرّض لها أثناء التحقيق معه؛ بسبب تسريبه تقارير للصحافة، تفضح تزوير معلومات حول أسلحة الدمار الشامل في العراق⁽⁵³⁵⁾، وهناك من يرى أنه لم ينتحر، بل صُفِّي؛ لتغطية الأمر!⁽⁵³⁶⁾

31- الدكتور رالف رزق الله (1950-1995م):

أستاذ علم النفس بالجامعة اللبنانية، ألقى بنفسه من شاهق على الصخور قبالة صخرة الرّؤسَة الشهيرة بحوادث الانتحار على شاطئ بيروت⁽⁵³⁷⁾.

(531) انظر مقالًا موثقًا عنه في موسوعة "ويكيبيديا" عبر الرابط: <https://2u.pw/xS3Wb> تاريخ الاطلاع 2022/1/11م.

(532) انظر: ياسر ثابت، "شهقة اليائسين" ص 71-73. حسن عليان، مقال عن تيسير سبول في مجلة فيلادلفيا الثقافية، جامعة فيلادلفيا، الأردن.

(533) انظر ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/wOyiQ> تاريخ الاطلاع 2022/1/20م.

(534) انظر: ياسر ثابت، "شهقة اليائسين" ص 86، 87. وقد عرض ياسر ثابت في كتابه هذا ص 65 وما بعدها قائمة طويلة من المثقفين والشعراء العرب المنتحرين ذكرنا بعضهم في هذه الدراسة، ومنهم أيضا: اللبناني أنطوان مشحور (1936-1975م)، انتحر بطلقة مسدس في رأسه، الكاتب المصري محمد رجائي (ت: 1979م)، الفنان السوري لؤي كيالي (ت: 1978م)، الشاعر الكردي مصطفى محمد (ت: 1979م)، المصرية درية شفيق (ت: 1975م) إحدى رائدات تحرير المرأة، الشاعران المصريان صالح الشرنوبى (1924-1951م)، ومنير رمزي (1924-1945م)، ومثله العراقيون قاسم جبارة (1935-1987م)، وإبراهيم زاير (1944-1972م)، ومهدي الراضي (ت: 2007م)، والجزائريون صفية كتو (1944-1989م)، ألقّت نفسها من الطابق الثامن، وعبد الله بوخالفة (1964-1988م)، ألقى نفسه تحت قطار، وفاروق أسميرة (ت: 1994م)، ألقى نفسه من فوق جسر، وهادية رجيبي (ت: 2010م)، انتحرت ولم تتجاوز الثلاثين عاما، وقبل هولاء مبارك جلواح (1908-1943م)، ألقى بنفسه في نهر السين بباريس، المغربي كريم حوماري (1972-1997م)، شنق نفسه، السودانيون: عبد الرحيم أبو ذكري (1947-1989م)، ألقى نفسه من شاهق، ومحمد شيبون (1930-1961م)، وسامي قبريال (1951-1975م)، وأحمد الطيب، وغيرهم. وانظر أيضا: أسعد العزوني، مقال بعنوان: انتحار مثقف، نشر بتاريخ 2020/6/27م، على موقع المجلة الثقافية الجزائرية، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://thakafamag.com/?p=39360> تاريخ الاطلاع 2022/1/21م.

(535) انظر: موسوعة ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/khj2m> تاريخ الاطلاع 2022/1/30م.

(536) انظر مقالًا عن نقل عائلته لرفاته خشية نبش أصحاب نظرية المؤامرة لبقبره من أجل التحقيق في موته وإثبات عدم انتحاره، نشر في موقع بي بي سي عربي بتاريخ 2017/10/29م، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط: <https://www.bbc.com/arabic/inthepress-41792626> تاريخ الاطلاع 2022/1/30م.

(537) انظر: ربيع جابر، رواية رالف رزق الله في المرأة، (بيروت: دار الآداب، ط 1، 1997م)، ص 9، 10، 22، 23. لبيب ناصيف، مقال بعنوان: رالف رزق الله، الرحيل الباكر الموجع، منشور بصحيفة "البناء" الإلكترونية بتاريخ 2020/6/20م، ويمكن الدخول إليه عبر الرابط: <https://www.al-binaa.com/archives/253783> تاريخ الاطلاع

32- السينمائي التونسي الحبيب المسروقي (1950-1980م):

تُوِّفِّيَ منتحراً وهو في الثلاثين من عمره، رغم تحقيقه نجاحات سينمائية حملت زملاءه والمعجبين به على تكريمه وتخليد ذكراه بعد عقود من رحيله!⁽⁵³⁸⁾.

33- الكاتبة والروائية المصرية اليسارية أروى صالح (1951-1997م):

من أعلام الحركة الطلابية الماركسية في الجامعات المصرية في السبعينيات، اشتهرت بكتابها "المُبْتَسِرُونَ" الذي سجّلت فيه آراءها الفكرية السياسية، وذكراياتها حول الحركة الطلابية⁽⁵³⁹⁾، انتحرت بإلقاء نفسها من الطابق العاشر!⁽⁵⁴⁰⁾.

34- الممثل والمخرج الفلسطيني من أصول فرنسية فرانسوا أبو سالم (1951-2011م): حائز على جائزة المسرح الفلسطيني، أقدم على الانتحار بعد صراع مع الاكتئاب⁽⁵⁴¹⁾.

35- الممثل الأمريكي الشهير روبن وليامز (1951-2014م):

انتحر شنقاً بشكل مفاجئ عن عمر ناهز الثلاث وستين سنة، مُخْلِفاً زوجة وولدين، رغم ما عُرف عنه من اللطف والذكاء والإبداع والتألق الفني، وكان قد مر آخر حياته بمعاناة خفية من الهلع والقلق والاكتئاب والارتياح، ما عُزِيَ لاحقاً لإصابته بمرض عصبي يسمى "خرف أجسام ليوي"⁽⁵⁴²⁾⁽⁵⁴³⁾، ومهما يكن من سبب لانتحاره، فإن مبادرته لذلك لم تكن إلا مع إفلاس روحي من معنى للحياة يستحق معه تحمل الألم الذي كان يمر به، ولا يبدو أن هذا المرض -إن صح ما ذُكر من دوره في انتحاره- سيكون ذا أثر مباشر بهذه السرعة؛ فقد كان وليامز قريب عهد بتصوير أحد أفلامه، كما أن زوجته لم تعلم بهذا المرض إلا بعد وفاته!

36- الطاهي والكاتب الأمريكي أنتوني بوردين (1956-2018م):

اشتهر ببرامجه التلفزيونية وتعليقاته الإنسانية من خلال أفلامه الوثائقية عن ثقافات الطبخ في العالم، وحصد الكثير من الجوائز، وانتشرت كتبه انتشاراً واسعاً، ورغم هذا النجاح والصحّة فقد انتحر على نحو مفاجئ في غرفة الفندق أثناء إقامته في باريس؛ لتصوير إحدى حلقات برنامجه الأشهر! عن عمر يناهز الثانية والستين⁽⁵⁴⁴⁾، ولقد عانى بورداين في شبابه من تعاطي المخدرات، ثم عانى بعد شهرته من الشعور بالعزلة، رغم

2022/1/21م.

(538) انظر ذكر انتحاره في مقال عن تكريمه نشر في الصحيفة الإلكترونية التونسية "جمهورية" بتاريخ 2018/2/19م، ويمكن الاطلاع عليه عبر هذا الرابط: <https://2u.pw/lvgvg> تاريخ الاطلاع 2022/1/21م. وانظر أيضا صفحة مخصصة لتكريمه في موقع "أيام قرطاج السينمائية"، عبر الرابط: <https://2u.pw/1xKwm> تاريخ الاطلاع 2022/1/30م.

(539) انظر: أروى صالح، المبتسرون، (لبنان: دار النهر للنشر والتوزيع، ط1، 1996م)، ص7.

(540) انظر خبر انتحارها في موسوعة ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/rTvLh> تاريخ الاطلاع 2022/1/20م.

(541) انظر عنه موقع ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/GMIGz> تاريخ الاطلاع 2022/1/21م.

(542) يُعد (خرف أجسام ليوي) من أكثر أنواع الخرف شيوعاً بعد مرض الزهايمر، حيث يعمل على التسبب بمشكلات في طرق عمل الدماغ، وتشمل: مشكلات الذاكرة، والحركة، ومهارات التفكير، والمزاج، والسلوك، وقد يُعاني المرضى المصابون به من هلوسات بصرية، إضافةً إلى تغيرات في اليقظة والانتباه، ويكون الرجال أكثر عرضة للإصابة به من النساء، وينتج هذا الخرف عن ترسبات غير طبيعية لبروتين يسمى ألفا سينكولين (Cyncholine) في الدماغ، حيث يؤثر على الخلايا العصبية.. وتظهر أعراضه بعد سن الخمسين.

(543) انظر مقالا بعنوان: الضاحك اليائس... لماذا انتحر روبن وليامز؟، منشور بتاريخ 2021/1/3م على موقع "سكاي نيوز عربية"، ورابط المقال: <https://www.skynewsarabia.com/varieties/1404441>

تاريخ الاطلاع 2022/1/11م.

(544) انظر مقالا عنه في موسوعة ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/4HZrP> تاريخ الاطلاع 2022/1/11م.

طبيعة عمله القائمة على التواصل مع الآخرين!⁽⁵⁴⁵⁾.

37- الأديب والروائي الأمريكي ديفيد فوستر واليس (1962-2008م):

اتسحت رواياته بالسوداوية والعبثية، ووصف بعدم الانضباط في مظهره وسلوكه الاجتماعي، ورغم نشأته في أسرة مترابطة، وتمتعه بشهرة واسعة ومكانة مرموقة وحال ميسورة يُحسدُ عليها، شَنَقَ نفسه في منزله، وهو في السادسة والأربعين من عمره، بعد معاناة طويلة مع الاكتئاب والضغط النفسى⁽⁵⁴⁶⁾.

38- الكاتبة المسرحية الإنجليزية الشابة سارة كين (1971-1999م): والتي انتحرت بشنق نفسها بأربطة حذاءها، عن عمر ناهز 28 عامًا.⁽⁵⁴⁷⁾

39- الكاتبة الهولندية من أصل مغربي نعيمة البزاز (1974-2020م):

عانت من الاكتئاب سنوات عديدة بعد تأليفها كتابها الإلحادي: "المنبوذة"، وانتهى بها المطاف إلى الانتحار، وهي في السادسة والأربعين من عمرها⁽⁵⁴⁸⁾.

40- اليوتيوبر السوري ديفيد رجل الكهف (1986-2022):

محمد يمان الصواف، المعروف باسم ديفيد رجل الكهف، ولد الصواف في أواسط الثمانينات، لأسرة سورية نشأ فيها على التدين، في المرحلة الإعدادية حفظ نصف القرآن قبل أن تتسلل الشكوك إلى نفسه، وقبل العشرين وجد طريقه إلى عالم الإنترنت المنتشر حديثًا، وإلى مواقع من نوع (منتدى اللادينيين العرب) و(شبكة الملحدون العرب) واستقر فيها على اسم ديفيد ليلحق الاسم بعد ذلك بكنية رجل الكهف بعد أن حط رحاله الأخير في السويد، أن يدعو إلى الإلحاد والتحرر من الأديان؛ لأجل السعادة والعيش في حياة هانئة هادئة بعيدة عن الاضطرابات، ضربته الاضطرابات، وتمكنت منه؛ حتى أقدم على الانتحار وهو في السادسة والثلاثين من عمره.

أمورٌ وجب التنبيه إليها

وبعد سرد هذه القائمة الطويلة لمشاهير المنتحرين من المتأثرين بالزعات اللادينية، واللوات الإلحادية، نرى ضرورة التنبيه لبعض الأمور:

أنه مع حرصنا على توثيق المعلومات والإحالة على المصادر، يبقى الاحتمال واردًا في بعض الحالات أن يكون واقع الأمر على غير ما ذكر، كأن تكون الوفاة مثلًا نتيجة اغتيال صُورَ في هيئة انتحار؛ بغرض التشويه، أو تكون الوفاة طبيعية ظن أنها انتحار، لكن هذا الاحتمال يبقى ضعيفًا، وإن وقع فهو نادر، فلا يُشكل على مصداقية القائمة في التعبير عن ظاهرة الانتحار في مجتمع الملحدون، وإثبات العلاقة بين الانتحار وغيبة الإيمان، وقد استبعدنا من القائمة حالات متعددة قيل: إنها انتحار؛ لعدم وضوح ذلك، كما حرصنا على الإشارة لما ذكر من تشكيك في بعض الحالات ولو كان ضعيفًا.

أن هذه القائمة، إنما تمثل من سُجِّلَ انتحارهم رسميًا، وانتشر خبرهم، أو صدعوا بانتحارهم، فما بالك بمن

(545) انظر مقالاً بعنوان: قدم للعالم ثمانين بلدا.. من هو أنتوني بورداين؟، منشور بتاريخ 2018/6/9م على موقع "الحرّة"، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط: <https://2u.pw/VebA0> تاريخ الاطلاع 2022/1/11م.

(546) انظر مقالاً عنه بعنوان: الكاتب الأمريكي انتحار لأن قلمه بات عصياً على التعبير، منشور في صحيفة "الاتحاد" الإلكترونية بتاريخ 2008/9/24م، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط: <https://2u.pw/NR5HV> تاريخ الاطلاع 2022/1/11م.

(547) انظر: كريم عبد الخالق، مقال بعنوان: مسرح «سارة كين»: الموت دائماً خلفك، منشور على موقع "منشور" بتاريخ 2018/8/24، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/gDhks> ، تاريخ الاطلاع 2021/12/30م.

(548) انظر مقالاً موثقاً عنها في موقع ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/9Nzbu> تاريخ الاطلاع 2022/1/14م.

وراء هؤلاء ممن لم يُعَلِّمَ خبره، أو أثر الانتحار خفية؛ لئلا يُلَوِّثَ سمعته أو يَخْرِجَ أُسْرته؟ ثم ما بالك بغير المشاهير ممن لا يُؤبه لانتحاره، ولا يتجاوز أن يكون رقمًا في إحصائيات الانتحار؟ ثم ما بالك بمن وراء هؤلاء جميعًا ممن حاول الانتحار أو همَّ به وفكَّرَ فيه، ثم جَبَنَ عن الإقدام عليه، فَبَقِيَ طول عمره في معيشة ضنك وانتحار معنوي لا يقل بؤسًا عن الانتحار الحسي؟

أن المذكورين في هذه القائمة ليسوا بالضرورة جميعًا من الملحدین الصرحاء، وإن كان غالبهم لا يسلم من التلوث بشكوك الإلحاد ووساوسه، ولا يمنع أن يكون منهم من تأثر ببعض شبهات الإلحاد المؤدية للانتحار، دون أن يغادر الإيمان بالكلية، ولا سيما إن كان ظاهره الانتساب للإسلام، فلا يلزم من الاستشهاد بواقعة انتحاره في هذا البحث الحكم عليه بالكفر الأكبر، والخروج من الملة، والخلود في الجحيم.

المبحث السادس: الاضطهاد والانتحار بين المؤمنين والملحدین

نناقش في هذا المبحث تفسير ظاهرة الانتحار بين الملحدین باضطهاد مجتمع المؤمنين لهم، ونستمله بالإشارة إلى انتحار الفيلسوف الماركسي إيفالد إينكوف (1924-1979م)، الذي أنهى حياته وهو في الخامسة والخمسين من عمره، مستسلمًا لليأس والقنوط الذي أصابه جرَّاء اضطهاد رفاقه في الإلحاد، الذين رأوا في انحرافه الطفيف عن مسارهم الفلسفي تمرّدًا على الماركسية، ولم يحتملوا أي اجتهادات وتفسيرات تخالف النَّسَق السائد لمذهبهم، ما أدى إلى طرده من جامعة موسكو بتهمة الهيجلية، ثم ملاحقته من قبل الشرطة السرية ومنعه من المؤتمرات خارج الاتحاد السوفياتي⁽⁵⁴⁹⁾.

إن الاضطهاد الذي مارسه ملاحدة الشيوعية إبان الثورة البلشفية ضد المؤمنين من جميع الأديان، ولا سيما المسلمين، لكفيل بتزييف أي دعوى تصوّر الملحد في دور الضحية، وذلك أن الملحد لا يحجزه وازع من دين أو خلق عن تحقيق غايته، فكيف إذا كانت غايته تدمير الدين نفسه؛ باعتباره مصدر الشرور والحرمان والتخلف والشقاء والالام؟! أما المؤمنون فمهما نقموا وغضبوا فحاجز الإيمان يردعهم، يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة:2]، ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة:8]، وأما ما يحصل من ظلم واضطهاد من قبل من ينتسبون إلى الإيمان فهو أمانة على نفاقهم وضعف إيمانهم.

ولقد نشر الكاتب الملحد ستاكس روش⁽⁵⁵⁰⁾ مقالًا صريحًا ومهمًا حول ظاهرة الانتحار في مجتمع الملحدین، استمهله بالإقرار بأن الاكتناب يعد مشكلة خطيرة يعاني منها الملحدون، وتؤدي ببعضهم إلى الانتحار، وأن تلك هي الحقيقة رغم كراهية زملائه الملحدین الاعتراف بها، ورغبتهم في الاعتقاد بأنهم أكثر سعادة من المؤمنين⁽⁵⁵¹⁾.

(549) انظر مقالاً عنه بعنوان: إيفالد إينكوف، عاش الفيلسوف، مات الفيلسوف، منشور بتاريخ 2015/2/7م، في صحيفة "الأيام" الإلكترونية، عدد 9435، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط: <http://www.alayam.com/online/NA/475589/News.html>، تاريخ الاطلاع 2022/1/6م.

(550) عرف نفسه بأنه كاتب مدافع عن الإلحاد، مقيم في الولايات المتحدة الأمريكية، حاصل على الماجستير من جامعة ويست تشيسستر، رئيس تحالف فيلادلفيا للعقل، انظر: مقاله الانتحار بين الملحدین، ترجمة/ محمد سالم، تعليق/ د. هشام عزمي، مركز الفتح للبحوث والدراسات، ص2.

(551) انظر: ستاكس روش، مقال بعنوان: الانتحار بين الملحدین، ترجمة/ محمد سالم، تعليق/ د. هشام عزمي، نشر مركز الفتح للبحوث والدراسات، ص2، 3، ويمكن

والكاتب تُشكر له هذه الصراحة والشجاعة في الإقرار بوجود هذه الظاهرة بين فاقدَي الإيمان، بل اختصاصهم بدرجة عالية منها لا تظهر عند مخالفيهم من المؤمنين؛ فإنه قد قرر أيضًا في غاية من الوضوح أن الملحدين أكثر ميلًا للانتحار من المؤمنين بالأديان، مشيرًا إلى وجود أسباب منطقية تفسر ذلك، بدأها بسبب أول اعتبره كافيًا في إثارة الانتباه لتفسير هذه الظاهرة، ألا وهو السيطرة الاجتماعية للمؤمنين (بالخرافات) كما يدعي، ونبذهم من يخالفهم في هذا الإيمان، وتنمّرهم عليهم، ولا سيما عندما يبوحون بشكوكهم الإلحادية، ما يؤدي إلى عزلة الملحدين وقلقهم واكتئابهم⁽⁵⁵²⁾.

والكاتب هنا على عادة الملاحدة الماديّين يعتبر الإيمان بما وراء الطبيعة من الغيبيات التي تتحدث عنها الأديان خرافاتٍ كلّها، دون التفات إلى براهين الإيمان العقلية، أو تفريق بين دين فطري عقلائي، ودين مبدّل مُحرّف، ودين وضعي مخترع، وفي هذا تجاوز صارخ للمنهج العلمي الذي يقضي بالتفريق بين المختلفات، وعدم الخلط بين أديان متناقضة لمجرد اجتماعها على مبدأ الإيمان بالغيب؛ فإن الغيب لا يرادف العدم كما يتوهم الملاحدة، وليس الإيمان به مَبْتُوت الصلة بالبرهان العقلي كما يقرر بعض الفلاسفة المحدثين⁽⁵⁵³⁾، أو كما هو منهج بعض المدافعين عن الأديان المحرفة والثنية⁽⁵⁵⁴⁾؛ هروبًا من الإشكالات العقلية التي تواجه خرافاتهم.

أما تفسير الكاتب كآبة الملحدين وانتحار بعضهم باضطهاد المؤمنين لهم فبعيد عن الصحة ويكذبه التاريخ؛ فليس كل ملحد يجاهر بإلحاده ويستفز المؤمنين حتى يقع عليه الاضطهاد المزعوم، ومع ذلك فالإكثاب والانتحار واقع حتى عند المعتزّلين ممن لم يعرفوا بالصدع بإلحادهم والتبشير به، فلا علاقة للاضطهاد المزعوم باكتئابهم وانتحارهم، كما أن التاريخ والواقع يشهدان بأن أكثر الناس عُرضة للاضطهاد هم المؤمنون، ولا يقارن ما وقع عليهم من العذاب بما يعانیه بعض الملحدين أحيانًا، وتشهد بذلك القصص المتواترة عن بني إسرائيل والسحرة مع فرعون، وأتباع المسيح مع الرومان، وأصحاب الأخدود، والمسلمين الأوائل مع كفار قريش⁽⁵⁵⁵⁾، بل يشهد بذلك واقع المسلمين المعاصر في العالم؛ فهم أكثر الناس تَعَرُّضًا للاضطهاد والفتنة لمجرد تمسّكهم بدينهم، ومع ذلك فالانتحار عندهم نادر بل يكاد ينعدم مقارنة بمجتمع الملحدين، وإنما يحدث الانتحار عند بعض المؤمنين -إن حدث- بسبب جهل بتحريمه، أو تأوّل بجوازه في بعض الأحوال والظروف، كخشية الاغتصاب والتعذيب، لكن المؤمن لا ينتحر قط ولو كان جاهلًا أو متأوّلًا للسبب الذي عند الملحدين، وهو اعتقاد عدم وجود معنى للحياة، واعتقاد عبثيتها ولأجدواها.

ثم يشير الكاتب روش في مقاله إلى سبب آخر لظاهرة اكتئاب الملحد، ألا وهو الصدمة النفسية التي يواجهها الملحد حين يدرك زيف الإيمان الذي لُقِنه سابقًا من والديه ومجتمعه، فهو فجأة أصبح مدرّكًا بيقين خلو عالمه من إله يؤنسه ويحميه ويسانده في مواجهة تحديات الحياة وصعوباتها، أو غاية يعيش لأجلها ويكون بها لحياته معنى، أو خلود يأمله في حياة أخرى بعد انقضاء حياته وإدراك الموت له⁽⁵⁵⁶⁾.

الإطلاع على الأصل الإنجليزي للمقال الذي نُشر بعنوان: "Atheism Has a Suicide Problem" "الإلحاد لديه مشكلة انتحار"، بتاريخ 2017/8/12م في صحيفة "هوف بوست" الإلكترونية عبر الرابط: <https://2u.pw/D7CUP> تاريخ الإطلاع 2022/1/31م.

(552) انظر المرجع نفسه، ص 3، 4.

(553) انظر مثلاً: عبد الرحمن بدوي، إيمانويل كنت، (الكويت: وكالة المطبوعات، ط 1، 1977م)، ص 342.

(554) انظر: ول ديورانت، مباحث الفلسفة، ترجمة/ فؤاد الأهواني، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط 2، 2016م)، ج 1، ص 16، 17.

(555) انظر تعليق الدكتور هشام عزمي على هذه الفقرة من كلام روش في مقاله السابق ص 4.

(556) انظر المرجع نفسه ص 3، 4.

ولا ينقض العجب من هذا التناقض الذي يقع فيه روش هنا؛ إذ هو يفترض أن الملحد موقن بصحة إلحاده، وأنه قد تخلص بإلحاده من خرافات الإيمان بالإله، تلك الخرافات التي حرمتها سابقا من السعادة واللذة والمتعة الحقيقية، وهذه نقلة يفترض أن تملأها البهجة والفرح والسرور، بهجة التخلص من قيود الدين كما يزعمون، فمن أين تأتي الحسرة والحزن والاكتئاب على مغادرة عالم "الخرافة"؟ أي تناقض أشد من هذا؟! والواقع الذي لا مناص من الاعتراف به: أن مصدر كآبة الملحد حين يغادر إيمانه الفطري بخالقه إنما هو وَحْشَة معاندة الفطرة، ومكابرة براهين الإيمان التي تحيط بعقل الإنسان وحواسه.

والعجيب أن الكاتب الملحد يطرح بديلاً مؤنساً للملحدين، وإنما هو برهان الإيمان لا غير، وذلك عندما يكرر دعوة الملحدين إلى منافسة المؤمنين في المتعة بخرافاتهم الميتافيزيقية بالاستمتاع بعجائب الكون والحياة! فأى قلق للعقل إذا عاند فطرته التي تشهد بخالق هذه العجائب؟⁽⁵⁵⁷⁾.

ثم عبر الكاتب عن استيائه من الاستشهاد بمقاله ضد الإلحاد، واعتباره شاهداً على أثر قاتل من آثار غياب الإيمان، دون أن يذكر مبرراً لاستيائه أكثر من أن يصر على إلزام القارئ بتفسيره لظاهرة انتحار الملحدين، ألا وهو اضطهاد المؤمنين لهم⁽⁵⁵⁸⁾، دون التفسير المنطقي الأقرب، وهو وَحْشَة الإلحاد في نفسه وإعدامه لأي معنى يستوجب عشق الحياة والتشبث بها، ولا سيما إذا كانت مشوبة بالمعاناة والصعوبات كما هي حياة أكثر الناس. وعبثاً يحاول الكاتب بسطحية تسلية الملحدين بتقبل الحقيقة الصادمة، وتجاوز الصدمة بالاستمتاع بحقائق الكون والحياة وعجائب الوجود⁽⁵⁵⁹⁾!

كما يوصي بتكاتف الملحدين ومواساة بعضهم قبل السقوط والانتحار. ويعترف بتفوق مجتمع المؤمنين في هذا الجانب، وأن الشقاق والافتراق والتنافر من سمات الملحدين، فلو اجتمع منهم ثلاثة لتفرقوا دون اتفاق على رأي، ويطالب الكاتب الملحدين بالتسامح والتكاتف رغم الخلاف، فليس بالضرورة الاتفاق في الرأي؛ لتحصيل المودة والألفة والتضامن والتعاون في مواجهة كآبة الإلحاد⁽⁵⁶⁰⁾.

والحقيقة أن ما قرره هذا المقال من توصيف نفسية الملحدين وبؤس وضعهم الاجتماعي، وما يعانونه جراء الانتقال من حال الإيمان إلى حال الإلحاد، لمن خير الشواهد على ما قرره هذا البحث من التلازم المنطقي والنفسي بين الإلحاد وبين التيه النفسي والقلق الفكري المؤدي للاكتئاب ثم الانتحار.

الخاتمة والنتائج:

في ختام بحثه خلص الدكتور العريفي أهم نتائج البحث في الفقرات التالية:

- 1- أن الانتحار في مجتمع المثقفين الملحدين ظاهرة حقيقية، تؤكدتها الوقائع المؤنَّقة، ولا ينكرها الملحدون أنفسهم، بل من فلاسفتهم من سوَّغ للانتحار فلسفياً، وسوَّق له ودعا إليه.
- 2- أن السبب الرئيسي لانتحار الملحد هو كآبة فقدان معنى للحياة، يعين على تحمُّل أعبائها وتحدياتها، وذلك المعنى غير متوفر بدون الإيمان الذي يعانده الملحد ويصر على كَبْت فطرته الداعية إليه.
- 3- ندرة الانتحار في مجتمع المؤمنين مقارنة بالملحدين، حتى مع تعرُّض المؤمنين للاضطهاد والكوارث والمصائب،

(557) انظر التعليق الرائع للدكتور هشام عزمي على هذه الفقرة من كلام روش في مقاله السابق ص6، وكذلك سائر تعليقات الدكتور على المقال.

(558) انظر المرجع نفسه، ص5.

(559) انظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(560) المرجع نفسه، ص6-8.

وإن حصل الانتحار من مؤمن فهو غالبًا منحصر في غير المثقفين، من الجهّال والأحداث، لكن المؤمن لا ينتحر أبدًا لأجل السبب الذي عند الملحد، وهو اعتقاد عبثية الحياة ولأجْدْواها.

4- أكثر الفلاسفات الإلحادية تمهيدًا للانتحار: العدمية، ثم العبثية والوجودية، ومن أشهر رموز هذه الفلاسفات التشاؤمية: شوبنهاور، نيتشه، كامو، هايدجر.

5- زيف تفسير ظاهرة الانتحار بين الملحدين بتنمّر المؤمنين عليهم، وصواب تفسيرها بوحشة معاندة الفطرة وقلق مناقضة براهين الإيمان.

المبحث السابع: الملاحظة أكثر انتحارًا وعدوانية

نشرت مجلة "طب النفس" الأمريكية دراسة مشابهة أثبتت تأثيرًا قويًا للتعاليم الدينية على الحد من ظاهرة الانتحار، وأن نسبة الانتحار لدى الملحدين متسارعة، وأن الملحدين أكثر عدوانية من غيرهم، وأنهم أكثر الناس تفككًا اجتماعيًا، وليس لديهم أي ارتباط اجتماعي؛ لذلك كان الإقدام على الانتحار سهلًا بالنسبة لهم، ولقد انتهت الدراسة إلى أن الثقافة الدينية هي علاج مناسب لظاهرة الانتحار والتمسك بالحياة.

فلا يُتصور أن ينعم أي إنسان بحياة سعيدة ومطمئنة وهناك انفصال بخالقه وخالق هذا الكون، الذي لم يخلقه عبثًا، والإنسان جزء أصيل من هذا الكون وأية انفصال بخالقه يحدث خللاً ما في كيان ونفسية الإنسان، فالإنسان الملحد عندما يقرر التخلي عن فطرته وإيمانه بوجود خالق عظيم لهذا الكون ويبدأ المضي في طريق الإنكار ذلك، ومهما وصل بعدها في تحقيق أحلامه وأهدافه الدنيوية سيظل هناك جانب مظلم يُخيم عليه، هو أشبه باختناق الروح، فيشعر دائماً أن هناك إشكالية نفسية تواجهه، لاسيما أن الروح من روح الله، فكيف يسعد الإنسان ويطمئن وهناك انقطاع تام بالخالق؟! إذ لا بد أن يحدث خلل كبير في نفس وروح الإنسان جراء هذا الخواء.

والعجيب أنّ هناك من الملحدين من يبررون ويمدحون ذلك، فهم يرون أن الملحد شخص ذكي، حيث استطاع استيعاب أن الحياة ليس لها معنى، ومن ثم يترتب على ذلك عدم رغبته في العيش مع البشر، وما قد يعقبه من اتخاذ قرار بالتخلص من حياته.

وكثيرًا ما يزعم الملحد أن إلحاده لم يمنعه من الحرية المطلقة، وأنه قد منحه الكثير من السعادة، وقطعًا هذا الأمر غير حقيقي، لأن النتيجة المترتبة على إلحاده والحتمية أيضا، هو إما العودة إلى إيمانه بخالقه أو الانتحار.

المبحث الثامن: قائمة المنتحرين من الملاحظة.. طويلة ومستمرة

ولقد أظهرت الدراسة -التي أعدها كل من: الدكتور "جوس مانويل" والباحثة "أليساندرا فليشمان"- أن أعلى نسبة للانتحار على الإطلاق كانت بين الملحدين واللادينيين.

كما أكدت الدراسة أيضًا على أن نسبة الانتحار زادت كثيرًا في الخمسين سنة الماضية، باعتبارها الحقبة التي شهدت معدلات مطردة في تفشى ظاهرة الإلحاد.

وفي دراسة أخرى أجراها باحثون أمريكيون العام 2004 بهدف بحث علاقة الانتحار بالدين، انتهت إلى أن أكثر المنتحرين هم الملحدون.

لقد بات انتحار الملحدين في العالم أمرًا جليًا ولافتًا للنظر، ولا يُحتجج للتأكد من حقيقة ارتفاع نسبة المنتحرين

إلى دراسة، ففي أوروبا توجد جروبات للملحدين يتم من خلالها الاتفاق على اختيار يوم معين وساعة محددة للانتحار الجماعي؛ فكيف لأي إنسان يعيش دون أن يعرف ماهية وجوده على الأرض؟، كيف أعيش وأنا أعلم أن الكون ليس له إله وأن حياتنا مجرد رحلة عبثية ثم نفنى دون جدوى؟

ولذلك لن نستغرب عودة الكثير من ملحدي العرب إلى الإسلام مرة أخرى بعد سنوات قليلة من إلحادهم، حيث أدركوا أن السعادة والحرية ليس في التحرر من القيود التي يفرضها الدين كما كانوا يزعمون، وأن الفطرة البشرية التي خلق الله عليها الإنسان هي فقط منبع السعادة الحقيقي، وأن فكرة التخلص من الدين كونه يفرض قيودًا، هي المعنى الحقيقي للعبثية، فأنى لمجتمع أن يعيش دون ضوابط وقوانين تنظم حياة البشر فيه؟ وفي الوقت الذي يتباهى فيه الملحدون بأنهم أكثر حرية من أولئك المتدينين، ويعيبون عليهم التزامهم بثوابت دينية وأخلاقية واجتماعية وإنسانية، فإنَّ قائمة المنتحرين ما زالت طويلة ومستمرة، كما أن الإحصائيات والدراسات تؤكد أنهم الأكثر يأسًا وإحباطًا وتفككًا وتعاسة من غيرهم، وأنَّ كثيرًا منهم يُنهي حياته انتحارًا على طريقة (نعيمة البزار) صاحبة روايتي: (في خدمة الشيطان) و(عشاق الشيطان).

وهنا ثمة قصة قصيرة لحياة بائسة، لها نفس البداية، والحبكة الدرامية، والنهاية:

تبدأ القصة بالتمرد على الإسلام، ثم التحول إلى الإلحاد، والإباحية، فيحوله إعلام الغرب إلى بطل، ثم يستخدمه رأس حربة ضد قيم ومبادئ الدين الإسلامي القويم، أو يتخذه وقودًا ضد المسلمين، ثم يعيش المتمرد في حواضر الغرب، فيذبل رونقه الكاذب، وينطفئ بريقه الزائف، ويتحول إلى شخص تافه بين ملايين التافهين العدميين، ثم ينتحر كمدًا بعد صراع طويل مع الإسلام.

المبحث التاسع: قائمة البلدان الأكثر نسبةً للانتحار

القائمة التالية تقدّر نسب الانتحار حسب البلد طبقًا للبيانات المقدّمة من منظمة الصحة العالمية:

ليتوانيا، روسيا البيضاء، روسيا، كازاخستان، المجر، غيانا، سلوفينيا، لاتفيا، اليابان، كوريا الجنوبية، أوكرانيا، جمهورية الصين الشعبية، سريلانكا، بلجيكا، إستونيا، فنلندا، كرواتيا، صربيا، الجبل الأسود، هونغ كونغ، فرنسا، سويسرا، النمسا، مولدوفا، بولندا، التشيك، الأوروغواي، لوكسمبورغ، الدنمارك، كوبا، سلوفاكيا، سيشل، السويد، بلغاريا، ألمانيا، ترينيداد وتوباغو، رومانيا، سورينام، آيسلندا، نيوزيلندا.

المبحث العاشر: ما قاله مشاهير الملحنين ورؤوس الطغيان لحظة موتهم:

- 1- سيزر بورجيا: "في حياتي كنت أستعد لكل شيء إلا الموت، وأنا الآن أموت ولست مستعداً لهذا".
- 2- توماس هبس (فيلسوف سياسي): "أنا على وشك القفز في ظلام، ولو كنت أملك العالم في هذه اللحظة لدفعته لشراء يوم واحد في الحياة".
- 3- توماس باين: (وهو كاتب ملحد عاش في القرن الثامن عشر)، قال: "أرجوكم لا تتركوني وحيداً، يا إلهي ماذا جنيت لأستحق هذا، لو أن لي العالم كله ومثله معه لدفعت به هذا العذاب، لا تتركوني وحيداً ولو تركتم معي طفلاً فإني على شفير جهنم إنني كنت عميلاً للشيطان".
- 4- السير توماس سكوت: وهو مستشار انجليزي توفي في عام 1594م قال وهو يموت: "حتى لحظات مضت لم أوّمن بوجود إله أو نار، ولكن الآن أنا أشعر بوجودهما حقيقة، وأنا الآن على شفير العذاب وهذه عدالة القضاء الرباني".
- 5- فولتير: وهو فيلسوف فرنسي ملحد مات عام 1777م قال موجهًا كلامه للطبيب المعالج فوشين: "لقد أهملني الرب والناس وسأعطيك نصف ما عندي إذا أبقيتني حيًا لستة أشهر، أنا ميت وسأذهب إلى الجحيم!".
- 6- ممرضة فولتير: "لو أعطيت كل أموال أوروبا فلا أريد أن أرى شخصًا ملحدًا عانى مثله وكان يصبح طوال الليل طلبًا للمغفرة".
- 7- ديفيد هيوم: وهو مؤرخ اسكتلندي وملحد مات عام 1776م قال عنه من رآه في موته: "كان يصيح: النيران تحرقني بلهبها"، وكان يائسًا وقانطًا لدرجة تثير الشفقة.
- 8- نابليون بونابرت: الإمبراطور الفرنسي الذي قتل الملايين لإشباع جنون العظمة عنده وحب حكم العالم قال: "ها أنذا أموت قبل وقتي وأعود إلى باطن الأرض وأنا الإمبراطور الأعظم، شتان ما بين الهاوية التي أقع فيها وبين جنة الخلد".
- 9- السير فرنسيس نيوبرت: رئيس نادي الملحنين البريطانيين، قال لمن حول سريريه وقت موته: "لا تقولوا لي لا يوجد إله، فأنا الآن في حضرته، ولا تقولوا لي لا توجد جهنم فأنا الآن أحس بأني أنزلق فيها تعسًا، وفروا كلامكم فأنا الآن أضيع، إنها النار التي لو عشت ألف سنة لكذبت بها ولو مضت ملايين السنين لما تخلصت من عذابها أه إنها النار!".
- 10- الملك شارلز التاسع: وهو ملك فرنسي قتل عشرات الآلاف من المسيحيين البروتستانت في فرنسا عام 1572م لأنهم على غير دينه الكاثوليكي، قال في موته لأطبائه: "إنني أرى هؤلاء الذين قتلتهم يمرون أمامي وجراحهم تنزف وهم يشيرون إلي، إنني أرى مصيري، لقد أخطأت وضيعت إلى الأبد".
- 11- ديفيد ستراوس: وهو كاتب ملحد ألماني الجنسية، توفي عام 1874م، قال في موته: "لقد خذلتني فلسفتي وأشعر بأنني بين فكي ماكينة ذات أسنان لا أدري في أية لحظة تطحنني!".
- 12- وفي مقابلة مع مجلة (نيوزويك) الأمريكية تحدثت سفتلانا ستالين ابنة الدكتاتور الشيوعي الروسي "جوزيف ستالين" عن لحظة موت أبيها فقالت: "لقد كانت ميتة أبي شنيعة، ففي لحظة موته فتح عينيه فجأة وحملق في الموجودين بنظرة جنونية وغاضبة وأومأ بيده اليسرى إلى شيء ما يحوم فوقنا وكانت إيماة تهديد ثم أسلم الروح".

13- أنتون ليفي: مؤسس كنيسة عبادة الشيطان ومؤلف (إنجيل الشيطان) توفي عام 1997م، كان يصرخ عند موته: "ماذا فعلت؟ لقد ارتكبت خطأ جسيماً"، وكان يطلب الصفح والغفران من الله تعالى: {لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} [ق: 22].

المبحث الحادي عشر: هل الملاحظة أكثر سعادة؟

إذا كان الملاحظة أكثر سعادة، فلماذا ينتحر الشباب في اليابان رغم سُمعتها العالمية بوصفها دولة مزدهرة ومُتقدِّمة تقنياً؟!

إنَّ اليابان تُكابِد ظاهرة اجتماعية خطيرة تتمثَّل في الأعداد الكبيرة للمنتحرين خاصة بين صفوف الشباب. ووفقاً لبيانات عام 2020، بلغ عدد حالات الانتحار في اليابان 919.20 حالة، بزيادة 750 شخصاً (7.3%) مقارنة بأرقام العام السابق، وغالبًا ما تعزو طوكيو زيادة نسب الانتحار إلى انعدام الأمان الوظيفي وزيادة الأعباء المرتبطة برعاية الصغار، فضلاً عن تداعيات فيروس كورونا وما صاحبه من انعدام اليقين بشأن المستقبل، وعُزلة إجبارية تسبَّبت في زيادة مُطرِّدة في معدلات الاكتئاب والاضطرابات النفسية.

نص التقرير:

في الشمال الغربي من جبل فوجي المهيِّب في أوكيغاهارا باليابان، وعلى مد البصر، تقبع مساحة مترامية الأطراف من الأشجار التي نشأت وترعرعت على مدار مئات السنين لتكوِّن غابة أوكيغاهارا الشهيرة أو "بحر الأشجار". صبيحة أحد الأيام، يتوقف الجيولوجي الياباني "أزوسا هايانو" بسيارته عند مدخل الغابة؛ ليبدأ عمله المعتاد في دراسة الثورات البركانية، وحماية البيئة بشكل عام، عمل يضطره -دائمًا- إلى الولوج في ثنايا الغابة الكثيفة إلى قاعدة جبل فوجي الماكث بشموخ كأنه شيخ عجوز يُملي دروس الحياة على زائريه.

يترجل "هايانو" ملتقطاً أغراضه ليبدأ رحلته إلى الشيخ العجوز الثائر عام 864م ملقياً بحممه وقتها على الغابة، ثوران بركاني قديم ساعد الأشجار والنباتات عضوياً على النمو بكثافة؛ لتصبح جذورها متعرجة ممتدة على أرض غير مستوية، ومكوناً -أيضاً- مئات من الأخاديد والكهوف مختلفة الأحجام؛ لتصبح الغابة أرضاً مناسبة للاختفاء أي شيء، وأي شخص!

يتنقل "هايانو" بصعوبة بين الأغصان الكثيفة في المكان الذي يصفه اليابانيون بـ(هوة الفراغ)، بينما تنتشر في أماكن مختلفة لوحات وضعتها الحكومة اليابانية، كُتب على بعضها عبارات غريبة لغير اليابانيين مثل "حياتك عبارة عن هدية ثمينة من والديك، فكر بهما وببقية أفراد عائلتك، لست مضطراً إلى المعاناة وحدك"، لوحات تبدو للوهلة الأولى أنها أخطأت طريقها للغابة؛ بينما يقبع تحت العبارات رقم خط هاتف ساخن.

يتخطى "هايانو" أشرطة ملونة إرشادية رسمية لمنع الزوار من الضياع ومن ثم الموت، وبينما يسير تلفت نظره خيمة صفراء بعيدة نسبياً، يتجه إليها ثم يفحصها مع أغراض أخرى؛ ليقدر أنها هنا منذ بضعة أشهر، وعلى الفور يبدأ "هايانو" في الالتفات ومنظاره فوق عينيه متوقعاً على الأغلب ما سيجد، ثم يقترب من شيء يبدو وكأنه ملابس شخص ما ليجدها جثة متحللة، وجوارها على ساق إحدى الأشجار خشبة معلقة كُتب عليها اسم الشخص، وعبارة "لقد جئت إلى هنا؛ لأنه لا شيء جيد يحدث في حياتي"، مشهد يليق بفيلم رعب مألوف في وقت آخر؛ لكن "هايانو" اعتاد على ما وجد، فهذه ليست مرته الأولى، وقد عثر قبلاً؛ وحتى حينه؛ على أكثر من مئة جثة أثناء ممارسة عمله في الغابة، غابة تحولت بشكل ما إلى أرض للموت.

شهرُ الرُّعبِ الياباني:

في المعتاد، فإن ظاهرة مثل الانتحار ليس لها وقت نمطي، إلا أن اليابان خالفت القاعدة غير المكتوبة، وأصبحت تُعرَف منذ وقت ليس بالقصير شيئاً أشبه بشهر رعب ياباني، أو سبتمبر /أيلول من كل عام.

تنتهي عطلة الصيف وتبدأ الدراسة في بداية سبتمبر /أيلول، وهو أمر يرتبط ارتباطاً وثيقاً بألة الانتحار اليابانية

العملقة؛ ففي دراسة حكومية من قبل مكتب رئيس الوزراء الياباني، غطت أكثر من 18 ألف حالة انتحار، في الفترة بين عامي 1972 و2013، وفي شريحة عمرية خاصة بالأطفال والمراهقين الذين تقل أعمارهم عن 18 عامًا، عرفت اليابان من خلالها أن معظم الأطفال الذين أقدموا على الانتحار، تخلصوا من حياتهم في أواخر شهر أغسطس/آب، وخلال شهر سبتمبر/أيلول، ومنتصف شهر أبريل/نيسان، على الترتيب؛ أي أن حالات الانتحار تزداد مع بداية العام الدراسي والتحاق الطلاب بالمدارس، فضلًا عن أن عدد حالات الانتحار كان أقل في منتصف العطلات، وبينت أن السبب الرئيس للانتحار بين طلاب المدارس الابتدائية والإعدادية هو المشاكل العائلية المتمثلة في التوبيخ من الوالدين والاحتكاك المستمر معهم.

ولا يقتصر الأمر على المشاكل العائلية فقط؛ وإنما يمتد ليصل لما يعرفه العالم بـ(التنمر)؛ حيث تساهم مضايقات الطلاب لبعضهم البعض في المدارس في انتحار الضعفاء منهم، وتمثل العودة المدرسية من إجازة الصيف كابوسًا نفسيًا، الكثير من الطلاب غير مؤهلين للتعامل معه.

وفي عام 2006، وبعد إجراء تحريات دقيقة حول الأطفال المنتحرين، لاحظ رجال الشرطة أن معظمهم كانوا يتعرضون لضغوط مدرسية متواصلة، وأنها هي المصدر الأساس لمشاكلهم. فتقول المعلمة "يومي ناكاتا": "إذا كنت من اليابان؛ فإنك حتمًا تعرف شخصًا منتحرا أو اثنين، فأنا أعرف شخصين، إحداهما فتاة درست معي في المدرسة الثانوية، وقامت بشنق نفسها؛ لأنها كانت تتعرض لمضايقات من قبل أصدقائها في المدرسة".

كما تشكل امتحانات القبول ضغطًا آخر على المراهقين والشباب؛ لأنها تعتبر من أصعب الاختبارات على مستوى العالم، ويواجهها الطالب منذ صغره، فإلى جانب المدرسة، يذهب طلاب المدرسة الابتدائية وكذلك الإعدادية إلى ما يسمى بـ(مدرسة الإلزام)، وهي عبارة عن مدارس متخصصة تدرب الطلاب على تحقيق أهداف معينة؛ مثل الحصول على درجات جيدة، أو اجتياز امتحانات القبول في المدارس الثانوية أو الجامعات، وهو الأمر الذي يقوم به طلاب المدارس الثانوية؛ لاجتياز مرحلة القبول فيها، ثم يقومون بذلك مرة أخرى للانتحاق بالجامعة.

ومن ثم يولد التعرض لمثل هذه الاختبارات في مرحلة عمرية مبكرة، مع استمرارها لسنوات، حالة من الضغط والقلق الهائل خشية الفشل في اجتياز أيٍّ منها؛ وبالتالي يبدو الانتحار هنا مخرجًا مثاليًا.

ويستمر الضغط النفسي الواقع على الشباب أثناء وبعد تخرجه من الجامعة أيضًا، فيجري العرف على أن يتم التوظيف في وقت واحد من كل عام للخريجين، فتبدأ الشركات في البحث عن الطلاب المؤهلين أثناء الجامعة وبعد التخرج كل عام في موعد محدد.

ومن ثم يكون هناك تنافس كبير من قبلهم على هذه الوظائف، وترتبط حياة الشاب بهذه الوظيفة، فإذا ما فشل في الحصول عليها، يعني هذا أن حياته أصبحت محكومًا عليها بالفشل وميئوسًا منها؛ ومن ثم يميل إلى الشعور بالاكتئاب. ويضع هذا النظام الطلاب في ضغط هائل؛ لأن عليهم البحث وإعداد أنفسهم للوظائف أثناء الدراسة. وتصنف اليابان من البلدان الأكثر تنافسية حينما يتعلق الأمر بالحصول على الوظائف المرموقة، فيكون التنافس عنيفًا حد التخلص من الحياة في حال الفشل، ويشكل الانزواء والانطواء أو ما يعرف بظاهرة "هيكيكوموري" أولى علامات الانتحار، وهي تعني الانسحاب الاجتماعي الحاد، حيث ينسحب الشباب من الحياة الاجتماعية تمهيدًا؛ للتخلص من حياتهم بالكلية. وتُعرف وزارة الصحة والعمل والرفاه اليابانية "الهيكيكوموري" بأنهم الأشخاص الذين يرفضون مغادرة منازلهم حيث يبدأ الشباب في الانعزال في غرفته الخاصة لمدة أشهر وربما سنوات دون الخروج، إلى أن يقرر التخلص من هذا الجحيم.

وإذا ما حصل الشاب على الوظيفة بعد التخرج، فربما يصبح عرضة لظاهرة "الكاروشي" والتي تعني: "الموت إرهافاً من العمل"، فثقافة العمل المرهقة منتشرة ومتجذرة في المجتمع الياباني بشكل غير مألوف، وفي بعض الأحيان يدفع الإرهاق العقلي والجسدي الأفراد إلى الانتحار.

ففي البلاد العربية وأغلب دول العالم، هناك أنشطة بدمية مثل قضاء بعض الوقت مع العائلة، والقيام بالأشياء المفضلة لكل شخص، أما في اليابان فمسألة التوازن بين العمل والحياة غير مطروحة بالأساس؛ ومن ثم يظل الفرد عاملاً بلا هوادة إلى أن تنهار قواه العقلية والنفسية، ويقرر التخلص من حياته.

ويبدو أن الأمر له جذوره التاريخية، ففي العام 1970 كانت الأجور زهيدة، وأدى ذلك إلى كثرة الطلب على الموظفين؛ لتعظيم أرباح أصحاب العمل وتوسيع عملياتهم، وفي منتصف عقد الثمانينيات حدثت تشوهات في النظام الاقتصادي في البلاد، أدت إلى تغذية أسعار الأسهم والعقارات؛ فأخذت ترتفع إلى مستويات قياسية؛ لينتج عن ذلك طفرة في النمو الاقتصادي عرفت باسم "اقتصاد الفقاعة"، ونمت شريحة أطلق عليها "العمال ذوو الياقات البيضاء".

وفي ذروة اقتصاد الفقاعة، كان يعمل 5% من سكان البلاد حوالي 60 ساعة أسبوعياً، أي أضعاف ساعات العمل في الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا في ذلك الوقت، وبالتالي حدثت نهضة اقتصادية أوصلت اليابان لتكون ثاني أكبر قوة اقتصادية في العالم آنذاك.

وفي العام 1990 انفجرت الفقاعة، وأدت إلى إعادة هيكلة الشركات، فيما عرف حينها بمصطلح "العقد الضائع"، وكان الموظفون يتعمدون البقاء في العمل خشية أن يتم تسريحهم.

وحينما دخلت العمالة غير النظامية، تشبث النظاميون بأعمالهم أكثر، وأصبحوا يكدحون بشكل أكبر، وأحياناً دون مردود مادي أو أمان وظيفي، فقط بغية عدم تسريحهم من الوظيفة.

ويتحدث "كوجي موريوكا" الأستاذ الفخري بجامعة كانساي، والذي يتأخر لجنة من الخبراء الذين يقدمون المشورة للحكومة اليابانية حول سبل مكافحة ظاهرة "كاروشي"، قائلاً: "في أماكن العمل اليابانية، هناك دائماً العمل الإضافي، وهو يبدو كما لو أنه جزء من ساعات العمل المقررة تقريباً، وهو ليس إجبارياً من صاحب العمل، ولكن العمال يشعرون كما لو أنه إلزامي".

وتقدر ساعات العمل الأساسية بـ 40 ساعة في الأسبوع، ولكن العمال لا يتركون الساعات الإضافية أيضاً، خوفاً من الحصول على تقييم أداء سلبي وهو ما أدى إلى نشوء مفهوم "خدمة العمل الإضافي"، تلك الخدمة التي أصبحت مجانية.

ويقدر الخبراء عدد "الكاروشي" أو من يعملون بإرهاق يقود للموت بالآلاف، فوفقاً لمجلس الدفاع الوطني لضحايا "الكاروشي"، فإن أعداد الموتى يصل إلى 10 آلاف سنوياً.

"كيوتاكا سيريزاوا": يبلغ من العمر 34 عاماً، ويعمل في شركة لصيانة المباني السكنية، ووصلت ساعات عمله إلى 90 ساعة أسبوعياً؛ أي ما يقرب من 13 ساعة يومياً دون عطلات؛ حيث كان يعمل مشرفاً على عمال نظافة المباني في ثلاثة مواقع منفصلة في مدينة "كاشيوا" شمال شرق طوكيو؛ ومن ثم كان يكافح من أجل استمرار سير العمل.

تقدم "سيريزاوا" باستقالته قبل عام ولكن تم رفضها، وكان يتوقف أحياناً عند منزل والديه لينام قليلاً؛ بينما يتابع عمله بين المواقع، وفي 26 يوليو/تموز 2015 اختفى "كيوتاكا" بلا أثر، ولم يعثروا عليه لثلاثة أسابيع كاملة،

ثم وجدوا جثته في سيارته في مقاطعة ناغانو، قريبًا من المكان الذي كان يذهب إليه مع عائلته في العطلات للتخييم وهو طفل؛ حيث قام بإحراق قطع من الفحم في سيارته، منتحرًا بالتسمم بغاز أول أكسيد الكربون. "ماتسوري تاكاهاشي": صاحبة الـ 24 عامًا، وخريجة جامعة طوكيو المرموقة، في بداية عام 2016 قامت بالقفز من عنبر النوم بالشركة التي كانت تعمل فيها، حيث أعلن مكتب العمل أن "تاكاهاشي" طُلب منها العمل لمدة 100 ساعة أو أكثر من العمل الإضافي في الشهر الواحد، وعلى مدار الأشهر الأخيرة في حياتها، في وكالة الإعلانات البارزة دنتسو، وغالبًا ما كانت تحصل على أقل من ساعتين للنوم ليلاً، ونادرًا ما كانت تأخذ يوم عطلة.

النظرة التاريخية للانتحار في اليابان:

يمكن تفسير هذا الأمر من النظرة التاريخية لدى اليابانيين حول الانتحار، ففي الدين الإسلامي، يعد الانتحار محرّمًا، في حين نجده في البوذية فضيلة، ورمزا لتحمل المسؤولية أو كما يسمى "انتحار الشرفاء". كما أن المحارب القديم أو الساموراي كان يمارس طقوس الانتحار أو "هارا كيري"؛ وذلك لتجنب القبض عليه وتعذيبه، حتى لا يظهر بمظهر الضعيف أو الجبان، يتحسس معدته في هدوء ثم يقوم بغرس سيف أو خنجر حاد فيها، وهو يرتدي الثوب الأبيض، قبل أن يهبط محارب آخر بالسيف على عنقه، وكذا فعلها "الكاميكاز" في الحرب العالمية الثانية بعد الهزيمة، ومن ثم فلا يُنظر إلى الانتحار بشكل عام في اليابان كونه فعلًا مشينًا.

الباب الثامن: الأخلاق عند الملاحدة.

ويشتمل على المباحث التالية:

من ادعاءات الملاحدة: نسبية الأخلاق.

مفهوم الأخلاق في الإسلام.

الانحطاط النفسي والأخلاقي وراء الإلحاد.

الإلحاد والأخلاق الفاضلة.. طرقي نقيض.

إذا كان الإله خرافة، فكل شيء مباح.

المبحث الأول: مِنْ ادِّعَاءَاتِ الْمَلَاحِدَةِ: نِسْبِيَّةُ الْأَخْلَاقِ

أَمَّا دَوَاعِي الْكُفْرِ بِالْخَالِقِ بَعْدَ وُضُوحِ الْأَدَلَّةِ عَلَى وُجُودِهِ فِيهِ حَتْمًا دَوَاعٍ تَسْتَنِدُ إِلَى مَجْمُوعَةٍ مِنْ رِذَائِلِ الْأَخْلَاقِ، مِنْهَا الْكِبْرُ، وَمِنْهَا ابْتِغَاءُ الْخُرُوجِ عَلَى طَاعَةِ مَنْ تَجِبُ طَاعَتُهُ؛ اسْتِجَابَةً لِأَهْوَاءِ الْأَنْفُسِ وَشَهَوَاتِهَا، وَمِنْهَا نُكْرَانُ الْجَمِيلِ وَجُحُودُ الْحَقِّ...⁽⁵⁶¹⁾

يَعْمَلُ الْمَلَاحِدَةُ وَالْمَادِّيُونَ وَأَذْنَابُهُمْ فِي خُطَطِ خَبِيثَةٍ مَآكِرَةٍ عَلَى هَدْمِ صَرَحِ الْأَخْلَاقِ مِنْ خِلَالِ دَعْوَى أَنَّ الْأَخْلَاقَ أُمُورٌ اعْتِبَارِيَّةٌ نِسْبِيَّةٌ لَا ثَبَاتَ لَهَا، تَخْتَلِفُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَمِنْ زَمَانٍ إِلَى زَمَانٍ، وَمِنْ أُمَّةٍ إِلَى أُمَّةٍ؛ فَالَّذِي يُعْتَبَرُ مُنَافِيًا لِلْأَخْلَاقِ عِنْدَ شُعْبٍ مِنَ الشُّعُوبِ لَا يُعْتَبَرُ مُنَافِيًا لِلْأَخْلَاقِ عِنْدَ شُعْبٍ آخَرَ، وَبَعْضُ مَا كَانَ مُسْتَنْكَرًا فِيمَا مَضَى قَدْ يُعْتَبَرُ مُسْتَحْسَنًا فِي عَصْرِ آخَرَ؛ فَالْأَخْلَاقُ عِنْدَ هَؤُلَاءِ مَفَاهِيمٌ اعْتِبَارِيَّةٌ تَتَوَاضَعُ عَلَيْهَا الْأُمَمُ وَالشُّعُوبُ، وَلَيْسَ لَهَا ثَبَاتٌ فِي حَقِيقَتِهَا.

(وَأَنَّ سَبَابَ الْمُغَالَطَةِ عِنْدَ أَصْحَابِ فِكْرَةِ نِسْبِيَّةِ الْأَخْلَاقِ، تَرْجِعُ إِلَى ثَلَاثَةٍ:

الأوَّلُ: تَعَمِيمُهُمْ اسْمَ الْأَخْلَاقِ عَلَى أَنْوَاعٍ كَثِيرَةٍ مِنَ السُّلُوكِ الْإِنْسَانِيِّ؛ فَلَمْ يُمَيِّزُوا الظَّوَاهِرَ الْخُلُقِيَّةَ عَنِ الظَّوَاهِرِ الْجَمَالِيَّةِ وَالْأَدْبِيَّةِ، وَعَنِ الْعَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَعَنِ التَّعَالِيمِ وَالْأَحْكَامِ الْمَدْنِيَّةِ أَوْ الدِّيْنِيَّةِ الْبَحْتَةِ، فَخَشَرُوا مُفْرَدَاتِ كُلِّ هَذِهِ الْأُمُورِ تَحْتَ عُنْوَانِ الْأَخْلَاقِ، فَأَفْضَى ذَلِكَ بِهِمْ إِلَى الْخَطِّ الْأَكْبَرِ، وَهُوَ حُكْمُهُمْ عَلَى الْأَخْلَاقِ بِأَنَّهَا أُمُورٌ اعْتِبَارِيَّةٌ نِسْبِيَّةٌ.

الثَّانِي: أَنَّهُمْ جَعَلُوا مَفَاهِيمَ النَّاسِ عَنِ الْأَخْلَاقِ مَصْدَرًا يُرْجَعُ إِلَيْهِ فِي الْحُكْمِ الْأَخْلَاقِيِّ، مَعَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْ هَذِهِ الْمَفَاهِيمِ أخطاءً فادحةً، وَفَسَادًا كَبِيرًا يُرْجَعُ إِلَى تَحَكُّمِ الْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ وَالْعَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ فِيهَا، وَيُرْجَعُ أَيْضًا إِلَى أُمُورٍ أُخْرَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَالتَّحَرِّيِ الْعِلْمِيِّ يَطْلُبُ مِنَ الْبَاحِثِينَ أَنْ يَتَّبِعُوا جَوْهَرَ الْحَقِيقَةِ حَيْثُ تَوَجَّدَ الْحَقِيقَةُ، لَا أَنْ يَحْكُمُوا عَلَيْهَا مِنْ خِلَالِ وَجْهَةٍ نَظَرَ النَّاسِ إِلَيْهَا، فَكُلُّ الْحَقَائِقِ عُرْضَةٌ لِأَنَّ يُثْبِتَهَا مُثْبِتُونَ، وَيُنْكِرُهَا مُنْكِرُونَ، وَيَتَشَكَّكُ بِهَا مُتَشَكِّكُونَ، وَيَتَلَاعَبَ فِيهَا مُتَلَاعِبُونَ، وَمَعَ ذَلِكَ تَبْقَى عَلَى ثَبَاتِهَا، لَا تُؤَيَّرُ عَلَيْهَا آرَاءُ النَّاسِ فِيهَا.

الثَّالِثُ: اعْتِمَادُهُمْ عَلَى أَفْكَارِهِمْ وَضَمَائِرِهِمْ فَقَطْ، وَجَعَلُوا الْمِقْيَاسَ الْوَحِيدَ الَّذِي تُقَاسُ بِهِ الْأَخْلَاقُ.

المبحث الثاني: مفهوم الأخلاق في الإسلام

أَمَّا مَفَاهِيمُ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهَا قَدْ مَيَّزَتِ الْأَخْلَاقَ عَمَّا سِوَاهَا، وَمَيَّزَتِ السُّلُوكَ الْأَخْلَاقِيَّ عَنِ سَائِرِ أَنْوَاعِ السُّلُوكِ الْإِنْسَانِيِّ، فَلَمْ تُعَمِّمْ تَعَمِيمًا فَاسِدًا، وَلَمْ تُدْخِلْ فِي مُفْرَدَاتِ الْأَخْلَاقِ مَا لَيْسَ مِنْهَا، وَهِيَ أَيْضًا لَمْ تَعْتَمِدْ عَلَى مَفَاهِيمِ النَّاسِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَلَمْ تَتَّخِذْهَا مَصْدَرًا يُرْجَعُ إِلَيْهِ فِي الْحُكْمِ الْأَخْلَاقِيِّ، وَأَمَّا الْعَقْلُ وَالضَّمِيرُ فَإِنَّهُمَا لَمْ تُهْمِلْهُمَا وَإِنَّمَا قَرَّبَتْهُمَا بِعَاصِمٍ يَرُدُّهُمَا إِلَى الصَّوَابِ كُلَّمَا أَخْطَأَ سَبِيلَ الْحَقِّ وَالْهُدَايَةِ وَالرَّشَادِ، وَهَذَا الْعَاصِمُ هُوَ الْوَحْيُ الَّذِي نَزَلَ بِدِينِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، وَشَرَائِعُهُ لِخَلْقِهِ، وَتَعَالِيمُهُ الَّتِي لَا يَأْتِيهَا الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا وَلَا مِنْ خَلْفِهَا؛ لِأَنَّهَا تَنْزِيلٌ مِنْ عَزِيزٍ حَكِيمٍ، وَقَدْ بَلَّغَهَا رُسُلُهُ، أَمَّا صُورَتُهَا الْمُثَلِّي الْمَحْفُوظَةُ مِنَ التَّغْيِيرِ فِيهَا مَا ثَبَتَ فِي نُصُوصِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُتْرَكَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

فَمَنْ تَبَصَّرَ بِالْأَصُولِ الْعَامَّةِ لِلْأَخْلَاقِ فِي الْمَفَاهِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَتَبَصَّرَ بِأَنَّ الْأَخْلَاقَ الْإِسْلَامِيَّةَ مُقْتَرَنَةٌ بِالْوَصَايَا وَالْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي الرَّبَّانِيَّةِ، وَتَبَصَّرَ بِأَنَّ هَذِهِ الْوَصَايَا وَالْأَوَامِرَ وَالنَّوَاهِيَ مَحْفُوفَةٌ بِقَانُونِ الْجَزَاءِ الْإِلَهِيِّ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ لَهُ بَجَلَاءٍ أَنَّ الْأَخْلَاقَ الْإِسْلَامِيَّةَ هِيَ حَقَائِقُ فِي ذَاتِهَا، وَهِيَ ثَابِتَةٌ مَا دَامَ نِظَامُ الْكَوْنِ

(561) مَوْسُوعَةُ الْأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ، مَوْقِعُ الدَّرَرِ السَّنِيَّةِ عَلَى الْإِنْتَرْنِيتِ.

وَنِظَامُ الْحَيَاةِ وَنِظَامُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أُمُورًا مُسْتَمِرَّةً ثَابِتَةً، وَهِيَ ضِمْنِ الْمَفَاهِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ الصَّحِيحَةِ غَيْرُ قَابِلَةٍ لِلتَّغْيِيرِ وَلَا لِلتَّبَدُّلِ مِنْ شَعْبٍ إِلَى شَعْبٍ، وَلَا مِنْ زَمَانٍ إِلَى زَمَانٍ.
أَمَّا الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فَهِيَ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ لَا تَتَوَاضَعُ فِيمَا بَيْنَهَا عَلَى مَفَاهِيمٍ تُخَالِفُ الْمَفَاهِيمَ الَّتِي بَيَّنَّهَا الْإِسْلَامُ، وَالَّتِي أَوْضَحَهَا فِي شَرَائِعِهِ وَوَصَايَاهُ.

وَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى مُفْرَدَاتِ الْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَجَدْنَا أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا -ضِمْنِ شُرُوطِهَا وَقِيُودِهَا وَضَوَابِطِهَا- ذَاتُ حَقِيقَةٍ ثَابِتَةٍ، وَهِيَ غَيْرُ قَابِلَةٍ فِي الْمَنْطِقِ السَّلِيمِ لِلتَّحَوُّلِ مِنْ حَسَنٍ إِلَى قَبِيحٍ، أَوْ مِنْ قَبِيحٍ إِلَى حَسَنٍ. إِنَّ حُسْنَهَا حَسَنٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَقَبِيحُهَا قَبِيحٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَلَا يُؤَثِّرُ عَلَى حَقِيقَتِهَا أَنْ تَتَوَاضَعَ بَعْضُ الْأُمَّمِ عَلَى تَقْبِيحِ الْحَسَنِ مِنْهَا، أَوْ تَحْسِينِ الْقَبِيحِ؛ تَأَثُّرًا بِالْأَهْوَاءِ، أَوْ بِالشَّهَوَاتِ، أَوْ بِالتَّقَالِيدِ الْعَمِيَاءِ.

إِنَّ الْإِسْلَامَ يُقَرِّرُ أَنَّ حُبَّ الْحَقِّ وَكَرَاهِيَةَ الْبَاطِلِ فَضِيلَةٌ خُلُقِيَّةٌ، وَيُقَرِّرُ أَنَّ كَرَاهِيَةَ الْحَقِّ وَحُبَّ الْبَاطِلِ رَذِيلَةٌ خُلُقِيَّةٌ، فَهَلْ يَشْكُ أَحَدٌ سَوِيٌّ عَاقِلٌ فِي أَنَّ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ حَقِيقَةٌ ثَابِتَةٌ غَيْرُ قَابِلَةٍ لِلتَّحَوُّلِ وَلَا لِلتَّغْيِيرِ، وَإِنْ تَوَاضَعَ عَلَى خِلَافِهَا جَمَاعَةٌ ذَاتُ أَهْوَاءٍ؟! وَهَكَذَا سَائِرُ الْأَمْثَلَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ).⁽⁵⁶²⁾

المبحث الثالث: الانحطاط الأخلاقي والنفسى وراء الالحاد

إِنَّ هَذَا التَّحَوُّلَ فِي الْإِلْحَادِ لَمْ يَكُنْ وَلِيدَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، بَلْ جَاءَ نَتِيجَةً مَرَّحِلَ مِنَ الْإِنْحِطَاطِ الَّتِي مَرَّتْ بِهَا الْمَجْتَمَعَاتُ الْأُورُوبِيَّةُ؛ هَذِهِ الْمَجْتَمَعَاتُ الَّتِي كَانَتْ تَرَى نَوْعًا مَا أَنَّ الشُّذُوزَ الْجِنْسِيَّ هُوَ مَرَضٌ وَانْحِرَافٌ، وَكَانُوا يَعْرِفُونَ الشَّاذَّ، بِأَنَّهُ: (هُوَ الَّذِي يَمَارِسُ انْحِرَافَاتٍ، أَوْ صُورَ نَشَاطٍ تَنَاسَلِيٍّ لَيْسَ فِي اتِّفَاقٍ مَعَ الثَّقَافَةِ، أَوْ الْأَعْرَافِ الْعَامَةِ لِمَجْتَمَعِهِ).⁽⁵⁶³⁾

أَذْكَرُ فِي أَلْمَانِيَا، وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْبُلْدَانِ الْأُورُوبِيَّةِ الْأُخْرَى كَانَ الشَّبَابُ يَتَقَاذَفُونَ بِالسَّبَابِ، وَعِبَارَاتِ الْإِنْتِقَاصِ، كَقَوْلِهِمْ لِبَعْضٍ: "schwul" أَوْ "Lesbe" وَالَّتِي مَعْنَاهَا "يَا شَازَ جِنْسِيًّا".

ثُمَّ ذَابَتْ هَذِهِ الْمَفَاهِيمُ بِالتَّدرِجِ، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ لَيْسَ اتِّسَاعُ دَائِرَةِ الشُّوَازِ وَالغَارِقِينَ بَيْنَ النِّخْبِ السِّيَاسِيَّةِ مِنْ نَاحِيَّةٍ، وَبَيْنَ عَوَائِمِ النَّاسِ مِنْ نَاحِيَّةٍ أُخْرَى، وَلَكِنِ السَّبَبُ الرَّئِيسِيَّ وَرَاءَ ذَلِكَ هُوَ مَحَاوَلَةُ الْإِعْتِرَافِ بِهَا رَسْمِيًّا ضِمْنَ نَسِيحِ الْمَجْتَمَعِ، وَاسْتِبْدَالِ وَصْفِ الشُّذُوزِ الْجِنْسِيِّ بِالْفَازِ أُخْرَى تُشَجِّعُ عَلَيْهِا، مَعَ إِضْفَاءِ صِبْغَةٍ عِلْمِيَّةٍ كَازِبَةٍ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ إِنتَاجِ أبحاثٍ وَأفلامٍ عِلْمِيَّةٍ، وَإِسْنَادِ الْخُطَابِ الطَّبِيِّ لِتَقْرِيرِ هَذَا الْإِنْحِرَافِ وَفَرَضِهِ عَلَى الْمَجْتَمَعِ.

وَلَيْسَ هَذَا فَحَسَبَ، بَلْ تَجَاوَزَ الْأَمْرَ إِلَى مَسْتَوَى آخَرَ مِنْ بَدَلِ الْجُهُودِ الْمُضْنِيَّةِ؛ لِجَعْلِ الْمُثَلِيَّةِ الْجِنْسِيَّةِ سَلُوكًا مَقْبُولًا عَلَى الْمَسْتَوَى الْفَرْدِيِّ وَالْجَمَاعِيِّ، حَيْثُ تُغَسَلُ أَدْمَغَةُ الْأَطْفَالِ فِي سَنٍ مَبْكَرٍ بِالمَدَارِسِ الْحُكُومِيَّةِ، فَضْلًا عَنْ مَحَاوَلَةِ إِقْنَاعِهِمْ بِأَمْرٍ لَا يَقِلُّ بِشَاعَةَ عَنْ ذَلِكَ، وَهُوَ التَّحَوُّلُ الْجِنْسِيَّ، إِذْ يَتِمُّ دَفْعُ الطَّلَابِ وَالطَّلَابَاتِ إِلَى التَّفَكِيرِ فِي تَحَوُّلِهِمْ إِلَى جِنْسٍ ثَالِثٍ - لَا هُمْ بِالذَّكَورِ، وَلَا هُمْ بِالإِنَاثِ!-، حَيْثُ يَبَادِرُونَهُمْ بِاقْتِرَاحِ عِنَاوِينَ عِيَادَاتٍ مُتَخَصِّصَةٍ فِي إِجْرَاءِ عَمَلِيَّاتٍ جِرَاحِيَّةٍ؛ وَذَلِكَ لِضَخِّ الهَرْمُونَاتِ بِأَجْسَادِهِمْ؛ يَهْدَفُ تَسْرِيْعَ عَمَلِيَّةِ التَّحَوُّلِ قَبْلَ أَنْ يَغْيِرُوا آرَاءَهُمْ.

وَلَمْ يَعِدْ الْأَمْرَ مَقْتَصِرًا عَلَى رَغْبَتِهِمْ فِي جَعْلِ تِلْكَ الْقَضِيَّةِ الْمُشْتَوِّمَةِ مَقْبُولَةً اجْتِمَاعِيًّا، وَإِنَّمَا بَجَعْلِهَا أَمْرًا يُفْتَخَرُ بِهِ وَذَلِكَ بِإِفْتِعَالِ مَظَاهِرَاتٍ عَلَنِيَّةٍ تُرَوِّجُ لِهَذَا الْمُتَحَدِّرِ الْعَفْنِ.

(562) ((الأخلاق الإسلامية وأسسها)) لعبد الرحمن حبنكة الميداني (1/91) بتصرف.

(563) آثار ونتائج الانحرافات الفكرية - الإلحاد نموذجًا: أنور بن قاسم الخضيري، ص 20.

المبحث الرابع: الإلحاد والأخلاق الفاضلة.. طرفي نقيض

لا غرو أنَّ الإلحاد يقضي على كل خلق جميل مما تقبله الفطر السليمة، ويشجع على كل آفةٍ، وجريرة، ويدفع إلى كل إثمٍ وِزِيلَةٍ مما تابها النفوس النبيلة.

لقد بلغت رذائل الإلحاد من القبح مبلغًا عظيمًا، لا يطيقها أكثرية الملاحدة أنفسهم، كجرائم الإجهاض، وقتل المشوهين، والمعاقين، وكبار السن والمرضى وعلى وجه الخصوص المرضى النفسيين وغيرهم ممن لا حول لهم ولا قوة.

تلك المَثَالِبُ وَالسَّوَأَاتِ دفعَت البعض إما إلى إنهاء حياته، معتقدًا أن هذا سَيُرِيحُهُ من الألم النفسي الذي يصارعه بلا هوادة، وإما استمراء معيشة الضنك التي يَعِيشُهَا، دون محاولة منه للخروج من تلك الشرنقة التي أَسَرَ نفسه في جَوْفِهَا، أو محاولة البحث عن دين!، إذ لا بد من وجود إله يُصَمَدُ إليه في الحوائج، وَيُسْتَنْدُ عليه في المَدْلَهَمَاتِ، والنوازل الشديدة؛ فهي فطرة أودعها الله في النفوس، حتى وإن خَفَت نُورُهَا لدى من استهوتهم الشياطين واجتالتهم.

المبحث الخامس: إذا كان الإله خرافة فكل شيء مباح!

يقول فيودور دوستويفسكي⁽⁵⁶⁴⁾: "إذا لم يكن الإله موجودًا فكل شيء مباح".

لا تكاد تمرّ مناظرة حول موضوع الإلحاد، والإيمان بالله إلا ويتم مناقشة (موضوع الإلحاد والأخلاق)، والتساؤل حول إمكانية تأسيس أرضية أخلاقية بناء على غياب الإله أم لا؟ ففي مناظرة شهيرة مع الداعية حمزة تزورتيس، سئل الفيزيائي الشهير الملحد لورنس كراوس: "لماذا يُعتبر زنا المحارم خطأ؟" فردّ قائلاً: "ليس من الواضح بالنسبة إليّ أنه خطأ"، ولاقى الردّ استهجان الجمهور بشكل كبير.

يَعْتَبِرُ أغلب المؤمنين -إن لم يكن كلهم- أن إنكار وجود الله هو إنكار لوجود أساسٍ موضوعيٍّ للأخلاق، ممّا يعني افتقار البشر لأية مرجعية أخلاقية تنظم حياتهم وتقيم حقائق أخلاقية يمكن البناء لحياة سوية على أساسها، في المقابل يردّ الملاحدة بأن الإله ليس ضروريًا لإقامة نظام أخلاقي، وأن البشر يمكنهم بناء معايير أخلاقية، تقيم أسس العدالة والحقيقة والخير!

فما الأخلاق ابتداء؟ وهل يمكن بناء منظومة أخلاقية دون اللجوء إلى الإله فعلاً؟ وما الأخلاق التي يمكن تقييدها وفقاً لإملاءات العقل البشري فحسب؟

من الواضح إذن أنه لا يوجد هناك دستور أخلاقي ثابت أو مرجعية قيمية مطلقة عند الملاحدة، ومن ثمّ فإن الالتزام بلوازم الإلحاد ومقتضياته يجعل الملحد ساقطاً في نسبية لانهائية من القيم، الأمر الذي يؤدي إلى إيمان الملحدين ببعض الأخلاقيات الصادمة، مثل تصريح لورنس كراوس بإيمانه بصحة زنا المحارم في مناظرته مع حمزة تزورتيس.

أمّا ريتشارد دوكتز فقد صرّح في تغريدة له على موقع تويتر بأن الإجهاض فعل أخلاقي ومشروع طالما ليس هناك ألم، وبرّر ذلك قائلاً: "لأن الجنين في بطن أمّه هو أقل إنسانية من أي خنزير بالغ". وبسبب هذا التصريح فقد تعرّض دوكتز للنقد بشدّة، مما دفعه إلى محاولة توضيح مراده في عدّة تغريدات لاحقة، لكن تغريداته ظلّت غامضة وغير مفهومة.

في نفس الإطار يرى الملحد الأسترالي وأستاذ الفلسفة الأخلاقية بيتر سنجر أن ممارسة البشر للجنس مع الحيوانات والهائم طالما لا تتضمن أذية من أي نوع للحيوان هو أمر طبيعي ومقبول في إطار حميمية العلاقة بين الحيوانات والإنسان، وبالنسبة إليه: "فلا خطأ في ذلك على الإطلاق، بل إنه أمر محمود طالما يؤدي إلى استمتاع الطرفين: الحيوان والإنسان".

هل معنى ذلك أن الملاحدة كلهم لا أخلاقيون؟ بالطبع لا، يقول فرانك توريك: "لا أقول بأن الملاحدة لا يعرفون الأخلاق، وإنما أقول إنهم لا يمكنهم تبرير الأخلاق. نعم يمكنهم التصرف بخُلُق، ويمكنهم الحكم على بعض الأفعال بأنها أخلاقية أو لا أخلاقية، لكنهم لا يستطيعون توفير قاعدة موضوعية لأحكامهم الأخلاقية. وأياً ما كان الأمر: الهولوكوست، الاغتصاب، ذبح الأطفال، أو أكل الأطفال، فلا يوجد لدى الملحدين معيار موضوعي للحكم على أي منهم"، وهو الأمر الذي قرّره كذلك علي عزت بيجوفيتش قائلاً: "يوجد ملحدون على خلق، ولكن لا يوجد إلحاد أخلاقي".

الإنسان إذا ابتعد عن الوحي الإلهي، وجعل تقرير القيمة والحق والأخلاق بيد البشر كما يحصل في النظام

(564) كاتب وأديب روسي، تُنسب إليه هذه المقولة: "إن استطعتم أن تقنعوني أنّ الله ليس هو الحقيقة، وأنّ الحقيقة ليست هي الله، فإنني سأختار أن أتمسك بالله وأن أتخلّى عن الحقيقة".

العلماني الغربي، فإننا أمام محرقة جديدة للبشر كل عدة سنوات.

وها هو نجيب محفوظ الذي قضى دهرًا من عمره في الشك، يقول في آخر حياته: "الله وحده هو الذي يُعطي القيم معناها، الله وحده هو الذي يعطي الوجود معناها، بدونه لا معنى للوجود، لا معنى للقيم، وبديله هو العبث، اللامعنى".⁽⁵⁶⁵⁾

وفي كتاب "مصنوعون من الحيوانات: الآثار الأخلاقية للداروينية" للفيلسوف الأمريكي الملحد جيمس ريتشلز، يوضّح بأن مقتضى الرؤية الداروينية هو إزاحة التصوّر التقليدي للإنسان بأنه مهمّ ومركزي في الكون، ثمّ يعترف بأنه "إذا تم تجاهل فكري الكرامة الإنسانية وتميّز الإنسان في الخلق فإن السؤال عن البديل للرؤية الأخلاقية حينئذ يصبح سؤالاً صعباً"، ثمّ يطرح تصوّره للبديل الذي سمّاه "الذاتية الأخلاقية" وشرحه في فصل كامل، لكنه -رغم كل شيء- يطرح تصوّره على أنه مجرد "نظرية" و"رؤية"، أي أن هذه الأخلاق تظل دائرة في فلك الذاتية، بدون معايير موضوعية يمكن البناء عليها كإطار أخلاقي لما ينبغي أن يكون بشكل مطلق، ومن ثمّ نعود إلى نفس المشكلة الأولى وهي نسبية الأخلاق.

(565) وطني مصر، نجيب محفوظ، ص63، دار الشروق.

الباب التاسع: فضائع الملاحدة وجرائهم

ويشتمل على المباحث التالية:

- المبحث الأول: نموذج من فضائع الإلحاد: أكل لحوم البشر.
- المبحث الثاني: جرائم الملاحدة والعلمانيين.
- المبحث الثالث: حقائق لا تنفك عن الملحدين.
- المبحث الرابع: الإلحاد والعنف.

المبحث الأول: نموذج من فظائع الإلحاد: أكل لحوم البشر!

في مجتمع ملحد حيث الإنسان هو من يصنع الأخلاق ويحدد القيم كان لا بد أن تنحدر البشرية إلى دركات من الوحشية التي لم يسبق إليها، وظهور مآسي تبررها أخلاق الإلحاد، فالإنسان ليس إلا كتلة من اللحم لا فرق بينه وبين سائر الحيوانات إلا من حيث درجته في سلم التطور، فالسبب الذي يجعلك تذبح بقرة هو نفسه الذي قد يجعلك تأكل إنساناً.

وقد ارتبط أكل لحوم البشر غالباً ببعض القبائل البدائية في إفريقيا وغيرها أو ببعض الحالات الإجرامية المعزولة والتي غالباً ما يتم إرجاعها لأمراض واضطرابات نفسية، كما حدث مع الملحد (جيفري دهمر)، الذي اتهم بارتكاب جرائم قتل وأكل للحوم الأطفال، ومع أنه اعترف بأن سبب فعلته هو إلحاده، وإيمانه بنظرية التطور، فإنه قد يعتبر من الحالات المرضية المعزولة.

المبحث الثاني: جرائم الملاحدة والعلمانيين

وقصص الملحدين وجرائمهم تملأ موسوعات، ولا تستطيع مقالة على طولها أن تُظهِرَ إلا لمحة عابرة في تاريخ الزمان من حكايا الملحدين، لكن لعل ما ذكر فيه تبصير بما لم يُذكر، وربما ترتفع همة باحث لتحرير مؤلف في هذا الباب، فما أثاره! وما أشد الحاجة إليه في هذه الفترة للدعاة المعرفين بالإسلام لغير المسلمين! خلاصة ما نقوله إنّه لم تظهر مصطلحات مثل: "التطهير العرقي"، "وأكوام الجماجم"، "وقتل الطواير"، "وحقول القتل" The Killing Fields إلا داخل الدول التي حكمها ملحدون! قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة:205].

إذا غاب الرقيب والحسيب، ففعل أي شيء، أمرٌ ممكنٌ، وإذا غاب الإله من ضمير البشر، فكل شيء وارد الحدوث، حتى ولو كان إبادة البشرية بأكملها؛ حيث يفقد الإنسان عندها قيمه وأخلاقه وضميره الإنساني، ويُعطي لنفسه القداسة، فيُحَلَّل ويُحَرِّم، ويجعل الحقّ باطلاً، والباطل حقاً وفق رؤاه ومصالحته هو، فأنى وجدت أطماعه سعى إلى تحقيقها، ولو كلّف ذلك القتل والتدمير والفساد، كما أنّ خوفه ورعبه من فقدان سيطرته على ما ملكته يداه، يجعله يقتل بعنف، يُفَرِّط في الظلم والاستبداد، يُفَرِّط في القتل حدّ التوحُّش.

ولقد أثبتت الدراسات والإحصائيات أنّ الإلحاد والجريمة لا يمكن أن يتباعدوا، فهما متلازمان لا يفترقان، وأنّ الملحد إذا لم يضع لنفسه مبادئ يلتزم بها؛ فإنّه يُصبح قاتلاً ظالماً مستبدّاً، لا يمكن أن يتحلّى بأيّ بُعد إنساني أو أخلاقي.

ولم يعرف التاريخ أشدّ إجراماً ودموية واضطهاداً لكل الآخرين حتى الملحدين من الملحد، وهذه حقيقة فالإلحاد بجانب أنه كفر أكبر، ومصيبة لا تعدلها مصيبة، إلا أن خطر الملحد لا يقتصر عليه هو نفسه، بل يمتد إلى بيئته وأمته.

المبحث الثالث: حقائق عن الملاحدة:

في هذا السياق، وجب التنويه إلى ثمانية حقائق لا تنفك عن الملاحدة، سنوردها باختصار، وهي:

1- رغبة الملاحدة للحروب والقتل تطغى على رغبتهم للسلام.

2- العنصرية والسعي إلى إبادة الألوان الأخرى من البشر.

- 3- تدميرهم للطبيعة فيؤدي الى كوارث بيئية مع انغماسهم في "الطبيعة" لإخضاعها لرغباتهم.
- 4- نهب ثروات بلدان بأكملها مما يؤدي الى كوارث إنسانية وقتل الملايين بالتجويع والفقر والجهل ووضع قيادات عسكرية أو سياسية تحكم البلدان ومواطنه أو عميلة تحقق رغبات الاستعمار.
- 5- الجوع يحصد الأرواح ويوجد أموال للحروب بكثرة إلا للقضاء على المجاعة.
- 6- الإلحاد والقضاء على الأخلاق.
- 7- جرائم الإجهاض وقتل المشوهين أو معاقين أو كبير السن أو المرضى خصوصاً المرضى النفسيين.
- 8- كآبة الملحدون وانتحارهم.

المطلب الأول: مليون ونصف قتيل

لم تعرف البشرية جرائم بهذه البشاعة التي مارسها الإلحاد المعاصر من الجرائم الإنسانية والأخلاقية خلال هذه الفترة القصيرة ما لم ترتكبه الحضارات على مدار تاريخها الطويل؛ فالإلحاد المعاصر حسب الخبراء تأخذ المرتبة الثانية من حيث قتله للأفراد بعد الكنيسة المسيحية؛ إذ بلغ عدد الأرواح التي حصدها الإلحاد 150 مليون قتيل.

المطلب الثاني: الجوع يحصد الأرواح، ومع ذلك يوجد أموال للحروب:

من المفارقات العجيبة، وجود 200 مليون من الناس كانوا يعانون من المجاعة قبل أحداث أوكرانيا، وفجأةً يوجد في أوروبا مليارات الدولارات لأجل الحرب، رغم أن أكثرية هذه البلدان غارقة في ديونٍ عارمة، ولكن للقضاء على مشاكل شعوبها أو تخفيف المجاعات والأمراض في العالم لا يوجد إلا أنشطة متواضعة، فقط ليقال إنهم إنسانيون، بينما تُنفقُ الأموال للمصاريف الإدارية، وسيارات الدفع الرباعي، ورواتب عالية لموظفي الأمم المتحدة والأنشطة الاستخباراتية.

فالإنسان عندهم مثل أي حيوان، فهو جزء من الطبيعة وقوانينها، وَمِنْ تَمَّ لا بد أن تحكمه، كما أن "الانتخاب الطبيعي" ضامن ألا يُبقى غير من "يصلحُ" للحياة ويملك القدرة على التطور!!
ونظرية كهذه من الواضح وضوح الشمس أن من يتبناها، سيقوم بمجازر انتصاراً لها وإيماناً بها، فهي تقرر أنه على المجتمع أن يخضع لمبادئها دون حرج من اللوازم الأخلاقية.
وقد عرّف ذلك آدم سيدجويك (المتوفي سنة 1873) فقال: "إذا كان هذا الكتاب (كتاب "أصل الأنواع" لتشارلز داروين) سيجد قبولاً جماهيرياً عاماً، فإنه سيوقع الجنس البشري في وحشية لم يسبق لها مثيل من قبل".

المبحث الرابع: الإلحاد والعنف!

المطلب الأول: الملحدون صنعوا أشنع حروب ومجازر في العالم؟⁽⁵⁶⁶⁾

عندما ندرس فلسفة الملاحدة أو طريقة تفكيرهم، فلا نستغرب أن يكون أكبر معركة في تاريخ الجنس البشري كانت بين الملحدون واللاأدريين حيث قتلوا أكثر من 35 مليون بشري.

(566) الإلحاد والعنف.. كيف صنع ملحدون أهم مجازر العالم وحروبه؟ إبراهيم السيد، مقال نشره موقع الجزيرة، بتصرف واختصار.

وللملحد أساليب وطرق في القتل تحت مسميات عدة؛ فهو يقتل باسم الفلسفات المادية والرؤى الكونية التي يؤمن بها تبعًا لإلحاده.

والعلاقة الفلسفية تلك بين الإلحاد والجرائم التي يرتكها معتنقوه، اختصرها الكاتب الأمريكي دينيش دسوزا حيث يقول: "أُرْتُكِبْتُ جرائم الإلحاد عمومًا من خلال أيديولوجية متغطسة ترى أن الإنسان هو صانع القيم وليس الله، فباستخدام أحدث تقنيات العلم والتكنولوجيا، يسعى الإنسان إلى تهجير الله وَخَلَقَ جَنَّةَ العلمانية هنا على وجه الأرض. وبطبيعة الحال إذا كان هناك بعض الناس غير الأكفاء، فيجب القضاء عليهم؛ من أجل تحقيق هذه المدينة الفاضلة (الجنة)، هذا هو الثمن الذي أبدى الطغاة الملحدون -ومن يعتذر لهم- استعدادهم لدفعه، وهم هنا يؤكدون مقولة فيودور دوستوفسكي: "إن لم يكن هناك إله، فكل شيء مباح".⁽⁵⁶⁷⁾

إنَّ الحضارة المسيحية أكبر من تسبب في حصاد أرواح البشر، وتبعها مباشرة في المركز الثاني حضارة الملاحدة بحصاد للقتلى يفوق الـ 150 مليون قتيل! وهو ما يناقض تمامًا بروباغندا فردوس السلام الإلحادي الذي لا يتوقف مدَّعوه باعتبارها رسالة سامية جاءت لتتقدَّ الناس من عنف الأديان.

ورغم أن كلام الملاحدة عن الأديان أنها أفيون الشعوب ينطبق على الديانات التي بلغ فيها من الخرافات والتزييف والتحريف مبلغًا يفوق حد التصور، حيث تمارس فيها نفس الممارسات الإلحادية، ويسلكون سبيل الفلسفة الداروينية في قتل أعداد هائلة من البشر؛ لأنهم ليسوا نصارى أو ليسوا يهودًا، ويستندون في ذلك على تبريرات واهية من أسفارهم المزيَّفة والتي تأمرهم بهذه الإبادات التي ارتكبوها.

المطلب الثاني: فرنسا، وما أدراك ما فرنسا!

تلك الدولة التي أحرزت أسوأ سمعة في الإبادة العرقية، والاستغلال بلا منازع، إذ أنها كانت المسئولة كليًا عن أولى المذابح الجماعية في العصر الحديث، فقد قال أحد جنرالات الحكومة الفرنسية أثناء مذبحه فيندي: "إنني أمرم بحرق كل شيء قابل للحرق وإعمال السيف في كل رقبة".⁽⁵⁶⁸⁾

وكثير من المؤرخين يعتبرون مذبحه فيندي Vendéen genocide عام 1793م بفرنسا أول إبادة جماعية في العصر الحديث، حيث بدأت بعض قطاعات الشعب الفرنسي - عقب الثورة الفرنسية - في التمرد ضد الحكومة العلمانية الجديدة، فما كان من الحكومة إلا أن قابلت هذه التمردات بالقمع العاشم والفوري، حيث قام الفلاحون بمنطقة فيندي بالتظاهر ضد الوضع الاقتصادي الطاحن، وتحالف معهم المتدينين الكاثوليك، فطبقت عليهم حكومة "التنوير" سياسات شديدة الوحشية، تم على إثرها إعدام أكثر من 6000 أسير أكثرهم نساء وأطفال وشيوخ، وإغراق أكثر من 3000 امرأة في المياه، كما تم دهس الأطفال الرضع تحت أقدام الخيول، بالإضافة إلى حرق المساكن والبيوت والمزارع عن بكرة أبيها، من باب الرَّدع، وإدخال الرعب في قلوب كلِّ من تُسَوَّلُ له نفسه أن يُعيدَ فعلَ ذلك.

وبحلول عام 1796م، وصل إجمالي عدد القتلى طبقًا لبعض الإحصائيات إلى حوالي 500000 إنسان تم حصد رؤوسهم إما حرقًا، أو غرقًا، أو ذبحًا، أو دهسًا تحت أقدام العربات والخيول.

ورغم عدم شهرة هذا الحدث إلا أن أستاذ التاريخ البريطاني ألان فورست يقول: "حتى الآن يتذكر الغرب هذه

(567)Dinesh D'Souza, *Atheism, not religion, is the real force behind the mass murders of history*

(568)LAW PROPOSITION on the recognition of the Vendéen genocide

المذابح كصراع بين الفلاحين والكاثوليك على جهة، وبين الجمهوريين والملاحدة على الجهة الأخرى". وبالطبع فإن قتل هؤلاء الناس لم يكن باسم الإلحاد، وإنما كان باسم التنوير والحرية والعقلانية.

وجدير بالذكر أنه في عام 2007م، قام عدد من البرلمانيين الفرنسيين بتقديم مقترح قانون يقضي باعتراف الجمهورية الفرنسية بجريمة الإبادة الجماعية في فيندي وتحمُّل مسؤوليتها بخصوص تلك الفظائع.

وحتى الآن لا تزال الحكومة الفرنسية التي ليست أقل همجية من حكومات عصور الظلام ترفض الاعتراف بهذه المأساة كما ترفض أيضًا الاعتراف بما فعلته في الجزائر وبقية بلدان أفريقيا.

ويرى غالب المؤرخين أنّ العصر الحديث يبتدئ من اندلاع الثورة الفرنسية والتي شكلت وجهًا من وجوه وصول الإلحاد إلى الحكم، وبدء القضاء على الدين الكنسي، فقد استهمل قادة التنوير حكمهم بما عرف بعصر "الإرهاب" والذي أُسْتُبِيح فيه كلُّ شيء في سبيل ترسيخ العلمانية والقضاء على الدين، واستمرت تلك الجرائم باسم العلمانية وتحت غطاء فلسفي إيديولوجي يرى في الدين عدوًّا وحيدًا.

ولا يستطيع أحد الآن القول إن ملاحدة اليوم أخف ضررًا وعنفاً وإجرامًا وإرهابًا ممن سبقهم؛ فأمريكا وفرنسا وغيرهما من قوى الشر التي مستمرّون في ارتكاب فظائع، وولاياتٍ في شتّى بقاع الأرض وخاصةً في العالم العربي، والإفريقي.

ومن النزاهة أن ننوه هنا على وجه الخصوص إلى وجود بعض المنصفين في الغرب يفضحونهم على الدوام، ومثل هؤلاء تجد لهم من المقاطع والكتب ما يخدم قضيتنا، حيث يمكننا استخدامها كمُسَوِّغٍ نُخْرِسُ به من سلقونا بالسنة حدادٍ؛ لشدة ما يحملوه في صدورهم من بغض وعداوة لنا ولديننا.

ولقد قرأت منشورًا في حساب النائب السابق والسياسي الألماني يورجن تودنهورف على الفيس بوك، يقول فيه: "أنا في مالي منذ 4 أيام، بينما تتعرض أوروبا حاليًا لخطر الانزلاق إلى حربٍ (أوكرانيا) لا معنى لها، فإن الجيش الألماني في مالي قد دخل في خِصْمٍ هذه الحرب بالفعل.

هذه ليست حربًا ضد "الإرهاب الإسلامي" كما يحاول ساستنا إقناع الناخبين، لكنها حرب استعمارية قدرة من أجل المصالح الفرنسية: اليورانيوم والنفط والذهب، على عكس الانفصالية المسلحة والممولة من فرنسا في الشمال، لا تلعب "الجهادية الإسلامية" أي دور ذي صلة في مالي، فهي ذريعة الدعاية الفرنسية؛ لإضفاء الشرعية على الحرب". ويقول كذلك: "إذا لم تنسحب ألمانيا - التي تحظى بشعبية كبيرة في مالي - عسكريًا طوعًا في القريب العاجل، فإنّ الجيش الألماني سينهزم كما فعل في أفغانستان.

كما أوضح لي مسئول حكومي مالي رفيع المستوى بوضوح لا يضاهاه: سيتم طردهم تمامًا كما كان في أفغانستان بشكل سيء وعنيف".

ويُضَيِّف أيضًا: "لا علاقة لنا مع حرب فرنسا اللاأخلاقية، لذلك أيها المستشار أخرج من مالي فحروبنا أيضًا قدرة".

لم تكن حربًا عالمية

تعجّب الدكتور عبد الوهاب المسيري رحمه الله من كَوْن الحروب الغربية التي تجري بين دول علمانية ودول علمانية تسمى حروبًا عالمية!

الحرب الروسية الأوكرانية هي حرب داخلية بين دول علمانية، وليست حربًا عالمية.

المطلب الثاني: العلمانية سبب في قتل الأبرياء بهذه الحروب.

العلمانية والإلحاد هما السبب في قتل الأبرياء بهذه الحروب، فأكبر طاعون يصيب الغرب اليوم هو طاعون العلمانية، والذي يحاولون نشره في بلادنا منذ عقود، وما هم يكتونون بناه.

وما يثير الاندهاش حد الغثيان، أن تلك العلمانية البغيضة، تُبرر تفرغ دول بأكملها من البشر بسبب نقاء عرق مثلما حصل مع النازية والعلمانية التي تبرر إحراق مئات الآلاف من البشر الضعفاء في أفران الغاز؛ لكونهم خطرًا على الاقتصاد، وكما حصل أيضًا في محرقة أوشفيتز في بولندا.

فهم يبررون - بلا أدنى شعورٍ من رحمةٍ أو شفقة - إدخال قارات بأكملها في حروب مثلما حدث فيما يسمونه بـ: الحربين العالميتين الأولى والثانية.

وما يجري اليوم في أوكرانيا هي حرب عبثية بلا معنى، بسبب طاعون العلمانية المجنون.⁽⁵⁶⁹⁾

المطلب الثالث: هتلر وحربه وعلاقتها مع الداروينية

" يقول تشارلز داروين في كتابه "أصل الأنواع": إن المساندة التي أتلقاها من ألمانيا هي الأساس الذي يجعلني أرجو أن تنتصر نظيرتي في النهاية".

عندما نشر تشارلز داروين كتابه (أصل الأنواع) عام 1859م تُرجم فورًا إلى اللغة الألمانية ولاقى قبولًا كبيرًا وقويًا في الوسط الثقافي الألماني.

كانت ألمانيا حينئذٍ مستعدة لاستقبال الأفكار الداروينية بسبب شيوع ثلاثة اتجاهات فكرية متوازية:

الأولى: هي المادية العلمية Scientific materialism التي قادها لودفيج فيورباخ، وكارل فوجوت.

الثانية: المادية الديالكتيكية Dialectical Materialism ورائدها الأبرز كارل ماركس.

أما الأخيرة: فهي اليمين الهيجلي⁽⁵⁷⁰⁾.

هيات هذه التيارات الفكرية الأرضية الثقافية المناسبة لاستقبال أفكار داروين التطورية، لا في شقها العلمي، وإنما في توظيفها الاجتماعي، والتي تقوم على أن البشر والثدييات الأخرى هم نتيجة لما أسماه بالانتخاب الطبيعي، أي الصراع الأعشى الذي يبقى فيه الأصلح حيًا، وتموت على إثره الأقل صلاحية.

"في المستقبل غير البعيد، سوف تبعد الأجناس المتحضرة الأجناس الهمجية، وتحل محلها حول العالم" بهذه الكلمات شجع تشارلز داروين، في نظريته المشؤمة في كتابه "أصل الإنسان" أتباعه لقتل القوي للضعيف، وكما يعمل الساسة وأصحاب المصالح المادية على توظيف الأفكار؛ لخدمة مساعيهم دون أي اعتبار أخلاقي، فقد صنعت أفكار داروين جيلًا جديدًا من القادة السياسيين والمفكرين الاجتماعيين والعلماء، بما اعتبروه تبريرًا بيولوجيًا ماديًا؛ لسيطرة الألمان حول العالم، كما يذكر أستاذ التاريخ ريتشارد فيكارت: "الداروينية وحدها لم تنتج النازية، لكن بدونها لم يكن لهتلر أو لأتباعه النازيين أن يدعموا فضائهم الوحشية بالأدلة العلمية الكافية لتحويلها إلى أفعال أخلاقية".⁽⁵⁷¹⁾

(569) بتصرف: "العلمانية طاعون العصر" للدكتور سامي عامري. أنصح بقراءة الكتاب.

(570) الهيجليين الشباب هم أتباع الفيلسوف الألماني الشهير غيورغ فيلهلم فريدريش هيغل، وبعد موته انقسم أتباعه إلى فئتين، هيجلي اليسار: مثل كارل ماركس، وفيورباخ، وهم من سينتقد تصورات هيغل المثالية وينحون بفلسفته منحا مادي تماما، كما قلب ماركس الجدلية المثالية إلى جدلية مادية، أما الهيجليون اليمين فأبقوا على الكثير من أفكار هيغل المثالية.

ويبدو الموقف الديني لأدولف هتلر لغزًا للوهلة الأولى، فَعَلَى جَانِبِ هِتْلَرِ فِي أَكْثَرِ مِنْ خُطَابِ لَهُ أَنَّهُ كَاتُولِيكِي مَخْلَصٌ، إِلَّا أَنَّهُ عَلَى جَانِبِ آخَرَ كَانَ مُؤْمِنًا لِلنَّخَاعِ بِالدَّارَوِينِيَّةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وَهِيَ فِلْسَفَةٌ غَارِقَةٌ فِي الْمَادِيَّةِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ، وَهَنَّاكَ مِنْ يَثْبُتُ أَنَّهُ مِنَ اللَّأَدْرِيينِ.

سُئِلَ الفِيلَسُوفُ الإِنجِلِيزِي بَرْتَرَانْدُ رَاسِل: "أَتَعْتَقِدُ أَنَّ النَّاسَ يَحْبُونَ الْحَرْبَ؟"، قَالَ: لَعْمَرِي إِنْ أَنَا كَثِيرُونَ يَحْبُونَهَا، وَهَذَا مِنْ بَيْنِ الْأُمُورِ الَّتِي أَدْهَشْتَنِي عَامَ 1914، فَقَدْ كَانَ الرَّأْيُ السَّائِدُ لَدِي جَمِيعِ دَعَاةِ السَّلْمِ الَّذِينَ كُنْتُ أَعْمَلُ مَعَهُمْ، أَنَّ الْحُرُوبَ تَفْرِضُهَا الْحُكُومَاتُ عَلَى شَعُوبِهَا، وَلَكِنِّي شَهِدْتُ فِي شُورَاعِ لَنْدُنِ سِخَنَ النَّاسِ، وَمَا مِنْ شَكٍّ أَنَّ وَجُوهَهُمْ كَانَتْ تَبْدُو أَسْعَدَ كَثِيرًا مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ إِعْلَانِ الْحَرْبِ، وَمَا زِلْتُ أَعْتَقِدُ بِأَنَّ النَّاسَ يَعْْبُدُونَ الْحَرْبَ، بِشَرَطِ أَلَّا تَكُونَ عَلَى أَبْوَابِهِمْ".

المطلب الرابع: استخدام الأطفال في حروبهم القذرة

بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945 وبعدما هزمت ألمانيا، تركت الساحل الغربي للدنمارك مكتظ بالالغام، وهنا قرر الجيش الدنماركي إجبار مجموعة من الجنود (أطفال) الألمان المأسورين إلى إزالة هذه الألغام وتطهير الساحل.

كان عدد هؤلاء الأطفال أكثر من 2000 أسير وأعمارهم تقل عن 13 سنة، وتم إجبارهم بالقوة على إزالة هذه الألغام مع وعود بالحرية وتمت معاملتهم بقسوة وتعرضوا للتعذيب.

استطاع هؤلاء الأطفال إزالة أكثر من 45000 لغم لكن قتل منهم 988 طفل، وأصيب 460 آخرين بإعاقات وعاهات مستديمة، ولم ينجوا منهم سوى قلة قليلة.

تم إنتاج فيلم land of mine عام 2015 يُوثِّقُ قصتهم، ويُظهِرُ جزءًا من العذاب الذي تعرضوا له.

المطلب الخامس: أشهر الحروب الدينية.. (لم يذكر الإسلام في أي منها)

- القربان غير المقدس: أشهر المذابح الدموية باسم الدين.
- حرب الكاثوليك والبروتستانت.
- الحروب الصليبية بسبب اقتراب القيامة؛ واليهود يتقربون إلى الرب بقتل الفلسطينيين.
- الحروب الصليبية: ناشد أحد البابوات ويدعى (أوربان الثاني) رجال الدين وأمراء أوروبا بشن حرب على المسلمين؛ لتخليص الأرض المقدسة من سيطرتهم إرضاء للمسيح.
- ومن الأفكار التي أشاعها البابوات آنذاك لحث الناس على المشاركة في هذه الحملات، اقتراب يوم القيامة، وانتهاء الحياة الدنيا، وربطوا ذلك بمرور ألف سنة على مجيء المسيح.

إبادة الهنود الحمر

حفظ لنا التاريخ شهادة سجلها شاهد عيان على إبادة وحشية ارتكها المسيحيون الأوروبيون ضد الهنود الحمر تحت اسم وثنيتهم، وهي شهادة المطران لاس كازاس، حين رأى ما يمارسه قومه المسيحيون من قتل للبشر، وتدمير للقري، وإحراق لها باسم الدين، كتب رسالة مطولة يشرح فيها ما رآته عيناه ووعاه قلبه، وقد طبعت هذه

الرسالة وترجمت إلى العربية بعنوان (المسيحية والسيف)⁽⁵⁷²⁾.

ورصد المطران لاس كازاس مشاهد مؤلمة وصورًا، حيث قال: "كانوا يدخلون على القرى فلا يتركون طفلًا ولا حاملًا ولا امرأة تلد إلا ويبقرون بطونهم ويقطعون أوصالهم كما يقطعون الخراف في الحظيرة. وكانوا يراهنون على من يشق رجلًا بطعنة سكين، أو يقطع رأسه أو يدلق أحشاءه بضربة سيف، كانوا ينزعون الرضع من أمهاتهم ويمسكونهم من أقدامهم ويربطون رؤوسهم بالصخور، أو يلقون بهم في الأنهار ضاحكين ساخرين.

حرب الكاثوليك والبروتستانت

حرب الثلاثين عامًا، هي حرب قامت بين الكاثوليك والبروتستانت خلال القرن الـ17 في ألمانيا، استمرت هذه الحرب ثلاثين عامًا وانتهت بأوبئة ومجاعات وتدمير شامل بكل النواحي عام 1648م. بدأت الكنيسة الكاثوليكية بما يسمى الحرب الدينية المقدسة ضد البروتستانتية، حيث أبادت % 40 من شعوب أوروبا الذين ينتمون للبروتستانت، وما يقرب من نصف سكان ألمانيا تحديداً. والسبب الأصلي في اندلاع هذه الحرب هي حركة الإصلاح البروتستانتية، التي قام بها الراهب الكاثوليكي (مارتن لوتر) عندما انتقد الكاثوليكية ورفض أفكارها التي يرى أنها تنافي المنطق كما يرى.

الهولوكوست

بلغت كراهية الشعب الألماني وهتلر لليهود ذروتها، مما دفعه إلى القيام بما يعرف بـ(الهولوكوست)؛ ليشفى غليلهم. حيث أقام لهم أفرانًا خاصة لحرقهم، فكان يتم حرق 2000 يهودي داخل الفرن الواحد، هذا فضلًا عن الحجرات الخاصة الممتلئة بالغاز السام التي تم إعدادها في معسكراتهم.

مذابح الأسر ائيليين للفلسطينيين ونفاق الغرب

يؤكد العديد من المؤرخين، وشهود عيان، أن اليهود ارتكبوا في الأراضي المحتلة منذ 1948 حملات مكثفة من العنف والإرهاب والمجازر البشعة، ولاحقت عصاباتهم المواطنين العزل، وقد أدت هذه المذابح إلى مصرع مئات الآلاف من النساء والأطفال.

وفي مذبحه دير ياسين داهمت عصابات شتيرن والأرغون والهاغاناه القرية الواقعة غربي مدينة القدس "تقوم على أنقاضها اليوم مستعمرة إسرائيلية تسمى جفعات شأوول" في الساعة الثانية فجرًا، وقد شرع أفراد العصابات الصهيونية بقتل كل من وقع في مرمى أسلحتهم، وبعد ذلك أخذوا باللقاء القنابل داخل منازل القرية؛ لتدميرها على من فيها، حيث كانت الأوامر الصادرة لهم تقضي بتدمير كل بيوت القرية العربية، في الوقت ذاته سار خلف رجال المتفجرات أفراد من الأرغون وشتيرن، فقتلوا كل من بقي حيًا داخل المنازل المدمرة. - عوفاديا يوسف الحاخام يقول بالنص في خطبة بثتها الفضائيات الإسرائيلية: "إن اليهودي عندما يقتل مسلمًا، فكأنما قتل ثعبانًا أو حشرة ولا أحد يستطيع أن ينكر أن كلاً من الثعبان أو الحشرة خطر على البشر، لهذا فإن التخلص من المسلمين مثل التخلص من الديدان أمر طبيعي أن يحدث".

(572) المسيحية والسيف... وثائق إبادة هنود القارة الأمريكية على أيدي المسيحيين الأسبان - رواية شاهد عيان، للمطران: برتولومي دي لاس كازاس، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.

- ثم عاد الحاخام وظهر على القناة الثانية في التلفزيون الإسرائيلي، وأعاد كلامه مع تأصيله من وجهة النظر اليهودية، زاعماً أن الدين اليهودي يحث على التخلص من كل من يسكن فلسطين، وأنه جاء في التلمود: "إذا دخلت المدينة وملكتها فاحرص على أن تجعل نساءها سبايا لك، ورجالها عبيداً لك أو قتلى مع أطفالهم".
- وهذا الحاخام اليهودي "إسحاق شايبير" أصدر كتاب "توراة الملك"، ودعا خلاله إلى قتل حتى الأطفال الرضع من العرب؛ لأنهم يشكلون خطراً على إسرائيل.

فشل النظام القانوني الأوروبي. ومن الأمثلة على ذلك نحر القانون والتناقضات في ألمانيا.

لم يعد خافياً التلاعب بالمنافع ومصطلحات مثل حقوق الإنسان وحرية التعبير.

تتحمل وسائل الإعلام والسياسيين الألمان مسؤولية غير مباشرة عن إبادة المدنيين الفلسطينيين.

من كان يظن أن التاريخ سيعيد نفسه في ألمانيا وأن المعايير المزدوجة ستصل إلى هذا المستوى من الغدرا السياسة في ألمانيا حالياً تشبه السياسة في حكم النازية. في ذلك الوقت أيضاً، كانت العقول اللامعة للأمة الألمانية متورطة في التلاعب بالقوانين. ساستهم كانوا خبراء قانونيين ولكن انتهازيين تلاعبوا بالقانون وأهملوا الإنسانية وارتكبوا مجازر بشعة مثل إخوانهم الاوربيين. أما بالنسبة لوسائل الإعلام الألمانية ونحن نعيش في عام 2024، فهي منافقة لدرجة أن الطفل يستطيع أن يدرك أنها بعيدة عن الصدق بآلاف السنين الضوئية.

البوسنة والهرسك

مذبحة سربرنيتسا، مجزرة شهدتها البوسنة والهرسك سنة 1995 على أيدي القوات الصربية وراح ضحيتها حوالي 8 آلاف شخص ونزح عشرات الآلاف من المدنيين المسلمين من المنطقة.

وتعتبر هذه المجزرة من أفظع المجازر الجماعية التي شهدتها القارة الأوروبية منذ الحرب العالمية الثانية، حيث قامت القوات الصربية بأوامر مباشرة من أعضاء هيئة الأركان الرئيسية لجيش جمهورية صربيا - القادة العسكريين والسياسيين - بالقيام بعمليات تطهير عرقي ممنهجة ضد المسلمين البوسنيين والمعروفين باسم (البوشنياق).

وقد حدثت هذا على مرأى من الفرقة الهولندية التابعة لقوات حفظ السلام الأممية دون أن تقوم بأي شيء لإنقاذ المدنيين، علماً بأنها كانت قد طلبت من المسلمين البوسنيين تسليم أسلحتهم مقابل ضمان أمن البلدة، الأمر الذي لم يحدث بتاتاً.

المطلب السادس: أمريكا: أكثر دولة دموية على وجه التاريخ

رغم أنه لم يمر من عمر الولايات المتحدة الأمريكية غير حوالي 250 سنة فقط إلا أنها قد قضت 93% من عمرها بما يعني 222 سنة في الحروب المختلفة على الدول الأخرى، واحتلالها في كافة أنحاء العالم أكثر من 90 حرباً، منها جرائم حرب بشعة، مما يدل على أنها أحط وأشرس حضارة قامت عبر التاريخ:

1- 1833 قامت القوات الأمريكية بغزو نيكاراغوا.

2- 1888 دخلت القوات الأمريكية إلى البيرو.

3- 1846 احتلت القوات الأمريكية أرضاً مكسيكية، وضمته لها، وهي ما تعرف اليوم بولاية تكساس.

- 4- 1848 قامت القوات الأمريكية باحتلال أرض مكسيكية أخرى وضمتها إليها، وهي التي تُعرَف الآن بولاية كاليفورنيا ونيومكسيكو.
- 5- 1854 دمرت الولايات المتحدة ميناء "غراي تاون" في نيكاراغوا انتقامًا منها؛ لعدم قبول حكومتها دخول عميل أمريكي إلى أراضيها.
- 6- 1855 غزت القوات الأمريكية أورغواي، ثم غزت قناة بنما.
- 7- 1857 تدخلت في نيكاراغوا ثانية؛ لإفشال محاولة عدو أمريكا وليم روكر تولي السلطة.
- 8- 1873 قامت القوات الأمريكية بغزو كولومبيا، ثم قامت بعمليات ضدها على مدى الأعوام 1885- 1891- 1892- 1893- 1898- 1899 م.
- 9- 1888 تدخلت أمريكا في هايتي.
- 10- 1891 تدخلت أمريكا في تشيلي.
- 11- 1894 تدخلت أمريكا مرة أخرى في نيكاراغوا.
- 12- 1898 حاصرت كوبا، وحاصرت قواتها في البحر، وأخذت عنوة خليج "غوانتانامو" الذي تأسر فيه حاليًا مئات العرب والمسلمين في ظروف وحشية همجية غير إنسانية باعتراف الأمريكيين أنفسهم.
- 13- 1901- 1902 تدخلت أمريكا ثانية في كولومبيا.
- 14- 1902 تدخلت أمريكا في هندوراس.
- 15- 1904 الهجوم على بنما.
- 16- 1905 الهجوم على هندوراس.
- 17- 1907 استولت أمريكا على ست مدن في هندوراس.
- 18- 1907 الهجوم على المكسيك؛ لمساعدة الديكتاتور بورويرو دمزيبراي.
- 19- 1907 الهجوم على نيكارجوا.
- 20- 1907 الدخول إلى جمهورية الدومينيكان؛ لقمع الثورة.
- 21- 1908 المشاركة في الحرب بين هندوراس ونيكاراغوا.
- 22- 1910 التدخل بالقوة العسكرية في انتخابات بنما.
- 23- 1911 التدخل؛ لقمع الانقلاب ضد حكومة نيكاراغوا.
- 24- 1911 الدخول إلى الهندوراس؛ لدعم الثورة بقيادة مانويل بونيل ضد الرئيس المنتخب ميغيل داويا.
- 25- 1911 قمع الانتفاضة المناهضة للولايات المتحدة في الفلبين.
- 26- 1912 التدخل العسكري في الصين.
- 27- 1912 الهجوم على كوبا.
- 28- 1912 الهجوم على بنما.
- 29- 1912 الهجوم على هندوراس.
- 30- 1914 قامت قوات المارينز بالدخول إلى هايتي في عملية إنزال جوي وسرقوا البنك المركزي فيها؛ بحجة استرداد ديونها.
- 31- 1915 احتلت كل هايتي، وبقيت فيها إلى عام 1934 م.

- 32- 1916 تدخلت القوات الأمريكية في الدومينكان ضد الثوار على السلطة الفاسدة، وفرضت عليهم حكومة عسكرية عميلة لها حتى عام 1924 م.
- 33- 1917 احتلال كوبا.
- 34- 1918 المشاركة في الحرب العالمية الأولى.
- 35- 1918-1920 التدخل في روسيا.
- 36- 1919 التدخل عسكريا في بنما.
- 37- 1919 التدخل عسكريا في كوستاريكا.
- 38- 1920 الهجوم مرة أخرى على هندوراس.
- 39- 1921 الهجوم على جواتيمالا.
- 40- 1922 التدخل عسكريا في تركيا.
- 41- 1922 تدخلت القوات الأمريكية في السلفادور.
- 42- 1924 التدخل عسكريا في الصين.
- 43- 1925 الهجوم عسكريا على هندوراس مرة أخرى.
- 44- 1926 الهجوم على بنما مرة أخرى.
- 45- 1927 الهجوم على نيكارجوا مرة أخرى.
- 46- 1932 احتلال الصين.
- 47- 1933 احتلال نيكارجوا.
- 48- 1934 احتلال هايتي.
- 49- 1937 الهجوم على السلفادور.
- 50- 1945 الهجوم على نيكارجوا.
- 51- 1945 ما إن انتهت الحرب العالمية، حتى قُصِفَتْ هيروشيما وناجازاكي في اليابان، حيث فَقَدَ حوالي 220 ألف شخص حياتهم؛ نتيجة؛ لإلقاء القنبلة الذرية. وأكثر من 100 ألف شخص قُتِلُوا خلال القصف مباشرةً، والباقي فَقَدُوا حياتهم في أواخر عام 1945؛ نتيجة للإشعاعات الضارة التي أُصيبوا بها.
- 52- 1947 الهجوم على اليونان.
- 53- 1950 الهجوم على الفلبين.
- 54- 1950 الهجوم على بورتوريكو.
- 55- 1950 تورطت أمريكا في الحرب الكورية.
- 56- 1952 تدخلت في إيران، وقامت المخابرات الأمريكية بالقضاء على حكومة محمد مصدق الوطنية، وإعادة شاه إيران.
- 57- 1954 أطاحت أمريكا بحكومة غواتيمالا بالقوة.
- 58- 1958 الهجوم على كوريا.
- 59- 1958 الهجوم على لبنان.

- 60- 1959 الهجوم على بنما.
- 61- 1959 الهجوم على لاوس.
- 62- 1960 الهجوم على هايتي.
- 63- 1960 عمليات عسكرية ضد الأكوادور.
- 64- 1961 غزت القوات الأمريكية خليج الخنازير في كوبا.
- 65- 1962 قَرَضَ الرئيس الأمريكي كندي حصارًا بحريًا وجويًا على كوبا؛ لإجبار السوفييت على إبعاد صواريخهم الذرية عن الجزيرة.
- 66- 1965 الهجوم على بنما.
- 67- 1965 زَجَّتْ عقيدة الحرب المتأصلة في عقول وقلوب صناع السياسة الأمريكية كابرًا عن كابر بجيش الولايات المتحدة الأمريكية في حرب فيتنام، والتي مارس فيها الجيش الأمريكي أبشع الجرائم ليس ضد الإنسانية وحدها، وإنما ضد النبات والحيوان عندما انهمرت السموم الأمريكية من الطائرات الأمريكية؛ لتهلك الحرث والزرع والحيوان فوق كل الأرض الفيتنامية، وتنتهي الحرب في عام 1975م رغم كل أسلحة أمريكا ووحشية جيشها بهزيمة تاريخية لهم.
- 68- 1966 الغازات السامة على فيتنام.
- 69- 1966 الهجوم على جواتيمالا.
- 70- 1967 ساعدت المخابرات الأمريكية جيش بوليفيا ضد جيفارا وتمكنت من اغتياله.
- 71- 1970 غزت كمبوديا واعتدت على "ممثل شرعيتها" الأمير سيهانوك الشخص المحايد "في حرب فيتنام" وأسقطته، وسلمت الحكم لحكومة ضعيفة موالية لها.
- 72- 1971 الدعم العسكري لأندونيسيا ضد الفلبين.
- 73- 1972 قصف لاوس.
- 74- 1973 زعزعت الاستقرار في تشيلي واغتالت رئيسها سلفادور الليندي المعارض لأمريكا، وأقامت حكومة ديكتاتورية عسكرية فيها.
- 75- 1980 الهجوم على نيكارجوا.
- 76- 1980 تَوَلَّى ريغان السلطة، وَطَرَحَ مشروع حرب النجوم، وأمد الكيان الصهيوني بمساعدات مالية طائلة، وبني له قوة عسكرية في المنطقة.
- 77- 1981 نشرت أمريكا صواريخها في كل أوروبا.
- 78- 1983 عمليات عسكرية ضد إيران.
- 79- 1986 التدخل العسكري في جرينادا.
- 80- 1988 الهجوم على ليبيا.
- 81- 1988 هجوم على الهندوراس.
- 82- 1989 هجوم على الطائرة الإيرانية أدى إلى مقتل 290 راكبًا كانوا على متن الطائرة.
- 83- 1989 غزو عسكري ضد بنما.
- 84- 1991 إخماد الاضطرابات في جزر العذراء البريطانية.

85- 1991العدوان على العراق.

86- 1995العدوان على البوسنة.

87- 1998احتلال الصومال واستخدام العنف المفرط ضد مواطنيها.

88- 1999الهجوم على السودان 1999.

89- 2001حرب ضد يوغوسلافيا تحت غطاء حلف شمال الأطلسي الناتو، واستمر القصف 78يومًا، وانهارت يوغوسلافيا.

90- 2001الهجوم على أفغانستان، واحتلالها تحت ذريعة مطاردة تنظيم القاعدة ثم بعد 20عام فشلت، وهربت من أفغانستان.

91- 2003الهجوم على العراق، واحتلاله دون تفويض من الأمم المتحدة.

92- 2011الهجوم على ليبيا بعد قيام الثورة فيها والإطاحة بالقدافي.

93- 2011الدعم الرسمي للمجموعات الإرهابية المسلحة الشيعية في سوريا والعراق.

94- 2015عدوانها المباشر بكل الأسلحة المحرمة الدولية على السنة في العراق تحت مبرر مقاتله داعش.

95- 2017تمكين الشيعة من بلاد الرافدين.

95- 2018إعلان القدس عاصمة لإسرائيل.

96- 2018اكتشاف أسلحة مهربة للحوثيين في سفن الإغاثة.

97- مشاركة الكيان الصهيوني في مجازر غزة ومنع إيقاف الحرب واستخدام الفيتو ثلاث مرات تحديًا كل دول العالم واستمر قتل آلاف الأطفال والنساء والشيوخ أمام عيون العالم.

إنه تاريخ إجرامي أسود، وهو عارٌ على الجنس البشري إلى قيام الساعة. ولقد سئل ريتشارد دوكينز نفسه في برنامج تلفزي عن الفضائح التي ارتكبتها "ستالين" وغيره من الملاحدة، لم يجد تبريرًا غير الجواب بطريقة ساخرة: ستالين ارتكب كل تلك الجرائم؛ لأن له شاربًا!!

صراع الدم والأرض: القصة الدامية للحرب الأهلية الأمريكية

الحرب الأهلية الأمريكية (1861-1865) كانت صراعًا بين ولايات الشمال (الاتحاد) وولايات الجنوب (الكونفدرالية) حول قضية العبودية وحقوق الولايات. بدأت الحرب بعد انفصال 11 ولاية جنوبية عقب انتخاب أبراهام لينكولن رئيسًا، وانتهت باستسلام الجنوب في 9 أبريل 1865. شهدت الحرب معارك دموية مثل معركة أنتيتام وجيتيسبيرغ، وأصدر لينكولن خلالها إعلان تحرير العبيد في 1863. أسفرت الحرب عن مقتل حوالي 620,000 إلى 750,000 شخص، وإصابة أكثر من مليون آخرين، وانتهت بإلغاء العبودية في الولايات المتحدة.

المطلب السابع: مائة مليون قتيل حصاد القرن العشرين

في سنة 1997 طبع في فرنسا كتاب: "الكتاب الأسود للشيوعية: الجرائم والإرهاب والقمع"، وكان خلاصة عمل أحد عشر باحثاً أكاديمياً، وأعدت مطبعة جامعة هارفارد طبعه في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان مما أثار الرُعب هو عدد القتلى الفظيع الذي حصده الشيوعية أثناء حكمها، والغريب أن المؤلفين قد استثنوا إحصائيات الحروب! لكن العدد يتجاوز 100 مليون في القرن العشرين وحده، وجاءت الأعداد موزعة على الشكل التالي:

الدولة	عدد القتلى
الصين	65 مليون قتيل
في الاتحاد السوفييتي	20 مليون قتيل
فيتنام	1 مليون قتيل
كوريا الشمالية	2 مليون قتيل
كمبوديا	2 مليون قتيل
أوروبا الشرقية	1 مليون قتيل
أمريكا اللاتينية	150 ألف قتيل
إفريقيا	7.1 مليون قتيل
أفغانستان	5.1 مليون قتيل

كانت كل هذه الأعداد الهائلة من القتلى؛ في سبيل القضاء على الأديان، وترسيخ سيادة الإنسان على الأرض، والمفجع أن أكثر هذه الجرائم لم تكن في حروب متكافئة بين دول متنازعة، بل أُرْتُكِبَ أغلبها في حقِّ الشعوب المستضعفة، والأقليات العرقية والدينية.

جوزيف ستالين، ماو تسي تونغ، بول بوت، كيم إيل سونغ وغيرهم، كان هؤلاء الجبابرة من الملحدون الذين نكّلوا بشعوبهم؛ من أجل استئصال كل المعتقدات الدينية، وتَمَّ قَتْلُ هذه الأعداد نتيجة التعذيب في المعتقلات، وسياسات التهجير القسري، وإبادة العرقيات والعمل في معسكرات الأعمال الشاقة، بالإضافة إلى التجويع المتعمد، هذه الممارسات التي أدت مثلاً إلى قتل ربع سكان كمبوديا!! فقد كان تعداد المسلمين في كمبوديا حوالي 40 ألف نسمة، لم يبقَ منهم بعد سقوط نظام "الخمير الحمر"⁽⁵⁷³⁾ سوى أربعة أشخاص.

(573) الخمير الحمر (بالخميرية: خمير كراهام) كان الحزب السياسي الحاكم في كمبوديا منذ عام 1975 إلى عام 1979، وهو عبارة عن حلف لمجموعة أحزاب شيوعية في كمبوديا تطورت لاحقاً لتشكل الحزب الشيوعي لكمبوتشيا أو اختصاراً (PCK) ولاحقاً حزب كمبوتشيا الديمقراطية. تُعتبر منظمة الخمير الحمر المسؤولة عن موت 1.5 مليون شخص (أحياناً يقدرون بين 850,000 إلى 3 مليون) في ظل نظامهم، عن طريق الإعدام، والتعذيب والأعمال الشاقة. ومعنى كلمة الخمير في اللغة الكمبودية الفلاح حيث كانوا يقدسون الأعمال الزراعية ويعتبرون الفلاح مهماً في اقتصاد البلد وأفضل من غيره.

الباب العاشر: المرأة عند الملاحدة:

ويشتمل على المباحث التالية:

- مكانة المرأة عند الملاحدة
- المرأة بين الإسلام والإلحاد.
- حقيقة الرؤية الإسلامية.

المبحث الأول: مكانة المرأة عند الملاحدة

إنَّ المرأة في نظرة الإلحاد عبارة عن كائن حقير بيولوجياً، وحتى يومنا هذا ما زال الملحدون يرون أنها كائن متخلف عقلياً، وأدنى من الرجل، وهذا ما أكده تشارلز داروين وذلك بقوله: "إنَّ المرأة أدنى في المرتبة من الرجل وسلالتها تأتي في درجة أدنى بكثير من الرجل".

ويقول في موضع آخر: "المرأة لا تصلح إلا للمهام المنزلة وإضفاء البهجة على البيت فالمرأة في البيت أفضل من الكلب للأسباب السابقة".

فنلاحظ عدائية لا مثيل لها من داروين اتجاه المرأة فهو يصنفها كمخلوق بين الإنسان والحيوان أي أفضل من الحيوان وأدنى من الإنسان، وإنَّ الدَّارس لكتب داروين لن يتفاجأ بكلامه هذا إذ إن نظريته مبنية على أنَّ البقاء للأصلح، والسلطة للأقوى، وأنَّ مدى قوَّة نوع تظهر في كيفية مقاتلته على البقاء، وأنَّ الضعيف الرديء لا يستحق الحياة، ولهذا نجد أنَّه بوب بابا في كتابه تطوُّر الأنواع (الانتقاء الطَّبِيعي أو البقاء للأصلح) يشرح فيه كيف أنَّ البقاء على الحياة يكون للأكثر صلاحاً وقوَّة، وبما أنَّ المرأة أضعف من الرَّجل فالرَّجل أصلح منها والأكثر استحقاقاً للحياة.

وكان لـ (أرثور شوبنهاور) الملحد الألماني الشهير، نزعة تشاؤميَّة لا نظير لها وبغض شديد للمرأة، ويرجع ذلك كما ذكر المؤرِّخون إلى علاقته المضطربة بأمه التي كانت تعيش حياة التحرُّر من قيود الفضيلة، فكان يراجعها دائماً ويخاصمها لذلك زُوي أنه ذات يوم بينما كان يراجعها دفعته من أعلى الدرج فسقط، ومنذ ذلك اليوم لم يرها قط.

ويُروى أيضاً أنَّه قال لها مقولته الشهيرة وهي: "أنَّ التَّاريخ لن يذكرها سوى بأنَّها كانت أما لشوبنهاور.. وبالفعل حدث ذلك.

فمن خلال هذه الآثار النَّفسية التي أثَّرت كثيراً في شوبنهاور صوِّر له عقله صورة سوداء عن المرأة، ومن الأدلَّة الواضحة على ذلك أقواله التي سطرها في كتبه، وعزمه على ترك الزَّواج حتى الممات وحدث ذلك بالفعل، يقول في أحد كتبه: "المرأة مهَيَّئة بطبيعتها لأن تكون ممرضة أو معلِّمة لنا و أن تظلَّ سخيفة منذ أ بكر أيام طفولتها لأنَّ عقليتها هي نفسها طفولية وسخيفة وتتميِّز بقصر النظر"، ويقول في نفس الكتاب: "لا يمكن أن يسبِّي الرَّجل مخلوقة صغيرة النهدين وعريضة المنكبين وقصيرة الساقين الجنس اللطيف إلا إذا كان ذهنه مشوشاً بشهوة جنسية طاغية فعلى هذه الشهوة فقط تتوقف كل صفات الجمال لدى المرأة لذا قد يكون الأولى بنا أن نسمي المرأة الجنس الوحش لا الجنس اللطيف".

ويرى الفيلسوف والكاتب الروائي الألماني فريدريك نيتشه أنَّ المرأة لا تصلح للعمل خارج بيتها، وأنَّها ضعيفة، وليست إلا وسيلة للتَّرفيه عن الرَّجال؛ إذ قال: "ينبغي أن يربِّي الرَّجل للحرب، والمرأة لاستراحة المحارب، وكلَّ ما عدا ذلك فحمق".

ولقد كان نيتشه متأثراً بأفكار شوبنهاور تأثراً كثيراً، فهو لا يخالفه في موقفه من المرأة بل ويصيغه بعنف أكبر وحقد أكثر.

ويشير (برتراند راسل) إلى أن عدوانيته نحو المرأة كانت انتصاراً لنفسه التي كانت ضعيفة أمام المرأة، فقد أحبَّ عدة نساء ولكن لم ينجح في مواصلة علاقته معهن فقد تركته حبيبته التي كان يحبها كثيراً وتزوجت بغيره، ولكن رأي برتراند يبقى غير مؤكَّد، إلا أنَّ الأمر الذي يمكننا أن نؤكد أنه هو التَّأثر الشَّدِيد بأستاذه شوبنهاور، وهذا ما

سطره نيتشه لما قال: "وجدت كتاب شوبنهاور مرآة طالعت فيها العالم والحياة بل وطبيعة نفسي مرسومة في جلال مخيف"، ويستطرد نيتشه قائلاً في هذا الشأن: "إنه ليبدو لي أن شوبنهاور كان يخاطبني أنا". فنظرته التشاؤمية نحو كل شيء ونحو المرأة بالخصوص ما هي إلا إعادة صياغة لأفكار شوبنهاور ممزوجة بنوع من العنف والكرهية فنراه يصف النساء بأنهن قحط وأبقار على أحسن تقدير، ويرى أن المرأة تظهر تفاهتها وضحالتها وميلها إلى السيطرة والتحكم والعواطف الهوجاء إذا ما تركت على سجيتهما، ويؤكد أن: "دورهن في الحياة يقتصر على الترفيه عن الرجال الأبطال الذين يتدربون ليل نهار على الحياة العسكرية الصارمة". وقد سطر نيتشه كل هذه الأقوال المخزية في كتابه (هكذا تكلم زرادشت) وفي كتابه (ما وراء الخير والشر). ولقد قام الطبيب النمساوي (سيغيسموند شلومو فرويد) بمهاجمة المرأة من خلال كتاباته ومقالاته ووصفها بأبشع الأوصاف، وبرغم أنه درس الطب العصبي وبرع فيه ويعتبر مؤسس علم التحليل النفسي إلا أنه كان جاهلاً بموضوع المرأة وحقيقتها، ولا يرجع هجومه على المرأة إلى أسباب نفسية ولا اجتماعية، فقد عاش حياة طبيعية مع والديه، وكذلك عاش حياة مستقرة مع حبيبته، ولكن يرجع هجومه على المرأة إلى دراساته التي كانت غير موضوعية باعتبار أن فرضيات أبحاثه العلمية حول المرأة كانت تابعة لأفكار مجتمعه آنذاك الذي كان ينظر بتلك النظرة للمرأة، فقد وضّح (ديميتري أفيرينوس) هذا في مقال تحت عنوان (فرويد ونفسانية المرأة) حيث قال: "فبصرف النظر عن الأخطاء التي وقع فيها فرويد نتيجة تأثره بروح عصره الذي عاش فيه يتحمل مسئولية هذا الأمر كذلك المتحمسون للنظرية الفرويدية الذين روجوا بكل حسن ظن لآراء معلمهم"، أضف إلى ذلك أنه كان من المتأثرين كثيراً بنظرية داروين وبآرائه حيث قال في هذا الشأن: "غير أن نظرية دارون التي شاع الإهتمام بها في ذلك الحين اجتذبتني إليها اجتذاباً قوياً لما كانت تبشر من تقدّم فائق في تفهّم الكون". ويرى فرويد أن المرأة من أقلّ الأشياء التي تؤثر في نموّ الحضارات إلّا في بعض النّشاطات مثل الحياكة.

ويروى عنه كثيراً أنه قال: "إن المرأة لا تصلح إلا لإشباع رغبات الرجل". ويقال أيضاً أنه كان يفضل الحصول على الأبناء دون البنات وقد حصل على 3 أبناء وبنيتين ولما حملت زوجته كان يتمنى أن يكون ولدًا لتكون السيادة للرجال ولكن ولدت له (آنا) التي أصبحت فيما بعد طبيبة مثله.

وقالت الملحدة (مارسي بيانكو): "تستبعد النساء من الحركة الإلحادية؛ لأن قاداتها يعتقدون أن النساء لسن مخلوقات عقلانية"، وكانت مقولتها تلك بعدما نُشر مقال يدفع النساء للخروج من حركة الإلحاد في أمريكا. وفي كل حروبهم القذرة كان للمرأة حصتها من المآسي، تقول المؤرخة الألمانية (مريام غيرهارد) في كتابها (عندما أتى الجنود): "بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية اغتصب جنود الحلفاء (الأمريكان والروس والبريطانيون والفرنسيون) 2 مليون امرأة ألمانية".

والعجيب أنّ مرتكبو هذه الجرائم يحاضرون الأفغان اليوم عن حقوق المرأة الأفغانية!!، ولذلك ينبغي علينا بيان مكانة المرأة في الإسلام مع كل فرصة وتوضيح كيف أن الإسلام كرمها أمًا وزوجًا وطفلةً وأختًا وبناتًا وأرملةً...

المبحث الثاني: المرأة بين الإسلام والإلحاد⁽⁵⁷⁴⁾:

من خلال هذه المقتطفات التي اقتبسناها من كتب هؤلاء الملحدّين أو من أبحاث و دراسات لفكرهم يتبيّن لنا

(574) المرأة بين الإسلام والإلحاد النصرانية /دكتور سامي عامري.

جلياً أن الملاحدة لم يعطوا للمرأة حقها وأنهم ظلموها وأسأؤوا إليها، والعجب كل العجب أنك تجد الآن كثيراً منهم يتهجم على الإسلام مدّعياً أنه ظلم المرأة ومنعها من حقوقها وهو يتناسى كل ما ذكره أعلامهم عن المرأة ويتناسى من جهة أخرى ما أخبر به الله في كتابه العزيز عن المرأة والمنزلة الرفيعة التي منحها إياها؛ إذ يقول الله سبحانه: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} {الأعراف: 189}.

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

فبينما جعل هؤلاء الملاحدة المرأة مخلوقاً غير الإنسان؛ أقر الله سبحانه وتعالى بأنها إنسان ككل الناس لها كرامتها وعزتها وأنه سبحانه فضّل الرجل والمرأة على كثير ممّن خلق تفضيلاً، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَخَلَقْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء: 70].

وبينما يشبه أعلامهم المرأة بالحيوانات، ربّ العزة سبحانه وتعالى يصفها ويصف بني آدم بأنه خلقهم في أحسن تقويم وأنه خلقهم فأحسن تصويرهم كما قال سبحانه: {الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ} [الإنفطار: 7] وقال سبحانه: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين: 4].

وبينما يصف هؤلاء المرأة بسخافتها وعدم أهميتها نجد أن الله سبحانه وتعالى أوكل إليها مهمة عظيمة ومشرفة وهي الجلوس في البيت ليس احتقاراً لها حاشا لله، ولكن لتربية أولادها تربية سليمة كي يصبحوا في المستقبل أسياداً لأقوامهم فيرفعوا راية الإسلام عالياً، فكفى شرفاً للمرء أن يوضع مستقبل الأمة (النشء) بين يديه، وبينما كان هؤلاء ينظرون إلى المرأة نظرة شهوانية محضّة، فإنّ رب العزة والجلال أمرها بستر نفسها كي يحفظ لها شرفها ويصون عرضها قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب: 59].

فالله سبحانه وتعالى هو الحكيم الخبير وهو الذي يعلم ما يصلح للبشريّة وما يصلح للذكر والأنثى، وشاء سبحانه أن يجعل لكل منهما مهمته التي تليق به فلا يظلم ربك أحداً قال الله تعالى: {أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ} [البقرة: 140]، ويقول تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: 14].⁽⁵⁷⁵⁾

المبحث الثالث: حقيقة الرؤية الإسلامية للمرأة⁽⁵⁷⁶⁾

دعونا في السطور التالية نترك للقرآن والسنة بيان رؤية الإسلام للمرأة، فثمة فارق كبير بين رؤية الإلحاد للمرأة، وبين رؤية الإسلام لها، والمتمعن جيداً في الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، سيُدرك أصول تلك الرؤية إدراكاً تاماً لا لبس فيه، حيث أنها ستؤرثه (علماً) بحال المرأة عصر البعثّة، (ووعياً) بثورة حقوقية ارتفعت بالمرأة فوق ثقافة العصر:

أولاً: المساواة في الاعتبار الأدبي ومنحه الهداية:

مساواة المرأة للرجل في الكرامة والهداية، حُكْمٌ مُعْلَنٌ من مبتدأ نزول الوحي، لا ينسخه تطاول الزمان ولا تقلبُ

(575) مقالة المرأة بين الإسلام وعلمانية الملحدين للباحث الإسلامي أبو ذر القسراوي.

(576) المصدر: كتاب: المرأة بين الإسلام والإلحاد والنصرانية د. سامي عامري.

قال تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 35].

وقال تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} [آل عمران: 195].

"من ذكر أو أنثى.. هكذا تتكرر القاعدة القرآنية في تقويم كيان المرأة، فأمر إتيان صالح الأعمال أو مقارفة خبيث الأفعال، لا يرتفع فوقه الإنسان بطبيعة هرمونية أو أعضاء تناسلية خاصة، بل هو منوط بمضغة في الصدر، تسمى: "القلب"، قد تصلح في المرأة كما تصلح في الرجل، وقد تفسد في المرأة كما تفسد في الرجل.

إن من يعمل سوءًا يرد جنهم مذوومًا مدحورًا، ويُسلم إلى الزبانية يذيفون به وبال أمره وحيدًا مخدولًا، أيًا كان جنسه، ذكرًا أو أنثى، ومن يُعمر صحائف أعماله بالجليل والعظيم من الخيرات يرد الجنان مغبوطًا، ذكرًا كان أو أنثى، وتزلف إليه النعم والخيرات، رجلاً كان أو امرأة..

وقال تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [البلد: 8-10].

إن الإنسان بجنسيه يملك - بعدل الله وأمره القدري - أمر ملابسة الخطيئة، وأمر التباعد عنها واجتنابها والارتفاع فوق دنيا الأمور ورذيلها.. لقد آتى الله سبحانه الإنسان معرفة فطرية وقدرة على التلقن والتلقي المعرفي والنمو الذهني والنفسي، وهو بهذه الفطرة المخزونة فيه، وهذا التحصيل المتراكم داخله؛ قادر بتوفيق الله أن يهتدي إلى الحق وأن يعمل به..

ثانياً: البراءة الأصلية للمرأة:

إن المرأة في القرآن ليست شرًا في أصل بنائها البيولوجي أو طبيعتها النفسية والاجتماعية؛ فالمرأة ذات إرادة حرة - كالرجل -، تختار أيًا من طريق "النجدين" تريد، فإن اخترت مسلك الهداية؛ فهي إلى جنات ونهر، وإن اختارت خط الغواية؛ هوت إلى دركات النار؛ جزاء للاختبار الحر لا للأصل الهرموني لتكوينها الخاص.. إن الصلاح ليس بضاعة ذكورية، كما أنه ليس نتاجا رجاليًا صرفًا.

ثالثاً: ميعار التفاضل بين النساء والرجال:

قال الحق سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13]، فالتقوى هي المعيار، بعد أن استوى الرجل والمرأة في ماهية الكينونة الإنسانية؛ فكلاهما أصل البشرية، وهما مكونا "الشعوب" و"القبايل".

وقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 77].

وقد كان أعظم إعلان في ميثاق تحرير المرأة؛ قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "...النساء شقائق الرجال".⁽⁵⁷⁷⁾

وقد فسر العلماء كلمة "شقائق" بالنظائر والأمثال؛ فالنساء في أصل التكليف وفي الحساب والعقاب والثواب

سواء بسواء مع الرجال، فليس الرجل سحابة بيضاء في سماءها ولو ارتكس في حماة الفساد وولغ من بئر الشقاء، وليست المرأة بالكائن الدنس ولو حصّلت من العلم والعمل خيرهما وأزكاهما. إن النساء مكلفات كما الرجال، يتعلق بأفعالهن الحكم الشرعي سواء كان وضعياً كالصحة والفساد، أو كان تكليفيّاً: إيجاباً أو تخييراً أو إباحة.

إن المرأة في الإسلام، كالرجل في الإسلام، من أحسن فلها، ومن ضل فعلها: {قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [الأنعام: 164].. وقال تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهْلَاهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} [فاطر: 18]، إن الخطيئة لا تورث!

فالخطيئة ليست جينات تنتقل، ولا ملابس تلبس قسراً، ولا أغلال يغل بها المرء رغماً عنه، إن الخطيئة هي أمر باطل يقارفه المرء عن اختيار وقصد، فهو فعل اختياري إرادي! وقد وهب الحق سبحانه الإنسان إرادة حرة (داخل إرادة القدر)، ونسب إليه إرادة ثانية في نفسه ومؤثرة في الكون، {لَمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ} [التكوير: 28].

كما كشف سبحانه أنه قد وضع أمام الإنسان طريقين، طريق الخير وطريق الشر؛ ليختار بنفسه، حتى يحق له العطاء بفضل الله، إن أحسن وجود، ويحق عليه العذاب؛ إن أساء وفرط..

رابعاً: المرأة وثورة الحقوق:

أعادت المنظومة التشريعية في القرآن والسنة صياغة رؤية جديدة لحقوق المرأة، ومن ذلك:

- أن الإسلام أعاد تعريف الزواج، بأن جعل جوهره، سكون الأنفس إلى بعضها، قال الله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الروم: 21].
وجعل للمرأة حقوقاً في الزواج، تؤدي إليها بالمعروف، قال الله تعالى: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [البقرة: 228].

قال ابن كثير: "أي: ولهن على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن، فليؤد كل واحد منهما إلى الآخر ما يجب عليه بالمعروف".⁽⁵⁷⁸⁾

- وأعطى الأنثى الحق في قبول من يطلبها للزواج ورفضه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تُنكح الأيم حتى تُسْتَأْمَرَ، ولا تُنكح البكر حتى تُسْتَأْذَنَ".⁽⁵⁷⁹⁾

- وأمر بإكرام العروس بالمهر، تحبباً: {وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً} [النساء: 4].

- وأمر الرجل بالإنفاق على الزوجة، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "ولهنّ عليكم رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف".⁽⁵⁸⁰⁾
- ورفعها لتكون سيدة في بيت زوجها، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته فلا مِيرَ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ عَلَيْهِمْ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالرَّجُلُ رَاعِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ

(578) تفسير القرآن العظيم" (1/363).

(579) صحيح البخاري: 5136، وأخرجه مسلم: (1419).

(580) المحدث: ابن جرير الطبري - المصدر: تفسير الطبري، 392/2/3، الراوي: جابر بن عبد الله، خلاصة حكم الحديث: صحيح.

بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، كُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ". (581)

- وأمر الزوج بالصبر على زوجته عند خطئها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ، أَوْ قَالَ: غَيْرُهُ". (582)

- وأوجب على الرجل أن يحسن فراق زوجته عند الطلاق: {الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فِيمَا سَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ} [البقرة: 229].

- وعظم حق الأم، وأوجب إكرامها: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} [الإسراء: 23].

- وأخبر أن طاعة الأم طريق مدلل إلى الجنة، قال الرسول صلى الله عليه وسلم عن الأم: "... فَالزَّمَهَا فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا". (583)

- وجعل حق الأم مقدم على حق الأب؛ فقد جاء رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبُوكَ". (584)

- وجعل للأنتى ميراثًا، وشدد على هذا الحق، قال تعالى: {لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا} [النساء: 7].

- ومنع أن تورث المرأة، مخالفا العرف العربي: فعن ابن عباس: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ" [النساء: 19]، قال: كَانُوا إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ كَانَ أَوْلِيَاؤُهُ أَحَقَّ بِأَمْرَاتِهِ؛ إِنْ شَاءَ بَعْضُهُمْ تَزَوَّجَهَا، وَإِنْ شَاءُوا زَوَّجُوهَا، وَإِنْ شَاءُوا لَمْ يُزَوِّجُوهَا، فَهُمْ أَحَقُّ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي ذَلِكَ". (585)

- ونزل قوله تعالى في النبي أن تورث زوجة الأب: {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا} [النساء: 22].

- وعاقب من يعتدي على عرض المرأة بالكلام بشديد العقاب، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: 23].

- ورفع عن المرأة تكليف الجهاد - وهو شديد - ويسر أجر الجهاد لها، وذلك أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل على النساء جهاد؟ قال: نعم جهادٌ لا قتالٌ فيه: الحجُّ والعمرة". (586)

- وقرر الإسلام للنساء حق في العلم، فعن أبي سعيد الخدري، قالت النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "غَلَبْنَا عَلَيْكَ الرَّجَالَ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَفِيهِنَّ فِيهِ، فَوَعَّظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ...". (587)

(581) أخرجه البخاري (2554)، ومسلم (1829) باختلاف يسير، الراوي: عبدالله بن عمر.

(582) صحيح مسلم (1469) / الراوي: أبو هريرة.

(583) أخرجه النسائي (3104) واللفظ له، وابن ماجه بعد حديث (2781)، وأحمد (15538) باختلاف يسير.

(584) أخرجه البخاري (5971)، ومسلم (2548) / الراوي: أبو هريرة.

(585) صحيح البخاري: الرقم أو الصفحة: 4579.

(586) خلاصة حكم الحديث: صحيح/ المصدر: البدر المنير: ص أو رقم: 9/36.

(587) صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 101.

- وعظّم إكرام البنات، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " من كان له ثلاثُ بناتٍ فصبر عليهن وأطعمهنَّ وسقاهنَّ وكساهنَّ من جدته كَنَّ له حجابًا من النَّارِ يومَ القيامةِ". (588)

وقال صلى الله عليه وسلم: "من عال جاريتين دخلتُ أنا وهو الجنةَ كهاتين وأشار بأصبعيه". (589)

- وحذر من ظلم النساء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني أُحَرِّجُ عليكم حقَّ الضعيفين: اليتيم، والمرأة". (590)
أي: أُضَيِّقُ على النَّاسِ في تَضْيِيعِ حَقِّهِمْ، وَأَشَدِّدُ عليهم في ذلك، وَأَحْدِرُهُم من الوُقُوعِ في ظُلْمِهِمْ، (الضَّعِيفِينَ) وهما اللذان لا حولَ لهما ولا قُوَّةَ، ولا يَنْتَصِرَانِ لأنفسِهِمَا، وقد وَصَفَهُمَا بِالضَّعْفِ اسْتِعْظَافًا وزيادةً في التَّحذِيرِ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كُلَّمَا كَانَ أضعفَ كانتْ عنايةُ اللهِ به أتمَّ، وانتقامُهُ من ظالمِهِ أشدَّ، وأوَّلَ الضَّعِيفِينَ (اليتيم) وهو الذي فَقَدَ أباهُ صَغِيرًا، وَفَقَدَ حِمَايَتَهُ ورعايَتَهُ، (والمراة) وَوَجَّهُ ضَعْفَ الْمَرَأَةِ ظَاهِرٌ بل محسوس، وقد جعلَ الشَّرْعُ لِلرَّجُلِ الْوَلَايَةَ عَلَیْهَا لرعايتها وحفظِ حقوقِها لا لَهْضَمِّهَا؛ فلا يُزَادُ في ضَعْفِهَا بضرِّها ومطالبتها بأكثر ممَّا أقرَّه وسمحَ به الشَّرْعُ تُجَاةَ الزَّوْجِ، والخِطَابُ هنا لأولياءِ المرأةِ والأزواجِ.

وفي الحديث: عنايةُ الإسلامِ بِحُقُوقِ الضُّعْفَاءِ عُمُومًا، واعتناؤُهُ بِحُقُوقِ الْيَتِيمِ وَالْمَرَأَةِ خصوصًا. (591)

- وكانت آخر وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم: "وَأَسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ..." (592).

- ويستمر تدفق الخير الإسلامي، وينبثق فيض النور من قول الحبيب صلى الله عليه وسلم: "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي". (593)

فإذًا، الإحسان إلى الأهل معيار للتمييز بين الأخيار والأشرار، بين أهل الإنصاف وبين المتخبطين في عتمة الظلام... فالمرأة - العار والشيطان عند غيرنا - هي في منظومة الإسلام، طريق مدلل للرجل إلى جنات عدن.. ومعبر مختصر إلى أرض الأمان.. بل سبيل إلى أن يرزق المرء أعلى مرتبة في جنات النعيم بمرافقة الحبيب الأمين صلوات ربي وسلامه عليه.

إن الأنثى ليست مرآة تعكس نقص العالم وفساده؛ بل هي دليل عظمة الخالق.. ودليل تناسق الكون وجماله.. هكذا تقول الآية القرآنية في قسم المولى عز وجل: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى} [الليل: 1-3].

(588) الراوي: عقبه بن عامر/ أخرجه ابن ماجه (3669) واللفظ له، وأحمد (17403).

(589) الراوي: أنس بن مالك/ أخرجه الترمذي (1914) واللفظ له، وأخرجه مسلم (2631) بلفظ مقارب.

(590) الراوي: أبو هريرة/ حكم الحديث: حسن/ صحيح الجامع/ الصفحة أو الرقم (2447).

(591) الموسوعة الحديثية/ الدرر السنية.

(592) الراوي: أبو هريرة/ أخرجه البخاري (5185، 5186)، ومسلم (47، 1468).

(593) الراوي: عائشة أم المؤمنين/ أخرجه الترمذي (3895) واللفظ له، والدارمي (2260)، وابن أبي الدنيا في (مداراة الناس) (154)

الباب الحادي عشر: الدعوة إلى الإسلام، والرد على الشبهات

ويتكون من الفصول التالية:

الفصل الأول: المشاريع الدعوية في دعوة الملاحدة للإسلام

ويشتمل على المباحث التالية

- التعريف بأساسيات الإسلام وفق مشروع GORAP.
- نماذج حوارية ملخصة لدعوة الملاحدة.

الفصل الثاني: حقيقة الإسلام ومعناه، وإلى ماذا يدعوا؟

ويشتمل على المباحث التالية

- حقيقة الإسلام ومعناه، وإلى ماذا يدعوا؟
- القاعدة الأساسية للدين الإسلام (كلمة التوحيد).
- لماذا خلقنا الله؟

- ماذا سأجد في مصادر الإسلام؟

الفصل الثالث: شبهات تُثار حول الإسلام

ويشتمل على المباحث التالية:

- الإسلام وحرب المصطلحات.
- الرد على الشبهات المثارة حول الإسلام.
- الإرهاب، حقيقته في الإسلام، وعند الغرب.

الفصل الأول: المشاريع الدعوية في دعوة الملاحدة للإسلام

المبحث الأول: التعريف بأساسيات الإسلام وفق نموذج GORAP (من فريق جمعية آيرا)

المطلب الأول: مقارنة وجود الله ووحدايته - الوحي والنبوة:

تعتبر مقارنة وجود الله ووحدايته - الوحي والنبوة - أداة فعّالة للغاية؛ لبناء وتنظيم حواراتك مع غير المسلمين.

- أهم ما تُعرّف غير المسلم بالإسلام، وكيف وُلدت فكرة "GORAP"؟⁽⁵⁹⁴⁾

هذه قصة شابٍ اعتنق الإسلامَ جديدًا وقد قرر أن يذهبَ دومًا إلى "Speakers' Corner Hyde park" في لندن، وكانت مهمته أن يُناقشَ ويُناظرَ ويردَّ على الشُّبهاتِ حولَ الإسلامِ لغيرِ المسلمين، فقد فتح الله له من العلم والشهرة الشيء الكثير، هذا الشاب هو عبد الرحيم جرين، أحد أشهر دعاة بريطانيا. ذات مرة قابل أحد الدعاة إلى الله -وهو شيخٌ مصريٌ ذو كعبٍ عالٍ في العلمِ أثناء رِحلةٍ دعويةٍ في أحد مساجد المسلمين هناك- قابل الأخوة المُصاحبين لهذا الشابِ النَّشيطِ في الدَّعوة إلى الله في "Hyde Park" وقد طلبَ منهم أن يري نشاطه وبالفعل جلسَ الداعيةً منصتًا له.

في آخر الجلسةِ مدَّحَ الشيخُ الداعيةَ الشابَّ، وأثنى عليه كثيرًا، قائلًا له: "أنت حقًا ممتاز في درءِ الشُّبهاتِ، وفنَّ الردِّ على الأسئلةِ، والدفاعِ عن الإسلامِ"، لكن سرعان ما فاجأه بصدمةٍ كبرى لم تكن متوقعة خاصةً أن هذا الشاب كان يُحاضرُ مئات الآلاف يوميًا من المسلمين وغير المسلمين، وأدهشهُ أنه قد نَبِيَّ أمرًا لا يقلُّ أهميةً عما سبقَ ذكرهُ، ألا وهو أنه لم يُعرّفهم أولًا بالإسلام!

يُعبِّبُ الشيخُ عبدُ الرحيم مكارثي على هذا الموقفِ خاصةً أنه فُوجئَ بذلك بعد عشرينَ عامًا من الدعوةِ الدؤوبِ والخبرةِ العاليةِ في هذا المجالِ لما كان شابًا، قائلًا: "إن هذا الأمرَ زلزلني بشدةٍ وكأنَّ شيئًا غليظًا دَفَعني في صدري بقوةٍ!

ظلَّ مذهولًا مُطرّفًا لبعضِ الوقتِ ثم بادَرَهُ الداعيةُ بالحلولِ العمليةِ والنصائحِ، وكانت من جملةِ النصائحِ: أنه يجبُ عليه:

- أولًا أن يُوَضِّحَ لهم أدلةَ وجودِ الله عز وجل وربوبيته وألوهيته وكمالِ أسمائه وصفاته سبحانه.

- ثانيًا: ذكُرَ التعريفِ بالقرآنِ والتعريفِ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم، فهذه هي الأصولُ والأُمورُ الأساسيةُ التي عليها مدارُ الإسلامِ والتعريفُ به إجمالًا.

ومن هنا وُلدت فكرةُ "GORAP"!

يقول الأخوة من فريق آيرا في بريطانيا: "بعد سنواتٍ طويلةٍ في مجال الدعوة، نلاحظ تكرار الأسئلةِ نفسها دائمًا، وعلى الرغم من وجودِ شروحاتٍ وافيةٍ لهذه الأسئلةِ (ودخولِ الناسِ في الإسلامِ في بعض الأحيان)، إلا أن أحدَ المشايخِ أشارَ إلى أنَّ الإجاباتِ لن ترضي السائلَ دائمًا؛ نتيجةً لعدمِ إقامةِ الأسسِ، ما يفتح المجالَ أمامَ طرحِ المزيدِ والمزيدِ من الأسئلةِ".

(594) في إطار برامج تأهيل المعرفين بالإسلام قدمنا في أكاديمية الصحابة أكثر من 7 دورات مكثفة باللغة العربية ودورة باللغة الإنجليزية عن التعريف بأساسيات الإسلام بنموذج GORAP قدمها المدربون: البريطاني عبد الرحيم جرين والارلندي عبد الرحيم مكارثي والبحريني علي بشارة وسلطان بلال وتسجيلات هذه الدورات موجودة على قناة الأكاديمية على اليوتيوب. وتم ترجمة ملف هذا النموذج من قبل الأستاذ علي بشارة الذي أذن لنا استخدامه جزاه الله خيرًا.

وقال الشيخ: "أنه إذا استطاع أن يثبت لهم بأن الإسلام هو دين الحق وأن القرآن الكريم من عند الله؛ لتوجب عليهم منطقيًا قبول ما قاله الله تعالى والإيمان به؛ ولأصبحت الإجابة على أي سؤال حول الإسلام بكل بساطة هي: (لأن الله أمرنا بذلك)".

وَتَمَثَّلَ التحدي الحقيقي في ذلك الوقت بالقدرة على إقناع غير المسلم بوجودِ إلهٍ، وأنَّ القرآنَ كلامُهُ، وأنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم رَسُوْلُهُ. وأفضى ذلك إلى ما أُطلق عليه اسم (المقاربة المنهجية للدعوة)، وهي عبارة عن منهج بسيط يجيب عن معظم الأسئلة، ويدخل مباشرة في صلب الموضوع: "العودة إلى البداية ووضع الأسس من خلال الدعوة إلى الله تعالى أولاً".

ويعتبر هذا الأسلوب ثمرة عشرين سنة من الخبرات المتراكمة في مجال الدعوة، وقد تم وضع أسسه بمساعدة عدد من الدعاة، والعلماء، وأهل العلم، ويرجع سبب نجاح هذه المقاربة إلى شرحها للمفاهيم الأساسية في الإسلام بطريقة منطقية وعقلانية، وتجنبها التطرق إلى القضايا المعقدة، وتقليلها من احتمالية وقوع المناكفات.

المطلب الثاني: سيناريوهات لدعوة الناس للإسلام، ومناقشتها:

نقاش: اقرأ السيناريوهين التاليين، ما هي المشاكل التي يمكنك تحديدها؟ (ملاحظة: هذان السيناريوهان مأخوذان من أمثلة من الحياة الواقعية).

السيناريو الأول:

تجتمع أنت وزملاؤك في العمل في فترة الاستراحة؛ فيبادر (جون) إلى سؤالك السؤال الآتي: "لماذا يصلي المسلمون؟" فتبذل كل ما بوسعك؛ لإجابته، إلا أن ذلك يفتح الباب أمام طرحه للمزيد من الأسئلة الاستيضاحية: "لماذا تحتاج إلى غسل قدميك في المغسلة؟"، "ألا يمكنك جمع كل الصلوات وأدائها كلها مرة واحدة في المساء؟"، "لماذا تحتاج إلى مد فترة استراحة الغداء أيام الجمعة؟".

ويستمر الأخذ والرد بينكما حتى انتهاء فترة الاستراحة، وجل ما قمت به هو الإجابة عن أسئلته الواحد تلو الآخر.

السيناريو الثاني:

أنت في جناح التعريف بالإسلام الذي يقام أسبوعيًا في مركز المدينة، تقوم بتوزيع منشورات عن الإسلام، تتقدّم نحوك سيدة وتقول لك بكل تهذيب بأنها مسيحية، وأنها تؤمن بالمسيح وأن ذلك كاف لها لأنه ابن الله الذي مات لتكفير خطاياها؛ فتبدأ بسرد آيات الكتاب المقدس التي تُظهِرُ عدم ألوهية المسيح و"جهله" بموعد قيام الساعة؛ لتثبت لها استحالة كونه إلهًا! ثم تقول لها بابتسامة صفراء: "لأي درجة كان إلهك ضعيفًا حتى مات على صليب؟".

السيناريو الأول: أين تكمن المشكلة فيه؟

في المناقشات الدعوية النمطية التي تشبه هذه، تدور الأسئلة عادة حول مسائل أكثر خلافية، كمكانة المرأة في الإسلام، والحدود القاسية، والجهاد، وقد يؤدي ذلك بطبيعة الحال إلى اشتعال النقاش؛ ليصل في بعض الأوقات إلى الشجار.

وتكمن المشكلة هنا في أن كل ما كنت تقوم به هو محاولتك الإجابة على أسئلته، ما يجعلك تدور في حلقة مفرغة من الإجابة على عدد لا متناهٍ من الأسئلة.

وفي الغالب، لا ترضي الإجابات السائل؛ لأن نظرته إلى الحياة برمتها مختلفة تمامًا. كما أنك لم تتطرق إلى المسألة الأكثر أهمية - وهي الإسلام ومعرفتنا بوجوب عبادة الله وحده. لذا قد يؤدي هذا الأسلوب في محاولة الإجابة عن كل سؤال إلى إشكالية أخرى ذات آثار طويلة المدى؛ إذ نسمح للشخص الاعتقاد بأن قيامنا بالأمور في الإسلام مبني على قدرتنا على استنتاجها بشكل منطقي؛ وهذا ليس صحيحًا؛ إذ نعمل ما نفعله في الإسلام؛ لأن الله الخالق العليم الحكيم أمرنا بذلك، وهذا ما تعنيه كلمة "مسلم"، الاستسلام والخضوع لله سبحانه وتعالى، هذا هو منظور رؤيتنا للأمور. وعليه، تتمثل الطريقة الأكثر فعالية في محاولة إفهام غير المسلم السبب في كون رؤيتنا ومنظورنا أكثر منطقية بالمقارنة مع غيرها، وبالتالي إذا استطعنا إيصال هذه الجزئية بصورة صحيحة، تصبح الدعوة عندها مثمرة جدًا بإذن الله.

السيناريو الثاني: أين تكمن المشكلة فيه؟

انظر إلى أسلوبك! أهكذا تتحدث مع من تحاول تقريهم إلى الله وتبليغهم الرسالة "بالحكمة والموعظة الحسنة"؟ في الواقع، قد يخالف هذا الأسلوب النواهي الواردة في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 108]، فسبك لمن يعبد، قد يدفعه إلى سب الله عز وجل. كما قد يؤدي هذا الأسلوب إلى تنفير الناس عن قبول رسالة الإسلام؛ لربطهم إياه بسوء الخلق، والفظاظة، والتطاول، وحتى لو رفض الشخص الدخول في الإسلام، فإن مناقشته بطريقة مناسبة، قد تجعله يدافع عن المسلمين ويرى الخير في الإسلام، بالإضافة إلى أنك تَبْقِي الباب مفتوحًا أمام مزيد من الحوار والنقاش، وعلى النقيض تمامًا فإن الفظاظة والتعالي تُغْلِقُ الباب بالكامل أمام استمرار النقاش؛ بل وقد تجعلك المتسبب بكرهه للإسلام ودعوته ضده.

المطلب الثالث: ملخص مقارنة وجود الله ووحدانيته - الوحي والنبوة

- 1- وجود الله: وهو عبارة عن مناقشة بسيطة حول كيفية معرفة وجود خالق للكون.
 - 2- وحدانية الله: نعطي بعض النقاط العقلانية التي تساعدنا على إظهار كيفية فهمنا لوجود خالق واحد، إله واحد، بعكس تعدد الآلهة على سبيل المثال، بالإضافة إلى فهم اختلاف ذات الله عن جميع مخلوقاته.
 - 3- الوحي والنبوة: نحاول إظهار وإعطاء أسباب متينة وأمثلة صلبة للإيمان بأن القرآن من عند الله، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله.
- فإذا استطعنا إقامة هذه الأمور، وتحصيل إقرار بصحتها، فهذا يعني بأن الشخص الذي نتحدث معه يتجه بخطى سريعة نحو دخول الإسلام إن شاء الله!

نصيحة مهمة:

تتمثل إحدى الجوانب العملية المهمة من اعتماد هذه المقاربة في استخدامها كخارطة طريق، أكثر منها كتركيبية جامدة؛ ولذلك عليك تَدَكُّرُ أَنَّ هذه المقاربة هي أساس بنيان دعوتك، والتي يمكن تشبيهها بالهيكل العظمي الذي يجب أن تكسوه باللحم والعضلات، إلخ فيما بعد، ولكن يجب أولًا: تشييد القواعد بشكل صحيح.

وينبغي عليك أيضًا فهم آلية عمل هذه المقاربة، والمفاهيم والخطوات بدلاً من حفظ الكلمات كما لو أنها نصوص مُقُولَة.

وكذلك اعتبار هذه المقاربة ملكك الخاص، فأضف عليها شخصيتك وعلمك، ولا تقلق إذا لم تنجح بذلك من المرة الأولى؛ خذ وقتك، وتعلم بشكل صحيح، وتدرّب! ثم تدرّب! ثم تدرّب! ثم ابدأ بالتحدث مع نفسك أمام المرآة؛ ثم انتقل بعدها إلى التدريب مع أسرتك وأصدقائك.

قبل تطبيق مقاربة وجود الله ووحدانيتها - الوحي والنبوة، لا بد من مناقشة جانبين مهمين يساعدان على إدارة حوار دعوي مثمر إن شاء الله:

الجانب الأول: التمهيد:

هو ما نقوم به لنقل الحوار من حوار عادي إلى حوار دعوي (مثال: حوار عن وجود الله ووحدانيتها - الوحي والنبوة)؛ ويعد ذلك من الأهمية بمكان؛ لأن مفتاح إدارة حوار دعوي ناجح هو استلام زمامه حتى تتمكن من التعريف بالإسلام.

وقد ينشأ الحوار الدعوي من أحد طريقتين:

(أ) التمهيد للحوار.

(ب) إعادة توجيه الحوار.

أمثلة:

التمهيد لحوار دعوي يتم من خلال سؤال غير المسلم ببساطة: "دايفد، أريد أن أسألك سؤالاً سريعاً لو سمحت: هل تؤمن بالله؟" أو "سارة: ما هو برأيك الهدف من الحياة؟"

توجيه الحوار إلى حوار حول وجود الله ووحدانيتها- الوحي والنبوة: يسأل دايفد على سبيل المثال: "لماذا يصلي المسلمون؟" بدلاً من الإجابة عن هذا السؤال وجميع الأسئلة التي قد تعقبه، أعد السؤال إلى أسسه.

ثلاث خطوات للتمهيد:

1- السلوك: تذكر ما قلناه سابقاً في محور "الداعية" - بخصوص السلوك والتصرفات: كن لطيفاً، ومراعياً؛ ابتسم، وصافح، واشكرهم على سؤالهم، وخاطبهم بأسمائهم، ونحو ذلك.

2- المفهوم: عد بهم إلى الأسس، وقد تضطر في ذلك إلى قول شيء من قبيل: "حتى تفهم الإجابة عن هذا السؤال بشكل كامل، عليّ شرح بعض المبادئ الأساسية في الإسلام."

3- الموافقة: الاتفاق على إجراء هذا الحوار: "هل لديك بعض الوقت للتحدث بهذا الشأن؟" وهذا مهم؛ لأنه إذا رفض أو كان على عجلة من أمره أو ردّ بأنه يريد منك فقط الإجابة عن سؤاله، فقد تحتاج عندها إلى إقناعه بأهمية فهم هذه المبادئ الأساسية، وقد لا تتمكن سوى من إعطائه منشوراً إذا كان مستعجلاً؛ لأن الأمر سيتطلب بعض الوقت لسماعه ما لديك؛ لذا علينا الحصول على موافقتهم؛ لإجراء هذا الحوار.

سيناريوهات مختلفة للتمهيد

قد تجد نفسك في ظروف وسيناريوهات مختلفة تتطلب منك بعض التفكير في كيفية البدء بالحوار، وقد يستدعي ذلك معرفة محيطك، وفهم الحساسيات الثقافية، واطلاعاً على خلفية الأشخاص الذين تتحدث معهم؛ لكيلا تثير استياءهم؛ كما قد تحتاج إلى استخدام مهارات التعامل مع الآخرين؛ لتهدئة الأجواء في حال

اشتعالها.

سيناريوهات مختلفة للتمهيد: نعم أو لا:

قد تواجه سيناريو يُطلب منك فيه الإجابة على السؤال بنعم أو لا. مثال: "هل يحرم الإسلام المثلية الجنسية: نعم أو لا!"

نقاش: كيف يمكن التعامل مع هذا السيناريو؟

نعلم في هذه الحالة الإجابة البسيطة، إلا أن ذلك يعتمد أيضًا على الثقافة وعلى الشخص الذي تحاوره؛ وقد تحتاج إجابتك للتحلي باللباقة والمراعاة، فقد يريد منك الأشخاص في بعض البلدان إعطاءهم إجابة مباشرة، في حين أن الاكتفاء بإعطاء إجابة مباشرة في بلدان أخرى قد يعد إهانة إذا لم يتبعها تفسير إضافي. تتمثل إحدى الطرق المعتمدة في التعامل مع مثل هذه الظروف في طلب معلومات إضافية لمعرفة سبب رغبتهم في الإجابة عن هذا الأمر بالتحديد؛ ما سيساعدك على معرفة المزيد عنهم.

وفي أحيان كثيرة، يجب عليك تعلّم حسن الاستماع قبل الخوض في الحوار الدعوي.

سيناريوهات مختلفة للتمهيد: أسئلة غريبة:

قد تواجه سؤالاً غريباً! مثال: "لقد سمعت أنكم أيها المسلمون تريدون قتل أطفالنا!"

نقاش: كيف يمكن التعامل مع هذا السيناريو؟

قد يكون الرد الأمثل في مثل هذه الحالات هو قول "هذا ليس صحيحًا، الإسلام لا يدعو إلى ذلك"؛ كما يمكن السعي لمعرفة السبب الذي أدى بهم إلى قول ذلك وطرح هذا السؤال.

والهدف من النقاش في نهاية المطاف، هو الخروج بحوار مثمر حول الإسلام وتعاليمه الأساسية.

كل ما عليك فعله هو الاستعانة بالله أولاً ثم بمهارات التعامل مع الآخر والمنطق السليم.

الجانب الثاني: فرضية الحوار القائم على مقارنة وجود الله ووحدانيته-الوحي والنبوة:

تتمتع فرضية الحوار القائم على مقارنة وجود الله ووحدانيته- الوحي والنبوة بأهمية بالغة؛ نتيجة إمكانية العودة إليها في كل مرة تتعارض فيها الآراء أثناء المناقشة.

كل ما نحاول فعله هنا هو التوصل إلى اتفاق مع الشخص الذي نتحدث معه بأن أفضل وسيلة لفهم العالم من حولنا هو من خلال استخدام المنطق السليم والعقلانية.

وأنّه إذا لم نستخدم المنطق السليم والعقلانية، فماذا نستخدم إذن لتحديد صدق أمر ما من عدمه؟ هل نعتمد على أحاسيسنا؟ أو على أعلامنا أو تجاربنا؟ هل ننظر إلى ما قاله أسلافنا؟ "أوه، هذا الأمر صحيح؛ لأن جدي أخبرني بأنه كذلك" أو "لقد انتباني شعور روحاني عظيم؛ لذا أعلم بأنه صحيح".

هل نتنظر رؤية علامة أو وقوع معجزة؟

تكمن المشكلة في اعتماد هذه الأساليب لاتخاذ قرار معين في افتقارها إلى الموضوعية، حيث يمكن لأي شخص ادعاء شعوره بذات الإحساس.

وقد يقول البعض، "هذا هو الحق؛ لأنني آمنتم بالمسيح وتغيرت حياتي جذريًا".

يمكن الرد على هذا القول: "يعني أنت تقول بأنه إذا غير أمرٌ ما حياتك، فيجب أن يكون صحيحًا؟ لقد غير الإسلام حياتي! إذن الإسلام هو الحق!".

توافق المنطق السليم:

نقاش: لماذا نستخدم المنطق السليم؟

لأنه أمر جامع ومنتشر! إنه شيء يمكن للجميع الاتفاق عليه، وما يتفق عليه الناس هو أفضل ما يمكن استخدامه لاتخاذ القرارات في حياتهم اليومية، بالإضافة إلى كونه موضوعيًا بنسبة كبيرة.

قياس بسيط:

ماذا تفعل إذا طرق باب منزلك رجل عاري تمامًا إلا من لباس داخلي أحمر، قائلاً: "إنه يريد الدخول لرؤية عداد الكهرباء؟" ما ستفعله ليس مهما بقدر أهمية الآلية والمدارك التي ستستخدمها لاتخاذ قرار بشأن هذا الشخص وادعاءاته، هل ستصدق من دون تفكير وتسمح له بدخول منزلك هكذا؟ هل ستصدق فقط؟ أم هل سينتابك إحساس؟ أم أنك ستفكر في الموقف وتطرح بعض الأسئلة، وتلجأ إلى المنطق السليم؟ أنا متأكد من أنك ستلجأ إلى الاختيار الثالث.

وحتى لو قلت له: "اذهب من هنا يا غريب الأطوار!" فقد اعتمدت على المنطق السليم والعقلانية؛ لفهم هذا الرجل ذي الملابس الداخلية الحمراء، تمامًا كاعتمادنا عليهما عند مواجهة معظم الأمور التي تعترضنا في حياتنا. هذه هي فرضيتنا وهذا ما نسميه (بتوافق المنطق السليم) للوصول إلى توافق مع غير المسلم، نلجأ في حوارنا إلى المنطق السليم ومداركنا المنطقية.

المطلب الرابع: وجود الله:

كيف تقنع غير المسلم بوجود إله خالق؟

يكن الهدف هنا في إقناع غير المسلم بوجود إله خالق، وذلك باستخدام دليل بسيط وواضح، ولديك مطلق الحرية في اختيار الدليل؛ لإيصال هذه الفكرة – سواء كان مبطنًا أو مباشرًا.

كيف تثبت ذلك؟ ما هو الدليل الذي ستستخدمه؟ ثمة عدد من الأدلة البسيطة المتاحة.

نقاش: كيف تسوق دليلًا يثبت وجود الله؟

دليل بسيط عن الخلق:

لنأخذ الهاتف الجوال كمثال.

يعد الهاتف الجوال مثالًا عمليًا؛ لأن أغلبنا يملك واحدًا، ويمكنك إظهاره لغير المسلم في خلال حديثك معه. وإليك الدليل: "مما يتكون جوالك؟ يتكون جوالك من بعض العناصر الأساسية – كالبلاستيك والزجاج، والسيليكون للشريحة، وبعض المعادن الثمينة، حيث يتشكل البلاستيك من الزيت والزجاج، ويتشكل السيليكون من الرمل.

فما تمسكه بيدك الآن هو عبارة عن زيت ورمل.

ماذا لو أخبرتك الآن بأنني كنت أسير في صحراء الجزيرة العربية (حيث يتواجد الكثير من الرمل والزيت) والتقطت جوالًا وجدته ملقياً هناك؟ ماذا لو قلت بأنه نتاج أحداث عشوائية تبلغ مليارات السنين؟

نُفِخَ الهواء، وَأَشْرَقَتِ الشمس، وَهَطَلَ المطر، وَبَرَقَتِ السماء، وَغَلَى الزيت، وبعد ملايين الملايين من السنين، تشكّل الجوال بنفسه، وأمسكته، وضغطت على زر الاتصال وتحدثت مع والدتي! أئمة أي احتمال لتصديق إمكانية تشكّل الجوال بنفسه بصورة عشوائية من خلال هذه العمليات الطبيعية؟ إذا استخدمنا المنطق السليم، لن يخرج أحد قط بهذا الاستنتاج!

بعد عرض ما في جعبتك، دعهم يفكرون في الكون: "إذا كنا لا نستطيع قبول هذا القول عن الجوال؟ فكيف يمكن إذن قبول هذا التفسير عن نشأة الكون والحياة فيه؟ ما هي الاحتمالات بالنتيجة؟ هل تشكّل هذا الكون الفسيح من خلال سلسلة من الحوادث العشوائية؟ أم تشكّل من العدم؟ أو ربما ظهور الرجل في اللباس الداخلي الأحمر أيضاً من اللا مكان؟

ولكن اسأل نفسك – هل سبق لنا رؤية شيء يظهر من العدم؟ أيعقل أنه خلق نفسه بنفسه؟ لا بد أن الأمر يحتاج إلى نقطة انطلاق يبدأ منها، وعليه، لماذا لا نطبق ذلك على كل شيء في الحياة؟ هل ستصرف كما لو أن الأشياء ظهرت من العدم وحدثت بعبثية، أم أنك ستؤمن بأن لكل شيء سبب؟
يخبرنا المنطق السليم بقيام أحد بتصميم الهاتف مستخدماً تلك العناصر؛ لذا يفترض بالمنطق السليم أن يخبرنا الشيء نفسه بالنسبة للكون، مع كل قوانينه وأنظمتها – التي تعد بالمناسبة أكثر تعقيداً من الهاتف الجوال.

كما تشير إلى وجود ذكاء أعلى لخلق الكون وهندسته، إذ يدل وجود المخلوق على وجود خالق؛ كما يعطيك تعقيد المخلوق وإتقان خلقه نبذة عن مدى ذكاء الخالق وقدراته.

النظام الكوني:

بالإضافة إلى ذلك، يمكننا إظهار توفّر أدلة تثبت وجود النظام الكوني، والتآلف الدقيق للأنظمة التي تحكم الكون، والتي لولاها لاستحالت إمكانية الحياة على الأرجح، ناهيك عن ازدياد أعدادنا وتطورنا كبشر!
- تقع الأرض في الدائرة القابلة للسكن – ولو كنا أقرب إلى الشمس أو أبعد منها قليلاً (بحسب المصطلحات الفلكية)، لكانت الأرض إما شديدة الحرارة أو شديدة البرودة.

- ماذا لو لم تكن تركيبة الغازات في مجالنا الجوي مقسّمة بهذه النسب الدقيقة بين الأوكسجين، وثاني أكسيد الكربون والنيروجين، أو لم يكن هناك طبقة أوزون لحماية الأرض من الأشعة الضارة للشمس؟

- عندما ننظر في نظرية الانفجار الكبير، التي يقولون عنها إنها أصل الكون، هل تستطيع عقولنا فعلاً تقبل فكرة تسببها بهذا النظام؟ متى أصبحت الانفجارات تؤدي إلى تشكّل أنظمة معقدة ومتناغمة، وتكوين أشكال حياة معقدة؟ هل تولّد الفوضى النظام؟ إذا قمت بإلقاء قنبلة في موقع للخردوات، هل سأخرج بسيارة كاملة المواصفات؟

تتمتع كل هذه الأمور بالتوازن المناسب وتوفّر الظروف المثالية للعيش. فمن دونها، لم يكن لهذه الحياة أن تقوم على الأغلب! هل نعتقد جدّاً بأن هذا التنظيم الدقيق حدث بالصدفة؟ أعيد وأكرر، يشير النظام الكوني إلى ذكاء الخالق!

الإقرار:

بعد تقديم هذه القرائن، يجب علينا الحصول على إقرار من غير المسلم؛ لنعرف ما إذا كان يتفق معنا فيما قلناه

أم لا؛ لذا اطرح عليه سؤالاً مثل: "هل تعتقد بأن كلامي منطقي؟" هل تتفق معي إلى حد الآن؟" إذا لم يكن مقتنعاً ولديه بعض الاعتراضات، فسيكون من الأسهل عليك التعامل معها في هذه المرحلة، بدلاً من الوصول إلى نهاية نقاط المقاربة، ثم الاضطرار إلى العودة لنقطة البداية.

المطلب الخامس: وحدانية الله:

كيف تثبت وجود إله واحد للكون؟

يكمن الهدف هنا في إثبات وجود إله واحد، وخالق واحد للكون، وتبيان سبب اختلاف الخالق عن المخلوقات. سنبدأ الآن الحديث عن بعض صفات الله المهمة المتعلقة بذات الله ومن يكون. ومرة أخرى، يعود الأمر إليك في اختيار كيفية الانتقال من موضوع وجود الله إلى وحدانية الله، طالما كان بمقدورك إيصال الفكرة (مثال: حسناً دايفد، بما أننا اتفقنا على وجود خالق لهذا الكون، لنناقش الآن من هو هذا الخالق؟"

نقاش: كيف تسوق الأدلة التي تثبت وحدانية الله؟

طبيعة الخالق:

بحسب تحليلاتنا، نستنتج وجوب اختلاف طبيعة الخالق عن طبيعة الكون. وبعبارة أخرى، الخلق والخليقة مختلفان! لماذا؟ لنعد إلى حجتنا الأولى وننظر إلى نظام الكون، نستطيع أن نستخلص ببساطة حاجة هذا النظام إلى خالق، والسبب في ذلك هو استحالة تشكّل الكون من العدم. فهذا الاعتقاد غير منطقي على الإطلاق؛ إذ لا يمكنك الحصول على شيء من لا شيء، فكيف إذا كان هذا الشيء معقداً كتعقيد الكون.

هل خلق الكون نفسه بنفسه؟

يتجلى لنا بوضوح عدم قدرة الكون على خلق نفسه بنفسه، ولا يوجد شيء يوحى بقدرة أي ذرة في الكون أو الكون مجتمعاً على خلق وتنظيم نفسه، وإذا رجعنا إلى مثال الهاتف الجوال، لن يستنتج عاقل قيام الهاتف الجوال بتطوير نفسه إلى آلية عاملة بشكل كامل.

من الذي خلق الخالق؟

إذا تشابه خالق الكون مع الكون، فهذا يعني تشابه طبيعتهما أيضاً، ما يعني حاجته إلى مصمم، ومنظم، ومحرك، وهذا الأمر مقبول من وجهة نظر منطقية، لكن المشكلة تظهر عندما نستمر بطرح السؤال التالي: "من الذي خلق هذا الكائن المعقد الذي خلق هذا الكون المعقد؟ يجب أن يكون أحداً أكثر قوة وتعقيداً". غير أننا سنظل عندئذ نسأل السؤال نفسه عن هذا الخالق، والذي يليه ثم الذي يليه، وسنبقى بحاجة إلى وجود خالق ليخلق خالقاً يخلق خالقاً آخر وهكذا إلى ما لا نهاية.

وثمة مشكلة في هذا الأمر؛ لأنه لا يسمح لنا بشرح كيفية وجود هذا الكون هنا والآن.

تَدَبَّر:

تخيل أنني أريد رفع طاولة، لكنها ثقيلة جداً ولا أستطيع حملها بمفردي! فطلبت من أحد الأصدقاء مساعدتي، فأجاب قائلاً: "نعم بالطبع، لكنني لن أساعدك إلا إذا قام أحد آخر بمساعدتي"، ثم اشترط هذا الآخر الشرط

نفسه قائلاً: "حسنًا! إذن لن أقوم بمساعدتك إلا إذا قام شخص ما بمساعدتي"، ثم تخيل استمرار الأمر على هذا المنوال حيث يضع كل شخص الشرط نفسه: "لن أساعد إلا إذا ساعدني أحد ما". ماذا تعتقد؟ هل سترفع هذه الطاولة من مكانها قط؟!

يعكس هذا المثل المشكلة المتمثلة بالقول بوجود خالق لخالق الكون، وبأن هذا الخالق مخلوق وهكذا دواليك. لا يمكن وجود خالقين يخلقون خالقين؛ لأنه كما لن تُرفع الطاولة، كذا لن تُخلَق الخليقة.

خالق غير مخلوق:

سيكون الاستنتاج العقلاني مرة أخرى باستخدام المنطق السليم أن خالق هذا الكون ليس مخلوقًا، والذي تختلف ذاته عن جميع مخلوقاته.

وفي السياق عينه، يمكننا الإضاءة على كيفية سريان الأمر نفسه على مختلف الجوانب، فعلى سبيل المثال، إذا كان لدى الخلق احتياجات، فإن الخالق سبحانه وتعالى غني عن الحاجة، وإذا كان الخلق مؤقتًا، فإن الخالق أزلي، وإذا كان الخلق مقيّدًا بالزمان والمكان، فإن الخالق لا يحده زمان ولا مكان، كما لا يمكن تقبّل فكرة وجود أكثر من خالق يتمتع بهذه الصفات؛ لأنه لو كان ثمة آلهة أخرى؛ لقيّد أحدهم الآخر؛ ولرجعنا بذلك إلى نقطة البداية.

الإقرار:

بعد سوق هذا الدليل، يمكننا أيضًا الحصول على إقرار يدُّنا على ما إذا كان الشخص الذي نحاوره مقتنعًا بما نقوله ويصدّق بصحته أو لا، فإذا أقر، يمكننا عندها الانتقال إلى باقي نقاط مقارنة وجود الله ووحدانيته- الوحي والنبوة.

المطلب السادس: الربط بين وجود الله ووحدانيته، وبين الوحي والنبوة

ننتقل في هذه المرحلة إلى جانب آخر من المقارنة، فبعد الانتهاء من مسألة وجود الله ووحدانيته، نربط الآن هذا الاعتقاد والدليل بالحاجة إلى الوحي والنبوة.

ويأخذ الدليل الشكل التالي:

نستطيع أن نرى بأن خالق الكون قد وقرّ الوسائل لكل احتياجاتنا، سواء الجسدية كالطعام والماء والهواء، أو العاطفية كالحب والصحة والأمان؛ لذا أليس من المنطقي أيضًا الاعتقاد بتوفير الله تعالى لوسائل تعيننا على إشباع احتياجاتنا الوجودية والروحية؟

إذن؛ ما الذي نقصده بالاحتياجات الوجودية؟

إليكم بعض الأسئلة "الجوهرية":

- ما هو الهدف من وجودنا كبشر؟

- لماذا هناك معاناة في هذا العالم؟

- إذا كان هناك خالق، فلماذا يسمح بحصول كل هذه الأمور السيئة؟

- لماذا خلّقنا وما الغاية من وراء ذلك؟

- ما هو مصيرنا؟

- هل هناك حياة بعد الموت؟
- ترتبط هذه الأسئلة الروحية بالله عز وجل، وبمجرد فهم المرء حتمية وجود الخالق، فمن الطبيعي أن يرغب بمعرفة المزيد عنه.
- هل سيساعدنا؟
- كيف سيقوم بمساعدتنا؟
- هل ثمة طريقة نعبر بها عن امتناننا لكل العطايا والنعمة التي منّ بها علينا؟
- كيف يمكننا التعبير بطريقة ملائمة؟
- هذا ما نسميه "العبادة"، وهي دافع قوي وفعال لدى جميع البشر.

فقط إذا أخبرنا الله

لماذا نعاني؟ (مشكلة الشر):

يعد استخدام وتقديم مثال لماذا نعاني؟ (الذي يسمى عادة بمشكلة الشر) فعالاً للغاية، وذلك بسبب شيوعه بين الناس، وخاصة في الغرب.

ويهمنا هنا الإشارة إلى بعض النقاط:

- 1- لا تنفي المعاناة وجود خالق؛ وذلك لتوصلنا إلى استنتاج عقلائي عن وجود الله.
- 2- يعتبر السؤال في الواقع عاطفياً أكثر منه عقلياً؛ فجلّ ما يستطيعون قوله هو "لماذا يسمح الله بوجود المعاناة والشر؟".
- 3- تكمن الطريقة الوحيدة لمعرفة الإجابة عن هذا السؤال في إخبار الله لنا، ويسري الأمر عينه على السؤال المتعلق بغاية وجودنا في هذه الحياة، فالسبيل الوحيد لمعرفة الإجابة المؤكدة، هو في إخبار خالق الحياة لنا عن ذلك.
- 4- من المنظور الروحي، يعد ما نعرفه عن الله تعالى من خلال العقل محدوداً جداً، فالعقل القاصر يعجز عن إيصالنا إلى أبعد مما وصلنا إليه، فما نحتاجه من هذه النقطة وصاعداً هو توجيه الله لنا.

إقامة الربط:

إن الربط الذي نقوم به في هذه المرحلة، هو حاجتنا لقيام الله عز وجل بشرح بعض الأمور لنا. ثمة حاجة لشكل من أشكال التواصل بيننا وبين الله تعالى:

- ليطلعنا عما يريد منا.
- لنعرف الغاية من وجودنا في الدنيا.
- ليخبرنا عن الحياة بعد الموت.
- لنعرف ما سيحصل لنا بعد الموت.
- ليس هذا وحسب، ولكن:
- لإخبار البشرية بوجوده.
- لتفسير طبيعته.
- لكيفية بناء علاقة معه.

- وشكل هذه العلاقة.

- وما هي العبادة؟

وبمجرد إقامة هذا الربط، وإظهار عِظَمِ هذه الحاجة، نستطيع عندئذ الانتقال للحديث عن أن الوحي (القرآن) من عند الله تعالى، وأنَّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو رسول الله. وَتَدَكَّرُ أَنْ تَرَكِيزْنَا يَعْتَمِدُ عَلَى إِعْطَاءِ النَّاسِ أَسْبَابَ وَافِيَةٍ عَنْ صِدْقِ الْإِسْلَامِ، فَمَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ بَدَايَةً، هُوَ إِقَامَةُ الرِّبْطِ، ثُمَّ الْإِنْتِقَالَ بَعْدَهَا إِلَى نَقْطَتِي الْوَحْيِ وَالنَّبْوَةِ.

المطلب السابع: الوحي الأخير للبشرية (القرآن الكريم)

ما هو القرآن الذي كثيرًا ما يتصدر أعلى الكتب مَبِيعًا وَتَوَازِيْعًا حول العالم، ويؤمن به ما يزيد عن مليار ونصف مسلم؟ وما هو مصدره؟ ولماذا يستحيل أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم هو من ألفه؟ (القرآن الكريم) هو كلام رب العالمين، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم؛ لهداية البشرية إلى سعادتها في الدنيا والآخرة، وتجنّبها الشقاء الأبدي بعد الموت، وهو خاتم الكتب السماوية نزولاً، مصدقاً وناسخاً لها، المتعبد بتلاوته وحفظه، كما أنه مُتَعَبَّدٌ بتطبيق أحكامه وشرائعه. بدأ نزوله بواسطة الملك جبريل عليه السلام بعد أن أتم النبي صلى الله عليه وسلم 40 عامًا، وكانت أول آية نزولاً: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: 1]، وينقسم القرآن إلى 114 سورة، وقد نزل مُفْرَقًا في 23 سنة بحسب المواقف والأحداث.

(والقرآن الكريم) آية ومعجزة أبدية، وهو دليل على نبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، تحدى الله الإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله أو بآية من آياته، فلم يستطيعوا ولن يستطيعوا، ولم تصل إليه يد التحريف والتبديل منذ نزوله قبل أكثر من 14 قرنًا، وسيبقى محفوظاً باللغة العربية التي نزل بها، حيث تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه الى آخر الزمان.

(والقرآن الكريم) هو المصدر الرئيسي للإسلام، والدستور الذي ينظم حياة البشر ويحكمها في كل زمان ومكان، يدعو إلى الطريق الحق، ويتضمن كل ما يحتاجه الإنسان لمعرفة ربه ودينه، وبداية خلق الكون، وأطوار المخلوقات، والغيوب التي يتطلع الإنسان لمعرفة، والأخبار عن شرائع الأنبياء السابقين عليهم السلام، وكيف نصرهم الله وأهلك أعداءهم، ومتضمنٌ لكل ما يريد الله من عباده من الفرائض، وما أعده الله لهم في الدار الآخرة، كما أنه متضمنٌ لكل ما أباحه الله أو حرمه على الإنسان، وفيه الدعوة إلى أصول الأخلاق المحمودة، والتحذير من الأخلاق المذمومة.

وهنا وَجَبَ التنبية على ضرورة أن يوفر المحاور المسلم للطرف الذي يحاوره ترجمةً للقرآن الكريم بلغته الأم، فلا يعطي له نسخة باللغة الإنجليزية حتى لو كانت هذه اللغة هي لغة الحوار بينهما.

ولا يختلف المؤرخون أن القرآن جاء على لسان رجل عربي، لا يقرأ ولا يكتب، ولد بمكة في القرن السادس الميلادي واسمه محمد (صلى الله عليه وسلم)، وشهادة التاريخ المتواتر لا تضاهيها شهادة، كما أننا نقرأ في هذا الكتاب بوضوح أنه ليس من عمل صاحبه، وإنما هو قولٌ كريمٌ أُلْقِيَ إليه من الله، وأُمرَ بتبليغه وتبليانه للناس بدون زيادة فيه ولا نقصان.

فهل يمكن أن يكون محمد رسول الإسلام قد اخترعه من تلقاء نفسه، أو تعلم ما فيه وأعاد صياغته وقدمه للناس بعد ذلك؟

لو كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو من كتب القرآن بنفسه في وسط الصحراء العربية الخالية من الكتب، ناهيك أنه أُمي، لكان عليه أن يواجه بالفعل عددًا من المشاكل، إذ عليه ألا يُخطئ أو يناقض نفسه، وممنوع أن تكون لغته ركيكة أو تكون هناك عبارات غير لائقة، كما يجب عليه أن يحافظ على اتساق رسالته، وقواعده كلما أضاف له شيئًا على مدار 23 عامًا، وأن يكون أفضل كتابٍ لغويٍّ وعلميٍّ على وجه الأرض. وكان عليه أن يكون بارعًا في الأحكام المدنية، والجنائية، وأحكام الأسرة والعمل، وأحكام النزاعات الشخصية، والأحكام المالية، والعقارات وغيرها.

وكان عليه أن يعرف التاريخ مع انعدام كتب التاريخ والمؤرخين حوله، وكان عليه أن يعرف القصص، وأحداث وسير الأنبياء من قبله، وتاريخ الدول السابقة، والأحكام الدينية اليهودية والمسيحية، وسيتعين عليه أن يعرف ذلك جيدًا بما فيه الكفاية؛ من أجل تقديم معلومات إضافية وتفاصيل غير موجودة في تلك الكتب.

وكان عليه أن يعرف كيف يقيم نظام دولة ويطور أمة تعيش في صحراء قاحلة. وأن يكون عنده علم بالعبادات والطهارة، وعليه أن يخترع قواعد للحمية الغذائية، وأن يكون ملهمًا بعلم النفس، وعلم التربية والتحكيم وتوزيع الثروات المالية، وقانون الميراث والتمويل والعمل، وفي العلوم: يجب أن تتوفر له معرفة بعلم الأجنة، وعلم المحيطات، وتشكيل سحابة الصفائح التكتونية، والأشعة فوق البنفسجية، ومعرفة دقيقه بالنباتات والجبال والنحل والدماغ البشري، ولكي يكتمل الكتاب يجب أن تكون لديه معرفة ببعض ما سيحدث في المستقبل، وحتى يتمكن من كتابة الأشياء التي سوف تحدث في السنوات القادمة، يجب أن تتوفر له القدرة على السفر عبر الزمن؛ ليدخل اسمه وذكره في الكتاب المقدس.

ويجب عليه أيضًا إبقاء عواطفه وحياته الشخصية خارج الكتاب، فلا يجب أن يعكس الكتاب الأوقات السعيدة ولا الأوقات الحزينة في حياته، كأنَّ إنسانًا هو الذي كتبها، لكنك عندما تقرأ القرآن من الغلاف للغلاف، لا تشعر أبدًا بموت زوجته، ولا تعرف متى تزوجت بناته؟ أو متى ولد أحفاده؟ أو متى انتصر؟ ومتى هُزم؟ ولذلك يتضح تمامًا لكل من يفحص القرآن، أنه لا توجد ثمة وسيلة تُمكن لرجل في الصحراء قبل 1400 عام أن يكتب مثل هذا الكتاب بهذه البراعة.

ولكن ماذا لو كانت هناك لجنة من العقول الذكية، أو جمعية سرية مسئولة تقوم بتصحيح القرآن وتحديثه وإعادة كتابته على مر السنين؛ لتكون مهمتهم التأكد من أن الكتاب يبدو دقيقًا ولا توجد فيه أخطاء أو تناقضات مع تحديثه بشكل مستمر؛ ليتوافق مع العلم ومع العالم المتغير؟!

إذا كان هذا هو الحال، إذن ستكون هناك إصدارات أخرى من القرآن؛ بسبب التعديلات والتحسينات، إصدارات جديدة منقحة، وإصدارات قديمة بها أخطاء، وسنكون قادرين على اكتشاف أنماط وتأثيرات الكتابة المختلفة من المؤلفين المختلفين.

الأمر المذهل في كل ذلك، هو وجود قرآن واحد لم يكتبه رجل واحد ولم تقم لجنة بتحريره، فمن أين أتى؟ ماذا لو كانت مجموعة من الشياطين الأذكى أثرت على رجل وأملت عليه أن يكتب القرآن؟

سيكون السؤال إذن، ما هو نوع الشيطان الذي يدعو إلى حسن السلوك، وإلى عبادة الله، وتكريم عيسى عليه السلام، والإحسان إلى الفقراء، والتحذير من الشيطان بكل الطرق والوسائل؟

لقد أتى القرآن بنتاج واضح، لا يمكن أن يكون مكتوبًا من قبل لجنة، أو شيطان ولا النبي محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك الحين؟

فإذا كان القرآن من عند الله تعالى، فهذا يعني أنه وحي، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم نبي الله بحق، وأنه صادق، وبما أنه كان نبيًا صادقًا، فينبغي أن نؤمن به وبرسالته، ووجب علينا طاعته.

مجالاتُ تحدث عنها القرآن

إنَّ من أهم المجالات التي تحدث عنها القرآن:

- إثبات وحدانية الله، ونقض شبهات أهل الإشراك به.
- قصص الأنبياء والأقوام السابقة.
- الدعوة إلى تأمل الكون الفسيح والنظر للمخلوقات من حولنا، وتعداد قدر من نعم الله علينا.
- توضيح شرائع الدين وأوامره ونواهيه.
- بيان صفات المؤمنين وأخلاقياتهم، والتحذير من الصفات السيئة.
- الحديث عن اليوم الآخر، وجزاء المحسنين والمسيئين.
- تربية المؤمنين عبر التعليق على الأحداث التي تحصل للنبي -عليه السلام وصحابته.

أدلة صحة الوحي (القرآن الكريم)

قبل أن نتطرق إلى الأدلة التي تثبت أن القرآن وحي من عند الله، دعونا نطرح تشبيهًا بسيطًا جدًا: في كل مرة تشتري فيها أدوات كهربائية أو جهازًا كالهاتف الجوال على سبيل المثال ما الذي تجده معه داخل العلبة؟ تجد دليل الاستخدام.

يُرفق هذا الدليل؛ لمساعدتك في معرفة كيفية استخدام الجهاز بصورة صحيحة، والمسموحات والممنوعات، وكافة التحذيرات والتوصيات.

ولقد أرسل الله تعالى التنزيل كدليل إرشادي يرشدنا فيه إلى الطريقة التي يجب علينا التصرف بها، والحلال والحرام، والتحذيرات فضلًا عن توصيات بشأن الحياة وكيفية عيشها، إلخ. ولذلك نحن نؤمن بأن القرآن الكريم وحي من عند الله عز وجل، وأنه دليلنا في هذه الحياة.

كيف تثبت كون القرآن وحي من عند الله تعالى؟

نقاش: ثمة عددًا من الأدلة التي تثبت أن القرآن من عند الله تعالى، وهي كالآتي:

الدليل الأول: التنقل:

ينتقل القرآن خلقًا عن سلف، والسلف عن سلفه، إلى أن يتصل ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم، المعلوم وجوده بالضرورة، وصدقه بالأدلة والمعجزات، ولقد أخذه الرسول صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن ربِّ العزة جل جلاله.

إذن؛ من قام بنقل القرآن إلينا في الأصل هما رسولان، رسول السماء جبريل عليه السلام، ورسول الأرض وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، وهما معصومان من الزيادة فيه والنقصان.

ثم نقله إلينا بعدهم أهل التواتر الذين لا يجوز عليهم الكذب فيما ينقلونه ويسمعونه لكثرة العدد.

الدليل الثاني: الحفظ:

وهو تأكيد لما سبق، فإن القرآن يحفظه الملايين من الناس في كل عصر، وتتناقله الأجيال عبر التاريخ بأرقى درجات الضبط والإتقان والدقة في كتابته ورسومه في المصاحف، وطرائق نطقه وأدائه، وحفظه في الصدور، لا ينقص منه حرف، ولا تزيد فيه حركة، وبإمكان أي إنسان أن يشتري نسخة منه اليوم من أقصى الصين، أو أواسط أفريقيا ليقارنها بالمخطوطات القرآنية التي كُتبت قبل ألف عام، وتحفظ بها المتاحف حول العالم؛ ليكتشف الحقيقة المذهلة، وأن طريقة نطقه بحروفه وكلماته وقواعد قراءته هي بعينها لم تتغير أو تتبدل، مع اختلاف الزمن، وتنوع اللغات، سواء سمعته من طفل يتلوه عن ظهر قلب أو سمعته من شيخ، أو من رجل أو امرأة، لا يزداد فيه ولا ينقص منه حرف.

وتدل قدرة كثير من الناس على حفظه - بالرغم من عدم معرفتهم للغة العربية - على أصله الإلهي، إذ أن الله تعالى قد تكفل بحفظه، يقول الله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: 9]، فالقرآن الكريم لم يُحفظ بشكله المكتوب وحسب، وإنما شفاهة أيضاً، مع وجود ملايين الحفاظ حول العالم الذين يحفظونه عن ظهر قلب.

وما يؤكد على صحة ذلك أنه بإمكانك شراء نسخة من المصحف الشريف من أي مكان في العالم، ومقارنتها مع المخطوطات التي لا يزيد تاريخ كتابتها عن ثلاثين سنة من زمن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وستجد أن النص هو نفسه لم يتغير (ما عدا نوع الخط، وبعض العلامات التي زيدت للمساعدة على النطق الصحيح).

ولقد سَمَّى الله خاتم كتبه: "القرآن"، إشارة إلى كونه متلوًا محفوظًا في الصدور، وسماه في كثير من الآيات: "الكتاب" إشارة إلى كتابته وحفظه في السطور، وقد حُفِظَ القرآن بالأمرين معًا، فكان إذا نزل عليه شيء منه كُتِبَ بحضوره، وحُفِظَ من فمه، ولا تُقْبَلُ شهادة الحفاظ مهما كثر عدده، ما لم توافق المكتوب، ولا يُقْبَلُ المكتوب ما لم يطابق ما تم حفظه من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الدليل الثالث: عدم القدرة على الإتيان بمثله:

يقول الله سبحانه وتعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: 23].

لقد تحدى القرآن الكريم العرب على الإتيان بسورة واحدة تشبه سور القرآن، فعلى سبيل المثال، سورة الكوثر بآياتها الثلاث رغم أنها أصغر سور القرآن، لكن لم يستطع واحد منهم أن يأتي بمِثْلِهَا مع أنهم كانوا فحول الشعر واللغة.

وقد اعتنق كثيرون الإسلام بمجرد سماعهم لأي القرآن الكريم، ووجدوا أنفسهم مهوتين وعاجزين عن الارتقاء إلى مستوى هذا التحدي على الرغم من قدراتهم اللغوية.

الدليل الرابع: وضوح الرسالة التي تعرّف بالله:

ينسجم ما يعلمنا إياه القرآن الكريم عن الخالق عز وجلّ مع ما يستطيع أي شخص التوصل إليه بصورة منطقية في أي مكان كان، وهو القول بوجود خالق واحد ليس كمثله شيء.

ويزخر القرآن الكريم بالكثير من الآيات الكريمة الواردة في هذا السياق، نذكر منها:

- وحدانية الله: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: 1]

- خلقه لكل شيء: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [الزمر: 62]

- حاجة كل شيء إليه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر: 15]

- استحقاقه وحده للعبادة: {إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه: 14]

إذا لم تستطع استحضار هذه الآيات، فإن سورة الإخلاص وحدها كافية؛ لإقامة الدليل: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: 1-4].

يمكنك أن تُري غير المسلم بعد المناقشة العقلانية، وما توصلتما إليه بشأن الخالق وماهيته بأن القرآن الكريم ينسجم تماما مع هذا المبدأ.

الدليل الخامس: الرسالة الشاملة للقرآن الكريم:

لا يتفق الاعتقاد بوحدانية الله تعالى مع العقل والمنطق السليم وحسب، ولكن يمكننا التطرق أيضا إلى شمولية رسالة القرآن الكريم، حيث أنها لا تخاطب قبيلة بعينها أو جماعة معينة من الناس، إنها رسالة تناسب الجميع بغض النظر عن عرقهم أو مكانتهم.

هذا وتعد الأحكام والإرشادات الواردة في القرآن الكريم شاملة، ويمكن لجميع الناس تنفيذها، كما تنسجم مع ما نتوقعه؛ بغية عيش حياة سعيدة، ومن هذه الأحكام:

- الحاجة إلى إقامة العدل: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: 90].

- بر الوالدين: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} [الإسراء: 23].

- الإحسان إلى الجار: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} [النساء: 36].

- إحياء النفس البشرية: {مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ} [المائدة: 32].

- عدم التكبر: {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا} [الإسراء: 37].

- عدم غش الناس: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [الإسراء: 35].

- عدم السرقة: {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} [الإسراء: 34].

- عدم أخذ الرِّشَا: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 188].

- عدم ارتكاب الزنا: {وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} [الإسراء: 32].

الدليل السادس: خلو القرآن من أي تناقض أو تعارض:

الحقيقة التي لا يمكن لمطلع منصف إلا الإقرار بها أن القرآن خالٍ تمامًا من أي تناقض أو تعارض؛ وذلك لأنه لفظاً ومعنى كلام الله عز وجل، تم حفظه وكتابته من فم النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم الذي أوحى إليه به، لا يزيد فيه، ولا ينقص منه، والمسلمون على اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم لم يختلفوا في كلمة منه.

الدليل السابع: اختبار إبطال القرآن:

يقدم القرآن الكريم اختباراً لإبطاله، وهو اختبار جيد يمكن تطبيقه على جميع الكتب التي تدعي كونها من عند الله تعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: 82].

الدليل الثامن: الدقة في القرآن الكريم:

ما يرتبط ارتباطاً وثيقاً باختبار إبطال القرآن ليس خلو القرآن الكريم من التناقضات فقط، وإنما خوضه في مسائل تتعلق بالتاريخ، واللاهوت، والفلسفة، والقانون، والطبيعة التي تفوق تفسيرات البشر.

ومن الأمثلة التي تؤكد على صحة هذا الدليل:

1- الدقة التاريخية: ومنها:

- الدقة التاريخية في اللقب الدقيق لحاكم مصر في زمن يوسف عليه السلام، وفي زمن موسى عليه السلام، حيث أشار القرآن الكريم إلى حاكم مصر في زمن يوسف عليه السلام بالملك، في حين أشار إلى اسمه في زمن موسى عليه السلام بفرعون.⁽⁵⁹⁵⁾

- الدقة التاريخية في اسم هامان الذي أُكْتُشِفَ في السجلات التاريخية، وكذلك في حِفْظِ جَسَدِ فرعون.

2- الطبيعة المتعددة الطبقات:

عندما يتحدث القرآن الكريم عن الطبيعة، فإنه يتحدث عنها بصورة تراعي أفهام القارئ في ذلك الزمن، وأفهامنا اليوم أيضاً، ومن أمثلة ذلك:

- وصف أصل الكون: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا} [الأنبياء: 30].

"عن ابن عباس حبر الأمة رضي الله عنهما قال في تفسير قوله تعالى: (كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا): أي كانتا ملتصقتين، فرفع السماء ووضع الأرض، ولقد كان الحسن وقتادة يقولان في (كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا): أي: كانتا جميعاً، ففصل الله بينهما بهذا الهواء، وقال مجاهد: أي: فتقهن سبع سماوات، بعضهن فوق بعض، وسبع أرضين بعضهن تحت بعض".⁽⁵⁹⁶⁾

- خَلْقُ الإنسان: يلفت القرآن الكريم انتباهنا إلى كيفية خلقنا كبشر من أصول بسيطة: {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً} [المؤمنون: 14].

نلاحظ هنا أن القرآن الكريم استخدم لفظ علقه والذي يعني الشيء المتعلق، أو العلق (الدود) والدم الجامد، أو الدم بصورة عامة.

ولقد وصف الأطباء الإغريق واليهود الجنين على أنه شيء متعلق ودم جامد، ولكن المثير للاهتمام هو إشارة لفظ علقه إلى العلق، وهذا في الواقع شكل الجنين في اليوم الثاني والعشرين إلى الخامس والعشرين من تكوّنه.

الدليل التاسع: النظم البديع والأسلوب المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب، وفي غيرها، حيث تميز:

(595) (المعرفة المزيد عن هذه المسألة، قم بتنزيل أو طلب كتاب "The Eternal Challenge" من موقعنا الإلكتروني: iera.org/shop).

(596) تفسير الطبري.

- الجزالة: فمن علم أن الله سبحانه وتعالى هو الحق، علم أن مثل هذه الجزالة لا تصح في خطاب غيره.

- الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا، وعن المغيبات في المستقبل التي لا يُطَّلَعُ عليها إلا بالوحي.

الدليل العاشر: الإعجاز البياني والنفسي:

يجد من يقرأ القرآن بتركيز أن القرآن يواجه قارئه بشكل مباشر وشخصي، ولا يتوقف عن نقاشه ومواجهته، والأعجب من ذلك أنه يسبق أفكاره ويوجهها، وكأنه يقرؤها قبل أن يصرح لنفسه بها!

فمع أن الفنان قد يستطيع رسم العين بحيث تبدو أنها تتابع الناظر أينما ذهب، ولكن كيف لكتاب أن يتابع أفكار القارئ ويتوقعها، ويجب على تساؤلاته قبل أن يطرحها أحياناً، مع اختلاف القراء، وتنوع ثقافتهم، وظروف حياتهم!

إن القرآن يمتلك ذلك الأسلوب الماهر في تشخيص نوازع الإنسان، وتعرية أسراره، وبيان ضعفه، فيما قد يبدو قسوة لقارئه في الوهلة الأولى، وما هو إلا أنه يوقظ النفس لي طرح على العقل والقلب معاً الأسئلة التي طالما أجَلَّها، وتهرب من الإجابة عليها.

فعندما يقرأ الواحد منا القرآن، ويطلع قصص فئات من الناس ووصفهم، ويعيش مع أسرار تفكيرهم ونفسياتهم ومنطلقاتهم، وضلال بعضهم ونجاة آخرين، يقف مع نفسه لوهلة يحاول فيها إعادة حساباته، ولكن ما هي إلا أن تتعدد تلك الآيات والصور والنماذج على التوالي، وبإيقاع يقترب من القلب شيئاً فشيئاً دون شعور، حتى يصبح القرآن مرآة للنفس، يُظهِرُ حقيقتها، عيوبها ونقصها، إمكانياتها وفرصها؛ فيتخلل نفس القارئ بعمق؛ ليأتي بها مدعنة، مقرة بأنه لا إله إلا الله.

فتجده حينما يراوده اليأس والقنوط يقرأ: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: 53].

وفي الوقت الذي يحتار، ويشعر بصراع يأكل داخله بعنف، ويريد ركنًا شديدًا يلجأ إليه، يجد اللطف في قول الله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: 186].

وحين يفكر في أن حياته خرجت عن السيطرة، ولم يعد قادراً على التحمل أو التحكم بمجرياتها، يجد البلسم الشافي، والمعين الداعم له في قول الله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 286].

ولقد اعترف (ويل ديورانت) أحد أهم مؤرخي الحضارة بأثر القرآن ومكانته بين جميع المنصفين فقال: "ولقد آمن بالقرآن كثير من رجال العلم والفكر في كل عصر من العصور الماضية، وفي هذا العصر الذي نعيش فيه، كما آمن به من لا يحصون كثرة من الناس على اختلاف حظوظهم من العقل والفكر؛ وما ذلك إلا لأنه جاء بالعقيدة الحقّة الواضحة التي يتقبلها الجميع، فهي أسهل العقائد، وأقلها غموضاً، وأبعدها عن التقيد بالمراسم والطقوس، وأكثرها تحرراً من الوثنية والكهنوتية.

ولقد علّم الإسلام الناس أن يواجهوا صعاب الحياة، ويتحملوا قيودها، بلا شكوى ولا ملل، وقد عرّف الدين وحدده تحديداً، لا يجد المسيحي ولا اليهودي الصحيح العقيدة ما يمنعه من قبوله {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ

قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلِكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي
الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة: 177].⁽⁵⁹⁷⁾

فهم "الإعجاز العلمي" في القرآن الكريم:

صار من المستحيل الحديث عن الإعجاز العلمي؛ والسبب في ذلك هو أن العلم ليس قطعي الدلالة؛ كما أن آيات القرآن تُحْمَلُ (في كثير من الأحيان) على أكثر من معنى، حيث أن القرآن ليس كتابا علميا، وليس هذا الغرض من نزوله، ولكنه كتاب آيات (أدلة).

وعلى الرغم من عيشنا في زمن يشيع فيه العلم، إلا أنه ليس معيارًا لاختبار صحة القرآن الكريم؛ لأن العلم يغيّر آراءه بصورة مستمرة وفقًا للمعطيات الجديدة الواردة، ولذلك تجد القرآن الكريم لا يتناول المسائل المتعلقة بالطبيعة من منظور علمي بحد ذاته، ولكنه منظور تفكُّري؛ فهو يطلب منا التفكير والتأمل في دلالة كل هذه الآيات على قوة الخالق وقدرته.

وعلى المحاور المسلم أن يفكر في الطريقة التي يمكنه استخدامها أي من هذه الأدلة والحجج، وعرضها بأسلوبه في خلاله حوار قائم على مقاربة وجود الله ووحدانيته – الوحي والنبوة.⁽⁵⁹⁸⁾

الإقرار: لا تنس الحصول على إقرار من غير المسلم؛ لتعلم ما إذا كان قد فهم أو وافق على صدق ما قلته.

(597) قصة الحضارة، المجلد 13 ص: 68-69

(598) للإحاطة بالمزيد من الأدلة عن الوحي، قم بتنزيل أو طلب كتاب "The Eternal Challenge" من موقعنا الإلكتروني: iera.org/shop

المطلب الثامن: النبوة (محمد رسول الله)

يتناول المحور الأخير من هذه المقاربة مسألة النبوة، ويكمن الهدف هنا في إظهار صدق نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لغير المسلم، بالإضافة إلى اختيار الله تعالى له وإرساله إلى البشرية.

وتتمثل الطريقة السهلة للقيام بذلك في فعل الآتي: النجاح في إثبات صدق القرآن الكريم، يؤدي بالتوازي إلى إثبات صدق نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: 158]. وهذا يعني نجاح هذه المقاربة بوجهها الآخر، أي إمكانية استخدام مقاربة وجود الله ووحدانيته- الوحي والنبوة، أو وجود الله ووحدانيته- النبوة والوحي؛ لأن إثبات أحدهما يؤدي إلى إثبات الآخر بشكل تلقائي.

كيف تثبت أن محمدًا صلى الله عليه وسلم نبي من عند الله؟

نقاش: كاذب أو واهم (بأبي هو وأمي) أو صادق؟

وتكمن إحدى الطرق المعتمدة في اختبار صدق ادّعاء النبوة من عدمها في عملية الاستبعاد.

ونستطيع تطبيق هذه العملية (الاستبعاد) على أي أحد يدّعي أمرًا معينًا، من خلال ثلاث خيارات أساسية:

1- كذب الشخص صاحب الادّعاء.

2- صدقه.

3- ظنه، أي: أنه يقول الحقيقة، ولكنه واهم أو مجنون.

الاختيار الأول: كاذب (حاشاه ذلك):

إنّ اتهام النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب أمر لا وزن له، فلقد كان معروفًا بشخصيته الفريدة، حتى قبل إعلان نبوته؛ ولذلك يمكنك العودة إلى الفترة الزمنية التي عاش بها النبي صلى الله عليه وسلم؛ لتعلم مدى انتشار الفساد فيها، ولكنه صلى الله عليه وسلم لم ينغمس في شرور مجتمعه؛ بل كان الأمر معه على النقيض تمامًا، فقد اهتمّ صلى الله عليه وسلم باليتامى والأرامل وساعد في تحسين المجتمع؛ ونتيجة لذلك كرمه الناس بمنحه لقب "الصادق الأمين"، وليس هذا وحسب، فقد كان أعداؤه يشهدون على صدقه حتى بعد إعلان نبوته عليه السلام.

ومن الأمثلة التي تثبت ذلك:

الواقعة التي حدثت مع أبي سفيان، والذي لم يكن قد أسلم في ذلك الوقت، حيث عُرفَ بعدائه الشديد للنبي صلى الله عليه وسلم، ولكن في لقائه مع هرقل (قيصر الروم) قام الأخير بطرح عدة أسئلة عن النبي صلى الله عليه وسلم، منها: "كيف نسبه فيكم؟"، أيزيد [أتباعه] أم ينقصون؟"، ثم سأله: "فهل كنتم تتهمونونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟"، فنفى أبو سفيان عنه ذلك.

ويقول أبو سفيان عند روايته لهذه الواقعة: "فوالله لولا الحياء من أن يأتروا عليّ كذبًا لكذبت عنه"، ويقول هرقل في نهاية هذه الرواية: "وسألتك هل كنتم تتهمونونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا، فقد أعرفُ أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله".⁽⁵⁹⁹⁾

هذا ويمكننا أيضًا مناقشة الأمر من ناحية عقلانية، فالناس تكذب؛ لتتجنب الأذى، أو لتحصل على بعض المكاسب، لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتجنب الأذى، بل اضْطُهِدَ، وقُوطِعَ، ونُفِيَ، وعانى من الجوع، ورماه

الصبيان بالحجارة؛ كما لم يحصل على أي مكاسب أو مغانم، إذ لم يعيش حياة بذخ وترف، وإنما أكل الطعام البسيط، كما كان يخيظ ثوبه، ويخصف نعله بنفسه. وفي تلك الفترة، عرض عليه المشركون الأموال، والنساء، والسلطة إذا توقف عن نشر دعوته، لكنه رفض ذلك رفضاً قاطعاً.

وعندما توفاه الله تعالى، لم يترك وراءه شيئاً سوى بغلته البيضاء، وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة.

الاختيار الثاني: واهم (بأبي هو وأمي):

واهم هي الكلمة اللطيفة حينما يقول أحدهم إنَّ شخصاً ما مجنون أو يعاني من مشاكل عقلية. وعند تحليل تعاليم الإسلام التي دعا إليها النبي صلى الله عليه وسلم، نرى عدم استطاعة رجل عادي الإتيان بنظام حياة كامل، يشمل أحكام الطعام، والزواج، والنظام الاقتصادي، والحياة الأسرية، والقانون الجزائي، والنظافة، والآداب العامة، وغيرها من نواحي الحياة، فمن أين جاء به إذن؟ ويستمر الإسلام إلى يومنا هذا في تحسين حياة الناس والتأثير فيها إيجابياً بشكل كبير، وذلك على المستويين العملي والروحي.

النبوءات:

تعتبر النبوءات وسيلة قوية؛ لتظهر عدم استطاعة أي امرئ التنبؤ بالمستقبل ما لم يُعلمه الله العليم به! ثمة نبوءة شهيرة يقول فيها النبي صلى الله عليه وسلم ما يلي: "ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتناولون في البنيان".

نرى اليوم هذه النبوءة واضحة جلية أمام أعيننا، حيث يتنافس العرب في الشرق الأوسط على بناء ناطحات السحاب (على سبيل المثال برج خليفة في دبي، وبرج المملكة والذي هو قيد الإنشاء حالياً في بلاد الحرمين). فإذا كان صلى الله عليه وسلم واهماً (بأبي هو وأمي)، فأنتى لرجل متوهم أن يأتي بمثل هذه النبوءات الدقيقة عن المستقبل؟

وختاماً، إذا تأملنا حياة النبي صلى الله عليه وسلم، نرى مرورها بالكثير من الأحداث التي إن كان واهماً أو كاذباً (حاشاه)، لسعى إلى الاستفادة منها كدليل لدعم كذبه وتوهمات (حاشاه وهو الصادق المصدوق).

ومن الأمثلة على ذلك، عندما حصل كسوف للشمس في نفس اليوم الذي تُوفِّي فيه ولده إبراهيم، فقد اعتقد كثير من العامة أنَّ الله تعالى أحدث الكسوف؛ لوفاة ابن النبي صلى الله عليه وسلم، ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم واهماً أو كاذباً (حاشاه)؛ لحاول انتهاز هذه الفرصة؛ لتعزيز ادعاءاته، غير أنه لم يفعل ذلك، بل قال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الشمس والقمر لا يُخسَفانِ لموتِ أَحَدٍ ولا لحياته، ولكنهما آياتان من آيات الله، فإذا رأيتموهما فصلوا".⁽⁶⁰⁰⁾

الاختيار الثالث: أنه صادق (صلى الله عليه وسلم):

إذا لم يكن كاذباً ولا واهماً (حاشاه)، فما هو إذن الخيار المتبقي؟

أنَّه كان يقول الحقيقة! لقد كان صلى الله عليه وسلم رسولاً من عند الله تعالى.

هكذا يمكنك إنهاء مسألة النبوة، ولكن لا تنسَ الحصولَ على إقرار من غير المسلم بذلك!

المطلب التاسع: تلخيص ومزاعم

لقد أتممنا بحمد الله مقارنة وجود الله ووحدانيتها- الوحي والنبوة. وحان الآن وقت تلخيص المقاربة، كمنهجية للدعوة إلى سبيل الله. لا غرو، أن الحوار القائم على مقارنة وجود الله ووحدانيتها- الوحي والنبوة يهدف إلى إعادة غير المسلم إلى الأسس عند سؤاله أي سؤال يتعلق بالإسلام، وإعطائه أدلة قوية عن صحة الإسلام.

المراحل المختلفة للمقاربة:

- 1- المرحلة التمهيدية: إعادة توجيه الحوار بإخبارهم بالحاجة لمناقشة بعض المفاهيم الأساسية.
- 2- المرحلة النظرية (توافق المنطق السليم): الاتفاق على اعتماد هذا الحوار على المنطق السليم؛ للحفاظ على الموضوعية.
- 3- وجود الله: إعطاء أدلة قوية عن سبب وجود الله.
- 4- وحدانية الله: إعطاء أدلة قوية عن وحدانية الله، واختلافه عن مخلوقاته.
- 5- مرحلة ربط الأمرين السابقين بالوحي والنبوة: أظهر لهم عجز عقولنا المحدودة عن معرفة ما يريد الله منا، وغايتنا من الحياة والأسئلة "الجوهرية" المرتبطة بها؛ لذا نحتاج إلى الوحي.
- 6- الوحي: إعطاء أدلة قوية عن أن القرآن قول الله تعالى.
- 7- النبوة: إعطاء أدلة قوية تثبت أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم مرسل من عند الله، هذا كل شيء.

نقاش: كيف تتعامل مع المزاعم الآتية المتعلقة بوجود الله ووحدانيتها؟

- عدم وجود أدلة ملموسة

- من خلق الله؟

- التطور؟

- مشكلة الشر

- المسيح هو الله

- المسيح هو ابن الله

نقاش: كيف تتعامل مع المزاعم الآتية المتعلقة بالوحي والنبوة؟

قد يطرح أحدهم أسئلة من قبيل:

- لقد نقل محمد صلى الله عليه وسلم القرآن من مصادر مختلفة بما فيها الكتاب المقدس.

- لماذا لا يرينا الله نفسه أو يرسل ملكا؟

- لا أتبع ديننا منظما.

- لقد أوحى إليه الشيطان.

- العلم مبني على التفسيرات، وربط آيات القرآن الكريم بالظواهر الطبيعية مرفوض.

تلخيص مقارنة وجود الله ووحدانيتها- الوحي والنبوة

قبل الانتهاء، لخص نقاط المقاربة التي ناقشتها معهم بصورة مختصرة.

تلخيص الإسلام:

تتمثل الخطوة التالية بعد تلخيص المقاربة في تلخيص الإسلام.

أظهر لهم أن الإسلام ليس دينًا معقدًا أو صعبًا! إنه سهل، ولكن الأهم من ذلك هو أنه منهيح حياة يُرضي الله؛ فهو عز وجل يريد منا أن نعيش حياتنا على هذا النحو.

أذكر أركان الإسلام الخمسة:

- 1- الإقرار بوجود إله واحد، لا شريك له ولا ندّ، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم هو نبيه الخاتم، (واشرح لهم وجوب اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن طريق النبي صلى الله عليه وسلم هو طريق الله تعالى).
- 2- يأمرنا هدي النبي عليه الصلاة والسلام بالصلاة خمس مرات في اليوم.
- 3- ويأمرنا بإعطاء الزكاة إلى الفقراء.
- 4- ويأمرنا بالصيام في شهر رمضان.
- 5- ويأمرنا بالحج إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة لمن يملك الاستطاعة المادية والبدنية.

إشرح بعض الخصال الحسنة:

كما يمكن شرح تفاصيل أخرى تتعلق بتشديد الإسلام على ضرورة التمتع بالخصال الحسنة، كالصدق وعدم الكذب، والوفاء بالوعود، وأداء الأمانات، وقول الحق ولو على نفسك أو أفراد عائلتك، واحترام الوالدين وبرهما، لا سيما في كبرهما، والإحسان إلى الجار، والحث على الخير ومقت المعصية، (فهذه هي الخصال الأساسية التي يجب على المؤمن أن يتمتع بها).

نطقُ الشَّهادة، أو دعوته لاعتناق الإسلام:

إذا أمهينا مع غير المسلم كل المسائل المرتبطة بمقاربة وجود الله ووحدايته - الوحي والنبوة، وفهم كل ما قلته له، وحصلنا على إقرار منه على كل نقطة من نقاطها، يتبقى لنا خطوة واحدة أخيرة، وهي نطق الشهادة، أو الدعوة إلى اعتناق الإسلام.

وهذه الخطوة مهمة للغاية أن تقوم بها؛ حيث أن كثير من المهتمين بالإسلام والمؤمنين به، لم يأخذوا خطوة الدخول في الإسلام؛ لا لشيء إلا لأنه لم يدعهم أحد لاعتناقه.

ويمكن دعوتهم بطريقة بسيطة جدًا كقولك: "دايفيد، بعد نقاشنا هذا حول الإسلام، ومعرفتك أكثر عن هذا

الدين، أود معرفة رأيك: هل يقنعك هذا الكلام؟ هل تعتقد أنه أكثر منطقية مما تؤمن به حاليًا؟

إذا كان كذلك، فأنا أدعوك بكل صدق إلى التفكير بالأمر، واعتناق الإسلام؛ ليكون دينك ومنهج حياتك".

وتذكر أن قبوله اعتناق الإسلام من عدمه ليس بيدك، فالهداية بيد الله تعالى وحده.

ماذا إذا رفض دعوتك إياه إلى الإسلام؟

إذا كان غير المسلم راغبًا باعتناق الإسلام، فاستعد لتلقيه الشهادة، أما إذا لم يكن راغبًا بذلك، فلا تظن أن دعوتك تنتهي هنا، وإنما امنحهم بعض الوقت، وزودهم بعنوان منظمك الدعوية أو المسجد في حال إذا طرأ لديهم أية أسئلة استيضاحية، ولا تنس أن تعطيهم بيانات الاتصال بك.

وماذا إن قبل دعوتك إلى الإسلام؟

يجب على كل من يريد اعتناق الإسلام، إدراك ما ينطوي عليه نطق الشهادة، ومدى عظيم الإعلان به.

هل يعرف الراغب/الراغبة باعتناق الإسلام حقًا ما تعنيه هذه العبارة وما تنطوي عليه؟

ما تقوم به عند نطقك الشهادة هو:

- الدخول في عهد مع الله عز وجل: بالتزام عبادته وحده، دون عبادة أي أحد أو أي شيء آخر معه.

- اتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم قدوة: فهو مرشدنا في كيفية عبادة الله وعيش حياة ترضيه سبحانه.
- إشهار انضمامه/انضمامها إلى صفوف المسلمين، وقبول الحقوق والواجبات المنبثقة عن ذلك.
- فلا بد أن يُبنى اختيار نطق الشهادة على قرار واعٍ ومدروس! فلا تحاول استغلال الناس أو خداعهم لنطق الشهادة! لأنه في الأخير قرارهم ويجدر بهم معرفة ما ينتظرهم. (وبذلك نكون قد أتممنا مهمتنا).

تنمية ودعم المسلمين الجدد

لا بد لجميع المنخرطين بالعمل الدعوي فهم الآتي بصورة جيدة، وهو أن الدعوة لا تنتهي بنطق الشهادة، وإنما ينبغي إقامة نظام دعم لمن يعتنقون الإسلام؛ فمن المحزن للغاية رؤية مدى نشاط العمل الدعوى، والذي يترتب عليه بفضل الله ومنته اعتناق آلاف الأشخاص الإسلام سنويًا، ثم تكتشف غياب آليّة أو خطةٍ لمتابعة المسلمين الجدد.

نشاط:

- بعد نقاش مطوّل مع دايفد وبعد دعوتك له لاعتناق الإسلام، يوافق دايفد ويستعد لنطق الشهادة.
- الحمد لله لقد أصبح الآن مسلمًا! والآن حان الوقت للتفكير بوضع خطة له كمسلم جديد.
- ضع خطة لمساعدة دايفد في رحلته كمسلم، وفكر بالنصيحة التي ستعطيها له.

وضع خطة للمسلم الجديد:

عندما يعتنق أحدهم الإسلام، ينبغي تحويل التركيز على هذا المسلم الجديد، والبدء بدعمه وتوجيهه، فإذا كنت تقوم بالدعوة في الشارع على سبيل المثال، اترك كل شيء واهتم به. قم بإعطائه نصيحة أساسية، وذلك بأن تقول له: "عليك أن تتعامل مع الأمر بخطوات بطيئة ومتينة، فهذه رحلة وليست سباقًا، وكما هو الأمر في كل الرحلات، يجب علينا أن نستعد لها أتم الاستعداد؛ ولذلك من المحتمل أن نواجه بعض الشدائد والصعوبات، مع وجود لحظات من الراحة والسعادة، إلا أن الأمر يستحق كل ذلك؛ لأن هذه الرحلة هي إلى الله سبحانه وتعالى وإلى جنانه". ثم طمئننه بحصوله على دعمنا ومساعدتنا في خلال هذه الرحلة، كأن تُعرِّفه على موجّه، أو تُرشِّده إلى مكان المسجد، أو تَبْقَى على تواصلٍ معه والدعاء له.

نقاش:

تأخذ دايفد إلى المسجد، وتعرِّفه على الأخوة والإمام، وتعرفه كذلك على موجّه المسلمين الجدد، فهو لا يزال حديث عهد بالإسلام، ومن المتوقع أن يمر ببعض الظروف التي قد يحتاج فيها إلى دعم في أي وقت، فمع من يجب أن تكون جهة اتصاله الأولى؟

وتتمثل إحدى أهم الأمور في ربط المسلم الجديد بالله عز وجل من خلال الصلاة والدعاء، وعلى الرغم من أهمية بناء علاقة بين المسلم الجديد مع المسجد والموجهين الآخرين، إلا أن الأهم من ذلك هو ربطه بالله، وبناء علاقته الروحية؛ لذا يكمن تركيزك الأول على الصلاة! ثم الصلاة! ثم الصلاة! وعمليًا كل ما عداها يعتبر ثانويًا؛ فبِاتِّصَالِهِ بالله فقط، سيستطيع التعامل مع المشاكل وإيجاد حلول لها، كما أنّ الصلاة تقيه من ارتكاب الشرور

والخطايا. (601)

(601) اسْتَعْدِدْ مِنْهَجِيَّةِ P.R.A.Y. و E.A.S. لتعليم الصلاة (تمت مناقشتها في دورة نجاح المسلم الجديد).

المبحث الثاني: نماذج حوارية ملخصة لدعوة الملاحدة

ما أحوج البشرية إلى التَعَرُّفِ إلى أسس الإسلام، وبعبارة موجزة وشيقة تناسب المستويات المتنوعة؛ ليتكوّن لدى كلّ منصفٍ يبحث عن حقيقة هذا الدين مِنْ مَرَاجِعِهِ الموثوقة، فكرةً واضحةً يُزيلُ اللُّبسَ عنه، ولا يُورثُ عليه شبهة، مراعيًا في ذلك الوقت والتنوع والشمول.

وسنطرح في السطور التالية نموذجين، يمكن للمحارو المسلم الاستفادة منهما، ومحاكاتها في حال إذا ما تعرض لأمر مشابه:

المطلب الأول: نموذج ملخص لدعوة ملحد تخصصه إدارة أعمال:

يقول أحد المشايخ: "دعانا أحد الأخوة المشهود لهم بالصلاح إلى الإفطار، وكان من بين الحضور دكتور في إدارة الأعمال، والذي كان يعمل مستشارًا لوزير المالية في الشؤون الجمركية.

فقلت له: عندي أسئلة إدارية، فهل أنت مستعد لإجابتها؟ فقال: نعم.

سألته: هل يمكن أن ترجح مؤسسة لزمان طويل جدًا دون إدارة؟

قال: مستحيل، لا بد من كل مؤسسة من إدارة.

فقلت: هذا الكون، هل هو مؤسسة؟

قال: أجل، هو مؤسسة كبيرة.

قلت: إذن، من يديره؟

فتردد وتلكأ، فقلت: لا يمكن أن يديره إلا الذي خلقه وصوره.

قال: نعم.

قلت: هل يمكن أن تكون هناك مؤسسة ناجحة بها إدارتان متساويتان وليس فوقهما إدارة عليا

تأمر وتنهي؟ قال: لا، من قواعد الإدارة وحدة المرجع التنظيمي، فلا يمكن تعدد المسؤولية.

فقلت: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنبياء: 22].

فسألني عن ترجمة الآية فترجمت له: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ

بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ} [المؤمنون: 91].

وسألته: هل يمكن أن تقابل الإدارة العليا جميع المنتسبين إلى المؤسسة في كل صغيرة وكبيرة؟

قال: لا، إنما تقابل رؤساء العمل.

فقلت: أولئك الرسل.

ثم سألته: رأيت لو أن الإدارة أصدرت قرارًا بأن الدوام يبدأ من الساعة الثامنة صباحًا، وبعد

مدة أصدرت قرارًا آخر بأن الدوام يبدأ من الساعة السابعة صباحًا، بأيهما سوف يعمل

الموظفون، بالقرار الأول أم بالأخير؟

قال: بالأخير.

قلت: الأول المسيحية، والثاني الإسلام.

فتردد ثم قال: لماذا تغير الإدارة التوقيت؟

فقلت: لماذا تغيرون أنتم التوقيت من الصيفي إلى الشتوي ومن الشتوي إلى الصيفي؟

قال: لمصلحة العمال.

قلت: أيضًا تغيير التشريع لمصلحة العمال.

قال: كيف ذلك؟

قلت: أنت مقر أن أول أسرة في العالم من البشرية هي أسرة آدم.

قال: نعم.

قلت: لو أن آدم شرع له تحريم زواج الإخوان، هل سينتشر العالم؟

قال: لا.

قلت: هل يمكن أن يبقى تشريع الإخوان مشروعًا، أن تزوج بأختك الشقيقة؟ قال: لا.

قلت: إذن تطوّر العالم يقتضي تغييرًا في التشريع.

انظر إلى سرعة بديهية المحاور، وقوة حوار مع الطرف الآخر، وكيف أنه درس جيدا خلفية المدعو، ومن ثم ضرورة الاستفادة من هذا الأسلوب في الحوار وتقليده في مكانه المناسب، ولو أننا نصنع من هذا السيناريو فيديو جرافيك، ثم نترجمه إلى لغات العالم؛ فسيكون له أبلغ الأثر بمشيئة الله في إسلام غير المسلمين، والسؤال هنا: من لهذه المهمة العظيمة، والمترتب عليها أجور لا يعلم قدرها إلا الله عز وجل؟

المطلب الثاني: نموذج حوار ينفذ مع 90% من غير المسلمين:

صديقي غير المسلم، هل تأذن لي أن أعطيك أهم المعلومات عن حقيقة الإسلام بشكل ملخص، وفي نصف ساعة؟

دعني أسألك في البداية: ألا يؤرقك سؤال نفسك: من خلقتني ولماذا؟ وإلى أين أذهب بعد الموت وما مصيري؟ من هو الإله الحق؟ من نعبد؟ وما هو المثوى الأخير؟ كيف أفوز بالجنة والحياة الأبدية؟ ما الهدف من كل هذا الوجود؟ أليس مقلقًا إن كانت النهاية موتًا وترابًا وعدمًا؟ ألا تكون الصدمة عظيمة إن لم تكن مهينًا لما بعد الموت؟

حين يتأمل المرء الأرض التي يعيش عليها، ويرى هذا الكون الواسع الجميل، السماء بنجومها الكثيرة، والأرض بجبالها، ووديانها، وأنهارها، وأشجارها وزروعها، وهوائها، ومائها، وبرها وبحرها،

بليها ونهارها، كل ذلك يسير وفق نظام متقن – حين يتأمل ذلك لا بد له أن يتساءل: من الذي خلق هذا كله؟ مَنْ {الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ} (602)، الماء الذي لا تقوم الحياة إلا به، فأخرج به النبات، والأشجار، والأزهار والثمار، وسقى به الناس والأنعام، وهياً الأرض لتحتفظ به؟ من الذي خلق الإنسان، فأبدعه، وجعله في أحسن صورة؟ فحينما يتأمل المرء في نفسه، يجد العجب في إبداع الخالق، وإحكام صنعه، تأمل في أجهزة جسمك المختلفة التي تعمل بطريقة محكمة، ولا تعرف عن عملها إلا القليل، فضلاً عن استطاعتك التحكم فيها.

انظر إلى الهواء الذي تستنشقه، لو توقف عنك لحظة لفارقت الحياة، من الذي أوجده؟ هل يظن عاقل بأن الكون وما فيه خُلق عبثاً، وأن الناس يُولدون، ويعيشون على هذه الأرض زمناً ثم يموتون، وينتهي كل شيء؟ أو أن الكون وُجدَ بالصدفة أو أوجد نفسه بنفسه؟ وبما أن هذين الاحتمالين مستحيلان؛ إذن فلا بد أن هناك من أوجد كل هذا. نعم؛ إنه الله الخالق الذي خلق الكون كله، وهو وحده الذي يتصرف فيه ويسيره، إنه ربك الذي خلقك، ورزقك، ويحييك، ويميتك، وهو الذي أوجدك من العدم، كما أوجد هذا العالم كله من العدم.

ألا يستحق استثمار ساعة للتعرف على خالقك وماذا يريد منك؟ ولماذا خُلقنا نحن البشر؟ ومن يجيبني على كل أسئلتني؟

الفصل الثاني: حقيقة الإسلام ومعناه، وإلى ماذا يدعو؟

إن الإسلام يحثنا على التفكير والتأمل وإعمال العقل وأن نبي أحكامنا على الدليل الصحيح، ونجد أن القرآن يشير إلى ذلك، فقد حكى الله لنا فيه عن أهل العقول والتفكر، فقال: {وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ} [آل عمران: 191].

صديقي، ألا يهملك أن تتعرف بعمق وبجديدية على الدين الأكثر والأسرع إنتشارًا كما أثبتت الإحصاءات العالمية؟ ما السبب من وراء ذلك؟ ما رأيك أن تعطي نفسك ولو مرة في حياتك الفرصة؛ لتتعرف على الإسلام من مصادره الموثوقة، ثم تحكم عليها بموضوعية واتزان؟

ولذلك دعني أولاً أعرفك بحقيقة الإسلام ومعناه، وإلى ماذا يدعو- باختصار شديد:-

(الإسلام) هو الاستسلام لله خالق الكون ومدبره، والانقياد له محبة وتعظيمًا، وأساسه هو الإيمان بالله، وأنه هو الخالق وكل ما سواه مخلوق، وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، لا معبود بحق إلا هو، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وله الكمال المطلق بلا نقص، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا ولا مثيلًا، لا يحل ولا يتجسد في شيء من خلقه.

(الإسلام) هو دين الله تعالى الذي لا يقبل من الناس دينًا غيره، وهو الدين الذي جاء به جميع الأنبياء عليهم السلام.

(وللإسلام) أركان خمسة، هي: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.. وإقامة الصلاة خمس مرات في اليوم.. وإيتاء الزكاة وهو مقدار يسير يؤخذ من الأغنياء ويعطى للفقراء مرة واحدة في العام.. وصوم رمضان وهو شهر واحد في السنة.. والحج، وهو شعائر تُؤدَّى في مكة مرة في العمر لمن استطاع ذلك.

(ومن أصول الإسلام) الإيمان بجميع الأنبياء، بل إنَّه الطريق الأعظم لمعرفة الله عز وجل؛ فلقد أرسل الله تعالى الرسل والأنبياء إلى الناس؛ ليبينوا لهم الحق من الباطل، ويدعوهم إلى عبادة الله تعالى، ولا شك أن هذا البعث دليل على وجود خالقٍ عظيم، يريد هداية عباده، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} {الأنبياء: 25}؛ فالرسل هم مَنْ أخبرونا عن الله عز وجل، وأخبرونا عن ذاته وأسمائه وصفاته سبحانه، فعن طريقهم صلوات الله عليهم أجمعين؛ عرفنا الله جل وعلا، وعرفنا كيف نعبد، ونتقرب إليه، وكيف ننجو من عذابه في {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} الشعراء: 89، ذاك القلب الذي يعلم أن الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

ولذلك إخبار هؤلاء الأنبياء والرسل عن الله عز وجل، مع تأييد الله عز وجل لهم بالمعجزات، لا يجعل لأحد حجة على الله يوم القيامة؛ فالله عز وجل أعطاك الفطرة التي تعرفه بها، وأعطاك العقل، وأعطاك النظر في مخلوقاته وأرسل لك الرسل، فلم يبق لك عند الله حجة، قال عز وجل: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: 165].

وكان آخر الرسل محمدٌ صلى الله عليه وسلم، أرسله الله بالشريعة الإلهية الخاتمة الناسخة لشرائع الرسل قبله، أيده الله بالآيات العظيمة، وأعظمها (القرآن الكريم)، كلام رب العالمين، أعظم كتاب عرفته البشرية، مُعْجَزٌ في مضمونه ولفظه ونظمه، فيه الهداية للحق الموصل للسعادة في الدنيا والآخرة، وهو محفوظ إلى اليوم باللغة

العربية التي نزل بها، لم يُعَيَّر ولم يُبَدَّل فيه ولا حرفاً واحداً.

(ومن أصول الإسلام) الإيمان بالملائكة، والإيمان باليوم الآخر وفيه يَبْعَثُ اللهُ النَّاسَ من قبورهم يوم القيامة؛ ليحاسبهم على أعمالهم، فمن عمل الصالحات وهو مؤمن فله النعيم المقيم في الجنة، ومن كفر وعمل السيئات؛ فله العذاب العظيم في النار.

(ومن أصول الإسلام) الإيمان بما قدره الله من خير أو شر.

(والإسلام) دين متوافق مع العقل، وموافقٌ للفِطْرَةِ، تَقَبَّلَهُ النفوس السويَّة، شرعه الخالق العظيم لخلقه، وهو دينُ الخير والسعادة للناس جميعاً، لا يميز عِرْقاً على عِرْق، ولا لوناً على لون، والناس فيه سواسية، لا يتميز أحدٌ في الإسلام على غيره إلا بقدر عمله الصالح الذي ينفع فيه نفسه وينفع فيه غيره.

ومن أراد الدخول في الإسلام فعليه فقط أن يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله)، عالماً بمعناها ومؤمناً بها، وبهذا يصير مسلماً؛ ثم يتعلم بقية شرائع الإسلام شيئاً فشيئاً؛ ليقوم بما أوجبه الله عليه.

المبحث الأول: القاعدة الأساسية لدين الإسلام: كلمة التوحيد

إنَّ القاعدة الأساسية لدين الإسلام هي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وبدون هذه القاعدة الصلبة، لا يقام بناء الإسلام الشامخ، إنها أول كلمة يجب أن يتلفظ بها الداخل في دين الإسلام، مؤمناً بها، معتقداً لجميع معانيها ومدلولاتها.

فما معنى لا إله إلا الله؟

لا إله إلا الله تعني:

- لا خالق للوجود إلا الله.

- لا مالك ومتصرف في هذا الوجود إلا الله.

- لا معبود يستحق العبودية إلا الله.

إنَّ الله هو الذي خلق كل شيء وأوجدها من العدم، قال الله تعالى في كتابه الكريم: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس: 38-40].

وقال تعالى: {وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ} [ق: 7-10].

وأُنزل من السماء ماءً طهوراً، لا تقوم الحياة إلا به، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ} [الأنبياء: 30]، فأخرج به النبات والثمرات، وسقى به الأنعام والإنسان، وهياً الأرض لتحتفظ به، فسلكه فيها يباع وأنهاراً.

كما أن أول إنسان خلقه الله، هو أبو البشر آدم عليه السلام، خلقه من طين، ثم سواه وصوره ونفخ فيه من روحه، ثم خلق منه زوجه، ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا * ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: 12-14].

إن الله سبحانه وتعالى تعرفه الفطر السليمة دون حاجة إلى تعليم، فقد أوجد في تكوينها التوجه والالتجاء إليه، ولكنها تُضَلَّلُ وَتَبَعُدُ عنه سبحانه.

ولهذا إن أصابها كارثة أو جائحة أو مآزق شديد وكربات، وواجهت الخطر المحدق في البر أو البحر؛ لجأت مباشرة إلى الله؛ تستمد منه العون والخلص مما هي فيه، والله سبحانه يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء. هذا الخالق العظيم أكبر من كل شيء، بل لا يقاس شيء من خلقه به، فهو العظيم الذي لا حد لعظمته ولا يحيط به أحد علمًا، الموصوف بصفة العلو على خلقه فوق سماواته {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:11] لا يماثله شيء من خلقه، وما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك.

وهو الذي يرانا سبحانه من فوق سماواته، ونحن لا نراه: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام:103]، بل لا تتحمل حواسنا وقوانا أن نراه في هذه الدنيا.

لقد طلب ذلك أحد أنبياء الله وهو موسى عليه السلام، لما كلمه الله عند جبل الطور: فقال {قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ}، فقال له الله تعالى: {لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف:143]، فالجبل العظيم الشامخ، انهار وتصعد من تجلّي الله له، فكيف يستطيع الإنسان ذلك بقواه الضعيفة الهزيلة؟!

ومن صفات الله سبحانه وتعالى أنه على كل شيء قدير: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ} [فاطر:44].

بيده الحياة والموت، يحتاج إليه كل مخلوق، وهو غني عن كل مخلوق، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر:15].

ومن صفاته سبحانه العلم والإحاطة بكل شيء: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [الأنعام:59]، يعلم ما تتكلم به ألسنتنا وتعمله جوارحنا، بل وما تكنه صدورنا: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} [غافر:19].

فالله سبحانه مُطَّلِعٌ علينا، خبير بأحوالنا، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، لا يغفل ولا ينسى ولا ينام، قال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة:255].

له الكمال المطلق الذي لا نقص فيه ولا عيب، وله الأسماء الحسنى والصفات العلى، التي لا تنبغي إلا له، قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف:180].

والله سبحانه لا شريك له في ملكه، ولا ند ولا ظهير، منزه سبحانه عن الزوجة وعن الولد، بل هو الغني عن ذلك كله، قال الله تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا} [مريم:88-93].

وهو سبحانه المتصف بصفات الجلال والجمال والقوة والعظمة والكبرياء والملك والجبروت، وهو أيضًا المتصف بصفات الكرم والمغفرة والرحمة والإحسان، فهو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، والرحيم الذي سبقت

رحمته غضبه، والكريم الذي لا حد لكرمه ولا تنفذ خزائنه.

والتعرف على صفاته سبحانه يزيد القلب محبة وإجلالاً، وخشية وخضوعاً لله؛ ولهذا فإن معنى (لا إله إلا الله) أن لا يُصرف شيء من العبودية إلا لله، فلا معبود بحق إلا الله، فالله هو المتصف بصفات الألوهية والكمال وهو الخالق الرازق المنعم المحيي المميت المتفضل على خلقه فهو وحده المستحق للعبادة لا شريك له، ومن رفض عبادة الله أو عبد غير الله، فقد أشرك وكفر، فلا يكون السجود والركوع والخضوع والصلاة إلا لله، ولا يُستغاث إلا بالله، ولا يُتَوَجَّهُ بالدعاء إلا إليه، ولا تُطَلَّبُ الحاجات إلا منه، ولا يُتَقَرَّبُ بأي قرينة وطاعة وعبادة إلا له: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: 162-163].

المبحث الثاني: لماذا خلقنا الله؟

الإجابة على هذا السؤال الكبير في غاية الأهمية، لكن من الضروري أن تُستَمَدَّ الإجابة من الوحي الإلهي، فالله هو الذي خلقنا، وهو الذي يُخَبِّرُنَا عن الغاية التي من أجلها خلقنا، قال جل شأنه: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56].

وكل مخلوقات الله مفضولة ومجبولة في تركيب حياتها على العبودية والتسبيح لله رب العالمين: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۗ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} [الاسراء: 44] والملائكة يُلْهَمُونَ التسبيح كما يُلْهَمُ بني آدم النفس.

لكن عبودية الإنسان لخالقه اختيارية وليست إجبارية (اختيارية اختبارية): {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [التغابن: 2]

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ} [الحج: 18]

فالله خلقنا لعبادته، وليختبر نجاحنا في تحقيق هذه العبادة، فمن عَبَدَ الله وأحبه وخضع له وأطاع أوامره واجتنب نواهيه، نال رضاه ورحمته ومحبته وجازاه الجزاء الحسن، ومن رفض عبادة الله الذي خلقه ورزقه، واستكبر عنها، ورفض الانقياد لأوامره، واجتنب نواهيه، فقد باء بغضبه وسَخَطِهِ وأليم عقابه.

فالله جل وعلا لم يخلقنا عبثاً ولم يتركنا سدى، وإنَّ من أجهل الناس وأحمق الناس من ظن أنه خرج إلى هذه الدنيا، ووُهِبَ له السمع والبصر والعقل، ثم عاش فيها فترة من الزمن، ثم مات، ولا يدري لماذا جاء إلى هذه الدنيا؟ وإلى أين سيذهب بعدها؟ يقول الله عز وجل: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} [المؤمنون: 115].

ولا يستوي عنده من كان يؤمن به، ويتوكل عليه، ويتحاكم إليه، ويحبه ويخضع له، ويتقرب إليه بالعبادات، ويبحث عمَّا يرضيه في كل موقع، ومن كان يكفر به سبحانه وتعالى وهو الذي خلقه وصوره وَيَكْدِبُ بآياته ودينه، ويرفض الخضوع لأمره، فالأول ينال الثواب والمحبة والرضى، والآخر يصيبه السخط والغضب والعقاب، حيث يبعث الله الناس بعد موتهم من قبورهم، ويجازي المحسن منهم بالتكريم في جنات النعيم، ويعاقب المسيء المستكبر الرافض لعبادة الله بالعذاب الأليم في دار الجحيم.

ولك أن تتفكر عظم التكريم والثواب للمحسن عندما يكون هذا الثواب والتكريم من الله الغني الكريم، الذي لا

حد لكرمه ورحمته، ولا تنفذ خزائنه.

وكذلك لك أن تتخيل شدة العقوبة، وأليم العذاب للكافر، عندما تصدر من الله الجبار العظيم المتكبر الذي لا حد لجبروته وكبريائه.

المبحث الثالث: خالق واحد.. معبود واحد

يؤكد الإسلام أن الاعتقاد النظري لا يكفي للدخول في الإيمان، فإذا كان الرب الخالق واحداً، فينبغي أن يكون الإله والمعبود واحداً.

وكلمة (الله) تعني في اللغة العربية ثلاث معان مجتمعة:

فهي تعني: المعبود الذي يُخْلِصُ الناس له صلاتهم وصيامهم وتَوَجُّهُ قلوبهم وجميع عباداتهم، والعظيم في ذاته وصفاته ومجده بحيث تحار العقول في عظمته وتعجز عن الإحاطة به، والذي تتعلق به القلوب وتحن إليه النفوس، فتأنس بذكره، وتتلذذ بقربه وعبادته.

ويؤكد القرآن بأنه لا بد من تصحيح التصور عن (الله) عز وجل، وتنقيته من جميع التحريفات والافتراءات التي تنتقص من جلاله وعظمته.

فالله كما يوضح القرآن، هو الخالق والمبدع لهذا الكون ونظامه، وكل ما يحصل فيه مهما صغر، فهو خلقه وحاصلٌ بمشيئته وتقديره وعلمه، فلا تحمل أنثى من جميع أنواع المخلوقات، ولا تلد إلا بعلمه ومشيئته، ولا تنزل قطرة من مطر، ولا يحدث أي تغير في ليل أو نهار، في ظاهر أو باطن، في أي جانب من هذا الكون، إلا والله محيط به علماً وقدرة ورحمة، قال الله تعالى: {إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ} [فصلت: 47].

ولما ادعى بعضهم أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع، جاء القرآن مفسداً لتلك المزاعم، قائلاً بكل وضوح: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ⁽⁶⁰³⁾} [ق: 38] وأن ذلك الزعم وأشباهه ما طرأ للعقل إلا بتشبيهه الله بما يعرفه العقل من المخلوقات، ولكنه سبحانه الخالق وما سواه مخلوق فكيف يشبه المخلوق خالقه؟، يقول الله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11].

وهو سبحانه الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة وما نراه في الحياة منه يُظهر لنا حكمته ولطفه، وكما يخفى على الصغير بعض تصرفات والديه ولا يستطيع فهمها أو تفسيرها؛ لعظم الفارق في قدرة التفكير بينهم، فقد يفوت العقل البشري إدراك شيء من حكمة الله في بعض خلقه ومشيئته.

وإذا كان الملك أو الرئيس في الدنيا لا يمكنه معرفة أصحاب الاحتياج والضعف، ولا كيفية الوصول إليهم إلا عبر الأعوان والمساعدين والمقربين؛ لتعريفه بأوضاع رعيته؛ من أجل أن يساعدهم ويأخذ بيدهم، فالله سبحانه يعلم الجهر وما يخفى، وهو القوي المالك القادر، وكل الكون بيده وتحت تصرفه، يقول الله تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: 82]، فلماذا التوجه لغيره واتخاذ وسيلة؟

ويقرر القرآن أن اطمئنان القلب، وانسراح الصدر لا يتم، ولا يكتمل ما لم يلتجئ المسلم إلى ربه طارحاً حاجاته بين يديه، وهو القادر العظيم المحب لعباده اللطيف بهم القريب منهم الذي يفرح بدعاء عباده له، ويكرمهم

(603) لغوب: أي، تعب.

ويجازيهم بقدر التجائمهم وإخبارتهم إليه، قال تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة: 28]، وقال تعالى: {أَمْنَ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} * أَمْنَ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [النمل: 62-63].

وإذا كان الرب الخالق واحداً، فلا بد أن يكون الإله والمعبود واحداً، ولذلك لا يصح توجيه شيء من العبادات أو الدعاء لغير الله، بل ينبغي إخلاص العبادة له سبحانه بدون وسيط أو شفيع، فالخالق أعظم من ذلك وأجل؛ ولهذا فقد كانت أشد القضايا وضوحاً في الإسلام، وجوب إخلاص العبادة لله وحده دون غيره، قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ} [النحل: 36]، وهي دعوة جميع الرسل كما يؤكد القرآن، فلا رسول ولا ملك ولا ولي مهما بلغ صلاحه يمكن أن يصرف إليه شيء من أنواع الدعاء بحجة أنهم وسطاء بين الله وعباده؛ لأن الجميع في النهاية مخلوقات الله وعبيد له، والله قريب من عباده يسمع كلامهم، ويجب دعاءهم متى ما أخلصوا العبادة له سبحانه.

وكيف لا يجد طعم السعادة والأنس من أخلص التوجه إلى الله؟ فلا تشتت ولا اضطراب، فالملك واحد، والخالق واحد، والمعبود واحد، والتوجه والالتجاء إنما يكون إليه سبحانه دون ما سواه.

وهذا هو معنى سورة قصيرة، من أعظم وأشهر سور القرآن، وهي سورة الإخلاص؛ حيث يأمر الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يعلنها بكل وضوح: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: 1-4] وكأنه يجب على سؤال من هو الله؟ لتكون الإجابة: إن الله واحد لا شريك له في العبادة، وهو الذي تعتمد عليه وتلجأ له جميع الخلائق؛ لطلب احتياجاتها، وأنه منزه أن يكون له ولد، أو أن يكون قد وُلد، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، وليس له نظير أو شبيه في ذاته وصفاته، إذ هو الخالق وما عداه مخلوق.

المبحث الرابع: ماذا سأجد في مصادر الإسلام عن الإسلام؟

معظم الديانات على الأرض سميت نسبة إلى شخص أو أمة أو بلاد ظهرت فيها هذه الديانة، فالمسيحية أخذت اسمها من السيد المسيح عليه السلام، واليهودية نسبة إلى قبيلة يهوذا، والبوذية نسبة إلى مؤسسها بوذا، والهندوسية نسبة إلى الهند، وهكذا.

أما الإسلام فإنه لا ينتسب لرجل بعينه، ولا لقبيلة، أو عرق، أو أمة؛ وذلك لأنه ما أُبتدِعَ من تلقاء بشر حتى يُنسَبَ له، وإنما سمي بهذا الاسم؛ لأنه يعني التسليم والطاعة الكاملة للرب الخالق المالك، والتحرر من كل أنواع العبودية لغيره.

كما أن رسالة الإسلام رسالة عالمية، فهي للناس كافة، لا يحدها مكان ولا يحويها زمان، ولا يخلو واقع الناس في حياتهم من حكم شرعي مقتبس منها، إنها الرسالة العامة والشاملة والخاتمة، جاءت لهداية الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم وعاداتهم وتقاليدهم في أي نقطة من هذه الأرض؛ قال الله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان: 1].

ولذلك ستجد أن الإسلام بمصدرية: (القرآن والسنة):

- يرشدنا إلى احترام آبائنا وكبار السن ورعايتهم، والإحسان إلى الأهل والزوجة والأبناء.

- ويشجعنا على إطعام الضعفاء والفقراء ومساعدة المحتاجين والمعاقين ومساندتهم، فخير الناس هو أنفعهم للناس.

- ويأمرنا بالصدق والأمانة والوفاء والكرم والإيثار والتواضع والقناعة والتسامح والرحمة والصبر والاحسان والعفة والشكر والشجاعة للحق والعدالة الاجتماعية والسلام العالمي، وأن نتعامل مع البشر والحيوانات والطيور والبيئة من حولنا برحمة، وأن نحب للناس ما نحب لأنفسنا وأن نسعى في إسعاد الآخرين وتجنب أذاهم، فلا نغتاب أحد، ولا نكسر مشاعر أحد بلفظ أو تصرف، وأن نتجنب الغرور والتكبر، وألا نحتقر الناس أو نضع من قدرهم.

- ويأمرنا بالألّا نغش الناس، ولا نكذب عليهم، ولا نخدعهم، ولا نحسداهم، ولا نسيء الظن بهم.

- ويؤكد لنا أن جميع الناس سواسية بغض النظر عن الجنس أو اللون أو الجنسية، أو الأرض التي ينتهي لها الفرد، وهذا ما أرشد إليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم حول مبدأ المساواة والعدل بين الناس، وهو أمرٌ مستمد من كتاب الله العزيز، والذي فيه حلول للقضاء على تلك العنصرية البغيضة.

الفصل الثالث: شبهات تُثار حول الإسلام

المبحث الأول: الإسلام وحرب المصطلحات

في غمرة هذه الحرب التي تُشن على الأمة، كثيرًا ما يُضرب بسلاح فتاك هو أكثر خطورة من السلاح المعروف خطره كالرصاصة والقنابل وآلياتها من دبابات وطائرات، ذلك السلاح هو سلاح الكلمة، وهو سلاح قديم، عرِفَت العرب خطره، وكثيرًا ما كان شعراؤهم يقرنونه بالسلاح، كقول حسان: لِسَانِي صَارِمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ.. وَبَحْرِي لَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَاءُ

وقول ابن عباس:

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دَخَلٍ.. وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وهذا الصارم يطعن ويجرح ويقتل! وقد عَلِمَ من الواقع أَنَّ من الناس من يجرح بلسانه جروحًا لا تندمل مع الزمن، ومن الناس من يقتل بلسانه قبائل، ومن الناس من يُرهب به أُمَّمًا!

ولِعِظْ آثار الكلمات جاءت الشريعة ببيان خطرها، قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ).⁽⁶⁰⁴⁾

وقد أدرك المجرمون أعداء الدين خطر الكلمة، وعظيم أثرها منذ العصور الأولى، لكنهم اليوم طَوَّرُوا سلاحها على دأبهم في تطوير أسلحة الدمار الأخرى، فغدا إعلامهم الموجَّه المدروس قاتلاً للقيم محترفاً، فتأكَّ بالعقول، مدمراً للأخلاق.

ومن جملة حرب أعداء الدين اللسانية المدروسة على القيم الشرعية حرب المصطلحات، وهي ألقاب وألفاظ يطلقونها على طريقين:

- الطريق الأول: يطلقون ألقاباً تتضمن مدلولات قبيحة، لكنهم يُلبِّسُون فلا يُجَرِّدُونَهَا للحق فَيُفْتَضِحُوا ويُعْرِفُوا بعدائهم للحق وأهله، وأنهم شرذمة لا تريد إلا نَبْذَهُ، فيضعون تلك الألفاظ في موضعها تمويتها أو لمصلحتهم، وفي غير مواضعها فيجعلونها ألقاباً على غير أهلها.

- والطريق الثاني: يطلقون ألقاباً تتضمن مدلولات متفاوتة فيها الحسن وفيها القبيح، فَيَعَمِّمُونَ حكمها على من يصدق عليهم المفهوم المحظور، ومن يصدق عليهم المفهوم المشروع.

وقد مرَّ زمان تجلت فيه الطريقة الأولى في بلدان إسلامية، فجاء وقت أصبح فيه المُلْتَزِمُ بالسُّنَّةِ يُوسَمُ بالمتطرف ويُتَعَتُّ بالتشدد.. فلو أن أحداً من الناس رفع ثوبه فوق الكعبين أو أطلق لحيته قالوا متشددٌ، وما ذلك إلا بفعل آلة إعلامية تغريبية رسَّخت في العقول إسقاطات خاطئة لهذا اللقب المذموم.

وفي الآونة الأخيرة تجلت الطريقة الثانية، لاسيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، الذي كان يوماً عالمياً لإطلاق مصطلح الإرهاب؛ يريدون به ما هو أشبه في لغتنا بالقتل والتفجير ظلماً وعدواناً، ثم تطورت الدلالة عند بعضهم ليصبح كل إسلامي إرهابياً، بل غداً الإرهاب تهمة للابتزاز فإذا أرادوا الضغط على دولة قالوا: تمارس الإرهاب، وإذا أرادوا الضغط على شخص وصموه بالإرهاب!

مع أننا لا نخالف في وجود شرذمة قليلة من منتسبي الإسلام قد وقعوا في الإرهاب المذموم المتضمن للعدوان

(604) صحيح البخاري، (6478)، صحيح مسلم، (2988) / الراوي: أبو هريرة.

والبغي الذي أمرت الشريعة بضده ونهت عنه كما في قول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: 90]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ"⁽⁶⁰⁵⁾، إلى غير ذلك من الأدلة على تحريم البغي والعدوان.

لكن أعداء الدين أرادوا أن يدخلوا بموازينهم المنكوسة في مسعى الإرهاب من لا يشملهم المفهوم المذموم للإرهاب في الشريعة، فأدخلوا فيه أبرياء مظلومين يحاولون رفع الظلم النازل بهم! فكل مجاهد رافض للبغي والعدوان في سوريا أو فلسطين مثلاً "إرهابي".

وفي مقابل التوسع في إدخال المسلمين تحت مسمى الإرهاب يُخرجون أنفسهم دولاً وجماعات إرهابية، يهودية أو نصرانية أو علمانية لا دينية! وما المنظمات الداعمة للصهيونية العاملة على حرب الإسلام، والتخويف منه إلا أنموذج صغير للإرهاب المدعوم أو المسكوت عنه غربياً!

وإذا كان من العجيب أن يعظ شيطانٌ عبداً صالحاً! فالأعجب منه أن يعظ الغرب المسلمين، بينما قامت دولهم بممارسة أبشع أنواع الإرهاب! من الذي أشعل حربين عالميتين أزهقت فيها من أرواح المدنيين ملايين؟! من الذين ابتكروا للناس الأسلحة العمياء: نووية وبيولوجية وكيميائية؟! من الذين أخرجوا للناس أسلحة الدمار الشامل والقنابل العنقودية؟! من دمر بها أفغانستان والعراق والشام؟! من الذي جاء باليهود إلى فلسطين، ثم حماهم، وأمدهم بأسلحة فتاكة، لا يزالون منذ أكثر من سبعين عاماً يُقتلون بها ويُعذبون؟! من الذي دمّر غزة؟! من الذي أطلق حق الفيتو لخمس دول تحمي الظلم والعدوان؟!

كم ذهب ضحيةً لذلك - وغيره - من المسلمين! أعداد مهولة لا نعرف تنظيمًا إرهابيًا يضاهي في إفساده ما أفسده الإرهاب الغربي والشرقي الجائر بكل معايير الفضيلة! وفي كل أرجاء البسيطة! والواجب على المسلم أنى كان موقعه، أن يعي ذلك، وأن لا تستخفه الدعاية المضللة، وألا يسبب له الإرهاب الغربي أو ضغطه متعدد الجهات اختلالاً في الوعي، وغبشاً في المفاهيم، فيفرق بين الباغي المعتدي، وبين المطالب بحق مشروع، فيكون عوناً للثاني، حرباً للأول، لينصلح الحال وتستقيم الأمور.⁽⁶⁰⁶⁾

المبحث الثاني: الردُّ على الشُّبُهَةِ المثارَةِ حول الإسلام⁽⁶⁰⁷⁾

من المعلوم أن لدعوة غير المسلمين وسيلتان أساسيتان:

الأولى: عرض حقائق الإسلام على غير المسلمين.

والثانية: الرد على الشبهات المثارة حول الإسلام والمسلمين، والعمل على إزالتها.

وبيان ذلك في مطلبين:

المطلب الأول: أهمية الدعوة من خلال رد الشبهات حول الإسلام

إن أعداء الدين لا يدخرون جهداً في إثارة الافتراءات والشبهات حول الإسلام العظيم، وهم يعملون عملاً منظماً، ومن خلال دراسات وخطط وتجارب وبحوث، حتى صار الافتراء على الإسلام علماً يُدرّس في كليات اللاهوت

(605) أخرجه أبو داود (4902) واللفظ له، والترمذي (2511)، وابن ماجه (4211)، وأحمد (20374)، الراوي: أبو بكره نفع بن الحارث.

(606) بتصرف: مصطلح الإرهاب - د. ناصر العمر. إسلام ويب.

(607) مؤسوعة دليل الداعية، المدعوون، أ. د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواحي ص 169-175

ومراكز التنصير، وَيَحْطَى الْمُتَنَصِّرُونَ بتدريبٍ مدروسٍ في كيفية طرح الافتراء وإثارة الشبهات، وهم يهدفون بذلك إلى تنفير الناس عامة عن الإسلام، وإلحاق العيب والنقص بدين الله؛ ليفتحوا أبواب التهمك عليه كمحاولة منهم لإزالة قدسيته من النفوس.

لذا من الواجب أن يكون هناك ردٌّ على تلك الافتراءات بعلم مدروس؛ لمواجهة الحملات المسعورة التي يشنها الأعداء لتشويه الإسلام، بحيث تخرج الردود على قدر كبير من الإجابة والإتقان وَتَحَقِّقِ المقصود منها؛ وهو إجهاض الفرية والقضاء على كل أثرٍ لها.

فالبناء الصحيح لا يكون إلا على أساسٍ ثابتٍ متين، ومتى امتلأ عقل المتلقي بالشبهات والعوائق، فسيصعب إيصال الرسالة الصحيحة إليه بعد ذلك.

والرد على الشبهات، هو منهجٌ قرآنيٌّ ونبويٌّ مشروعٌ، أكَّدَ عليه الإسلام، وبذل فيه العلماء جهدًا كبيرًا من خلال أسلوب الحوار والمناظرة والتأليف.

المطلب الثاني: الرد على الشبهات المثارة حول الإسلام والمسلمين

الرد على شبه أهل الكتاب ومشركي العرب

لقد ردَّ الله تعالى في كتابه شبه أهل الكتاب ومشركي العرب والدهريين وَبَيَّنَ بطلانها مع دعوته لهم بالإيمان والتوحيد، ومنها:

1- الرد على شبهة عدم إمكانية أن يكون النبي من البشر بقوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَفُضِّيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ} [الأنعام: 8-9].

2- الرد على شبهة إنكارهم البعث، بقوله تعالى: {وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَلَيْسَ لَنَا بِمَبْعُوثِينَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ * فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا * قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ * فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ * قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا} [الإسراء: 49-51].

3- الرد على شبهة أن القرآن كلام بشر، بقوله تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} [النحل: 103].

وعن عدي بن حاتم قال: "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك، فطرحته، فانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة، فقرأ هذه الآية: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ} [التوبة: 31] حتى فرغ منها، فقلت: إنا لسنا نعبدهم، فقال: أليس يُجْرَمُونَ ما أحلَّ الله؟ فَتَحَرَّمُونَهُ؟ ويحلون ما حرم الله؛ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟ قلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم".⁽⁶⁰⁸⁾

والأمثلة في ذلك كثيرة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فكُلُّ مَنْ لَمْ يَنْظُرْ أَهْلَ الْإِلْحَادِ وَالْبِدَعِ مَنَازِرَةً تَقَطُّعَ دَابِرِهِمْ، لَمْ يَكُنْ أَعْطَى الْإِسْلَامَ حَقَّهُ، وَلَا وَفَّى بِمَوْجِبِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَلَا حَصَلَ بِكَلَامِهِ شِفَاءُ الصُّدُورِ، وَطَمَأْنِينَةُ النُّفُوسِ، وَلَا أَفَادَ كَلَامُهُ الْعِلْمَ وَالْيَقِينَ".⁽⁶⁰⁹⁾

بيان بطلان وانحرافات الديانات الأخرى

(608) المعجم الكبير للطبراني (١٧/٩٢ (٢١٨)، والسنن الكبرى للبيهقي 10/198.

(609) مجموع الفتاوى 165/20.

أولاً: أهمية دعوة غير المسلمين ببيان تحريفات دينهم:

من المعالم الأساسية في دعوة غير المسلمين، بيان تحريف الديانات الأخرى غير الإسلام، ومناقضتها للفطرة والعقل، بما لا يثير النفوس ويؤجج المشاعر.

ولذا فلا بد من دراسة علم مقارنة الأديان، فهو يقدم للداعية أهم العناصر للدفاع عن الإسلام ضد التحديات التي تواجهه، ليس فقط تحديات الأديان الأخرى، وإنما تحدي الحركات الإلحادية الكبرى المنتشرة في العالم أيضاً.

والداعية الناجح يستطيع أن يدعو غير المسلمين بالتي هي أحسن، إذا درس ما عندهم من ديانات، وملل ونحل، لذا كان من واجب الداعية ذي البصيرة النافذة أن يقف على الأمور من حوله، فَيَتَبَصَّرُهَا وَيَرْقُبُهَا؛ حتى يعلم الحق من الباطل، والهدى من الضلال.

وتكمن أهمية بيان تحريف الديانات الأخرى وعدم صلاحيتها ونقدها في كونها تُقَدِّمُ لغير المسلمين معرفةً قيِّمةً عن الإسلام، مع إبراز قوة دليله، ونصاعة برهانه، ومَتَانَةَ حُجَّتِهِ، وَيُسْرَ كِتَابِهِ، ومكانته العظمى من الكتب الأخرى، ووضوح عقائده وكمال شرائعه، وعلو آدابه وأخلاقه، وهذا هو ما جذب الكثير من أكابر علماء اليهود والنصارى إليه، حيث هالهم ضعف دياناتهم، واختلال عقائدهم، وتناقض كتبها، وانقطاع سندها، فأسلموا وكتبوا وثائق نادرة أسهمت في تنمية علم مقارنة الأديان.

وقد بيّن الله تعالى أنّ الكتب المنزلة تم تحريفها والتبديل فيها، كما قال تعالى: {قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا * قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} [البقرة: 79].
وقال تعالى: {مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} [النساء: 46]، وقال تعالى: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران: 78]

ثانياً: شواهد دعوة غير المسلمين من خلال بيان بطلان دينهم:

ومما يدل على هذا المبحث، ويؤكد أهميته، وأصالته ما ذكره القرآن عن دعوة إبراهيم عليه السلام، حيث بيّن لهم فساد معتقدتهم بقوله: {وَإِذْ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمُ أَوْ يَضُرُّونَ} [الشعراء: 69-73].

وقوله لأبيه: "يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا" [مريم: 42].

- وكذلك ما ثبت في قصة إسلام عدي بن حاتم رضي الله عنه، حيث قال: "دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "يا عدي، أسلم تسلم، فقلت: إني من أهل دين، قال: أنا أعلم بدينك منك، فقلت: أنت أعلم بديني مني؟ قال: نعم، ألسنت من الركوسية؟ (610)، وأنت تأكل مربع (611) قومك؟ قلت: بلى، قال: فإن هذا لا يحل لك في دينك، قال: فلم يعد أن قالها فتواضعت لها". (612)

فقد كان من أسباب إسلام عدي رضي الله عنه علم النبي صلى الله عليه وسلم بدين النصارى، وبيان مخالفته

(610) الرُّكُوسِيَّةُ: عن ابن سيرين أنه قال: هو دين بين النصارى والصَّابِيِّينَ. ينظر: تهذيب اللغة مادة 10/36.

(611) مربع: يقال ربت القوم أربعهم: إذا أخذت ربع أموالهم، مثل عشرتهم أعشرهم؛ لأن الملك كان يأخذ الربع من الغنيمة في الجاهلية دون أصحابه. ينظر: النهاية في غريب

الحديث مادة (ربع) 2 / 186

(612) مسند أحمد 30/196 (18260)، المستدرک علی الصحیحین للحاکم 4/518 وقال الحاکم: صحیح علی شرط الشیخین.

- وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، وَاللَّفْظُ، لَشَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِأَبِي: "يَا حُصَيْنُ، كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا؟ قَالَ: سَبْعَةً سِتَّةً فِي الْأَرْضِ، وَوَاحِدٌ فِي السَّمَاءِ، قَالَ: فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرِعْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ".⁽⁶¹³⁾

ثالثاً: تنبيهات حول دعوة غير المسلمين من خلال بيان انحراف وبطلان دينهم:

مع التنبيه إلى أن لا يتحول بيان بطلان دينهم إلى سب دينهم، مما قد يسبب حميةً ودفاعاً مستميتاً عن ذلك الدين من قبل أتباعه، وربما تجاوز الأمر ذلك إلى حربٍ على الإسلام والمسلمين، واتهام عقائدهم ورؤوسهم كما قال تعالى: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ * كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: ١٠٨].

قال الشيخ السعودي: "ينهى الله المؤمنين عن أمر كان جائزاً، بل مشروعاً في الأصل، وهو سب آلهة المشركين، التي اتَّخَذَتْ أوثاناً وآلهة مع الله، والتي يُتَقَرَّبُ إلى الله بإهانتها وسبها، ولكن لما كان هذا السب طريقاً إلى سب المشركين لرب العالمين؛ الذي يجب تنزيهه عن كل عيبٍ، وأفةٍ، وسبٍ، وقدحٍ، نهى الله عن سب آلهة المشركين؛ لأنهم يحمون لدينهم، ويتعصبون له؛ لأن كل أمةٍ زَيَّنَّ الله لهم عملهم، فأروه حسناً، وذبووا عنه، ودافعوا بكل طريق، حتى إنهم ليسبون الله رب العالمين؛ الذي رسخت عظمته في قلوب الأبرار والفجار، إذا سب المسلمون آلهتهم".⁽⁶¹⁴⁾

شبهة: (مشكلة الشر)، والرد عليها

كتاب "مشكلة الشر ووجود الله: الرد على أبرز شبهات الملاحدة" للدكتور سامي عامري، [كتاب يحتاجه المحاور للرد على هذه الشبهة]

وها هنا بين أيديكم تلخيص لأهم النقاط التي تناولها الكتاب، ولكن قبل أن نستعرضه سوياً، ودَدْنَا التنويه على أن ما لخصناه لا يغني عن قراءة الكتاب بأي حال، فهناك الكثير لا يزال بإمكانكم مطالعته والاستفادة منه في سبر أغوار تلك الشبهة، والتي اتخذها الكثير من الملاحدة ذريعة لإلحادهم.

مشكلة الشر:

تعتبر "مشكلة الشر" في الغرب - اليوم - أهم شبهة إلحادية في السجال بين المؤمنين بخالق والدهريين، والعلامات على ذلك واضحة وكثيرة، ولذلك لا يُقَدِّمُ دارسٌ مُعَافِسٌ للواقع عليها غيرها من الشبهات إذا تَدَافَعَتْ، فهي ذُوَابَةُ اللسان الكافر بالخالق، ومن علامات تَقَدُّمِهَا غيرها من مطاعن الجاحدين لوجود إله أنها السبب الأكبر لظاهرة الإلحاد، حيث صرح كثير من أئمة الإلحاد - مثل أنتوني فلو Antony Flow، أهم منظري الإلحاد في العالم في النصف الثاني من القرن العشرين، قبل تراجعه في بداية القرن الواحد والعشرين عن دهريته -، أن شبهة الشر هي سبب إلحادهم، وجحدهم ووجود إله خالق.

"شبهة الشر"، هي مادة الاعتراض الأولى في السجلات بين المؤلِّهين ومخالفهم، ومن ذلك أن الفيلسوف البريطاني الملحد ستيفن لاو Stephen Law في مناظرته لويليام لين كريغ William lane craig، حول موضوع: هل يوجد إله؟ 2011م اكتفى - تقريباً - باستعراض هذه الشبهة لإنكار وجود الخالق، وهو ما فعله أيضاً الفيلسوف الأمريكي

(613) جامع الترمذي، كتاب الدعوات، باب ٧٠ (3483)، والمعجم الكبير للطبراني 18 / 174، قال ابن القيم: حديث صحيح. الوابل الصيب ص ١٣٧، وحسنه شعيب الأرنؤوط في جامع الأصول 342/4.

(614) تيسير الكريم الرحمن ص 268.

(مايكل تولي) Michael Tooley في مناظرته لكريغ 2010م مصرحاً أن "الحجة المركزية للإلحاد هي حجة الشر. وهو ما تكرر في جل المناظرات المشهورة بين الفلاسفة في الغرب، بل وحتى ما كان مرتبطاً من المجادلات بالشأن العلمي، ومن ذلك تصريح (مايكل روس) Michael Ruse - أشهر فلاسفة العلوم المنافحين بشراسة عن الداروينية - في مناظرته للداعية النصراني (فزالا رنا) Fazale Rana، والتي كانت تحت عنوان: أصل الحياة: التطور أم التصميم؟ 2013م - أنه لا يرفض الإيمان بوجود الله إلا لسبب واحد، وهو مشكلة الشر، إنها الشبهة التي وصفها الشاعر الألماني الملحد (جورج بوخنر) Georg Buchner بأنها صخرة الإلحاد.

السؤال الذي لا يفتر:

الجدل العلمي في باب الأكاديميات، والكتب الشعبية حول مشكلة الشر لا يزال حامياً، يلح أواره المختصين، ومن المثير أنه بينما لا يكاد يُعرفُ التأليف في مشكلة الشر بالمكتبة الإسلامية في البلاد العربية خلال القرن الأخير؛ تَضُجُّ المكتبة الغربية بالمنشورات في هذا الباب؛ فقد نشر (باري وتني) Barry Whitney دراسة ببيولوجرافية عن المؤلفات الفلسفية واللاهوتية التي نشرت عن مشكلة الشر في ثلاثة عقود فقط من الزمان (1960-1990) فإذا هي تبلغ 4200 دراسة.

إنها حجة الإلحاد الكبرى التي لا يُعْفَرُ لدعاة الإسلام اليوم ترك بيان الحق فيها، فإن القول فيها حتم؛ ليكون الفصلُ فصلاً إن أردنا أن نعرض الإسلام للعالم، خاصةً الطبقة المثقفة فيه، وهو حتم إن أردنا أن نقدم الإسلام كَسَبِيلِ حَقٍّ، وَحَبْلِ نَجَاةٍ في زمن عَجَجَ الإلحاد فيه، ولم يُبْحَ له بعدُ فيه صوتٌ.

ما هي "مشكلة الشر؟" وما هي "التيوديسيا؟":

تعرف مشكلة الشر في الأدبيات الإنجليزية باسم Problem Of Evil وهي تدخل فيما يُعْرَفُ بمبحث التيوديسيا التي هي كلمة تتكون من مقطعين يونانيين: (ثيوس): بمعنى إله، و(ديكي): بمعنى عدل، ومعناها: عدل الله، وقد ظهرت هذه الكلمة لأول مرة بقلم الفيلسوف ليبنتس في إحدى كتبه عام 1710م. موضوع هذا المبحث العقدي - الفلسفي هو عدل الله، وبدقة أكبر، بيان أن الشر الموجود في العالم لا يمنع من الإقرار بوجود إله.

وهو من ناحية إحاطته بموضوع الشر، يجيب على مجموعة من الأسئلة هي:

- أصل الشر: كيف ينشأ الشر؟ ومن المسئول عنه؟
 - طبيعة الشر: ما هي أنطولوجية الشر (حقيقة وجوده)؟ وكيف يوجد؟
 - مشكلة الشر: كيف يشكل الشر مشكلة لاهوتية (أي: متعلقة بذات الله: الوجود والصفات)؟
 - سبب الشر: لماذا يسمح الله بوجود الشر؟ ما هو السبب الأخلاقي المعقول لوجوده؟
 - نهاية الشر: كيف سينهي الله الشر و/ أو كيف سيستخرج في ختام الأمر من الشر خيراً؟
 - ومن الممكن حصر الأجوبة الكبرى على مسألة وجود الله ووجود الشر في أربع مقولات:
- 1- وحدة الوجود: إنكار وجود الله سبحانه، وإنكار وجود الشر، وهو مذهب عدد من الفلاسفة والمتنسيكة في بعض الأديان.

2- الإلحاد: إثبات وجود الشر، وإنكار وجود الله.

3- الثنوية: إثبات وجود الشر، ونسبته إلى إله غير إله الخير، وهو مذهب المجوسية والمانوية.

4- المذهب الإلهي "التقليدي": إثبات وجود الله سبحانه، ووجود الشر، ونفي مصدر إلهي خاص بالشر.

أصل الاستشكال:

أصل الاستشكال الذي يطرحه الملحد المشكك (الذي يريد فتنة الناس عن عقيدة الإسلام، أو عقيدة الإيمان بخالق) والمتشكك (المسلم، أو المؤمن بالله، غير القادر على دفع الشبهة عن نفسه)، هو الجمع بين العناصر التالية بصيغة توافقية لا ينفي بعضها بعضاً:

1- وجود إله كامل العلم.

2- كامل القدرة.

3- كامل الرحمة.

وجود الشر في عالم الإنسان.

وجود الشر في العالم يتنافى مع أن يكون هذا الرب عليماً؛ لأن علمه يقتضي أن يمنع هذا الشر من الوجود، ويتنافى مع أنه قدير؛ لأن قدرته تقتضي أن يمنع هذا الشر من الوجود، ويتنافى مع أنه رحيم؛ لأن رحمته تقتضي أن يمنع هذا الشر من الوجود؛ ولذلك فإن وجود الشر ينفي وجود هذا الإله الذي لا يمكن أن يفتقد الصفات الثلاث السابقة جملة.

ما هو الشر؟

ما الشر؟ هل هو حقيقة ذاتية لها وجود استقلالي، أم هو عرض انتزاعي لا يستقل لنفسه بكيان؟ أو بعبارة أكثر تبسيطاً: هل يوجد ما يمكن أن نقول: إنه شر بذاته، لا أنه شر في ظرف من الظروف ووجه من الأوجه؟ شغل السؤال عن ماهية الشر الفلاسفة منذ زمن قديم، والخلاف فيه قائم على اختيار جواب من اثنين؛ أولهما: أن الشر حقيقة موضوعية، وثانيهما: أن الشر ليس إلا غيباً للخير.

يفضي النظر الهادئ إلى القول: إن دعوى أن الشرّ يمثل "شيئاً ما في ذاته" ليس إلا نوعاً من أنواع المغالطات المنطوية؛ أي: مغالطة التشبيء أو التجسيم؛ إذ يتم التعامل مع الأشياء المجردة على أنها ذوات متحيزة أو أحداث واقعية.

ليس الشر في واقع الناس مادة تُحسُّ ولا ذاتاً تُجسُّ، وإنما هو أثر لفعل أو حال ما، إذ لا وجود لشر مطلق، ولذلك فهو أمر نسبي أو جزئي.

وبصورة أدق، علينا أن نعتبر الشر صفةً لا ذاتاً، وأنه لا يُعاملُ معاملة الاسم إلا إذا كان في صيغة التجريد. ولنا هنا أن نتساءل: هل بإمكاننا أن نتصور في خيالنا وجود عالم شر من كل وجه؟ أي: وجود كل ما فيه شر لا يخالطه خير في مبناه أو مآله، والجواب الذي يضطر إليه كل واحد منا هو ما قاله جون جوردون ستاكهائوس: لا يمكنني تصور ذلك، ولم أشهد أي وصف لذلك العالم في العلم أو الفلسفة أو الأدب.

ما الشر، إذن، إلا حال وصفي؛ والحجة في هذا الباب هي أن الشر واقعيًا ليس إلا فسَادٌ عَارِضٌ في شيء من أشياء الوجود التي هي في أصل وجودها سليمة من العيب، كالجرح في اليد، والصدأ في الحديد، فلولا اليد، وأصل سلامتها، ما كان الجرح، وما عرفنا أنه انتقال عن أصل السلامة، ولولا مادة الحديد وأصل براءتها مما يُخرِجُها، ما كان الصدأ، وما عَلِمْنَا أن الصدأ فسَادٌ في هذا المعدن، فالجرح كَشَرٌ لا يقوم بنفسه، وإنما يحتاج إلى يد، ولم نعرف نحن أنه أذى يصيب اليد حتى عَلِمْنَا قبل ذلك أن الأصل في اليد المعافاة والسلامة منه، وكذلك أمر الحديد وكل شر في عالمنا.

إن الشر – من ناحية التقسيم العقلي النظري – لا يمكن أن يكون إلا:

1- شرًا محضًا حقيقيًا من كل وجه.

2- شرًا نسبيًا إضافيًا من وجه دون وجه.

الشر الذي هو حقيقة ذاتية، لا يعتبره خير من أي وجه، لا وجود له في الدنيا، فليس في وجودنا ما يمكن أن يقال: إنه شر خالص، فليس هناك شر في الدنيا إلا وهو خير من وجه أو أوجه أخرى.

فالمرض مثلاً، مؤذٍ للجسد من جهة، ومُخْتَبِرٌ للصبر وشَاحِدٌ للهمة، وربما حتى مقوٍ للمناعة من جهة أخرى... وهكذا الأمور المكروهة عادة، لا يخلو منها نفع للإنسان.⁽⁶¹⁵⁾

أنواع الموجودات:

لا سبيل لمعرفة موقع الشر من الوجود الكوني عامة، والبشرى خاصة، دون أن ندرك حقيقة وجوده في ذاته بمعرفة جوهر تمثله في واقعنا، ولذلك نقول: إن الوجود من ناحية الاحتمال العقلي، لا يخرج عن أربع حالات، فهو إما أن يكون:

1- خيرًا من كل وجه.

2- أو شرًا من كل وجه.

3- خيرًا من وجه.

4- شرًا من وجه.

وهو على ثلاثة أقسام:

1- قسم خيره راجح على شره.

2- قسم مستو خيره وشره.

3- وإما أن لا يكون فيه خير ولا شر.

القسم الأول: وهو الخير المحض من كل وجه الذي لا شر فيه؛ هو الله سبحانه، فقط، ولا يوجد من بقية الأقسام في وجودنا إلا ما كانت المصلحة والحكمة والخير في إيجاده أكثر من المفسدة؛ أي: ما كان خيره راجحًا على شره.

وأما الشر المحض الذي لا خير فيه فذاك ليس له حقيقة بل هو العدم المحض.

وخلاصة الكلام في هذا الباب هو قول ابن القيم: فَسُنَّتُهُ سُبْحَانَهُ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ فَعَلُ الْخَيْرِ الْخَالِصِ وَالرَّاجِحِ، وَالْأَمْرُ بِالْخَيْرِ الْخَالِصِ وَالرَّاجِحِ. فإذا تناقضت أسباب الخير والشر، والجمع بين النقيضين محال، قُدِّمَ أسباب الخير الراجحة على المرجوحة، ولم يكن تفويت المرجوحة شرًا، ودُفِعَ أسباب الشر الراجحة بالأسباب المرجوحة، ولم يكن حصول المرجوحة شرًا بالنسبة إلى ما اندُفِعَ بها من الشر الراجح، وكذلك سُنَّتُهُ فِي شَرْعِهِ وَأَمْرِهِ فَهُوَ يُقَدِّمُ الْخَيْرَ الرَّاجِحَ وَإِنْ كَانَ فِي ضَمْنِهِ شَرٌّ مَرْجُوحٌ، وَيُعْطِلُ الشَّرَّ الرَّاجِحَ وَإِنْ فَاتَ بِتَعْطِيلِهِ خَيْرٌ مَرْجُوحٌ، هَذِهِ سُنَّتُهُ فِي الْآخِرَةِ.

وهو سبحانه قد أحسن كل شيء خلقه، وقد أتقن كل ما صنع، وهذا أمر يعلمه العالمون بالله جملةً، ويتفاوتون في العلم بتفاصيله.

(615) انظر: ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: (ص: 363).

وإذا عرفت ذلك فالآلام والمشاق إمّا إحسان ورحمة، وإمّا عدل وحكمة، وإمّا إصلاحًا وتهيئةً لخير يحصل بعدها، وإمّا لدفع ألم هو أصعب منها، وإمّا لتولدها عن ذاتٍ ونعم يولدها عنها أم لازم لتلك اللذات، وإمّا أن يكون من لوازم العدل أو لوازم الفضل والإحسان، فيكون من لوازم الخير التي إن عَطِلَتْ ملزوماتها فات بتعطيلها خيرٌ أعظم من مَفَسَدَةِ تلك الآلام.

الشر في المخلوقات، لا في فعل الخالق:

هل يصح أن يقال: إن الله - سبحانه - يفعل الشر، وأنه لذلك "شير" - عيادًا بالله -؟!
قد تقدم معنا أنّ الشرّ ليس ذاتًا موضوعية، وإنما هو صفة انتزاعية؛ ولذلك لا تصح نسبة الشر إلى الله سبحانه، وإنما هو صفة من صفات مخلوقاته.
قد يُعْتَرَضُ علينا بأنّ قولنا هذا سفسطة، ولعب بالكلمات، إذ إنّ هذا الشر نتاج عن مخلوقات الله، وبذلك فهو يعود إلى الله خالق هذه المخلوقات!
والجواب هو أنّ هناك فرقًا بين فعلِ الله الخالق مباشرةً، وفعل مخلوق الخالق؛ فإنّ الله لا يُرَدُّ لعباده إلاّ الخير لكنّه...

1- يخلق [أي: الله] خلقًا أصحاب إرادة (أناسي) يختارون غير ما رضىه، أي أحبه الله لهم، فالشر هنا سببه إرادة الإنسان، والله سبحانه خلق إمكانية وجود الشر، لا الشر ذاته.
قال ابن القيم: "والعبد إذا فعل القبيح المنهي عنه، كان قد فعل الشر والسوء، والرب سبحانه هو الذي جعله فاعلًا لذلك، وهذا الجعلُ منه عدلٌ وحكمةٌ وصوابٌ؛ فجعله فاعلًا خير، والمفعول شر قبيح، فهو سبحانه بهذا الجعل قد وضع الشيء موضعه لما له في ذلك من الحكمة البالغة التي يحمد عليها، فهو خير وحكمة ومصالحة، وإنّ وقوعه من العبد عيبًا ونقصًا وشرًا، وهذا أمر معقول في الشاهد، فإنّ الصانع الخبير إذا أخذ الخشبة العوجاء والحجر المكسور واللبننة الناقصة فوضع ذلك في موضع يليق به ويناسبه كان ذلك منه عدلًا وصوابًا يُمدحُ به، وإن كان في المحل عوج ونقص وعيب، يُدْمُ به المحل، ومن وَضَعَ الخبائث في موضعها ومحلها اللائق بها، كان ذلك حكمة وعدلًا وصوابًا، وإنما السفه والظلم أن يضعها في غير موضعها".⁽⁶¹⁶⁾
وقال ابن تيمية: "الكذب والظلم ونحو ذلك من القبائح، يتصف بها من كانت فعلاً له، كما يفعلها العبد، وتقوم به، ولا يتصف بها من كانت مخلوقة له إذا كان قد جعلها صفة لغيره، كما أنه سبحانه لا يتصف بما خلقه في غيره من الطعوم والألوان والروائح والأشكال والمقادير والحركات وغير ذلك، فإذا كان قد خلق لون الإنسان لم يكن هو المتلون به، وإذا خلق رائحة منتنة أو طعمًا مرًا أو صورة قبيحة ونحو ذلك مما هو مكروه مذموم مستقبح، لم يكن هو متصفاً بهذه المخلوقات القبيحة المذمومة المكروهة، والأفعال القبيحة، ومعنى قبحها: كونها ضارة لفاعلها، وسببًا لِذَمِّهِ وعقابه، وجالبة لألمه وعذابه، وهذا أمر يعود على الفاعل الذي قامت به، لا على الخالق الذي خلقها فعلاً لغيره".⁽⁶¹⁷⁾

2- يخلق الله خلقًا غير عاقل يفعل الشر، لكنه شر من وجه لا من كل الأوجه؛ فالزلازل والبراكين مثلًا هي نتاج لقوانين فيزيائية بثها الله في الأرض، وهي ليست شرًا في ذاتها، أولًا: لأن الزلازل والبراكين قد تقع في منطقة ليس فيها إنسان ولا حيوان، فلا يتضرر منها أحد، وثانيًا: لأن هذه الزلازل والبراكين من أسباب تهية الأرض للعيش، فهي

(616) ابن القيم، شفاء العليل، (ص: 361).

(617) ابن تيمية، مجموع الفتاوى 123/5.

تتنفس عن الطاقة المخزونة في باطن الأرض، وتخرج الكثير من الثروات المعدنية إلى سطح الأرض ليستفيد منها الإنسان، وغير ذلك مما نعلم ومما لا نعلم، فالآثار السلبية لهذه الظواهر الكونية هي نتاج لهذا المخلوق في ظروف معينة غير دائمة، فالشر وجه لها وليس فعلاً لله، وإن كان الله سبحانه يريد من بعض هذه الظواهر ما يكرهه بعض خلقه لحكمة تربو على الشر الناتج عنها.

ف فعل الله سبحانه لا يراد منه - في مآله - إلا الخير، ولذلك "فما أراد أن يخلقه أو يفعله، كان أن يخلقه ويفعله خيراً من أن لا يخلقه ولا يفعله، وبالعكس. وما كان عدمه خيراً من وجوده، فوجود شر، وهو لا يفعله بل هو منزّه عنه".⁽⁶¹⁸⁾

ويوضح ابن القيم ما يريده الله سبحانه في الكون، بجلاء محكم العبارة، مُسْتَضِيّاً بمحكم الوحي: "يمنتع إطلاق إرادة الشر عليه، وفعله نفياً وإثباتاً لما في إطلاق لفظ الإرادة والفعل من إبهام المعنى الباطل ونفي المعنى الصحيح، فإن الإرادة تطلق بمعنى المشيئة وبمعنى المحبة والرضا. فالأول كقوله: {إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ} (619) وقوله {وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ} (620) وقوله: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً} (621)، والثاني: كقوله: {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ} (622).. {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} (623)، فالإرادة بالمعنى الأول تستلزم وقوع المراد، ولا تستلزم محبته والرضا به، وبالمعنى الثاني لا تستلزم وقوع المراد وتستلزم محبته، فإنها لا تنقسم، بل كل ما أراده من أفعاله فهو محبوب مرضي له.

ففرق بين إرادة أفعاله وإرادة مفعولاته فإن أفعاله خير كلها وعدل ومصلحة وحكمة لا شرفها بوجه من الوجوه وأما مفعولاته فهي مورد الانقسام.

وهذا إنما يتحقق على قول أهل السُّنَّةِ إِنَّ الفعل غير المفعول، والخلق غير المخلوق، كما هو الموافق للعقول والفطر واللغة ودلالة القرآن والحديث وإجماع أهل السنة، وكما حكاها البغوي في شرح السنة عنهم، وعلى هذا فهنا إرادتان ومرادان: إرادة أن يفعل، ومرادها فعله القائم به، وإرادة أن يفعل عبده، ومرادها مفعوله المنفصل عنه، وليس بمتلازمتين.

فقد يريد من عبده أن يفعل ولا يريد من نفسه إعانته على الفعل وتوفيقه له وصرف موانعه عنه، كما أراد من إبليس أن يسجد لأدم ولم يرد من نفسه أن يعنيه على السجود ويوفقه له ويثبت قلبه عليه ويصرفه إليه.

ولو أراد ذلك منه لسجد له لا محالة، وقوله: {فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ} (624)، إخبار عن إرادته لفعله، لا لأفعال عبيده. وهذا الفعل والإرادة لا ينقسم إلى خير وشر كما تقدم، وعلى هذا فإذا قيل: هو يريد للشر أوهم أنه محب له راض به، وإذا قيل: إنه لم يرده أوهم أنه لم يخلقه ولا كونه، وكلاهما باطل، ولذلك إذا قيل: إِنَّ الشَّرَّ فعله أو إِنَّه يفعل الشر أوهم أن الشر فعله القائم به، وهذا محال، وإذا قيل: لم يفعله أو ليس بفعله له، أوهم أنه لم يخلقه ولم يكونه، وهذا محال، فانظر ما في إطلاق هذه الألفاظ في النفي والإثبات من الحق والباطل الذي يتبين

(618) ابن القيم، شفاء العليل، (ص: 362).

(619) هود: 34

(620) الأنعام: 125

(621) الإسراء: 125

(622) النساء: 27

(623) البقرة: 185

(624) البروج: 16

وإن الصواب في هذا الباب ما دل عليه القرآن والسنة من أن الشر لا يضاف إلى الرب تعالى لا وصفًا ولا فعلاً، ولا يتسنى باسمه بوجه من الوجوه، وإنما يدخل في مفعولاته بطريق العموم، كقوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5)} ف (ما) هاهنا موصولة أو مصدرية، والمصدر بمعنى المفعول؛ أي: من شر الذي خلقه أو من شر مخلوقه، وقد يحذف فاعله كقوله حكاية عن مؤمني الجن: {وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} (625)... " (626)

وماذا عن خلق إبليس؟

قد يتساءل القارئ: وماذا عن خلق إبليس؟! أليس هو عنوان الشر المحض، فهل في خلقه خير؟ إنه طريق الناس إلى جهنم، ورائدهم إلى الكفر بكل نعمة، والعصيان لكل أمر!

والجواب على هذا الإشكال من وجهين:

أولها: هو أن النظر في قصة إبليس كما جاء بها خبر الوحي مخبرًا أن الله سبحانه لم يخلق إبليس ليضل الناس، إنما خلق إبليس كما خلق البشر للعبادة، غير أن إبليس اختار أن يتكبر على أمر الله بالسجود لآدم، ورضي لنفسه طريق الضلالة والإضلال.

لقد اختار إبليس، وهو من الجن، أن ينحرف عما خُلق له إلى غير ما خُلق له، عاصيًا أمر الله ومتكبرًا عن طلب السجود.

وثانيهما: أن في وجود إبليس، على ضلاله، حكم جليلة يصعب استقصاؤها، وقد ذكر علماء الإسلام ك (ابن القيم)، طرقًا منها يدفع القول المتوهم أن وجود إبليس شر محض لا خير معه، ومن ذلك:

1- أن وجود إبليس يكمل لرسول الله وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة عدو الله وحزبه، ومخالفته ومراغمته في الله، وإغاضته وإغاضة أوليائه، والاستعاذة بالله منه، والإلتجاء إليه أن يعيدهم من شره وكيده، فيترب لهم على ذلك من المصالح الدنيوية والأخروية ما لم يحصل بدونه، ومعلوم أن الموقوف على الشيء لا يحصل بدونه.

2- خوف الملائكة والمؤمنين من ذنبيهم بعد ما شاهدوا من حال إبليس ما شاهدوه، وسقوطه من المرتبة التكريمية إلى المنزلة الإبلسية، يكون أقوى، وأتم.

3- جعل سبحانه وتعالى إبليس عبرة لمن خالف أمره، وتكبر عن طاعته، وأصر على معصيته، كما جعل ذنب أبي البشر عبرة لمن ارتكب نهيه، أو عصى أمره ثم تاب وندم ورجع إلى ربه، فابتلى أبوي الجن والإنس بالذنب وجعل هذا الأب عبرة لمن أصر وأقام على ذنبه، وهذا الأب عبرة لمن تاب ورجع إلى ربه.

4- حال إبليس محك امتحن الله به خلقه؛ ليتبين به خبيثهم من طيبهم، كما جعل أنبياءه ورسله محكًا لذلك التمييز، قال تعالى: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَأَمِّنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [آل عمران 179]، فأرسله إلى المكلفين وفيهم الطيب والخبيث، فانضاف الطيب إلى الطيب والخبيث إلى الخبيث، واقتضت حكمته البالغة أن خلطهم في دار الامتحان، فإذا صاروا إلى دار القرار، يميز بينهم، وجعل لهؤلاء دارًا على حدة ولهؤلاء

دارًا على حدة، حكمة بالغة وقدرة قاهرة.

5- ليظهر الله كمال قدرته في خلقه مثل جبريل والملائكة وإبليس والشياطين، وذلك من أعظم آيات قدرته ومشينته وسلطانه، فهو خالق الأضداد كالسما والأرض، والضياء والظلام، والجنة والنار، والماء والنار، والحر والبرد، والطيب والخبيث.

6- خلق أحد الضدين من كمال حسن ضده، فإن الضد إنما يظهر حسنه بضده، فلولا القبيح لم تُعرف فضيلة الجميل، ولولا الفقر لم يُعرف قدر الغنى.

7- من أسمائه سبحانه الخافض الرافع المعز المذل الحكم العدل المنتقم، وهذه الأسماء تستدعي متعلقات يظهر فيها أحكامها، كأسماء الإحسان والرزق والرحمة ونحوها، ولا بد من ظهور متعلقات هذه وهذه.

8- الله سبحانه هو الملك التام الملك، ومن تمام ملكه عموم تصرفه وتنوعه بالثواب والعقاب والإكرام والإهانة والعدل والفضل والإعزاز والإذلال، فلا بد من وجود من يتعلق به أحد النوعين كما أوجد من يتعلق به النوع الآخر.

في التعارض بين وجود الله ووجود الشر:

إن أهم الإشكالات التي تواجه الباحث في مشكلة الشر، تحديد الأسئلة، وليس الفوز بالأجوبة الصحيحة؛ إذ إن مشكلة الشر، وإن صيغت في عنوان بسيط وكلمات قليلات، إلا أنها على الحقيقة شعب متداخلة من الاعتراضات والاستشكالات التي لا أمل في فك لغزها وبيان الحق فيها قبل ترتيبها في صياغات فردية تضمن أن نفهم أوجه الاعتراض الإلحادي.

ويكاد يتفق الخائضون في مشكلة الشر اليوم أن الموضوع الأكبر لمشكلة الشر هو ثبوت التعارض بين وجود إله قدير، عليم، رحيم، ووجود الشر، غير أن هذا الإشكال الواحد، مجمل في صياغته، وحقيقته أنه مجموع مشكلات متعلقة ووجوده في عالم مخلوق من رب كامل، وهي:

المشكلة المنطقية للشر: وهي المتعلقة بالتناقض المحض بين دعوى وجود إله قدير، عليم، رحيم، ووجود الشر. المشكلة البرهانية: وتسمى أيضًا الاحتمالية: وتزعم هذه المشكلة أنه وإن لم يكن هناك تعارض صميمي بين وجود الله ووجود الشر، إلا أن المرء يميل إلى الاستبعاد الاحتمالي لوجود إله قدير، عليم، رحيم، بسبب وجود الشر؛ سواء بسبب طبيعة الشر، أو لوجود قدر عظيم منه، أو لطبيعته المجانية التي لا خير من ورائها.

وينقسم هذا الاعتراض بذلك إلى ثلاث مشاكل:

1- مشكلة الشر الأخلاقي.

2- مشكلة الشر الطبيعي.

3- مشكلة الشر المجاني.

ما هي المشكلة المنطقية للشر؟

تتمثل في الزعم أن وجود الله العليم القدير الخير يتنافر مع وجود الشر في هذا العالم؛ أي: إن وجود الله يقتضي عدم وجود الشر؛ إذ الشر محض فساد لا خير فيه.

ومن الممكن القول بيقين جازم: إن دعوى لا منطقية الجمع بين وجود الله ووجود الشر في عالمنا قد تم تجاوزها في الغرب الذي يمسك فيه الإلحاد صولجان السلطان الفكري، وإنها قد سقطت سقوطًا ذريعًا تحت مطارق دراسات الفيلسوف الأمريكي الشهير بلنتنجا، ولذلك لا يكاد يعثر على شبهة الشر بهذا المعنى في الكتابات الغربية

إلا في الكتابات الإلحادية الشعبية التقليدية بعد أن هجرها عامة الفلاسفة إثر هزيمتها أمام حجة الإرادة الحرة كمبرر منطقي لوجود الشر في عالم خلقه إله خيّر.

ورغم ذلك لم تختف شبهة الشر من كتابات ملاحدة الفلاسفة في الغرب، وإنما تقهقرت، يقول ويليام هاسكر William hasker: "القول إن وجود الله لا يستقيم مع وجود الشر لم يعد بعد مستمسكاً بصورة كبيرة عند الملاحدة.. جلي أن من الشر ما هو شرط أساسي لوجود خير أكبر، وإذا كان الأمر كذلك، فربما إذن كان السماح لهذا الشر بالوجود متسقاً مع صفة الخير الإلهي.. الشرور التي لا تخدم مثل هذا الهدف الحسن؛ أي: ما يعرف بالشرور المجانية، لا زال يعتقد بصورة واسعة أنها متعارضة مع مبدأ الألوهية وتوفر أساساً قوياً للحجة المعارضة للإيمان بإله".

وهو ما أكده أيضاً (ويليام لين كريغ) بقوله: "أهمل جل الملاحدة اليوم المشكلة الداخلية في هجومهم على المسيحية، وزعموا في مقابل ذلك أن الشر الذي يبدو غير مبرر ولا ضروري في العالم – والمسعى عادة بالشر المجاني – يمثل حجة ضد وجود إله.

لقد سقطت باعتراف (وليام رو) William rowe نفسه، فقد كتب بعدما كان من نقاش بينه وبين الفلاسفة المؤهلة: توجد حجة مقنعة إلى حد ما للرؤية القائلة إن وجود الشر متوافق منطقيًا مع وجود الرب، وصرح بعجز فلاسفة الإلحاد عن إقامة البرهان لدعواهم بقوله: لم ينجح أي أحد في تقديم تقرير يعلم أنه صادق بالضرورة وأنه إذا أضيف إلى [منظومة عقائد الألوهية التقليدية] فيمكننا من استخلاص نتائج متناقضة صراحة. في ضوء ذلك، من المعقول أن نستنتج أن الشكل المنطقي لمشكلة الشر ليس مشكلة ذات بال بالنسبة لمذهب الألوهية، إن طرحه المركزي والمتمثل في أن منظومة عقائد الألوهية التقليدية متناقضة منطقيًا، هو طرح لم يتمكن أحد من إقامة حجة مقنعة عليه.

الشر نتيجة لمنحة الإرادة الحرة:

الشر الأخلاقي هو أفعال أو تروك السوء التي يأتيها الإنسان بإرادته الحرة، كالكذب، والسرقه، والقتل، قال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: 41].

قال الطبري: "ظهرت المعاصي في بر الأرض وبحرها بكسب أيدي الناس ما نهاهم الله عنه".⁽⁶²⁷⁾

فإن ما يتلبس به الناس من شرور قبيحة ورذائل شنيعة يسميها الفلاسفة بالشر الأخلاقي Moral Evil، هي نتاج فعل الناس بمحض إرادتهم الفاسدة.

هذه الإرادة المنطلقة إلى الشر كما الخير، هي إرادة حرة، ضمن حدود القدرة في غير موضعها وتوجيهه للفعل البشري إلى أمر سلبي، وهذا الإنسان المتحرك في الأرض بالفعل الحر، والذي يصيب ويخطئ في استخدام حريته، هو الإنسان الذي خُلِقَ لهذه الدنيا، ولولا حريته لما كان إنساناً دنيوياً، وهذه الإرادة الحرة هي التي تميزه عن الجمادات غير المريدة والملائكة غير الحرة لجبلها على الخير المحض.

ويرى الفيلسوف الأمريكي ألفن بلنتنجا أن ملكة "حرية الإرادة" عند الإنسان مبرر معقول لنفي عدم تساؤك وجود الإله الكامل مع وجود الشر؛ فإن الشر الأخلاقي هو نتيجة لممارسة الإنسان الفعل النابع من إرادته الحرة، فالشر هنا ضريبة لازمة ومنطقية ومُرْضية لنعمة الإرادة الحرة؛ وبذلك ينتقض الاعتراض على عدل الله أنه

(627) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاکر، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م، 107/20.

يسمح للبشر بالوجود... إنه لا معنى عقلاً وواقعاً أن نتحدث عن كائن حر يملك إرادة الاختيار ضمن الطبيعة البشرية المحضّة، ثم هو لا يفعل إلا الخير.

ويؤكد بلنتنجا على أن "حقيقة أن مخلوقات حرة تنزل أحياناً، لا تحسب ضد وجود قدرة الله الكلية ولا ضد خيريته؛ لأنه ليس بالإمكان أن يمنع وقوع الشر الأخلاقي إلا بمنع إمكانية الخير الأخلاقي"، أي: إننا أمام استحالة عقلية محضّة، ملخصها أنه يمتنع عقلاً الجمع بين وجود إرادة حرة تفعل ضمن حريتها - كما هي في المفهوم الدنيوي البشري -، وعجز هذه الإرادة عن أن تفعل غير الشر.

كما أن منع هذا الشر يعني إلغاء حرية الإنسان، وتحوله إلى كائن موجه غير مريد، وهو ما يؤول إلى منع تسمية فعله الميكانيكي الصواب، خيراً؛ لأنه ليس فعلاً اختيارياً.

هل يلام الرب على الشر الأخلاقي؟

قد يرى المعارض (في الشر الأخلاقي) حجة أخلاقية ضد الله سبحانه، بالقول: إن الإنسان هو نفسه صنعة الله؛ ولذلك فكل أفعاله لا بد أن تنسب إلى خالقه، ويرد القرآن على هذه الشبهة بقوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [التين: 4-6].

لقد خلق الله سبحانه البشر على أصل الاستقامة والمعرفة بحقيقة الخير والشر، ثم دفعهم بعدله إلى هذه الحياة؛ ليعيشوا محنة اختبار العقل والقلب والجوارح، فالإنسان مخلوق على صورة تهيئه لإدراك الأمور "إدراكاً مستقيماً مما يتأدى من المحسوسات الصادقة؛ أي: الموافقة لحقائق الأشياء الثابتة في نفس الأمر، بسبب سلامة ما تؤديه الحواس السليمة، وما يتلقاه العقل السليم من ذلك ويتصرف فيه بالتحليل والتركيب المنتظمين، بحيث لو جانبته التلقينات الضالة والعوائد الذميمة والطبائع المنحرفة والتفكير الضار، أو لو تسلطت عليه تسلطاً ما فاستطاع دفاعها عنه بدلائل الحق والصواب، لجرى في جميع شئونه على الاستقامة، ولما صدرت منه إلا الأفعال الصالحة، ولكنه قد يتعثّر في ذيول اغتراره ويرخي العنان لهواه وشهرته، فترمي به في الضلالات، أو يتغلب عليه دعاة الضلال بعامل التخويف أو الإطماع فيتابعهم طوعاً أو كرهاً، ثم لا يلبث أن يستحكم فيه ما تقلده فيعتاده، وينسى الصواب والرشد".⁽⁶²⁸⁾

إن صبغة الفطرة التي خلق عليها الإنسان هي التي تمنعه من توجيه إرادته إلى الشر وأسبابه، وهي صنعة الله سبحانه، أما يد الفساد التي تنشب أظفارها في جمال الذات البشرية فتشوه رقيق قسماتها، فهي غوائل خارجية لا تنجح في إفساد الإرادة إلا حين يخفت صوت الفطرة الربانية.

مشكلة الشر المادي:

تفر عامة الخطب الحماسية الإلحادية إلى الشر الطبيعي باعتباره أوضح المسالك لنفي وجود الخالق، فهي تزعم أن الآفات الطبيعية برهان غياب الرحمة والعدل في الكون، وتنقسم هذه الآفات إلى نوعين: آفات للإنسان فيها يد، وأخرى ليس له عليها سلطان.

1- الآفات التي للإنسان فيها يد، مثل تلويث البيئة وإهلاك الحرث...

2- الآفات التي ليس فيها للإنسان يد، مثل الزلازل والبراكين والمجاعات...

يقول إيونج Ewing، أستاذ الأخلاق في جامعة كامبردج: "إنها لحقيقة واقعة أن ثمة خيرات... لا تأتي بغير

(628) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير.

محصول الشر، فكيف تتسنى الفضيلة مثلاً بغير المغريات والعوائق، ومن ثم بغير الشر ولو في صورة الألم والعرقلة؟ وكيف توجد شجاعة بغير ألم أو مشقة أو خطر؟ وكيف يوجد الحب في أرفع حالاته التي نعرفها ما لم يكن هنالك داعية للعطف والإشفاق والتضحية... لا بد من شر نغلبه كي نحصل على فضيلة الغلبة عليه، وربما كان هناك ضروب أخرى من الحب والفضيلة كالتى نتخيل أنّ الكائنات العليا التي تعلو على طوق الإنسان متصفة بها ولا تنطوي على شر من الشرور، ولكنها - إذا صح تخيلنا - نوع آخر غير حبنا وفضيلتنا، وكلما تعددت أنواع الفضائل كان ذلك أفضل وأجمل".

إن عالماً دنيوياً بلا شر هو كعالم بلا خير، كلاهما بلا روح ولا معنى يسعى إليه الإنسان، وهما يفتقدان الاعتدال والاستقامة، وفي هذا قال الجاحظ: "لو كان الشر صرفاً هلك الخلق، أو كان الخير محضاً سقطت المحنة وتقطعت أسباب الفكرة، ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة، ومتى ذهب التخيير ذهب التمييز، ولم يكن للعالم تثبت وتوقف وتعلم، ولم يكن علم، ولا يعرف باب التبين، ولا دفع مضرة، ولا اجتلاب منفعة، ولا صبر على مكروه ولا شكر على محبوب، ولا تقاضل في بيان، ولا تنافس في درجة، وبطلت فرحة الظفر وعز الغلبة، ولم يكن على ظهرها محقٌ يجدُ عزَّ الحقِّ، ومبطلٌ يجدُ ذلة الباطل، وموقنٌ يجدُ برد اليقين، وشاكٌ يجدُ نقص الحيرة، وكرب الوجوم؛ ولم تكن للنفوس آمال ولم تتشعبها الأطماع... ولو كان الأمر على ما يشتهيهِ الغرير والجاهل بعواقب الأمور، لبطل النظر وما يشحذ عليه، وما يدعو إليه، ولتعطلت الأرواح من معانيها، والعقول من ثمارها، ولعدمت الأشياء حظوظها وحقوقها".⁽⁶²⁹⁾

ولابن القيم عبارة أنيقة يقول فيها: "قد استقرت حكيمته سبحانه أن السعادة والنعيم والراحة لا يوصل إليها إلا على جسر المشقة والتعب، ولا يدخل إليها إلا من باب المكاره والصبر وتحمل المشاق، ولذلك حفّت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات؛ ولذلك أخرج صفيه آدم من الجنة وقد خلقها له واقتضت حكيمته أن لا يدخلها دخول استقرار إلا بعد التعب والنصب؛ فما أخرجها منها إلا ليدخلها إليها أتم دخول، فله كم بين الدخول الأول والدخول الثاني من التفاوت. وكم بين دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في جوار المطعم بن عدي ودخوله إليها يوم الفتح، وكم بين راحة المؤمنين لذتهم في الجنة بعد مقاساة ما قبلها وبين لذتهم لو خلقوا فيها، وكم بين فرحة من عافاه بعد ابتلائه وأغناه بعد فقره وهداه بعد ضلاله وجمع قلبه بعد شتاته، وفرحة من لم يذق تلك المرارات. وقد سبقت الحكمة الإلهية أن المكاره أسباب اللذات والخيرات كما قال تعالى: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} [البقرة: 216].⁽⁶³⁰⁾

ظهور حكمة الله وصفاته:

قال ابن القيم: "الحكمة إنما تتم بخلق المتضادات والمتقابلات كالليل والنهار، والعلو والسفل، والطيب والخبيث، والخفيف والثقيل، والحلو والمر، والبرد والحر، والألم واللذة، والحياة والموت، والداء الدواء، فخلق هذه المتضادات تعطيل لمقتضيات تلك الصفات وأحكامها وآثارها، وذلك عين المحال. فإن لكل صفة من الصفات العليا حكماً ومقتضيات وآثاراً هو مظهر كمالها، وإن كانت كاملة في نفسها، لكن ظهور آثارها وأحكامها من كمالها، فلا يجوز تعطيله، فإن صفة القادر تستدعي مقدوراً وصفة الخالق تستدعي مخلوقاً، وصفة الوهاب الرازق المعطي المانع المقدم المؤخر المعز المذل العفو الرؤوف تستدعي آثارها وأحكامها، فلو عطلت تلك الصفات

(629) الجاحظ، الحيوان، بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ، 135-134/1.

(630) ابن القيم، شفاء العليل، ص448-449.

عن المخلوق المرزوق المغفور له المرحوم المعفو عنه لم يظهر كمالها، وكانت معطلة عن مقتضياتها وموجباتها، فلو كان الخلق كلهم مطيعون عابدون حامدون؛ لتعطل أثر كثير من الصفات العلا والأسماء الحسنى، وكيف كان يظهر أثر صفة العفو والمغفرة والصفح والتجاوز والانتقام والعز والقهر والعدل والحكمة التي تنزل الأشياء منازلها وتضعها مواضعها؟

فلو كان الخلق كلهم أمة واحدة فاتت الحكمة والآيات والعبر والغايات المحمودة في خلقهم على هذا الوجه، وفات كمال الملك والتصرف، فإن الملك إذا اقتصر تصرفه على مقدور واحد من مقدوراته فإما أن يكون عاجزاً عن غيره فيتركه عاجزاً، أو جاهلاً بما في تصرفه في غيره من المصلحة فيتركه جهلاً...

وأما أقدر القادرين وأعلم العالمين وأحكم الحاكمين فتصرفه في مملكته لا يقف على مقدور واحد؛ لأن ذلك نقص في ملكه، فالكمال كل الكمال في العطاء والمنع والخفض والرفع والثواب والعقاب والإكرام والإهانة والإعزاز والإذلال والتقديم والتأخير والضر والنفع وتخصيص هذا على هذا، وإيثار هذا على هذا، ولو فعل هذا كله بنوع واحد متمائل الأفراد لكان ذلك منافياً لحكمته، وحكمته تأباه كل الإباء، فإنه لا يفرق بين متمائلين، ولا يسوي بين مختلفين، وقد عاب على من يفعل ذلك وأنكر على من نسبه إليه، والقرآن مملوء من عيبه على من يفعل ذلك، فكيف يجعل له العبيد ما يكرهون، ويضربون له مثل السوء وقد فطر الله عباده على إنكار ذلك من بعضهم على بعض وطعنهم على من يفعله، وكيف يعيب الرب سبحانه من عباده شيئاً ويتصف به، وهو سبحانه إنما عابه لأنه نقص فهو أولى أن يتنزه عنه، وإذا كان لا بد من ظهور آثار الأسماء والصفات ولا يمكن ظهور آثارها إلا في المتقابلات والمتضادات لم يكن في الحكمة بد من إيجادها، إذ لو فُقدت؛ لتعطلت الأحكام بتلك الصفات وهو محال".⁽⁶³¹⁾

اختبار إيمان العباد:

إن حقيقة الامتحان تقتضي أن يعاني المرء وخز المكاره، وقيظ⁽⁶³²⁾ المفاوز⁽⁶³³⁾ حتى يثبت أنه حقيق بأن يكون من الفائزين، قال تعالى: {أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: 2-3]، إنها سنة الله في خلقه منذ برأ البرية، والطريق الذي أعد للخلق؛ فمن تحمل وخز الشوك، وحر الرمل، وأذى الحصى في هذا الطريق الوعر، فاز، ومن تراخى عن مقاومة الأمر الصعب، هلك.

وقال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْحَبِيرِ فَتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء: 35]؛ أي: نختبركم بالشر والخير بالمكروه والمحبوب، هل تصبرون وتشكرون أو تكفرون وتعرضون؟، والمنحة والمحنة جميعاً بلاء؛ إذ المحنة متقضية للصبر، والمنحة مقتضية للشكر".⁽⁶³⁴⁾

إن قلب الإنسان بين طباق الشر والخير، مختبر لإيمانه، وبه ينكشف صدق الولاء للمعتقد الحق، إن كان على دين الحق، وإلا فهو تحفيز لعقله، واستحثاث لقلبه أن يتفكر ويتدبر في أمر هذا الخلق، وما وراءه، وأمر هذا الوجود وما يحركه.

(631) ابن القيم شفاء العليل: (ص: 439-440).

(632) قيظ: حر.

(633) مفاوز: صحارى.

(634) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، بيروت: دار إحياء التراث، د.ت.، 47/17.

إن في محنة الشر منحة للمهتدين، وحجة على المخلدين إلى اللذة الدانية والمعرضين عن حقيقة الوجود الكبرى التي هي أن للعالم خالقاً حقيقاً بأن يُعبد.

إن الشر ممثلاً في المحن والآفات التي تصيب الإنسان في هذه الحياة هو مادة الامتحان الدنيوي الأولى؛ فلولا المكاره لما كان هناك فرق معتبر بين المُجِدِّ والمُتَمَاهِن، وبين من حقد ومن تراخى.

وقد حفل القرآن بآيات كثيرة في تأكيد الحقيقة الوجودية الكبرى للشر باعتباره فتنة للناس؛ فالناس أمام الشر فسطاطان، فسطاط المؤمنين المتجانفين عن الشر، وفسطاط الواقعين فيه بقصد: قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَلِكَ ظُنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ * أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} [ص: 27-28]، وقال تعالى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [الجاثية: 21-22].

إشعار الإنسان بحقارة الدنيا:

إن بعض الشرور ضرورية لتنبية الإنسان إلى حقيقة هذه الدنيا؛ إذ تردّها إلى حجمها الأول الضئيل وترفع عن وجهها الاهت المهرج الرخيص.

قال تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [الحديد: 20].

قال صاحب الظلال: "والحياة الدنيا حين تقاس بمقاييسها هي وتوزن بموازينها تبدو في العين وفي الحس أمراً عظيماً هائلاً، ولكنها حين تقاس بمقاييس الوجود، وتوزن بميزان الآخرة، تبدو شيئاً زهيداً تافهاً، وهي هنا في هذا التصوير تبدو لعبة أطفال بالقياس إلى ما في الآخرة من جد تنتهي إليه مصائر أهلها بعد لعبة الحياة!، والكفار هنا هم الزراع، فالكافر في اللغة هو الزارع، يكفر: أي يحجب الحبة ويغطيها في التراب، ولكن اختياره هنا فيه تورية والماع إلى إعجاب الكفار بالحياة الدنيا (ثمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا) للحصار، فهو موقوت الأجل، ينتهي عاجلاً، ويبلغ أجله قريباً (ثمَّ يَكُونُ حُطَامًا).. وينتهي شريط الحياة كلها بهذه الصورة المتحركة المأخوذة من مشاهدات البشر المألوفة.. ينتهي بمشهد الحطام!

فأما الآخرة فلها شأن غير هذا الشأن، شأن يستحق أن يحسب حسابه، وينظر إليه، ويستعد له (وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ).. وهي لا تنتهي إلى حطام كذلك النبات البالغ أجله.. إنها حساب وجزاء.. وداوم.. يستحق الاهتمام! (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) فما لهذا المتاع حقيقة ذاتية، إنما يستمد قوامه من الغرور الخادع؛ كما أنه يلبي وينسى؛ فينتهي إلى غرور خادع.

وهي حقيقة حين يتعمق القلب في طلب الحقيقة. حقيقة لا يقصد بها القرآن العزلة عن حياة الأرض، ولا إهمال عمارتها وخلافتها التي ناطها بهذا الكائن البشري. إنما يقصد بها تصحيح المقاييس الشعورية والقيم النفسية، والاستعلاء على غرور المتاع الزائل وجاذبيته المقيدة بالأرض.

هذا الاستعلاء الذي كان المخاطبون بهذه السورة في حاجة إليه؛ ليحققوا إيمانهم، والذي يحتاج إليه كل مؤمن

بعقيدة؛ ليحقق عقيدته، ولو اقتضى تحقيقها أن يضحى بهذه الحياة الدنيا جميعاً".⁽⁶³⁵⁾

مشكلة الشر المجاني:

لقد أصبح جل الناس في الغرب على قناعة أنه لا تعارض بين وجود إله ووجود الشر، ولذلك عدل كثير من أعلام الدعوة الإلحادية طرحهم من مجرد الاعتراض بوجود الشر إلى (شبهة عبثية الشر) التي يُعبّرون عنها بـ"مجانية الألم": أي: الأذى الذي لا يخدم هدفاً.

وما يستخلص من هذا التقهقر هو أن وجود الشر في ذاته ليس مشكلاً؛ فهو لا يتعارض مع علم الله وقدرته ورحمته، وإنما المعارض لكمال الله - بزعمهم - هو الشر المجاني.

ويمثل الشر المجاني، أو الشر الذي لا هدف من ورائه، وغير ذلك من التسميات، تعبيراً عن أقصى ما بلغه فلاسفة الإلحاد في الانتصار لعالم بلا إله رحيم.. وظاهر هذا الاعتراض البساطة وباطنه من قبله التشعب والغموض.

و"الشر المجاني" في تعريف (وليام رو) هو الشر الذي لا يقود إلى خير يوازيه أو يربو عليه.

لماذا لا يخبرنا الله بسبب كل شر؟

السؤال عن عدم إخبار الرب لنا بالحكمة من كل شر يتكرر كثيراً على ألسنة المتشككين، وهو تعبير عن حاجة نفسية متقدمة وليس ثمرة ضرورة عقلية، إنه تعبير عن رغبة المبتلي في مسكن لألمه، ورجاء بعد وجعه، وفرج بعد كربه.. وليس العقل مضطراً إلى طرحه؛ بل العقل يقضي أنه سؤال بلا معنى، لسببين:

أولاً: قد أخبرنا الله أن الشر فتنة واختبار في رحلة الحياة، على وجه العموم، فليس في الحياة شيء من العبث القدرى، كما أن مما يظنه المرء شراً هو خير له في الدنيا.

ثانياً: عند التفصيل، يفقد الشر خيرته إذا كان كل شر ينزل بالإنسان تنزل معه وثيقة تشرح سببه وترفع غموضه وتبين مآله.

على هذه الصورة، يفقد الشر الكثير من الحكمة التي وراءه، لتتحول الحياة إلى ديب ميكانيكي ممل، يعرف المرء في أوله مآله، فلا مقام أو معنى فيه للاختبار الإلهي الذي يعقبه جزاء الجنة أو عذاب النار.

"وهذا هو المعنى في الابتلاء... فإن الكل لو كان ظاهراً جلياً بطل معنى الامتحان ونيل الثواب بالجهد في الطلب، ولو كان الكل مشكلاً خفياً لم يُعلم شيء حقيقة، فجعل بعض الأمور جلياً ظاهراً، وبعضها خفياً ليُتوسل بالجلي إلى معرفة الخفي بالاجتهاد وإتباع النفس وإعمال الفكر، فيتبين المُجدُّ من المقصر والمجتهد من المُفْرِط، فيكون ثوابهم بقدر اجتهادهم ومراتبهم على قدر علومهم..."⁽⁶³⁶⁾

التعويض الأخرى:

قد يقول معترض: أنا أوافقكم أن صلاح الكل يربو في قيمته على السماح لبعض الشر أن يوجد، لكن ذلك لا يلغي حقيقة أن أبرياء يقعون ضحية هذا الشر؟!.

وجواب ذلك هو أن اختزال الوجود الإنساني في هذه الحياة الدنيا وقطعه عن كل وجود آخر، يسبغ صفة السلبية على ما يؤذي الإنسان.

إن الحياة الأخرى في التصور الإسلامي هي تنمة لازمة للفصل الأول من الوجود البشري في الحياة الدنيا، بل هي

(635) سيد قطب، في ظلال القرآن 3491/6.

(636) علاء الدين البخاري، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي.

الحياة الحقّة، قال تعالى: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: 64]، أما دار الدنيا فكالخيال الذي لا حقيقة له، ولما لم يهتم الشيوديسيون الغربيون بأمر الآخرة، إلا قلة قليلة كتشاد مايستر Chad Meister، بقيت نظرتهم إلى الشر عاجزة أن تجمع بين الشر، وبين مفهوم العدل الإلهي المطلق.

إننا نقر للملحد أن الحياة الدنيا كما نعيشها لا تعكس في أوجهٍ منها العدالة التي نريدها، ونوافقه أن الحياة (غير منصفة)، كما يقال في المثل الشعبي الغربي، لكننا لا نرُدُّ ذلك إلى أن عالمنا يفتقد إليها حكيمًا، وإنما أصل الخلل هو في قصور رؤية الملحد لمجال حياة الإنسان؛ إذ قصر نظره على حياة الامتحان والمكابدة على هذه الأرض، فرأى إجرام نيرون، وفضاعة هتلر، وشناعة أحداث نكازاكي، وأحزان الأطفال المشهورين، وأوجاع العجائز المشردين، لكنه لم يمد نظره إلى الحياة الأخرى التي تمثل حياة الجزاء حيث تجزى كل نفس بما كسبت، ودار المستقر حيث لا دار بعدها، وهي بقياس الحساب أطول وأعظم من هذه الدنيا الضئيلة بما لا يُقدَّر بعدد؛ إذ كل شيء عدم أو يكاد أمام حياة الأبد.

إن ضيق النظرة والحدود المتقاربة لأضلع الوجود الإنساني زمانًا، هي التي جعلت الفيلسوف الملحد (ويليام رو) يرى في محنة الطفلة (التي اغتصبها عشيق أمها ثم قيامه بقتلها بعد ذلك) شرًا خالصًا، لا حكمة من الممكن أن ترفع عنه (مَجَانِيَّتِهِ) الظاهرية.

وهنا لا يجد المسلم نفسه في مأزق؛ لأن الأطفال وإن كانوا لا يتحملون وزر هذا الإجرام ولا يفيدهم هذا النوع من الوحشية المهلكة شيئًا في الدنيا، إلا أننا نعلم أنهم في الآخرة في الجنة متنعمين فيها أبدًا، سواء كانوا من أبناء المسلمين أم من أبناء الكفار⁽⁶³⁷⁾.

فهل تقاس محنة دقائق أو ساعات أو أيام أو أشهر أو سنوات بنعيم مقيم لا تنضب حلواته وتتجد ندواته؟! إننا كمسلمين عندما نقرأ قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "يُودُّ أَهْلَ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلَ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِصَتْ فِي الدُّنْيَا بِمَقَارِيضٍ"⁽⁶³⁸⁾، نُدْرِكُ أن ابتلاءات الدنيا هدر إذا ذُكِرَ نعيم الآخرة، وأن محنة هذه الطفلة لا تساوي قطرة في بحر النعيم الذي يرتقيها، وأن الله يعاملها بفضله لا بعدله، إذ يُدخلها الجنة التي يتضاءل أمامها كل أذى دنيوي.

فإن قيل اعتراضًا: قد سلمنا أن مآل الطفلة قد رفع عنها الظلم، لكن ذلك لا يُثبِتُ لوقوع هذه الجريمة حكمة! قلنا: إن حقيقة خلق الله إرادة في الإنسان على فعل الخير والشر ضمن قضية الوجود الدنيوي حتى يَتَنَعَّمَ المحسن ويُعَذِّبَ المسيء، تقتضي ألا يُحدِّدَ فعل الإنسان الضال بأمور لا يتعدى ضررها غيره، إذ إن طبيعة الوجود الإنساني فيها من التداخل والتشابك ما يجعل حياتنا (أرض امتحان وابتلاء).

ولما كان الفعل الإنساني الشرير يتعدى في غالب أمره إلى غير فاعله، أبقاه الله سبحانه حتى يتسلط على إرادة غيره، ثم يكون القصاص يوم القيامة، أما ضحية الفعل الشرير؛ فإن رحمة الله سبحانه تناله في الآخرة يقينًا، وفي الدنيا غالبًا؛ مما يرفع عنه مظلمته.

إننا لن نفهم الشر والحكمة منه إن أصررنا على النظر إلى الدنيا كقصة تنتهي عند حافة القبر دون أن نجعلها فصلًا أول في قصة أطول لا تنتهي أبدًا، بل تتوالى أيامها بلا انتهاء.

(637) القول إن أبناء الكفار في الجنة، هو مذهب جمهور العلماء، كما نقله ابن حزم.

(638) رواه الترمذي، وحسنه الألباني وعبد القادر الأرنؤوط.

لماذا لم يخلق الله عالماً من الطيبين فقط؟

يتكرر على لسان المعترضين تساؤل مهم، وهو: لِمَ لَمْ يخلق الله عالماً خالياً من الشر، البشر فيه أحرار، لكنهم لا يأتون الشر، وإنما يلتزمون العمل الصالح، وينأون عن الشرور والمفاسد؟

والجواب هو في قوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [هود: 118-119].

قال ابن عاشور في تفسيره: "وأما تعقيبه بقوله: (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) فهو تأكيد بمضمون (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ)، والإشارة إلى الاختلاف المأخوذ من قوله (مُخْتَلِفِينَ)، واللام للتعليل؛ لأنه لما خلقهم على جبلة قاضية باختلاف الآراء والنزعات وكان مريداً لمقتضى تلك الجبلة وعالماً به... كان الاختلاف علّة غائية لِخَلْقِهِمْ، والعلّة الغائية لا يَلْزَمُهَا القصر عليها بل يكفي أنها غاية الفعل".⁽⁶³⁹⁾

فالله سبحانه قد خلق الناس بقدرات وملكات تقتضي ألا يكونوا كلهم مصيبين وألا يكونوا كلهم مخطئين؛ فقد ركز في فِطْرِهِمْ معرفة الحق، ثم أسلمهم إلى ما يختارون من حق وباطل؛ ولذلك ظهر الفساد والكفر وهو أقصى الشر من فريق منهم.

فليس في حساب الله سبحانه أن يخلق عالماً بلا شر، وإنما اختار لِخَلْقِهِمْ هذه الطبيعة في هذا العالم؛ لأنه يريد ذلك، فد (الحكمة) التي أقيم عليها نظام هذا العالم اقتضت أن يكون نظام عقول البشر قابلاً للتطوُّح بهم في مسلك الضلالة أو في مسلك الهدى على مبلغ استقامة التفكير والنظر، والسلامة من حجب الضلالة".⁽⁶⁴⁰⁾

لماذا لا يكون هناك عالم من غير ألم؟

يقول العقاد معقياً على معترضٍ يقول: "... أليس خلق اللذة أولى برحمة الإله الرحيم من خلق الألم كيف كان وكيف كان موقعه من التكافل بينه وبين اللذات؟".

ليس الشر مشكلة كونية ولا مشكلة عقلية إذا أردنا بالمشكلة أنها شيء متناقض عصيٌّ على الفهم والإدراك، ولكنه في حقيقته مشكلة الهوى الإنساني الذي يرفض الألم ويتمنى أن يكون شعوره بالسرور غالباً على طبائع الأمور.

وإذا كانت في هذا الوجود حكمته التي تطابق كل حالة من حالاته؛ فلا بد من حكمةٍ فيه تطابقُ طبيعة ذلك الشعور، ولا نعلم من حكمةٍ تطابق طبيعة ذلك الشعور، غير الدين..".⁽⁶⁴¹⁾

ماذا لو كانت الطبيعة غير مؤذية؟

إنَّ طَلَبَ عَالِمٍ لا تفعل فيه الطبيعة فعلها العفوي، هو طلب وجود عالمٍ آخر غير عالمنا.. عالمٍ كامل رغم أن من لوازم العالم المخلوق ألا يكون كاملاً.. وهو عالمٌ لا يتوافق مع الحكمة من خلق الإنسان، فهو يرفض الوجود الإنساني الحالي برمته، طلباً لوجود آخر؛ فإن وجودنا في هذه الأرض لا يستقيم على الصورة المطلوبة بغير ما يبدو من شر في بعضه.

ما العالم بلا موت؟ هل تطيق أنفسنا أن نحيا على الأرض بلا نهاية؟ ولم نعيش بلا خاتمة؟ هل يوجد أي شيء في

(639) محمد الطاهر ابن عاشور / التحرير والتنوير 12/189-190.

(640) محمد الطاهر ابن عاشور / التحرير والتنوير 12/187.

(641) عباس العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، ص 8-11.

أرضنا يرضى أن نعيش معه أبدًا؟ إن كل شيء فينا ومن حولنا يصرخ أن وجودنا يجب أن يكون محدودًا في هذه الأرض؛ لأن أديتنا لا تؤوول إلا إلى فساد نفوسنا وعقولنا وبيئتنا، وهذا في أمر شر واحد، وهو الموت، فكيف نملك أن ننزع من الكون كل شر مادي لنحقق الحكمة الكبرى؟!

عالمنا وعالم الملحد:

يقول الله تعالى: {وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ} [المؤمنون: 71].

إذا كان الملحد لا يرضى بغير عالمه الوردى الذي صنعه خياله وتفياً ظلالة، حتى يستقيم في العقل وجود خالق عليم قدير خَيْرٍ، فإننا سنطلق لخيالنا مع خياله العنان، وننتقل جميعاً إلى عالمه؛ لنتبين إن كان حقاً هو أفضل من عالمنا "المستبشع".

ولنا أن نتساءل ونحن نسير إلى عالم الملحد البريء من الفساد:

- هل بلغ عالم الملحد صورة الكمال التي ينفي فيها وجود الإله؟

- هل أخرج الاعتراض الإلحادي الملحد من مشكلة الشر أم أنه قاده إلى شر مما يحاذره؟

- هل يمكن للقلب أن يعاند إذا برىء من الأهواء؟

إن العالم الذي يفترضه الملحد هو عالم غير كامل على الحقيقة؛ لأنه عالم فقد فيه الإنسان أهم خصيصة، وهي حرية الإرادة، فهو عالم جبري لا يعدو فيه قدر الإنسان ريشة تحركها الرياح أين شاءت وأنى شاءت، وإن شئت قل: إن الإنسان في هذا العالم مجرد دمية تُصنع على مقاس واحد وتتحرك على سكةٍ إلى اتجاه واحد، كل ما فيها فاقد للسلطان الذاتي، حتى مشاعر الفرح والأمل والرجاء ليست إلا انطباعات ميكانيكية على القلب أو الوجه.

إن (المدينة الفاضلة) للملحد هي عالم بلا فرح؛ لأنها بلا حزن، وهي عالم بلا نجاح؛ لأنها عالم بلا فشل؛ إذ يدرك الإنسان منذ بداية فعله أنه سائر إلى الفوز دون ريب؛ فيفقد بذلك لذة الفرح بانتصاره على فرصة الفشل، وهو عالم لا يستشعر فيه الإنسان معنى الصحة والعافية؛ لأنه لا يعلم أن هناك مرضاً وأذىً، هو ببساطة عالم ميت بلا حركة عاطفة، ولا حركة إرادة، عالم بلا أمل، وبلا شوق، وبلا هدف؛ لأنه عالم بلا فشل وبلا طموح؛ فكل ما يريده الإنسان يحصده في حينه، ومن عجبٍ أن مثل هذا العالم (بصورة مادية مصغرة) قد قاد أصحابه إلى الانتحار في دنيانا بعد أن شعروا أن حياتهم بلا أمل، سواء في عالم الأثرياء الذين جربوا كل المتع واللذات، حتى الشاذ منها، وكذلك كبار السن الذين يتقاعدون عن العمل، ويأتيهم رزقهم رغداً؛ إذ يستشعرون أن حياتهم بلا معنى؛ لأنها بلا كد، وبلا خوف، ولا شوق.

وماذا بعد الموت؟

أن يسأل الإنسان نفسه، وهو جالس في بيته بين أهله يأكل طعاماً لذيذاً أو يشاهد برنامجاً مسلياً، أو يستلقي مرتاحاً على سريره الدافئ، أو يتبادل الحوار الشيق مع أصدقائه في ناد أو مقهى.. ومن حولهم تتمخض حركة الحياة الدائمة عن الأمل والبلادة والمتعة والنسيان.. ليس كمن يسأل نفسه، وهو يلتفت فجأة في أعماق الظلام، إلى قبر جديد، وحيد، نبت قبل دقائق في قلب الصحراء، وغادره أقرب أصدقائه وأشد محبيه..

ترى.. لو أن ديناً من السماء لم ينزل.. ودخل في عقول الناس، على مدار التاريخ، خرافة الملحد والعدميين، من

أنه لا حياة بعد هذه الحياة، لا بعثًا ولا حسابًا ولا جزاء.. وأن نهاية الإنسان المطلقة تجيء عندما يسكت قلبه عن الخفقان ويؤازر التراب، لكن ما يلبث أن يأكله الدود، ويتحول بعد قليل إلى تراب يستعد لاستقبال الحفريات الجديدة من التراب الذي لا يكف عن الانقطاع!!

لو حدث وأن تحقق هذا، ماذا سيكون شعور الإنسان، وهو يقف في المقبرة يشهد دفن صديق أو قريب! ماذا سيكون شعوره، وهو يلتفت بعد دقائق إلى الجثة المواراة وقد خنقها التراب، وتُركت وحدها في الصحراء! إنَّ أي مسلم لا يستطيع بفطرته وبداهته ويقينه وإيمانه أن يتصور موقفًا عمليًا كهذا، إنه بمجرد تصوره يحس بالاختناق، ويستنفر كل طاقاته النفسية للخلاص من المأزق واستنشاق الهواء الصافي النقي.. إنه لا يفرق أبدًا بين كابوس لا يرحم يدهمه في المنام، وبين إحساس عدمي قاتم يمر بخاطره في المقبرة!!

والأكثر من هذا أنَّ المسلم يستمد من موقف الفراق ثقةً أكبر بعقيدته التي منحته الأمل الكبير بالبعث والنشور والحساب، وبدينه الذي علمه دائمًا أن الموت ليس سوى نقلة إلى دار أخرى غير هذه الدار وإلى حياة أخرى غير هذه الحياة.. ويتملكه إحساس عميق بالرتاء والاحتقار لكل أولئك الذين سعوا إلى تزييف الحياة وبترها باعتقادهم أن الإنسان يحيا مرة واحدة فحسب ثم يأكله الدود ويلفه التراب، ولا شيء وراء ذلك..

وما أكثر الذين ذهبوا إلى المقابر لتشجيع صديق أو قريب، وهم لا يملكون إيمانًا ولا يقينًا، وإذا بنازلة الموت وبمشهد حصر الميت بين جدران الحفرة الأربع، وإهالة التراب عليه، تحرك أفئدتهم الميتة، وتهز عقولهم الكسولة، وتغسل عن نفوسهم الصدئة ما علق بها من رين وغبار... فيغادرون المكان وهم أشد إيمانًا وأعمق يقينًا..

وفرقٌ وأي فرق بين إنسان مؤمن يرجع من المقبرة وهو يحمل أملًا كبيرًا، وبين إنسان ملحد يخنقه المشهد المحزن ويزيده كآبة وضياعًا..

ثم ماذا عن العدل النهائي المطلق! لقد اغتيل أربعة من الأبرياء، وليس بمستبعد أن يفلت القتلة من طائلة القصاص...

وما قيمة الحياة... وما قيمة الإنسان نفسه لو ترك مصيره هكذا معلقًا على عدل أرضي لا يملك - في معظم الأحيان - الأداة المضمونة لتحقيقه ونفاذه؟!

إن الإسلام، ذلك الدين القيم يمنحنا الجواب في كلتا الحالتين.. ولو لم يكن الدين سوى هذا الجواب لكان في ذلك وحده الدافع الأكبر للالتزام، ومعايشته، وتعشقه، والتشبث به حتى آخر لحظة من حياتنا التي يعلمنا الإيمان أنها لن تنقطع، ولن تزول، ولن يضيع حق من حقوقها بالصدفة أو العبث أو الفوضى...

جربوا بأنفسكم ذلك.. اختبروا صدقه.. ليس في بيوتكم ونواديكم ولكن في المقابر.. التفتوا إليها بعد دقائق من مغادرتكم المكان: وحيدة.. مهملة.. منقطعة في الصحراء.. أمن الممكن أن تكون هذه هي نهاية الإنسان؟⁽⁶⁴²⁾

وأخيرًا، إن البحث عن جواب للتساؤل عن مشكلة الشر نابع من الحقيقة من إيجابية الإيمان بالله، والإحساس العميق بغائية كل ما يحيط بنا، إن سؤال الشر هو طلب لإكمال تناسق الصورة الكبرى للوجود، وليس في حقيقته كسفا للاغائية Purposeless والوجود.

إن الحديث عن قيمة العدل في عالم لاغائي هو عين الهذر واللغو؛ لأنه أشبه بالبحث عن الحياة في الموت،

(642) عماد الدين خليل، آفاق قرآنية.

والحركة في السكون، والوجود في العدم.

ولذلك فإنَّ الإلحاد انتحار عقلي مغرور، وسقوط لزوج في طريق يقود إلى اللانتيجة، إذ هو جواب صارخ بالصمت، يغتال بضجيج لهفة المعرفة العطشى على لسان النفس التائقة إلى حقيقة الحقيقة. وصدق النورسي إذ قال: إن في الوجدانية سهولةً ويسرًا بدرجة الوجد، وفي الإلحاد صعوبة ومشكلات بدرجة الامتناع".⁽⁶⁴³⁾

عصارة المقال، هي:

أنَّ هذا الكون بشروه، على تعدد أنواعها ودرجاتها، هو ما يتوقعه المؤمن بإله قدير، عليم، رحيم، خلق الإنسان على الصورة التي جاء بها القرآن، وللحكمة التي أوردتها القرآن، ولغاياتٍ أوردتها القرآن، ولذلك لا يجد المسلم نفسه في مأزق تصوري للألوهية ولا المعاني الحياة.

(643) النورسي، شاعات، الشعاع الثاني، نسخة الكترونية.

الرد على شبهة: (تقدم الدول العلمانية وتخلف البلدان المسلمة)

كثيراً ما يَضْرِبُ لنا العلماني المثلَ بالدول العلمانية الأوروبية على أنها النموذج الفريد الذي يجب أن يُحتذى به لأجل الوصول إلى وصل إليه من تقدمٍ ورغدٍ في العيش، في حين أنه يغض الطرف عن الدول العلمانية الأخرى بإفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا وشرق أوروبا والتي لم تنفعها علمانيتها في الخروج من بوتقة التخلف القابعة فيه منذ سنين، ومن أمثلتها: (بستوانا/ ناميبيا/ جامبيا/ موريشيوس/ السنغال) وغيرها من الدول التي تعتمد في دستورها وحُكمها على العلمانية.

وكذلك (ليبيريا) تلك الدولة التي تُدار وفق النظام العلماني الأمريكي مباشرة، ومع ذلك فهي من أكثر الدول تخلفاً وفقراً، فضلاً عن تدهور منظومتها التعليمية بشكل مخزٍ وفَاضِحٍ.

هكذا يتضح لنا أنه لا علاقة بين العلمانية وبين التقدم؛ فأغلب القارات بها العديد من الدول العلمانية التي تندرج تحت مسمى دول العالم الثالث، منها (الدول الآسيوية) باستثناء: الصين واليابان وماليزيا وإندونيسيا وكوريا الجنوبية وسنغافورة...

وأيضاً: دول أمريكا اللاتينية الوسطى، مثل: بليز، وبنما، وغواتيمالا، ونيكاراغوا، وهندوراس، والسلفادور، وكوستاريكا وفنزويلا والخ.

ومنها أيضاً (الدول الإفريقية العلمانية) باستثناء دولة جنوب إفريقيا.

ومن دول أوروبا: (قبرص ومالطا)، (ودولة اليونان): المهارة اقتصادياً، ودول شرق أوروبا؛ فكلها تصنف من دول العالم الثالث.

أما بشأن الهجرة ونزوح العرب للغرب، فالسبب الرئيس لذلك هو الهروب من شبح البطالة، ومحاولة البحث عن طرق لتحسين الأحوال المعيشية.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا:

لماذا لا ينزح المهاجرون إلى أنغولا أو الهندوراس أو ليبيريا أو أرمينيا أو اليونان وبلغاريا وأوكرانيا أو السنغال أو الكونغو الديمقراطية أو بوليفيا أو نيجيريا أو تشاد أو بوركينا فاسو أو المكسيك أو سلفادور وكوبا وفنزويلا مثلاً؟ ولماذا يهاجر الطرفان الغربي والأوسطي إلى دول الخليج؟! هل لأن نظام الحكم فيه إسلامي نوعاً ما؟! أم بسبب فشل الأنظمة العلمانية؟! أم بسبب إرتفاع مستوى الدخل والموارد والثروات الإقتصادية؟!!

ما هي الدول العلمانية المتقدمة؟

هناك العديد من الدول تُصنَّفُ على أنها دولاً متقدمةً، وهي كما يلي: الولايات المتحدة الأمريكية، اليابان، كندا، أستراليا، ومعظم دول أوروبا الغربية.. ولقد استمدت هذه الدول شهرتها تلك؛ لكونها متطورة في المجال الصناعي.

ولكن ما هي الكيفية التي كانت سبباً في تقدم تلك الدول؟

أمريكا على سبيل المثال؛ تعتمد في تقدمها على العلماء المهاجرين، حيث يوجد لديها 15 عالم عربي مسلم - بغض النظر عن توجهاتهم - بوكالة ناسا؛ ولذلك لن تستغرب الآن إذا علمت أن مكتشفي لقاح كورونا هم العلماء المسلمون.

وكذلك كندا؛ فإنها تعتمد بالدرجة الأولى على المهاجرين.

أما فرنسا؛ فهي مجرد عضو في الاتحاد الأوروبي، وليست دولة صناعية، بل هي دولة متخلفة، ظالمة تعتمد في اقتصادها على نهب واستغلال ثروات إفريقيا منذ عشرات السنين وحتى يومنا هذا.

الغرب مجرد حضارة لصوص

يقول الصحفي البلجيكي (ميشيل كولون) في كتابه (الغرب مجرد حضارة لصوص): "إن أضحت إسبانيا وفرنسا ثريتان في القرن 17، فذلك لسرقتهما ذهب وفضة أمريكا اللاتينية، وذبح الهنود. وإن أصبحت فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة في هذا الثراء الفاحش، فذلك بفضل العبودية وسرقة البشر من إفريقيا دون أي مقابل.

وكذلك بلجيكا وهولندا ثريتان جدًا منذ القرن 19، بسرقة المواد الخام من إفريقيا وآسيا على مدى 5 قرون قام الغرب بنهب ثروات العالم الثالث، دون أثمانها يمكننا رسم جداول لكل بلدان إفريقيا الفقيرة ونوضح من نهبها! وكيف باختصار نحن لصوص!؛ ولهذا صرنا دولا ثرية على حساب الآخرين".⁽⁶⁴⁴⁾

ويقول النائب السابق والسياسي الألماني (يورجن تودنهوفر) على حسابه بالفيس بوك: "هذه ليست حربًا ضد "الإرهاب الإسلامي" كما يحاول ساستنا إقناع الناخبين، لكنها حرب استعمارية قذرة من أجل المصالح الفرنسية: اليورانيوم والنفط والذهب"، ويقول أيضًا: "لا علاقة لنا مع حرب فرنسا للأخلاقية؛ لذلك أيها المستشار أخرج من مالي؛ فحروبنا أيضًا قذرة".

إذن ما هو سبب تقدم هذه وتخلف تلك؟

السبب الرئيسي في تقدمها هو الإهتمام بالجانب العلمي وتوفير ميزانيات للبحث وتهيئة البيئة العلمية ولا شأن للنظام كما أسلفنا ومن بين النقاط التي يخفيها العلماني خلال كلامه عن الغرب خوفًا وهلعًا وتعصبًا:

1- أن العلماني المسكين لا يحكي لنا وقائع تاريخ الاحتلال الغربي وتاريخ استغلالاته وَسَطُوهُ على شعوب العالم، والذي لولا هذا الاحتلال لما قامت له قائمة، ولعل هذا شاهد على ما قال به (صامويل هنتنجتون) حين قال: "لقد ظفّر الغرب بالعالم ليس بفضل تفوق أفكاره أو قيمه أو دينه الذي تحول إليه عدد قليل من الحضارات الأخرى، وإنما بالأحرى بسبب تفوقه في تطبيق العنف المنظم، وكثيرًا ما ينسى الغربيون تلك الحقيقة ولكن غير الغربيين لا ينسونها".⁽⁶⁴⁵⁾

2- أن المتعلمين الملحد المسكين لا يُحدثنا عن الأرقام القياسية التي وصل إليها العالم الغربي فيما يخص الجرائم المختلفة، كالسرقة والاعتصاب والقتل والتحرش، وكذلك الأمراض النفسية والعصبية والعقلية ومعدلات الانتحار التي يعاني منها الغرب حاليًا.

3- أن العلماني المسكين لا يُكلمنا عن كيف تتحكم البنوك الغربية الكبرى (صندوق النقد، البنك الدولي...) في تدمير اقتصاد الشعوب الأخرى خصوصًا دول شرق آسيا.

4- أن العلماني المسكين لا يحكي لنا عن أساس النهضة الأوروبية التي تتعلق بالحضارة الإسلامية ولولاها لما وُجد هذا العلماني أصلًا؛ فهو ينسى أو يتناسا فضل الأندلس على البشرية حينما كانت تعيش تحت مظلة الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي، في الوقت الذي كانت أوروبا تلك تعيش في عصور الظلام.

(644) الغرب مجرد حضارة لصوص، الصحفي البلجيكي ميشيل كولون.

(645) صدام الحضارات، صامويل هنتنجتون، ص 51

5- أن العلماني المسكين لا يحدثنا عن قمع الحريات في الدول الغربية باستعمال الخط الأحمر "معاداة السامية" و "هجمات 11 سبتمبر" و "إنكار الهولوكوست" ولا يحدثنا عن إقصاء العلماء عند محاولة نقدهم الشذوذ أو عند محاولة تدريس التصميم الذكي ونقد الداروينية.

6- أن العلماني المسكين لا يريد أن يحكي لنا قصة الحربين العالميتين (الأولى والثانية) واللتان حصلت بين دول "علمانية" في مواجهة دول "علمانية" أخرى.

8- أن العلماني المسكين لا يريد أن يتكلم لنا عن الأيديولوجيات الكفرية الإجرامية: الفاشية الإيطالية، النازية الألمانية، الاستالينية بالاتحاد السوفيتي... والتي أبادت الشعوب وانتهكت حقوق الإنسان بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، وهي أيديولوجيات علمانية نبتت في أوساط علمانية.

وجوهر ما سبق، أن العلماني مثله مثل الصبي الصغير الذي يلهو بلعبةٍ، ولا يفقه كيف صُنعت؟ ومن أين أتت فكرتها؟

إنَّ ما وصل إليه الغرب الآن من طُفْرَةٍ علميةٍ، وصناعيةٍ، إنما هو ناتجٌ بالأصل عن عقول العلماء المسلمين، الذين هاجروا إليها عندما لفظتهم بلادهم، فقام الغرب باحتضانهم لا لأجلهم ولا تقديرًا لشخصهم، وإنما تحقيقًا لمآربه ومصالحه، حيث هيا لهم البيئة العلمية والإمكانيات المادية للمختبرات، والدليل على ذلك هو بصمة المسلمين الظاهرة بالإكتشافات العلمية والكثير من الإختراعات، في حين تجد ملحد ك(ستيفن هوكينج) يشكك بوجود إله، محاولاً إنكار السببية بشتى الطرق، وإذا بحثنا وراء ذلك الملحد لنعرف ماذا قدم للبشرية، وجدنا أنه لم يقدم شيئاً ذا أثر أو نفع، في الوقت الذي تجد فيه دكتور مسلم يكتشف علاجاً لمرض التصلب الجانبي، والذي يعاني منه ذاك الهوكينج، حيث توصل دكتور (تيبو المسلم) بعد فضل الله وتوفيقه له استطاع أن يحدد سبب هذا المرض لِيُفتح أمامه أفقاً جديداً بعد محاولات من البحث دامت ثلاثون عام، ليحقق بذلك أكبر اكتشافٍ علمي في هذا الجانب. ولذلك: أيهما في نظركم قد أفاد البشرية أكثر: ذاك الملحد خالي الوفاض، خاوي اليدين؟ أم دكتور تيبو الذي قدم للبشرية ما لم يسبقه إليه أحد؟

نعود مرة أخرى لنقول إنَّ تهيئة البيئة العلمية والأسباب المادية كانت السبب الحقيقي في صعود تلك الدول المسماة متقدمة، في حين أن الأمر على النقيض تماماً بالدول العربية الفقيرة، والتي لا تستطيع توفير ميزانيات هائلة لمختبراتها العلمية، ولا تُولي من الأساس اهتماماً بالعلم التجريبي ولا بالعلماء أنفسهم.

ومن المؤسف القول إنَّ الدول العربية كلّها بلا استثناء اليوم هي دول علمانية جزئية، فمنذ 70 عاماً تقريباً، لا توجد دولة عربية إسلامية واحدة تطبق الشريعة، ولذلك نريد من كل منصف أن يجيب عن أسئلتنا هذه: ماذا أنتجت لنا العلمانية طوال الـ 70 عاماً الماضية؟! وماذا أفرزت لنا الحلول الغربية المستوردة والتبعية والتقليد الأعمى لهم؟!

لقد بدأت العلمانية في العالم الإسلامي كأفكار مارقة، ثم تحولت مع مرور الأيام إلى واقع يملأ حياة المجتمعات الإسلامية، ويشمل مناحي عديدة منها، وأصبح الإسلام في نظر غير قليل من المسلمين في مرتبة الديانة المسيحية في الغرب، من حيث أنه علاقة روحية محصورة في المسجد فحسب، مثلما أصبحت المسيحية محصورة في الكنيسة.

وبعد أن فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أخذت دائرة نفوذه تضيق شيئاً فشيئاً حتى انحصرت في طقوس محدودة، وقد تم هذا التطور تدريجياً دون وعي وانتباه من المسلم

العادي، فإلى عهد قريب لم يكن للمسلم اتجاه سياسي يخالف الإسلام، ولا أدب إلا الأدب الإسلامي، ولا أعياد إلا الأعياد الإسلامية، ولم يكن يُنظر إلى العالم الخارجي إلا بمنظار الإسلام، وكان الإسلام هو كل شيء بالقياس إليه، أمّا الآن فقد حصل تحول شبه كلي فيما يتعلق بموقع الإسلام من الحياة، وانتشرت العلمانية كالناقة العشواء تخبط كل قيم المجتمع وثوابته، ففي الحكم نُجِيَّتِ الشريعة الإسلامية وحُصرت في جانب من الأحوال الشخصية، أما ما سوى ذلك من أحكام، فاصطبغت بالصبغة العلمانية البحتة، واستوردت لها القوانين الشرقية والغربية.

وكذلك الحال في الجانب الاقتصادي فقد أقيم الاقتصاد في العالم الإسلامي وفقاً للنظام الاقتصادي الغربي، فاستحل الربا والمعاملات المحرمة، بل أصبح النظام المصرفي قائماً على تلك المعاملات ومرتبناً بها. وأما في الجانب التعليمي والثقافي فقد انتشرت النظريات المضادة للإسلام، ودُرست في جامعات المسلمين ومدارسهم، وفي مقابل ذلك هُمِّش التعليم الإسلامي وحُورب، وأصبح يشغل - إن وجد - هامشاً ضيقاً وثانويًا في المجال التعليمي العام.

وانتشرت الكتب والروايات التي تطعن في الدين وتسيء إليه.

وكذلك الحال فيما يطلقون عليه اسم الفن، حيث استُخدم كأداة علمنة تمارس على المجتمع صباح مساء، وأُعيدَ به صياغة مفاهيم المجتمع وفق النظرة العلمانية للحياة، فرسخ عادات كانت قبيحة بنظر المجتمع، كخروج الفتاة بصحبة شاب مثلاً، وألقى بظلال من الشبه بل والاستهزاء على أحكام شرعية ثابتة، فكان بمثابة معول هدم لكثير من القيم الإسلامية.

وليس الحال في الجانب الاجتماعي بأهون مما سبق، حيث صاح الناعقون بقضية المرأة، ورفعوا لواء تحريرها، وألفوا الكتب في سبيل ذلك، وقصد كثير منهم من وراء ذلك إخراج المرأة عن هدي ربها، وقذفها في محاضن الشهوات والفتن، والواقع خير شاهد ودليل على ما نقول، فما آل إليه حال المرأة المسلمة يندى له الجبين من تبرج وسفور، إذ أصبحت المرأة كالسلعة تُمتن باسم الفن والموضة والأناقة، وفَقِدَتِ المرأة دورها الأساسي في الحياة في تربية النشء والقيام على رعايته.

لقد بدت صورة المجتمع المسلم في إطار العلمانية صورة مختلفة تماماً عما أراد الله عز وجل لهذه الأمة من خير وهدى، وأصبح المسلم يمارس أكثر حياته بعيداً عن الدين بفرائضه وآدابه، فاصطبغت الحياة بصبغة علمانية مظلمة.

تلك بعض مظاهر العلمانية في عالمنا الإسلامي، وهي مظاهر لا يحتاج الناظر إلى كبير عناء لرصدها، فهي واضحة للعيان، بادية لكل ذي بصر وبصيرة.

ومن الأهمية بمكان في هذا المقام أن نبين بعض الفروق الجوهرية بين العلمانيتين، علمانية الشرق المسلم وعلمانية الغرب الملحد أو النصراني، ولاستجلاء هذه الفروق، لا بد من معرفة الخلفية الثقافية لهما، فالغرب النصراني في أكثره ارتدَّ على عقبه وكفر بالكنيسة ودين الكنيسة، أما البقية الباقية ممن بقي على دين الكنيسة فسرعان ما توافقت نفسياً وسياسياً بل ودينياً مع العلمانية وسارت في ركابها، ووجدت لها من الأناجيل ما يدَّعم هذا التوافق ويؤيده، حيث جاؤوا بالشواهد الإنجيلية، فاستدلوا بها ليؤسسوا للعلمانية، ويجعلوا لها منطلقاً دينياً كما كان للإقطاع سابقاً منطلقه الديني!!

أما في الشرق المسلم فالوضع مختلف تماماً، فما كان دين الإسلام في يوم من الأيام كدين الكنيسة، وما كان

المسلمون كالنصارى، فهم وإن ظهرت فهم الأفكار الضالة والنحل الكافرة من شيعوية وبعثية ونحوها، إلا أن ذلك لم يحصل إلا على نطاق ضيق، في حين ظلَّ جمهور المسلمين على معتقده الصحيح في الإسلام، فلم تحصل حركة ارتداد واسعة كفرت بالإسلام وعادته كالتى حصلت في الغرب، بل ظل المسلمون متمسكين بدينهم مقتنعين به، وفي المقابل لم يجدوا في الإسلام إلا كل تجريم للعلمانية، فالقرآن ينص بوضوح على أن الحكم يجب أن يكون لله لا للبشر، وأن السلطة التشريعية هي سلطة إلهية ممثلة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن المسلم مطالب بأن يستسلم لها، ويؤمن بها ويرضى بأحكامها، وإلا عدَّ خارجاً من الإسلام مرتدّاً عنه، في حين أن العلمانية تجعل السلطة التشريعية في يد الدولة، فدخلت في مناقضة صريحة مع الدين الإسلامي، ومن هنا تحولت العلمانية في الشرق المسلم من طرف محايد في نظرتة إلى الدين إلى طرف محارب له، فافتقرت العلمانية في الغرب النصراني عن العلمانية في الشرق الإسلامي افتراقاً بيناً.

وأصل المشكلة - فيما نرى - تكمن في جناية من استورد العلمانية إلى بلاد المسلمين التي لها خلفية دينية وتاريخية مختلفة تماماً، فكان حاله أشبه بمن جاء بشجرة تنبت في القطب المتجمد الشمالي وزرعها في الصحراء العربية، فلا شك أن تجربته ستؤول إلى الفشل، وهي نفس النتيجة التي حققها العلمانية في الشرق الإسلامي فبدأ التملل واضحا، وظهرت الحركة الشعبية المطالبة بتحكيم الشريعة وطرح العلمانية، ولولا ما تقابل به هذه الحركات من تضيق وكتم للأنفاس، لكانت العلمانية منذ زمن في مزبلة التاريخ، وإنما لعلى يقين من مجيء ذلك اليوم، الذي تُنبئ فيه العلمانية من قبل جماهير المسلمين.⁽⁶⁴⁶⁾

النَّبِيُّ يُخْبِرُنَا بِمَا عَلَيْهِ الْأُمَّةُ الْآنَ

لَا شَكَّ أَنَّ لِلْمُسْلِمِ هُوِيَّتَهُ الَّتِي تُمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهِ، وَشَرِيعَتُهُ الَّتِي فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهَا عَلَى الْعَالَمِينَ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرِيصًا عَلَى بَقَاءِ هَذَا التَّمَيُّزِ وَالتَّفْضِيلِ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِمُخَالَفَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَيُحَذِّرُ مِنْ مُتَابَعَتِهِمْ.

وَلَقَدْ أَخْبَرَنَا الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ بِمَا سَيَكُونُ عَلَيْهِ حَالُ الْأُمَّةِ مِنْذَ 1445 عام، وَهُوَ مُتَابِعَةُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالبِدَعِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ بَدَلُوا دِينَهُمْ، حَيْثُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ، فُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟"⁽⁶⁴⁷⁾

وفي هذا الحديث: قوله صلى الله عليه وسلم (لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ)، أي: أنكم تتبعون طريقة النصارى واليهود في أفعالهم وحياتهم متابعَةً دَقِيقَةً شَدِيدَةً، تَارِكِينَ سُنَّتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَوَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِدَّةَ هَذَا الْإِتِّبَاعِ، فَقَالَ: (شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ)، وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنِ شِدَّةِ الْمَوَافَقَةِ لَهُمْ، وَاتِّبَاعِهِمْ فِي عَادَاتِهِمْ وَتَقَالِيدِهِمْ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلَهُ الْمُسْلِمُونَ وَرَاءَهُمْ، وَالضَّبُّ: حَيَوَانٌ جُحْرُهُ شَدِيدُ الظُّلْمَةِ نَبْتِ الرِّيحِ، وَهُوَ مِنَ الرِّوَاخِ يَكْتُرُ فِي الصَّحَارِيِّ الْعَرَبِيَّةِ، وَوَجْهُ التَّخْصِيصِ بِجُحْرِ الضَّبِّ: شِدَّةُ ضَيْقِهِ وَرَدَائَتِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ -لَاقْتِفَاءَهُمْ آثَارَهُمْ وَاتِّبَاعَهُمْ طَرَائِقَهُمْ- لَوْ دَخَلُوا فِي مِثْلِ هَذَا الضَّيْقِ الرَّدِيِّ لَوَافَقُوهُمْ! وفي هذا الحديث مُعْجَزَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَدْ وَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَانْتَشَرَ ذَلِكَ فِي الْأُزْمِنَةِ الْمُتَأَخِّرَةِ؛ مِنْ اتِّبَاعِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى فِي عَادَاتِهِمْ وَتَقَالِيدِهِمْ وَسُلُوكِيَّاتِهِمْ،

(646) مظاهر العلمانية في العالم الإسلامي / موقع إسلام ويب.

(647) صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: (3456) / صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: (2669) باختلاف يسير/ الراوي: أبو سعيد الخدري.

فقلدوهم في مَلابِسِهِمْ وشَعَائِرِهِمْ، وَقَلَدُوهُمْ فِي أَعْيَادِهِمْ، وَفِيمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَخْلَاقٍ ذَمِيمَةٍ، وَعَادَاتٍ فَاسِدَةٍ تُخَالِفُ شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ الْمُطَهَّرَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ نَتِيجَةً لِعَلْبَةِ الْكُفَّارِ، وَالْمَغْلُوبِ مُوَلِّعٌ بِتَقْلِيدِ الْغَالِبِ، وَمِثَالُ ذَلِكَ مَا يُشَاهَدُ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَشَارِكَةِ فِي الْأَعْيَادِ وَالْإِحْتِفَالَاتِ الْخَاصَّةِ بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ مِنْ أُمَّمِ الْكُفْرِ! (648)

المبحث الثالث: الإرهاب، حقيقته في الإسلام، وعند الغرب (649)

ما هو الإرهاب في نظر المسلم؟ وما هو الإرهاب لدى الغرب؟ وكيف نرد عليهم إن اختلفنا معهم؟

المطلب الأول: حقيقة كلمة "الإرهاب" في اللغة والاصطلاح:

الإرهاب مصدر، أَرَهَبَ، يُرْهِبُ، إِرْهَابًا، وهي لفظة تعني: التخويف، وهي في ذاتها ليست محمودة، ولا مذمومة، إلا أن يُعلم معناها عند قائلها، وإلا أن ينظر في آثارها، ومن قال إنَّ الإرهاب في الإسلام هو رديف القتل: فهو مخطئ؛ لأن اللفظة لا تساعد على هذا المعنى، فالإرهاب هو التخويف وليس القتل، وقد أمرنا ربنا تعالى أن نَرْهَبَهُ، أي: نَخَافَهُ، كما في قوله تعالى: {وَأَيُّيَ فَرَاهِبُونَ} [البقرة: 40]، كما أمرنا بالاستعداد للعدو الذي يُتَوَقَّعُ منه الكيد والحرب، وهذا الاستعداد هو لإرهابه حتى لا نكون لقمة سائغة له، وقد جاء ذلك مُوضَّحًا في قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} [الأنفال: 60].

وقد أطلقت الدول المستعمرة الأثمة هذه اللفظة على الإسلام، وأرادت تشويه صورته في نظر عامة الناس، فأقيمت لذلك المؤتمرات، وعقدت الندوات، وأنشئت الأقسام باسم مكافحة الإرهاب، ولم يكن في ذلك كله تَعَرُّضٌ لتلك الدول المستعمرة المجرمة، الجاثمة على صدور الضعفاء من المسلمين، كالهندوس في إرهابهم المسلمين في كشمير، والروس في إرهابهم للمسلمين في الشيشان، والأمريكان في إرهابهم للمسلمين في العراق وأفغانستان، واليهود في إرهابهم للمسلمين في فلسطين، وراح السدج من المسلمين يُطلقون هذا اللفظ على كل من يحلو لهم محاربتة، وتنفير الناس منه، وقد يكونون مصيبين في الحكم على طائفة منهم، أو مجموعة، لكن ما بال تلك الدول الإرهابية، وتلك المنظمات العنصرية المجرمة قد نجت من الوصف بهذا اللفظ، وجُعل حكرًا على المسلمين؟! وتشريعات الإسلام الربانية فيها ما يحافظ على عِزِّ المسلم، ودمه، وماله، ومن أجل ذلك كان تحريم القتل، والسرقة، والزنا، والقذف، وجُعِلَتِ الحدود المغلظة على من ارتكب تلك المحرمات، وقد يصل الأمر للقتل - كالزاني المحصن - حفاظًا على أعراض الناس.

وقد جاءت العقوبة مغلظة لمن أَرَهَبَ الناس وأخافهم، مثل عصابات قِطَاعِ الطُّرُق، ومن يفعل مثل فعلهم داخل المدينة، وهؤلاء هم الذين يسعون في الأرض فسادًا، وقد حكم الله عليهم بأشد العقوبات كفاً لشرهم، وحفظاً لأموال الناس ودمائهم وأعراضهم، قال تعالى: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [المائدة: 33].

(648) الدرر السنوية - الموسوعة الحديثية.

(649) الإسلام سؤال وجواب.

وأبلغ من ذلك: أن الإسلام حرّم على المسلم إخافة أخيه، ولو مازحًا، فعن السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ رضي الله عنه أنه سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "لَا يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ لِأَعْبَاءٍ وَلَا جَادًا، فَمَنْ أَخَذَ عَصَا أَخِيهِ فَلْيَرُدَّهَا إِلَيْهِ". (650)

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: "حَدَّثَنَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسِيرٍ، فَتَمَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى نَبْلِ مَعَهُ، فَأَخَذَهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ فَرِعَ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: مَا يُضْحِكُكُمْ؟، فَقَالُوا: لَا، إِلَّا أَنَّا أَخَذْنَا نَبْلَ هَذَا فَفَرِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا". (651)

المطلب الثاني: أنواع الإرهاب في الإسلام:

1. ممدوح: وهو تخويف العدو خشية اعتدائه على المسلمين، واحتلال ديارهم، ويكون ذلك بالاستعداد الكامل بالتسلح بالإيمان، والوحدة، والسلاح، وقد سبق في آية الأنفال ما يوضح أنه واجب على المسلمين.
2. مذموم: وهو تخويف من لا يستحق التخويف، من المسلمين، ومن غيرهم من أصحاب الدماء المعصومة، كالمعاهدين، والمستأمنين، وأهل الذمة.

وقد عرّف "المجمع الفقهي الإسلامي" الإرهاب بأنه: "العدوان الذي يمارسه أفراد، أو جماعات، أو دول، بغياً على الإنسان (دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه)، ويشمل صنوف التخويف، والأذى، والتهديد، والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة، وإخافة السبيل، وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف، أو التهديد، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي، فردي، أو جماعي، يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم، أو حريتهم، أو أمنهم، أو أحوالهم، للخطر، ومن صنوفه: إلحاق الضرر بالبيئة، أو بأحد المرافق، والأماكن العامة، أو الخاصة، أو تعريض أحد موارد الدولة، أو الموارد الطبيعية، للخطر، فكل هذا من صور الفساد في الأرض، التي نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عنها في قوله تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: 77]".

بيان المجمع الفقهي بمكة المكرمة:

وجاء في بيان المجمع الفقهي في دورته السادسة عشر بمكة المكرمة: التنبيه إلى أمرين مهمين:

الأول: الرد على من وصف الإسلام بأنه دين إرهاب، فمما جاء فيه:

"وقد لحظ أعضاء "المجمع" أن الحملات الإعلامية مدبرة، وهي تنطوي على أباطيل، وترهات، تنطلق من إعلام موتور، معادٍ، تُسهم في توجيهه مؤسسات الإعلام الصهيوني؛ لتثير الضغائن، والكراهية، والتمييز، ضد الإسلام والمسلمين، وتُلصقُ بدين الله الخاتم التهم الباطلة، وفي مقدمتها تهمة "الإرهاب".

(650) رواه الترمذي (2160) وأبو داود (5003)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

(651) رواه أحمد (23064) - واللفظ له - وأبو داود (4351)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

واتضح لأعضاء "المجمع" أن لصق تهمة الإرهاب بالإسلام عبر حملات إعلامية إنما هو محاولة لتنفير الناس من الإسلام، حيث يُقبلون عليه، ويدخلون في دين الله أفواجًا.

ودعا أعضاء "المجمع" رابطة العالم الإسلامي، وغيرها من المنظمات الإسلامية، وكذلك عامة المسلمين إلى الدفاع عن الإسلام، مع مراعاة شرف الوسيلة التي تناسب، وشرف هذه المهمة".

وبينوا في سياق ردهم على الافتراء على الإسلام، ولصق تهمة الإرهاب به: "أن الإرهاب ظاهرة عالمية، لا ينسب لدين، ولا يختص بقوم، وهو سلوك ناتج عن التطرف الذي لا يكاد يخلو منه مجتمع من المجتمعات المعاصرة، وأوضحوا أن التطرف يتنوع بين تطرف سياسي، وتطرف فكري، وتطرف ديني، ولا يقتصر التطرف الناتج عن الغلو في الدين على أتباع دين معين، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى غلو أهل الكتاب في دينهم، ونهاهم عنه، فقال في كتابه الكريم: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [المائدة: 77]".

والثاني: ذكرهم أن من الإرهاب إرهاب الدول، والذي سكنت عنه وسائل الإعلام العالمية، ولم تفضح أهله، ومما جاء في البيان:

"ويؤكد المجمع أن من أنواع الإرهاب: إرهاب الدولة، ومن أوضح صوره، وأشدّها شناعة: الإرهاب الذي يمارسه اليهود في فلسطين، وما مارسه "الصرب" في كلِّ من البوسنة، والهرسك، وكوسوفا، واعتبر "المجمع" أن هذا النوع من الإرهاب: من أشد أنواعه خطراً على الأمن، والسلام في العالم، واعتبر مواجهته من قبيل الدفاع عن النفس، والجهاد في سبيل الله".

المطلب الثالث: الإرهاب عند الغرب:

فهو ما نقرؤه، ونشاهده، من احتلالهم للدول الضعيفة، ونهبهم لخيراتهما، وما نراه من التعذيب، والاعتصاب، والقتل، وكل ذلك موثق بالصوت والصورة، في وثائق لا يمكن إنكارها، وهو استمرار لتاريخهم القديم في احتلال الدول بالقوة، والبطش، والسلاح.

والعجيب حقًا: أن الدول الغربية - وخاصة أمريكا - لم يضعوا إلى الآن تعريفًا للإرهاب! وواضح أنهم سيدينون أنفسهم بأي تعريف يختارونه، ولذلك جعلوا اللفظة مهمة المعنى، فتصرف إلى من يريدون إلصاق التهمة به. قال الشيخ صالح الفوزان: "الكفار من قديم يحاربون الإسلام، ويصفونه بأقبح الصفات؛ تنفيرًا منه، {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [التوبة: 32]، ومن ذلك: وصفهم له بالإرهاب، والوحشية، وينسون أن الإرهاب، والوحشية، وقتل الشعوب، والتسلط على الخلق بغير الحق، وكل صفات الذم: إنما هي في دين الكفر، ومن صفات الكفار.

وكون بعض المنتسبين إلى الإسلام تصدر منهم بعض التصرفات الخاطئة - إما عن جهل أو عن قصد سيئ -: فإن ذلك لا يُنسب إلى الإسلام؛ لأن الإسلام ينهى عن ذلك.

وطريق الخلاص من هذا الاتهام السيئ للإسلام: أن يُبيّن أن فعل هؤلاء الأشخاص ليس من الإسلام، وإنما هو تصرف شخصي، وأن كل مسلم فهو عرضة للخطأ، وليس هناك معصوم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم". (652)

بماذا استرد على من يتهم الإسلام بالإرهاب؟

أبها المحاور المسلم، إذا قام خصمك بإطلاق تهمة أن الإسلام دين الإرهاب، عليك حينها أن تبادر بسؤاله: ماذا تقصد بكلمة إرهاب؟

فإن قال: إنه يقصد بها قتل الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ، فأخبره بأن الله تعالى حرم قتلهم واستشهد بآيات من القرآن والسنة تدعم الحق الذي معك وتدحض باطله.

وإن قال إنه يقصد بها قتل الأعداء دفاعاً عن المال أو العرض أو الأرض، فتقول له إن الله عز وجل قد أمرنا بذلك، وهو ما يتفق أيضاً مع الفطرة في الدفاع عن النفس.

هل المسلمون إرهابيون؟

هناك سؤال كثيرا ما يُوجَّهُ إليّ، وهو: لو أنك قد حاورت إنساناً ليس بمسلم، ثم قام بإصاق تهمة الإرهاب بالمسلمين، بعدما قام الإعلام بغسل دماغه بالأفلام والأخبار الكاذبة عن الإسلام، فماذا عساك أن تفعل حياله؟ وبماذا سيكون جوابك؟

وللرد على هذا السؤال، سأحيلكم إلى الداعية الألمانية الشهيرة بيير فوجل **Pierre Vogel** (الأخ أبي حمزة)، والذي

أجاب بطريقة مذهلة، حينما سُئل عن الإرهاب وعلاقته بالإسلام، فقال: "من الذي أشعل

الحرب العالمية الأولى؟ المسلمون؟ من الذي أشعل الحرب العالمية الثانية؟ المسلمون؟ من الذي

قام بقتل 20 مليون نفس بشرية من سكان أستراليا الأصليين؟ المسلمون؟ من الذي أرسل

القنابل النووية لتضرب هيروشيما وناجازاكي؟ المسلمون؟ من الذي قام بقتل ما يزيد على 100

مليون من الهنود الحمر في أمريكا الشمالية؟ المسلمون؟ من الذي قام بقتل أكثر من 50 مليون من الهنود الحمر

في أمريكا الجنوبية؟ المسلمون؟ من الذي قام باسترقاق حوالي 180 مليون أفريقي كعبيد، وقد توفي حوالي 77%

منهم أثناء أعمالهم الشاقة ثم إلقاؤهم في المحيط الأطلنطي؟ المسلمون؟ لا، لم يكونوا المسلمين!!

قبل كل ذلك عليك أن تقوم بتحديد معنى الإرهاب جيداً؛ فلو أن غير المسلم قام بفعل شيء خاطيء، فإنها

حينئذ تكون مجرد جريمة، أما حين يقوم مسلم بارتكاب نفس الخطأ، فإنه حينئذ يُوصف بالإرهاب!! لذلك

عليك ألا تكيل بمكيالين أولاً، وبعد ذلك تكلم من هذا المنطلق.

وأخيراً: مهما نرى ونسمع من حالة الاستضعاف للأمة وتكالب الأعداء عليها فإن ذلك لا يعذرنا من مواجهة

الباطل وردّه، لا سيما الإلحاد الذي هو أعلى صور الانحراف، فحالة الاستضعاف التي تمر بها الأمة اليوم لا تعني

ترك إنكار المنكر بالكلية، وحينما نتأمل قول الله جل جلاله: {وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ

رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي

يَعِدُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ} [سورة غافر: 28]، فقد قال قولته، وهو يكتُم إيمانه، فكيف بحالنا

اليوم وهذه الجامعات والصور العلمية الكبيرة، فضلاً عن وجود الوسائل المتنوعة للمواجهة مع الملحدين

لدعوتهم أولاً للحق المبين، ولمواجهة من أصرّ منهم على الباطل ثانيًا، كون الدعوة إلى الله هي مسئولية الجميع.



الخاتمة

نسأل الله حُسْنَهَا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فَقَدْ وَقَّفَنِي اللهُ بِالْإِنْتِهَاءِ مِنْ بَحْثِ مَنْهَجِيَةِ الْحَوَارِ مَعَ الْمَلَاْحِدَةِ وَتَفْنِيدِ شَهَائِمِهِمْ إِلَى جَمَلَةٍ مِنَ النَّتَائِجِ، مِنْ أْبْرَزِهَا:

- ✓ أنه ما من دليل من أدلة وجود الله وصحة الإسلام يستدل عليه القرآن والسنة إلا ولديه دليل عقلي.
- ✓ أن معرفة الخالق فطرية وأن كل ما في الكون يدل على أن الله وحده هو الخالق والمدبر والمالك لكل شيء.
- ✓ أن البحث أثبت أن الغرب لم يعد نصرانيًا والإلحاد مسيطر عليه.
- ✓ أن الكنسية أحد أسباب انتشار الإلحاد في الغرب.
- ✓ إشكالات الإلحاد كثيرة وأنه يتناقض مع بديهيات العقل والفطرة.
- ✓ العقل الواعي يُدرك أن وراء هذا الكون خالقًا مدبرًا. وعند التأمل في الكون بكل تفاصيله، من العناصر الصغيرة إلى الكبيرة، والعلاقات المتبادلة والمعقدة بينها، يتجلى بوضوح دلالة العناية الربانية والرعاية التامة في كل جانب.
- ✓ معرفة الله فطرية، حيث جُبلت عليها النفوس البشرية، ودلائل ربوبيته منتشرة في كل من النفس البشرية والكون المحيط. كل شيء في الوجود يُظهر وجود خالق وراءه وفقًا للفطرة السليمة.
- ✓ إن التناغم الكوني المحكم والمتقن والمنتظم يشير إلى وجود خالق حكيم وقدير، كما أن التسخير والتدبير العجيب في الكون يعكس وجود خالق قوي يُسَخِّرُ ويُدَبِّرُ هذا الوجود بشكل مُدهش.
- ✓ على الدعاة في حواراتهم اكتساب مهارات عرض براهين إثبات الله تعالى بمعرفتنا له عز وجل بالعقل والنقل والفطرة.
- ✓ أن الدعوة و تأهيل الدعاة لا تتوقَّف عند مجرد تأصيل شرعي ومعرفة الأدلة والرد الصحيح بل لا بد من معرفة مهارات وقواعد منهجية يلتزم بها المحاور المسلم وإلا سيقع في دوامة من الأخطاء فيظهر كأن الإسلام ضعيف وليس هو.
- ✓ إذا انتبه المحاور في رده على شبهات وسفسطات غير المسلمين إلى منهجيات مهمة في التخصص سيعرف من خلالها مدى تهاة تلك الشبهات و حماقتها.
- ✓ الثقة واليقين لا يأتيان إلا بالإخلاص إلى الله أولاً ثم بالإستعانة به، مع ضرورة التسلح بالعلم بجانب الدعوة والممارسة المستمرة عندئذٍ سيكتسب المحاور ملكة وخبرة.
- ✓ مازالت الحاجة ماسة إلى المزيد من العمل في تأسيس تلك المناهج وإرساء أهم القواعد الوقائية للدعاة ضد الشبهات، وتكوين العقل الناقد عندهم، وفحص الحجج والبراهين والدلالات بعقل مُتَّقِدٍ تُورِدُ عليه الشبهات؛ فَيُفَكِّكُهَا وَيُرَدِّدُهَا إِلَى مَصْدَرِهَا.
- ✓ أننا بحاجة مُلِحَّةٍ - بجانب تععيد تلك الأسس المنهجية في الرد على الشبهات - إلى بناء أخلاق الداعية المتصدر للرد على تلك الشبهات واختيار الأسلوب الأنسب في الرد على الافتراءات.
- ✓ المنهج الدعوي في الرد على الملحدين يتطلب استخدام أسلوبين متباينين، ولا يتعارضان بل يكملان بعضهما

البعض: أسلوب اللين وأسلوب الشدة. كل منهما يمتلك مكانته الخاصة ويُستخدم بما يتناسب مع طبيعة الموقف والظروف المحيطة. يتطلب التفاعل مع الملحدّين تمييزاً دقيقاً في اختيار الأسلوب المناسب، فأسلوب اللين يهدف إلى بناء جسور التفاهم والإقناع، بينما أسلوب الشدة يواجه بقوة المحاولات المتعمدة لتشويه الحقائق وإثارة الفتنة. إن اختيار الأسلوب الملائم يعزز فعالية الدعوة ويحقق الأهداف المرجوة.

هناك نتائج أخرى أساسية وفرعية تناولها البحث ولكن اكتفي بذكر هذه.

فإنَّ الكمالَ عزيزٌ، وبلوغه صعبُ المنالِ، وهذه محاولةٌ بشريٌّ أراد بها الخيرَ لنفسه، ولإخوانهم، ولأمّته في طريق الدّعوة إلى الله، ومِنَ المعهودِ أنّ عمَلَ البَشَرِ لا يخلو من خَطَأٍ وَزَلَلٍ، فَمَا كَانَ فِي هَذَا الْعَمَلِ مِنْ خَيْرٍ، فَمِنْ تَوْفِيقِ اللَّهِ وَحُدّه، وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ زَلَلٍ، فَمِنَّا وَمِنَ الشَّيْطَانِ، لِنَا أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ - أَيُّهَا الْكِرَامُ مِنْ إِخْوَانِنَا الْفُرَّاءِ وَالْبَاحِثِينَ وَالْمُهْتَمِينَ بِالْعِلْمِ وَأَهْلِهِ - مَنْ وَجَدَ فِي هَذَا الْعَمَلِ خَللاً فليُقَوِّمِه، أَوْ نَقْصاً فليُكْمِلِه، أَوْ زَيْغاً فليُهْدِ إِلَيْنَا الْحَقَّ وَالصَّوَابَ، وَنَشْكُرْ لَهُ جَهْدَهُ، وَنَدْعُو اللَّهَ لَهُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ أَنْ يَجْزِلَ لَهُ الثَّوَابَ، فَلَا تَبْخُلُوا عَلَيَّ إِخْوَانِكُمْ بِمَا تَجُودُ بِهِ قَرِيبَتْكُمْ مِنْ أَفْكَارٍ وَمَعْلُومَاتٍ أَوْ بِالمُسَارَعَةِ فِي تَصْحِيحِ الْخَطَأِ، أَوْ زِيَادَةِ الْبَيَانِ، أَوْ إِبْدَاءِ بَعْضِ الْمُقْتَرَحَاتِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ، وَإِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ نَمُدُّ أَكْفَ الضَّرَاعَةِ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا الزَّلَّاتِ، وَأَنْ يَتَجَاوَزَ عَنِ الْخَطِيئَاتِ، وَأَلَّا يَجْعَلَ هَذَا الْعَمَلَ حُجَّةً عَلَيْنَا يَوْمَ التَّنَادِ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَتِمَّانِ الْأَكْمَلَانِ عَلَى خَيْرِ الْبَشَرِيَّةِ وَأَزْكَى الْبَرِيَّةِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ وَاقْتَفَى أَثَرَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

التوصيات

يوصي البحث المحاور بضرورة التسلح بالعلم الشرعي والاهتمام بالتمسك بالعتيدة الصحيحة ففيها النجاة والوقاية

ويوصي فهم خدع الشعارات البراقة والكلام الفضفاض الذي يستخدمه بعض الأشخاص الذين يظهرون في الإعلام كأنهم باحثون ومفكرون.

كما يؤكد البحث على أهمية اتباع قواعد دقيقة - ذكرنا في البحث أهمها - في الرد على المخالفين لضمان حوار مثمر وفعال.

تهيئة من تستطيع تهيئتهم من هذا الجيل المسلم بألا ينخدع وتهوله كثرة تشويق الملاحدة للكلمات ورفعهم الدائم لشعارات براقة، مثل عقل، دليل، علم، لقد درسنا وبحثنا، وعلماء العالم كلهم متفقون على كذا. فهم بهذا ينشدون إحداث الصدمة النفسية عند المتلقي المسلم، لكي يعجز عقله عن التفكير ومن ثم يتشرب أطروحاتهم وشبهاتهم.

وألا ينخدعون بالكلام الفضفاض، ويثقون بهؤلاء الروبيضات والدجاجلة الذين يُظهرون أنفسهم ويقدمهم الإعلام على أنهم باحثون ومفكرون ومجتهدون ومجددون!

ما زالت الحاجة ماسة إلى المزيد من العمل في تأسيس المناهج وإرساء أهم القواعد الوقائية للدعاة ضد الشبهات، وتكوين العقل الناقد عندهم، وفحص الحجج والبراهين والدلالات بعقل مُتَّقِدٍ تُورَدُ عليه الشبهات؛ فيُفَكِّكها ويردّها إلى مصدرها، وبيان تهاافت الافتراء وتفاهتها.

على الدعاة بجانب تعويد الأسس المنهجية في الرد على الشبهات -بناء أخلاق الداعية المتصدر للرد على الشبهات واختيار الأسلوب الأنسب في الرد على الافتراءات.

تأهيل وتوصية الدعاة بالثقة ال متناهية ويقين جازم بأنه لا يوجد في الإسلام نقطة ضعف واحدة تجعلنا نستحي أو نتخوف منها، وهذه الثقة وهذا اليقين لا يأتيان إلا بالإخلاص إلى الله أولاً ثم بالإستعانة به، مع ضرورة التسلح بالعلم بجانب الدعوة والممارسة المستمرة والسعي إلى الوصول إلى الملكة والبراعة في هذا المضمار. تُوصى بضرورة تضافر جهود العلماء والمختصين في العتيدة والرد على الشبهات لمواجهة الإشكالات الإلحادية المتعددة. يتطلب ذلك إنشاء مؤسسات متخصصة وتنظيم دورات علمية وملتقيات تخصصية ومراكز بحثية تُعنى بإعداد إجابات فعالة ومُحكمة. يهدف هذا التعاون إلى تعزيز حصانة المعرف بالإسلام وحماية الأجيال القادمة من تأثير الشبهات.

كما ينبغي تجنيد الكفاءات وتدريبها على فنون الحوار، والعمل على تطوير الردود المناسبة لمواكبة المستجدات والتحديات الحالية. من خلال هذه الجهود المنسقة، يمكن تحصين الأجيال المقبلة وتعزيز قدرتها على مواجهة الإلحاد بفعالية.

على الدعاة الإطلاع على مزيد من الكتب، والمحاضرات الأكثر عمقاً وتخصصاً في هذا الشأن لكسب مهارات متعددة:

من التوصيات: كتب ننصح بقراءتها

هناك العديد من الكتب -غير التي توجد بفهرس الكتاب- ترد على الشبهات، ولها أثر طيب في زيادة الإيمان بعد كتاب الله تعالى، نشير عليكم بقراءتها، وهي كما يلي:

1 - كتاب "إظهار الحق" وهو مطبوع في أربع مجلدات، وهو من تأليف الشيخ محمد رحمت الله الهندي رحمه الله تعالى المتوفى سنة 1308 هجرية، وألفه للرد على النصارى؛ وقد احتوى على فصول مهمة في إثبات صحة نبوة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، ورد مطاعن أهل الكفر في ذلك، وكذا احتوى على فصول تناول فيها إثبات صحة كون القرآن الكريم كلام الله تعالى المعجز.

2 - كتاب "النبأ العظيم" للشيخ محمد بن عبد الله دراز رحمه الله تعالى وهو من علماء الأزهر. وهذا الكتاب مطبوع في مجلد واحد، وتناول فيه مؤلفه إثبات صحة كون القرآن الكريم من عند الله تعالى معتمداً في ذلك على الحقائق التاريخية والعقلية ومحتوى القرآن الكريم.

3 - كتاب "البراهين العقلية على وحدانية الرب ووجوه كماله" للشيخ المفسر عبد الرحمن السعدي.

4 - "براهين وجود الله"، د. سامي عامري، ط مركز تكوين، وهو متاح على الشبكة.

5 - "براهين النبوة"، د. سامي عامري، وهو متاح على الشبكة أيضاً.

6 - "شموع النهار"، لفضيلة الشيخ عبد الله بن صالح العجيري.

7 - "ميليشيا الإلحاد"، للشيخ عبد الله العجيري، أيضاً.

8 - التفكير الناقد للجيل الصاعد، أحمد بن يوسف السيد، ط مركز تكوين، وهو متاح على الشبكة.

فهرس المصادر

- 1- مَوْسُوعَةُ الْأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ، إِعْدَادُ: مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْبَاحِثِينَ بِإِشْرَافِ الشَّيْخِ عَلَوِيِّ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ السَّقَّافِ، مَطْبُوعٌ وَمَنْشُورٌ عَلَى مَوْقِعِ الْأَدْرَجِ السَّنِيَّةِ عَلَى الْإِنْتَرْنَتِ.
- 2- المَوْسُوعَةُ الْحَدِيثِيَّةُ، شُرُوحُ الْأَحَادِيثِ، إِعْدَادُ: مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْبَاحِثِينَ بِإِشْرَافِ الشَّيْخِ عَلَوِيِّ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ السَّقَّافِ، مَطْبُوعٌ وَمَنْشُورٌ عَلَى مَوْقِعِ الْأَدْرَجِ السَّنِيَّةِ عَلَى الْإِنْتَرْنَتِ.
- 3- نَضْرَةُ النَّعِيمِ فِي أَخْلَاقِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ
- 4- الْأَخْلَاقُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ حَبْنَكَةَ الْمِيدَانِيِّ
- 5- مَوْسُوعَةٌ دَلِيلُ الدَّاعِيَّةِ، الْمَدْعُوعُونَ، مَشْرُوعٌ بَحْثِي قَامَ بِهِ مَكْتَبُ الدَّارِ لِلدِّرَاسَاتِ وَالِاسْتِشَارَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ وَالتَّرْبَوِيَّةِ تَحْتَ إِشْرَافِ مَعْهَدِ الْبُحُوثِ وَالدِّرَاسَاتِ فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، تَأْلِيفُ أ. د. مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَوَاجِي، أَسْتَاذُ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ الْقُرْآنِ بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ
- 6- مِنْهَجُ الْقُرْآنِ فِي دَحْضِ شَهَاتِ الْمُلْحِدِينَ، أَفْنَانُ حَمْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْغَمَّاسِ، الرِّيَاضُ، مَرْكَزُ دَلَائِلِ، ط1، 1438هـ/2017م.
- 7- كَابَةُ الْإِلْحَادِ، دَرَاةٌ عَقْدِيَّةٌ نَقْدِيَّةٌ لِعِلَاقَةِ الْإِنْتِحَارِ بِالْإِلْحَادِ"، بَحْثٌ قَدَمَهُ أ.د. سَعُودُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعَرِيفِيِّ بِجَامِعَةِ أُمِّ الْقُرَى - مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ، قَسْمُ الْعَقِيدَةِ - كَلِيَّةُ الدَّعْوَةِ وَأَصُولِ الدِّينِ.
- 8- الْإِسْلَامُ وَالْإِلْحَادُ وَجِهًا لَوْجَهُ، د. هَيْثَمُ طَلَعْتُ.
- 9- كَيْفِيَّةُ دَعْوَةِ الْمُلْحِدِينَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، أ. د. سَعِيدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ وَهْفِ الْقَحْطَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.
- 10- مَوْسُوعَةٌ دَلِيلُ الدَّاعِيَّةِ، الْمَدْعُوعُونَ، أ. د. مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَوَاجِي.
- 11- مَوْسُوعَةُ الدَّعْوَةِ، الدَّعَاةُ: الْمَفْهُومُ وَالْأَهْمِيَّةُ، لِلشَّيْخِ الدُّكْتُورِ مُحَمَّدِ الْعَوَاجِي.
- 12- مَادَةُ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، د. أَبُو زَيْدِ بْنِ مُحَمَّدِ مَكِّي، عَضُو هَيْئَةِ التَّدْرِيسِ بِجَامِعَةِ أُمِّ الْقُرَى بِكَلِيَّةِ الدَّعْوَةِ وَأَصُولِ الدِّينِ - قَسْمُ الْعَقِيدَةِ، ص 43-68 دَارُ الْأَوْرَاقِ
- 13- الْإِلْحَادُ الْجَدِيدُ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ الْغَرْبِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ مَفْهُومُهُ وَنَشَأَتُهُ وَأَسْبَابُ ظُهُورِهِ وَسَبُلُ مَوَاجَهَتِهِ، بَحْثٌ نَشَرَهُ مَوْقِعُ مَرْكَزِ الْأُمَّةِ لِلدِّرَاسَاتِ وَالتَّطْوِيرِ لِلدُّكْتُورِ فَلَاحِ عَبْدِ مُحَمَّدِ الدَّلِيحِيِّ.
- 14- التَّعْرِيفُ بِالْإِسْلَامِ، الدُّكْتُورُ عَبْدِ اللَّهِ الْغَامِدي، ص 53، دَارُ الْقَبْسِ 1439هـ
- 15- ظَاهِرَةُ الْإِلْحَادِ الْمَعَاوِرِ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ، بَحْثٌ مَنْشُورٌ فِي مَوْقِعِ حَصْنِ، لِلدُّكْتُورِ عَمَادِ الدِّينِ عَبْدِ الْعَجِيلِيِّ.
- 16- الْإِسْلَامُ يَتَحَدَّى، وَحِيدُ الدِّينِ خَانَ.
- 17- مَعْنَى الْحَيَاةِ، أَلْفَرِيدُ أَدْر، دَارُ الْفَرْقَدِ.
- 18- التَّعْرِيفُ بِأَسَاسِيَّاتِ الْإِسْلَامِ بِنَمُودِجِ GORAP تَمَّ تَرْجَمَةُ مَلْفِ هَذَا النَّمُودِجِ مِنْ قَبْلِ الْأَسْتَاذِ عَلِيِّ بِشَارَةِ الَّذِي أذِنَ لَنَا اسْتِخْدَامَهُ جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا.
- 19- كَيْفُ تَحَاوُرِ مَلْحَدًا، دَلِيلُكَ الْمَنْهَجِيُّ لِمَهَارَاتِ الْحَوَارِ، أَمِينُ بْنُ عَبْدِ الْهَادِي خَرْبُوعِي، مَرْكَزُ دَلَائِلِ.
- 20- شَمُوعُ النَّهَارِ، عَبْدِ اللَّهِ الْعَجِيرِيُّ، مَرْكَزُ تَكْوِينِ.
- 21- أَرُوى صَالِحِ، (1996م)، الْمَبْتَسِرُونَ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى، لِبْنَانِ: دَارُ النَّهْرِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ.

- 22- آلان دو بوتون، (2016م)، عزاءات الفلسفة، ترجمة/ يزن الحاج، الطبعة الأولى، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر.
- 23- ألبير كامو، (1983م)، أسطورة سيزيف، نقله إلى العربية/ أنيس زكي، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.
- 24- إيميل دوركايم، (2011م)، الانتحار، ترجمة/ حسن عودة، دمشق: وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب.
- 25- البخاري، محمد بن إسماعيل، (1414هـ=1993م)، صحيح البخاري، تحقيق/ مصطفى البغا، الطبعة الخامسة، دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة.
- 26- تشيزاري بافيزي، (2016م)، مهنة العيش، يوميات تشيزاري بافيزي، ترجمة/ عباس المبرجي، الطبعة الأولى، بغداد: دار المدى.
- 27- جميل صليبا، (1982م)، المعجم الفلسفي، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- 28- جيرار دونرفال، (2017م)، بنيات اللهب، ترجمه عن الفرنسية/ ماري طوق، الإمارات: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة.
- 29- جيل دولوز، (2009م)، الاختلاف والتكرار، ترجمة/ وفاء شعبان، الطبعة الأولى، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- 30- ابن خلكان، أحمد بن محمد، (1994م)، وفيات الأعيان، تحقيق/ إحسان عباس، الطبعة الأولى، بيروت: دار صادر.
- 31- خليل حاوي، (1987م)، رسائل الحب والحياة، بيروت: دار النضال.
- 32- دازاي، (2016م)، ولم يعد رجلا، ترجمة/ محمد عزيمة الطبعة الأولى، دمشق: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر.
- 33- أبو داود، سليمان بن الأشعث، (1430هـ)، سنن أبي داود، الطبعة الأولى، بيروت: دار الرسالة العالمية.
- 34- الفخر الرازي، محمد بن عمر، (1420هـ)، مفاتيح الغيب، الطبعة الثالثة، بيروت: دار إحياء التراث.
- 35- ربيع جابر، (1997م)، رواية رالف رزق الله في المرأة، الطبعة الأولى، بيروت: دار الآداب.
- 36- الزركلي، خير الدين بن محمود، (2002م)، الأعلام، الطبعة الخامسة عشرة، دار العلم للملايين.
- 37- زكي مبارك، (بدون تاريخ)، ذكريات باريس، القاهرة: مؤسسة هنداوي.
- 38- سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزأوغلي، (1434هـ)، مرآة الزمان، تحقيق/ جماعة، الطبعة الأولى، دمشق: دار الرسالة العالمية.
- 39- ستاكس روش، الانتحار بين الملحددين، ترجمة/ محمد سالم، تعليق/ د. هشام عزمي، مركز الفتح للبحوث والدراسات.
- 40- سليمان الخراشي، (بدون تاريخ)، انتحار إسماعيل أدهم، من نشر المؤلف.
- 41- سوزان المشهراوي، (2018م)، الإلحاد المعاصر، سماته وآثاره وأسبابه وعلاجها، (القاهرة: بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية للبنين، العدد 35، المجلد 2).
- 42- سيلفيا بلاث، (2009م)، أكثر من طريقة لائقة للغرق، ترجمة/ سامر أبو هوش، بيروت: منشورات الجمل.

- 43- سيلفيا بلاث، (2019م)، رسائل سيلفيا بلاث، ترجمة/ فاطمة نعيمي، الطبعة الأولى، الكويت: منشورات تكوين.
- 44- صادق الركابي، (2014م)، الانتحار الجماعي، أكبر عمليات الانتحار الجماعي في التاريخ، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة مدبولي.
- 45- صمويل بيكيت، (2009م)، في انتظار جودو، ترجمة وتقديم/ بول شاول، الطبعة الأولى، بيروت: منشورات الجمل.
- 46- عبد الرحمن بدوي، (1977م)، إيمانويل كنت، الطبعة الأولى، الكويت: وكالة المطبوعات.
- 47- العفاني، سيد بن حسين، (1427هـ=2006م)، وامحمداه، الطبعة الأولى، مصر: دار العفاني.
- 48- فخري أبو السعود، في الأدب المقارن، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م)،
- 49- كاواباتا، (1983م)، ضجيج الجبل، ترجمة/ صبحي حديدي، الطبعة الأولى، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر.
- 50- كاواباتا، (2006م)، الجميلات النائمات، الطبعة الثانية، بيروت: دار الآداب.
- 51- كريستيان بودلو، روجيه استابليه، (1419هـ)، دوركايم والانتحار، تعريب/ أسامة الحاج، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- 52- كوينتين بيل، (1993م)، فرجينيا وولف، سيرة حياة، ترجمة/ عطا عبد الوهاب، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- 53- لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيياتيين، (1997م)، الموسوعة الفلسفية، ترجمة/ سمير كرم، الطبعة السابعة، بيروت: دار الطليعة.
- 54- مجمع اللغة العربية، (بدون تاريخ)، المعجم الوسيط، (القاهرة: مجمع اللغة العربية).
- 55- محمد العلي، (1430هـ)، عقيدة الحلول والتناسخ عرضاً ونقداً، الطبعة الأولى، الرياض: دار الصميعي.
- 56- محمد سهيل مشتاق، (1418هـ)، التناسخ جذوره وتأثيره في غلاة الشيعة، مكة المكرمة: رسالة ماجستير نُوقِشت وأُجيزت بقسم العقيدة بجامعة أم القرى.
- 57- المعلمي، عبد الرحمن بن يحيى، (1434هـ)، رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله، ضمن آثار المعلمي، الطبعة الأولى، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد.
- 58- مكرم شاكر، (1992م)، أدباء منتحرون، دراسة نفسية من خلال الأعمال الإبداعية لبعض الأدباء المنتحرين، بيروت: دار الراتب الجامعية.
- 59- ابن منظور، محمد بن مكرم، (1414هـ)، لسان العرب، الطبعة الثالثة، بيروت: دار صادر.
- 60- هاني نصري، (1420هـ)، نقض الإلحاد، تحديدات وتنبهات وإيضاحات، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- 61- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، (1404-1427هـ)، الموسوعة الكويتية الفقهاء، الطبعة الثانية، الكويت: دار السلاسل.
- 62- ول ديورانت، (2016م)، مباهج الفلسفة، ترجمة/ فؤاد الأهواني، الطبعة الثانية، القاهرة: المركز القومي للترجمة.

- 63- ياسر ثابت، (2012م)، شهقة اليائسين، الطبعة الأولى، بيروت: دار التنوير.
- 64- يحيى فرغل، (1428هـ)، الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الآفاق العربية.
- 65- يوكيو ميشيما، (1990م)، ثلج الربيع، ترجمة/ كامل يوسف حسين، الطبعة الأولى، بيروت: دار الآداب.

المقالات والصحف والمواقع:

- 1) إبراهيم الحاج العبدى، مقال بعنوان: صداقة توماس برنهارد، نشر بصحيفة الحياة بتاريخ 2006/10/11م، ويمكن الاطلاع عليه من خلال الرابط: <https://www.sauress.com/alhayat/31239152> تاريخ الاطلاع 2022/1/5م.
- 2) أحمد إبراهيم الشريف، مقال بعنوان: لماذا انتحر الإيطالي تشيزاري بافيزي بعد تسعة أيام من كتابة مذكراته، منشور بتاريخ 2020/11/13م، على موقع صحيفة اليوم السابع، ورابطه: <https://2u.pw/Vf1At>، تاريخ الاطلاع 2022/1/10م.
- 3) أحمد رباح، مقال بعنوان: قراءة في كتاب "رحلة إلى الشرق" لجيرار نرفال، منشور بتاريخ 2018/6/28م في موقع "أنفاس"، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/dNROZ> تاريخ الاطلاع 2022/1/8م.
- 4) إسراء سيف، مقال بعنوان: هل انتحر فعلا ديل كارنيجي؟ عبر الرابط: <https://2u.pw/RN630> تاريخ الاطلاع 2022/1/21م.
- 5) أسعد العزوني، مقال بعنوان: انتحار مثقف، نشر بتاريخ 2020/6/27م، على موقع المجلة الثقافية الجزائرية، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://thakafamag.com/?p=39360> تاريخ الاطلاع 2022/1/21م.
- 6) بيتر إبراهيم، مقال بعنوان: الجمعية الأمريكية للطب النفسى: معدلات انتحار الأطباء أعلى من المهن الأخرى، منشور في موقع "اليوم السابع" بتاريخ 2018/6/3م، ولمطالعة المقال يمكن الدخول عبر الرابط: <https://2u.pw/YnFbN>، تاريخ الاطلاع 2021/12/30م.
- 7) توماس ناجل، مقال بعنوان: العبثية، ترجمة/ مروان محمود، منشور في مجلة الفلسفة.
- 8) حسن عليان، مقال عن "تيسير سبول" في مجلة فيلادلفيا الثقافية، جامعة فيلادلفيا، الأردن.
- 9) خالد بشير، مقال بعنوان: تيسير السبول، سار مع الوهم وانتحر بعد هزيمة العروبة، منشور بتاريخ 2018/7/10م، في موقع "حفريات"، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/2G1uG>، تاريخ الاطلاع 2022/1/14م.
- 10) رونالد أرونسون، مقال بعنوان: ألبيير كامو، ترجمة/ سارة اللحيان، ضمن "موسوعة ستانفورد للفلسفة" مجلة "حكمة"، ويمكن الاطلاع عليه من خلال الرابط: <https://2u.pw/Ka0s2>، تاريخ المطالعة 2022/1/26م.

11) ريمي أرسيميسبير، مقال بعنوان: جيارار دي نيرفال، منشور على موقع "مكتبات الشرق" على الشبكة العالمية، انظر الرابط: <https://heritage.bnf.fr/bibliothequesorient/ar/nerval-art-ara>، تاريخ الاطلاع 2022/1/8م.

12) سعاد جروس، مقال بعنوان: أمراض المبدعين: خفيفها مطلوب، وشديدها يدفع إلى الانتحار أو الجنون، منشور في صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ 2006/6/20م، العدد 10431، ورابط المقال: <https://2u.pw/huKah>، تاريخ الاطلاع 2022/1/20م.

13) سعيد بوكرامي (ترجمة) مقال منشور في جريدة "نزوى" الإلكترونية بتاريخ 1999/4/1م، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط: <https://2u.pw/lqDhA>، تاريخ الاطلاع 2022/1/11م.

14) سلمان حرفوش، عبد الباسط الصوفي والتجربة الوجودية"، موقع القصة السورية، عبر الرابط: <http://www.syrianstory.com/a.b.soufi.htm>، تاريخ الاطلاع 2022/1/20م.

15) عبد الدايم الكحيل، الإلحاد والانتحار وقوة تعاليم الإسلام، مقال منشور في صفحة المؤلف على الشبكة العالمية، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/wvt6r>، تاريخ الاطلاع 2021/12/21م.

16) كريم عبد الخالق، مقال بعنوان: مسرح «سارة كين»: الموت دائماً خلفك، منشور على موقع "منشور" بتاريخ 2018/8/24، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/gDhks>، تاريخ الاطلاع 2021/12/30م.

17) لبيب ناصيف، مقال بعنوان: رالف رزق الله، الرحيل الباكر المروع، منشور بصحيفة "البناء" الإلكترونية بتاريخ 2020/6/20م، ويمكن الدخول إليه عبر الرابط: <https://www.al-binaa.com/archives/253783>، تاريخ الاطلاع 2022/1/21م.

18) محمد غازي التدمري، عبد الباسط الصوفي وسطوة الانتحار، موقع القصة السورية، عبر الرابط: <http://www.syrianstory.com/a.b.soufi.htm>، تاريخ الاطلاع 2022/1/20م.

19) نبيل علال، مقال بعنوان بافيزي من الحب إلى الانتحار، منشور بتاريخ 2020/2/25م، على موقع المحطة الإلكترونية، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/M2Ylb>، تاريخ الاطلاع 2022/1/10م.

20) نهي الخشاب، مقال بعنوان: هل انتحر صلاح جاهين، منشور بتاريخ 2015/4/21م في موقع صحيفة "مبتداً" الإلكترونية، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/KPnFc>، تاريخ الاطلاع 2022/1/20م.

21) صحيفة "هوف بوست" الإلكترونية عبر الرابط:

<https://2u.pw/D7CUP>

تاريخ الاطلاع 2022/1/31 م.

22) الصحيفة الإلكترونية التونسية "جمهورية" بتاريخ 2018/2/19 م، ويمكن الاطلاع عليه عبر هذا الرابط:

<https://2u.pw/lgveg>، تاريخ الاطلاع 2022/1/21 م.

23) مقال بعنوان: أقوال إميل سيوران: 160 اقتباس من كلام إميل سيوران، منشور على موقع "حكم نت"،

ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/wJOav>

تاريخ الاقتباس 2021/12/30 م.

24) مقال بعنوان: الضاحك البائس... لماذا انتحر روبن وليامز؟، منشور بتاريخ 2021/1/3 م على موقع "سكاي

نيوز عربية"، ورابط المقال: <https://www.skynewsarabia.com/varieties/1404441> تاريخ الاطلاع

2022/1/11 م.

25) مقال بعنوان: الكاتب الأمريكي انتحر لأن قلمه بات عصيا على التعبير، منشور في صحيفة "الاتحاد"

الإلكترونية بتاريخ 2008/9/24 م، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط:

<https://2u.pw/NR5HV>، تاريخ الاطلاع 2022/1/11 م.

26) مقال بعنوان: إيفالد إينكوف، عاش الفيلسوف، مات الفيلسوف، منشور بتاريخ 2015/2/7 م، في صحيفة

"الأيام" الإلكترونية، عدد 9435، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط:

<http://www.alayam.com/online/NA/475589/News.html>، تاريخ الاطلاع 2022/1/6 م.

27) مقال بعنوان: ديل كارنيجي مات منتحرا، منشور على موقع "معلومة" بتاريخ 2020/12/24 م، ويمكن الاطلاع

عليه عبر الرابط: <https://2u.pw/Gx8Zy> تاريخ الاطلاع 2022/1/21 م.

28) مقال بعنوان: قدم للعالم ثمانين بلدا... من هو أنتوني بورداين؟، منشور بتاريخ 2018/6/9 م على موقع

"الحرّة"، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط: <https://2u.pw/VebA0>

تاريخ الاطلاع 2022/1/11 م.

29) مقال بعنوان: قصة انتحار أشهر روائي مثير للجدل في اليابان، في موقع "bbc عربي" بتاريخ 2020/12/3 م،

ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط <https://2u.pw/5vjv8>، تاريخ الاطلاع 2022/1/10 م.

30) مقال بعنوان: كل ما يجب أن تعرفه عن العدمية، موقع "أنا أصدق العلم"، عبر الرابط:

<https://www.ibelieveinsci.com/?p=86848>

تاريخ الاطلاع 2022/1/25 م.

31) مقال بعنوان: من هي فيرجينيا وولف، منشور في موقع "أراجيك" بتاريخ 2021/10/27 م، ويمكن الاطلاع

عليه عبر الرابط:

<https://www.arageek.com/bio/virginia-woolf>

تاريخ الاقتباس 2022/1/9 م.

32) مقال مترجم بعنوان: إرنست همنغواي: الكاتب الذي انتحر بعد أن نجا من تحطم طائرتين، منشور بتاريخ 2021/7/21 م في موقع "أوهايو بالعربي"، ورابطه: <https://2u.pw/bvTeU> تاريخ الاطلاع 2022/1/8 م، ورابط أصل المقال باللغة الإنجليزية: <https://bit.ly/36PsoOa>.

33) "معرفة"، عبر الرابط: <https://2u.pw/INKe5> تاريخ الاطلاع 2022/1/26 م.

34) موسوعة "ويكيبيديا".

35) موقع "الباحثون السوريون" عبر هذا الرابط:

<https://2u.pw/rafj9> تاريخ الاطلاع 2022/1/21 م.

36) موقع "أيام قرطاج السينمائية"، عبر الرابط:

<https://2u.pw/1xKwm> تاريخ الاطلاع 2022/1/30 م.

37) موقع "معرفة" عبر الرابط: <https://2u.pw/i5rsT> تاريخ الاطلاع 2022/1/13 م.

38) موقع "معرفة"، بتحرير/ إبراهيم العريس، ورابطه:

<https://2u.pw/T85a1> تاريخ الاطلاع 2022/1/11 م.

39) موقع بي بي سي عربي بتاريخ 2017/10/29 م، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط:

<https://www.bbc.com/arabic/inthepress-41792626>

تاريخ الاطلاع 2022/1/30 م.

40) رحلة اليقين الحلقة 21، نظرية التطور، نظرية داروين ... بإنصاف، قناة اليوتيوب للأ. د. إياد قنيبي – القناة الرسمية.

41) العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، الفصل الرابع: نظرية التطور، موقع أ. د. سفر الحوالي.

عبر الرابط:

<https://www.safaralhawali.com>

3	مقدمة
14	الباب الأول: الإلحاد في الغرب.
15	الفصل الأول: حقيقة الإلحاد والألفاظ ذات الصلة
15	المبحث الأول: أصول الدين العالمية:
16	المبحث الثاني: مفهوم الإلحاد لغة واصطلاحاً
17	المبحث الثالث: الفرق بين الكفر والإلحاد والشرك
18	المبحث الرابع: مصطلحات تتشابه مع الإلحاد:
18	المبحث الخامس: مصطلحات لا بد منها:
19	أولاً: اللادينية
20	ثانياً: مصطلح العلمانية (سكولرزم Secularism)
22	ثالثاً: مصطلح التنوير
24	رابعاً: الوجودية
24	خامساً: الماسونية
27	الفصل الثاني: قضية الإلحاد
27	المبحث الأول: الإلحاد في التاريخ.. وليس ريخ الإلحاد.
28	المبحث الثاني: أقسام الإلحاد
28	أولاً: الإلحاد القديم:
30	ثانياً: الإلحاد الجديد: (New Atheism)
33	المبحث الثالث: الفرق بين الإلحاد القديم والإلحاد الجديد
34	المبحث الرابع: أقسام الملاحظة في العصر الحاضر
35	المبحث الخامس: رؤوس الإلحاد وأبرز شخصياته.
36	المبحث السادس: ما المرادُ لإلحادِ الذي نحنُ بصددهِ الآنَ؟
36	المبحث السابع: أسباب الكُفرِ لخالقٍ، ودواعي انتشار الإلحاد الغربي
38	المبحث الثامن: أسباب نشأة الإلحاد الغربي
44	الفصل الثالث: نظرت الإلحاد وإرهاصات إندره
44	المبحث الأول: نظرتُ وُضعتُ أُسسُ الإلحادِ
52	المبحث الثاني: الشيوعية، ودورها في نشر الإلحاد

54المبحث الثالث: الإلحاد فكرة شيطانية يهودية
55المبحث الرابع: موت الإلحاد.. قد شارفَ على الاقتراب
56المبحث الخامس: بلدان أورو ليست نصرانية!
58الباب الثاني: الإلحاد في العالم العربي والإسلامي.
59الفصل الأول: مظاهر الإلحاد في العالم الإسلامي ومعلمه:
59المبحث الأول: الملحدون العرب
59المبحث الثاني: الفرق بين الإلحاد الغربي والإلحاد العربي
60المبحث الثالث: عناية الإسلام لعلم مقارنةً لكنيسة
61المبحث الرابع: حال الإلحاد في البلدان الإسلامية
62المبحث الخامس: الحركات الإلحادية بين المسلمين في القرن الماضي
63الفصل الثاني: أسباب ظهور الإلحاد في العالم الإسلامي وسبل مواجهته
63المبحث الأول: أسباب ظهور الإلحاد في د ر المسلمين.
63أولاً: الأسباب العامة (أو المحورية) للإلحاد في البلدان الإسلامية:
64ثانياً: الأسباب الشخصية (المتعلقة بشخص الملحد):
66ثالثاً: الأسباب الاجتماعية للإلحاد:
68رابعاً: الأسباب المعرفية للإلحاد:
69خامساً: الأسباب الدينية:
72أهمية معرفة أسباب الإلحاد
72المبحث الثاني: سبل مواجهة حركة الإلحاد، وكيفية التصدي لها:
78المبحث الثالث: أقلام خبيثة حطَّت للإلحاد
78المبحث الرابع: أهم وسائل الإلحاد الحديث، ومن يقف وراءها
79المبحث الخامس: الإلحاد: ذاك الباطل الهش
80الباب الثالث: منهج الدعوة الإسلامية في الرد على المخالفين
81الفصل الأول: المجادلة والحوار والمناظرة
81المبحث الأول: الشبهة
81فقه التعامل مع الشبهات:
81المطلب الأول: حقيقة الشبهة:
81أولاً: معنى الشبهة في اللغة والاصطلاح:
83ثانياً: نشأة الشبهات، وأسباب ظهورها:

85	لثًا: أقسام الشبهات:
86	رابعًا: أساليب ووسائل صناعة الشبهة:
86	خامسًا: فوائد الشبهات:
90	سادسًا: ركائز ينبغي على المسلم استيعابها:
92	سابعًا: منهج التعامل مع الشبهة:
93	منًا: أسباب تكثيف الشبهات:
96	سعًا: سبل التخلص من ثير الشبهات:
98	عاشرًا: وجوب الرد على الشبهات:
99	المطلب الثاني: خطر الشبهات:
101	المطلب الثالث: تنبيهات حول منهجية الرد على الشبهات:
103	المطلب الرابع: قواعد للداعية في التعامل مع الشبهات للوقاية والعلاج:
103	أولًا: قواعد وقائية للدعاة من الشبهات:
106	ثيًا: قواعد للتعامل مع الإشكالات والشبهات بعد ورودها:
107	المطلب الخامس: قواعد منهجية في الرد على الشبهات:
113	تنبيهات إلى سلبيات لا بد من اجتنابها:
115	تنبيهات عند التعامل مع أرب الشبهات:
117	كتبٌ ومحاضراتٌ لدحض الإلحاد والرد على الشبهات:
118	المبحث الثاني: المناظرات:
119	المطلب الأول: ضوابط المناظرة وآدابها:
121	المطلب الثاني: المفاسد المترتبة على المناظرات العامة:
122	لا مرحبا ي جدلٍ عقيم:
122	تَقَادِي إِرة الشُّبُهَاتِ فِي الْمَنَازِرَاتِ الْعَامَّةِ:
123	المطلب الثالث: النصائح الذهبية في مناظرة الملحد:
130	المطلب الرابع: حيل الملاحدة في للتناظر، وكيفية التعامل معها:
135	المبحث الثالث: الجدل لتي هي أحسن:
135	المطلب الأول: الجدل لغةً واصطلاحًا:
135	المطلب الثاني: أنواع الجدل:
137	المطلب الثالث: أهمية الجدل لتي هي أحسن في الدعوة:
138	المطلب الرابع: معالم في الجدل لتي هي أحسن:

142	المطلب الخامس: العلاقة بين الجدال والحوار والمناظرة والمناقشة:
142	المبحث الرابع: أولويات الحوار
144	الفصل الثاني: قواعد الحوار في الرد على المخالفين
144	المبحث الأول: أسس منهجية الحوار والرد على المخالفين
152	المبحث الثاني: قواعد عامة على الداعية المحاور أنيئزَمَهَا
156	المبحث الثالث: قواعد تنفع المحاور مع الملاحدة ومع غيرهم
159	الباب الرابع: المعرف لإسلام (المحاور المسلم)
160	الفصل الأول: مَنْ الذي يَنْبَغِي أَنْ يتصدَّر لدَعْوَةِ الملاحدة؟ وَمَتَى؟
164	الفصل الثاني: المعرف لإسلام، وَمَرَاجِلُ كسبِ مَهَارَاتِ الدَعْوَةِ إِلَى
165	الفصل الثالث: صفات المحاور المسلم
179	الباب الخامس: دلائل وجود العقلية والحسية والشرعية
180	الفصل الأول: الاستدلال لأدلة في دعوة الملحددين إلى الإيمان لربوبية
181	المبحث الأول: الاستدلال بدليل الفطرة على وجود
181	المطلب الأول: حقيقة الفطرة في اللغة والاصطلاح:
181	أولاً: حقيقة الفطرة في اللغة:
181	ثانياً: حقيقة الفطرة في الاصطلاح:
181	المطلب الثاني: النصوص الشرعية الدالة على فطرية معرفة وتوحيده:
184	المطلب الثالث: كيفية الاستدلال بدليل الفطرة
186	المبحث الثاني: الاستدلال بدليل الخلق والإيجاد على وجود
186	المطلب الأول: توطئة وتقديم:
187	المطلب الثاني: كيفية الاستدلال بدليل الخلق والإيجاد:
188	المطلب الثالث: النصوص الشرعية الدالة على الخلق والإيجاد:
189	أولاً: في نصوص القرآن الكريم:
190	ثانياً: في نصوص السنة النبوية المطهرة:
191	المطلب الرابع: من طرق معرفة ، النظر والتفكر في مخلوقاته:
194	المبحث الثالث: الاستدلال بدليل الأحكام والإتيان على وجود :
194	المطلب الأول: الأحكام والإتيان لغة واصطلاحاً:
194	أولاً: الأحكام في اللغة:
194	ثانياً: الإتيان في اللغة:

194	لثًا: الإحكام والإتقان اصطلاحًا:
194	رابعًا: أسماء أخرى لدليل الإحكام والإتقان:
194	المطلب الثاني: أقوال أهل العلم في دليل الإتقان والإحكام:
195	المطلب الثالث: كيفية الاستدلال بدليل الإحكام والإتقان
199	المطلب الرابع: الإتقان والتعقيد الوظيفي من أدلة وجود
203	المطلب الخامس: النصوص الشرعية الدالة على الإحكام والإتقان
206	المبحث الرابع: الاستدلال بدليل التخصيص على وجود
206	المطلب الأول: المراد بدليل التخصيص:
206	المطلب الثاني: كيفية الاستدلال بدليل التخصيص:
207	المطلب الثالث: المستند الشرعي لدليل التخصيص:
208	المبحث الخامس: الاستدلال بدليل التسوية على وجود
208	المطلب الأول: معنى تسوية الشيء:
208	المطلب الثاني: دليل التسوية أبلغ في الدلالة
209	المطلب الثالث: النصوص الشرعية في دليل التسوية
209	المبحث السادس: الاستدلال بدليل التقدير على وجود
209	المطلب الأول: المراد بدليل التقدير:
210	المطلب الثاني: كيفية الاستدلال بدليل التقدير:
211	المبحث السابع: الاستدلال بدلائل النبوة على وجود :
211	المطلب الأول: حقيقة الاستدلال بدلائل النبوة على وجود :
211	المطلب الثاني: نماذج من دلائل النبوة:
211	أولًا: من دلائل نبوة موسى عليه السلام:
212	نيلًا: من دلائل نبوة عيسى عليه السلام:
213	لثًا: من دلائل نبوة محمد صلى عليه وسلم:
216	المبحث الثامن: الاستدلال بمكارم الأخلاق على وجود
216	المطلب الأول: المراد بدليل مكارم الأخلاق:
216	المطلب الثاني: كيفية الاستدلال بمكارم الأخلاق:
218	الفصل الثاني: توحيد الربوبية، حقيقته وأدلته.
218	المبحث الأول: تعريف توحيد الربوبية:
218	المبحث الثاني: أصول توحيد الربوبية:

219	المبحث الثالث: أدلة توحيد الربوبية:
221	الفصل الثالث: بيان البراهين والأدلة العقلية على وجود تعالى
221	المبحث الأول: التقسيم العقلي الحكيم:
221	المبحث الثاني: العدم لا يخلق شيئاً:
222	المبحث الثالث: الطبيعة الصماء لا تملك قدرة، وفاقد الشيء لا يعطيه:
222	المبحث الرابع: الصدفة العمياء لا تملك حياة:
223	المبحث الخامس: المناظرات العقلية الحكيمة:
223	المبحث السادس: مبدأ السببية:
224	المبحث السابع: التفكير في المصنوع يدل على بعض صفات الصانع:
225	الفصل الرابع: بيان الأدلة الحسية المشاهدة على وجود تعالى
226	الفصل الخامس: بيان الأدلة الشرعية على وجود تعالى
228	الفصل السادس: شبهات الملحدين وإجاباتها
228	المبحث الأول: لماذا لا يكون هناك أكثر من خالق أزلي؟
228	المبحث الثاني: سقوط فرضية تعدد الآلهة:
229	المبحث الثالث: موقف المسلم من قضية الإلحاد
230	الباب السادس: النفسيات الإلحادية، وكيفية التعامل معها:
231	تمهيد
232	الفصل الأول: الشخصية القلقة:
232	المبحث الأول: حقيقة الشخصية القلقة:
233	المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:
233	المبحث الثالث: آليات حوار الشخصية القلقة:
235	الفصل الثاني: الشخصية الهوسية:
235	المبحث الأول: حقيقة الشخصية الهوسية:
235	المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:
237	الفصل الثالث: الشخصية النرجسية:
237	المبحث الأول: حقيقة الشخصية النرجسية:
237	المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:
239	الفصل الرابع: الشخصية المكبوتة:
239	المبحث الأول: حقيقة الشخصية المكبوتة:

239	المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:
241	الفصل الخامس: الشخصية الاستذهانية:
241	المبحث الأول: حقيقة الشخصية الاستذهانية:
241	المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:
243	الفصل السادس: الشخصية البارانورامية الموسوسة:
243	المبحث الأول: حقيقة الشخصية البارانورامية الموسوسة:
243	المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:
244	الفصل السابع: الشخصية الإسقاطية:
244	المبحث الأول: حقيقة الشخصية الإسقاطية:
244	المبحث الثاني: كيفية التعامل مع الشخصية الإسقاطية:
246	الفصل الثامن: الشخصية الحدودية:
246	المبحث الأول: حقيقة الشخصية الحدودية:
246	المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:
248	الفصل التاسع: الشخصية التابعة:
248	المبحث الأول: حقيقة الشخصية التابعة:
248	المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:
249	الفصل العاشر: الشخصية الفصامية المنعزلة:
249	المبحث الأول: حقيقة الشخصية الفصامية المنعزلة:
249	المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:
251	الفصل الحادي عشر: الشخصية المعتلة:
251	المبحث الأول: حقيقة الشخصية المعتلة:
251	المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:
252	الباب السابع: ظاهرة الانتحار في صفوف الملاحدة.
254	المبحث الأول: علاقة الانتحار لفلسفة العدمية
255	المبحث الثاني: التلازم بين الإلحاد والانتحار
257	المبحث الثالث: ما الفرق بين الإلحاد: العبثي، والعدمي، والوجودي؟
257	المبحث الرابع: أكثر البلدان رُقياً ماداً، أكثرها انتحاراً.
259	المبحث الخامس: أشهر المنتحرين من الملحدين أو المتأثرين بلوث الإلحاد
268	المبحث السادس: الاضطهاد والانتحار بين المؤمنين والملحدين

- 271 المبحث السابع: الملاحظة أكثر انتحارًا وعدوانية.
- 271 المبحث الثامن: قائمة المنتحرين من الملاحظة.. طويلة ومستمرة
- 273 المبحث التاسع: قائمة البلدان الأكثر نسبةً للانتحار
- 274 المبحث العاشر: ما قاله مشاهير الملحنين ورؤوس الطغيان لحظة موتهم:
- 276 المبحث الحادي عشر: هل الملاحظة أكثر سعادة؟
- 280 الباب الثامن: الأخلاق عند الملاحظة.
- 281 المبحث الأول: مِنْ ادِّعَاءَاتِ الْمَلَاْحِدَةِ: نِسْبَةُ الْأَخْلَاقِ
- 281 المبحث الثاني: مفهوم الأخلاق في الإسلام
- 282 المبحث الثالث: الانحطاط الأخلاقي والنفسي وراء الإلحاد
- 283 المبحث الرابع: الإلحاد والأخلاق الفاضلة.. طرقي نقيض
- 284 المبحث الخامس: إذا كان الإله خرافة فكل شيء مباح!
- 286 الباب التاسع: فضائع الملاحظة وجرائمهم
- 287 المبحث الأول: نموذج من فضائع الإلحاد: أكل لحوم البشر!
- 287 المبحث الثاني: جرائم الملاحظة والعلمانيين
- 287 المبحث الثالث: حقائق عن الملاحظة:
- 288 المطلب الأول: مليون ونصف قتيل
- 288 المطلب الثاني: الجوع يحصد الأرواح، ومع ذلك يوجد أموال للحروب:
- 288 المبحث الرابع: الإلحاد والعنف!
- 288 المطلب الأول: الملحدون صنعوا أشنع حروب ومجازر في العالم؟
- 291 المطلب الثاني: العلمانية سبب في قتل الأبرء بهذه الحروب.
- 291 المطلب الثالث: هتلر وحربه وعلاقتها مع الداروينية
- 292 المطلب الرابع: استخدام الأطفال في حروبهم القذرة
- 292 المطلب الخامس: أشهر الحروب الدينية.. (لم يذكر الإسلام في أي منها)
- 292 إ دة الهنود الحمر
- 293 حرب الكاثوليك والبروتستانت
- 293 الهولوكوست
- 293 مذابح الإسرائيليين للفلسطينيين ونفاق الغرب
- 294 البوسنة والهرسك
- 294 المطلب السادس: أمريكا: أكثر دولة دموية على وجه التاريخ

299	المطلب السابع: مائة مليون قتيل حصاد القرن العشرين
300	الباب العاشر: المرأة عند الملاحظة:
301	المبحث الأول: مكانة المرأة عند الملاحظة
302	المبحث الثاني: المرأة بين الإسلام والإلحاد:
303	المبحث الثالث: حقيقة الرؤية الإسلامية للمرأة
303	أولاً: المساواة في الاعتبار الأدبي ومنحه الهداية:
304	نيا: البراءة الأصلية للمرأة:
304	لثاً: ميعار التفاضل بين النساء والرجال:
305	رابعاً: المرأة وثورة الحقوق:
308	الباب الحادي عشر: الدعوة إلى الإسلام، والرد على الشبهات
309	الفصل الأول: المشاريع الدعوية في دعوة الملاحظة للإسلام
309	المبحث الأول: التعريف سياسيات الإسلام وفق نموذج GORAP
309	المطلب الأول: مقارنة وجود ووحدانيتها - الوحي والنبوة:
310	المطلب الثاني: سيناريوهات لدعوة الناس للإسلام، ومناقشتها:
310	السيناريو الأول:
310	السيناريو الثاني:
310	السيناريو الأول: أين تكمن المشكلة فيه؟
311	السيناريو الثاني: أين تكمن المشكلة فيه؟
311	المطلب الثالث: ملخص مقارنة وجود ووحدانيتها - الوحي والنبوة
312	الجانب الأول: التمهيد:
313	الجانب الثاني: فرضية الحوار القائم على مقارنة وجود ووحدانيتها-الوحي والنبوة: ..
314	المطلب الرابع: وجود :
314	كيف تقنع غير المسلم بوجود إله خالق؟
315	النظام الكوني:
315	الإقرار:
316	المطلب الخامس: وحدانية :
316	كيف تثبت وجود إله واحد للكون؟
316	طبيعة الخالق:
316	هل خلق الكون نفسه بنفسه؟

- 316 من الذي خلق الخالق؟
- 317 خالق غير مخلوق:
- 317 الإقرار:
- 317 المطلب السادس: الربط بين وجود ووحدايته، وبين الوحي والنبوة
- 318 إقامة الربط:
- 319 المطلب السابع: الوحي الأخير للبشرية (القرآن الكريم)
- 321 مجالاتٌ تحدث عنها القرآن
- 321 أدلة صحة الوحي (القرآن الكريم)
- 321 كيف تثبت كون القرآن وحي من عند تعالى؟
- 327 المطلب الثامن: النبوة (محمد رسول)
- 327 كيف تثبت أن محمدًا صلى عليه وسلم نبي من عند ؟
- 329 المطلب التاسع: تلخيص ومزاعم
- 329 المراحل المختلفة للمقاربة:
- 329 تلخيص مقاربة وجود ووحدايته- الوحي والنبوة
- 332 المبحث الثاني: نماذج حوارية ملخصة لدعوة الملاحدة
- 332 المطلب الأول: نموذج ملخص لدعوة ملحد تخصصه إدارة أعمال:
- 333 المطلب الثاني: نموذج حوارى ينفذ مع 90% من غير المسلمين:
- 335 الفصل الثاني: حقيقة الإسلام ومعناه، وإلى ماذا يدعو؟
- 336 المبحث الأول: القاعدة الأساسية لدين الإسلام: كلمة التوحيد
- 338 المبحث الثاني: لماذا خلقنا ؟
- 339 المبحث الثالث: خالق واحد.. معبود واحد
- 340 المبحث الرابع: ماذا سأجد في مصادر الإسلام عن الإسلام؟
- 342 الفصل الثالث: شبهات تُثار حول الإسلام
- 342 المبحث الأول: الإسلام وحرب المصطلحات
- 343 المبحث الثاني: الردُّ على الشُّبهِ المثارة حول الإسلام
- 343 المطلب الأول: أهمية الدعوة من خلال رد الشبهات حول الإسلام
- 344 المطلب الثاني: الرد على الشبهات المثارة حول الإسلام والمسلمين
- 344 الرد على شبه أهل الكتاب ومشركي العرب
- 344 بيان بطلان وانحرافات الد ت الأخرى

346	شبهة: (مشكلة الشر)، والرد عليها
365	الرد على شبهة: (تقدم الدول العلمانية وتخلف البلدان المسلمة)
370	المبحث الثالث: الإرهاب، حقيقته في الإسلام، وعند الغرب
370	المطلب الأول: حقيقة كلمة "الإرهاب" في اللغة والاصطلاح:
371	المطلب الثاني: أنواع الإرهاب في الإسلام:
372	المطلب الثالث: الإرهاب عند الغرب:
375	الخاتمة
378	من التوصيات: كتب ننصح بقراءتها
379	فهرس المصادر
386	فهرس الموضوعات